

تاريخ القطبي

استمى

كتاب الأعلام من أعلام الدين والسياسة

في تاريخ مكة المكرمة

تأليف الإمام العلامة قطب الدين  
الحنفى رحمه الله المتوفى سنة ٩١٨

المقدمة بقلم

فضيلة الأستاذ السيد محمد أمين كتي

شرح هذا الكتاب وعلاق عليه ووضع مسوره الأستاذ محمد طاهر بن

عبد القادر الكردي الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة

غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين

متنزه الطبع والنشر

المكتبة العلية

لأصحابها: عبد القناح فدا وأولاده

بياب السلام

# تاريخ لقطبي

اسمى

كتاب الأعلام من أعلام ربيديت اللطيف

في تاريخ مكة المكرمة

تأليف الإمام العلامة قطب الدين  
الحنفى رحمه الله المتوفى سنة ٩١٨

المقدمة بقلم

فضيلة الأستاذ السيد محمد أمين كتيبي

شرح هذا الكتاب وعلق عليه ووضع صورته الأستاذ محمد طاهر بن  
عبد القادر الكردى الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة  
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين .

ملتزمة النشر والطبع

المكتبة العلمية بمكة المكرمة

لصاحبها عبد القادر بن أولاده

ببواب السلام



131753

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهذا شرف أكرمني الله تعالى به ، وسعادة ساقها الله إلى . أن أتكلم عن مكة المكرمة ، حرم الله الذي حرمه ، وجعله مثابة للناس وأمنا . فمكة بلد الله ، ومهبط وحيه ، ومنزل رحماته ، ومولد نبيه عليه الصلاة والسلام وقبلة عبادته في صلاتهم ، ومنسكهم في حجهم واعتبارهم ، يخفق إليها كل قلب ، ويهاها كل فؤاد ، ويهتف بها كل لسان . قد احتلت مكانها في جوانحهم ، ونزلت منزلها في نفوسهم . فهم يحنون إليها حنين الجذع للمصطفى عليه الصلاة والسلام ، ويخاطبها كل واحد بلسان حاله بقول الشاعر :

فلكل ربع من ربوعك حرمة وهوى تغلغل في صميم فوادي  
وكيف لا والإيمان لا يصح إلا باستقبالها والإسلام لا يتم إلا بزيارتها  
وأى مقال لقائل في الثناء عليها بعد قول الله تعالى :

« وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وقوله تعالى : « أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، وقوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ، وقوله تعالى « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، وقوله تعالى « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ، وقوله تعالى « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات لعلمهم يشكرون ،

وقوله تعالى : وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ربنا أنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، وقوله تعالى : وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم أنك أنت العزيز الحكيم ، وقوله صلى الله عليه وسلم : أن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس ، رواه الشيخان والترمذي والنسائي وقوله صلى الله عليه وسلم مخاطبا مكة ، والله انك خير أرض وأحب أرض إلى الله تعالى ، وقوله أيضا : ما أطيبك في بلد وأحبك إلى ، رواه الترمذي وقوله صلى الله عليه وسلم : خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام الطعم وشفاء السقم ، رواه الطبراني في الكبير في أحاديث كثيرة من أطلع عليها عرف فضل مكة علاوة على ثناء الأكارب عليها ، وتغنى الشعراء بها وبمنازلها وربوعها وشعابها وجبالها وكعبتها وحجرها وحجرها ومقامها ومنبرها وزمزمها ومروتها وصفاتها ومناها وجيرانها وحجاجها وعمارها وحمامها وغير ذلك مما يزيد كثرة ويربو عددا

وكل مؤمن يقرأ شيئا عن مكة المكرمة ، فأما يقرؤه بتلف واستيعاب ، كما يقرأ عن أحب الأشياء إليه بعناية واهتمام . فهو يتقرب بفارغ الصبر الفرصة التي تتيح له زيارتها ومشاهدتها والوقوف على آثارها ومشاعرها وقوفا يجمع به بين المرثى والمقرؤ ويطبّق به معلوماته على المواقع والمنازل تطبيقا صحيحا فإذا وصل إليها تمثلت أمام عينيه جميع المعلومات المخزونة في حفظه وتكونت عنده سلسلة من الأسئلة :

عن الكعبة ومن بناها ، وكم مرة بنيت ، ولما هذا البناء الموجود ، وهل هو على قواعد إبراهيم أو على بعضها ، وأين صلى النبي صلى الله عليه وسلم فيها ؟  
عن بابها وكم مرة جدد ، وعن كسوتها وعن ميزابها ، وعن سدنتها ، وعن الحجر الأسود ، ومن أين هو ؟

عن المطاف وبر زمزم وابتدائه ، ودار الندوة وموقعها ؟  
 عن المسجد الحرام وأصله وزيادته وأبوابها وعماراته ؟  
 عن مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد أولاده ، وبيوت أصحابه ومساجدهم ،  
 وعن دار أبي سفيان ودار الأرقم ؟  
 عن الصفا والمروة وحدودهما ، وعن بعض المساحد والجبال والآبار ، وعن  
 كل ما يوجد بمكة من آثار وقبور ومشاهد تاريخية ؟  
 عن مدخل الحاج إلى مكة ومخرجه منها ، وعن كل ما قرأه في كتب السيرة  
 والمناسك والتاريخ ؟

والحاج حين قدومه غريب ، لا يعرف شيئا من ذلك بنفسه ، وأول شخص  
 يعرفه الحاج في هذه البلاد هو مطوفة . فيوجه إليه بعض هذه الأسئلة أو كلها .  
 والحاج المثقف لا يقنعه الجواب المضطرب ولا ترضيه العبارة الناقصة ، فهو يطلب  
 جواباً سديداً يتفق مع معلوماته ، وتطمئن به نفسه ، فإذا لم يجد عند مطوفه مقنعا ،  
 توجه بهذه الاسئلة إلى سدنة البيت أو خدمة المسجد الحرام أو المدرسين به وهؤلاء  
 أعني ( المطوفين وسدنة البيت وخدمة المسجد الحرام والمدرسين به ) هم أحق الناس  
 بمعرفة كل ما يتعلق بالكعبة والمسجد الحرام خصوصا ومكة عموما ، وأولاهم برعاية ذلك  
 والاهتمام به ، لأنهم المسؤولون أمام الحجاج والمعتمرين ، وأمام الواجب والضمير .  
 والذي يسهل الوصول ، وينهج السبيل لتحقيق هذه الغاية ، هو دراسة كتب  
 التاريخ الخاصة بالكعبة الشريفة والمسجد الحرام ومكة المكرمة ، دراسة تطبيقية ،  
 تعتمد على استقراء المواضع ومشاهدتها وتحديدتها وتعيينها ، ومعرفة ما يتعلق بكل  
 واحد منها ، وهذه الدراسة لا تتم إذا لم يكن بين يدي الدارس مراجع كاملة ، يرجع  
 إليها ويهتدى بها ويستضيء بنورها .

لذلك كانت الحاجة ماسة إلى كتاب واف ، قريب المأخذ ، سهل العبارة ، يضم  
 بين دفتيه خلاصة ما تفرق في الكتب المبسوطة ، وينظم ما انتثر في صفحات  
 التاريخ الكثيرة .

ولما رأى حضرة الفاضل الشيخ عبد الفتاح فدا صاحب المكتبة العلمية بمكة

المكرمة بباب السلام . شدة الرغبة ، وإلحاح الحاجة ، إلى كتاب يسد هذا الفراغ ، ويغذي هذه الرغبة وقع اختياره على كتاب ( الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ) تاريخ مكة المشرفة ، تأليف الإمام قطب الدين محمد بن أحمد الحنفي المتوفى عام ٩٨٨ هـ فجرد العزم لطبعه طبعة ثانية ، بعد أن نفذت الطبعة الأولى . ورغب أن تكون الطبعة الثانية ، تمتاز ببعض الزيادات النافعة ، من تعاليق مفيدة ، توضح ما تجدد بعد عصر المؤلف ، في المسجد الحرام والكعبة المشرفة ، ومن رسوم للكعبة المطهرة والحجر والمطاف والحجر الأسود والمنبر وبئر زمزم وباب بني شيبه وغير ذلك ، ما يزيد الانسان شوقا إلى بيت ربه وحرمه .

فأسند القيام بهذه المهمة لحضرة الأستاذ الفاضل ( الشيخ محمد طاهر الكردي الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة ) لما عهد فيه من نشاط في البحث ، ودقة في التصوير ، وسلامة في الذوق ، وإستقامة في الطبع ، فشرحه وعلق عليه ، وحلاه بالرسوم الجميلة النافعة .

كما أسند إلى كتابة هذه المقدمة ، لإيضاح الفكرة التي دعت لإعادة طبع هذا الكتاب

والحقيقة أن الشيخ عبد الفتاح وفق غاية التوفيق في اختيار هذا الكتاب المفيد ، فقد ذكر فيه مؤلفه كل ما يحتاج إليه الإنسان من تاريخ مكة المكرمة . فبدأ ببيان موقعها وشكلها الجغرافي وحدودها وحكم بيعها وشراؤها ، وحكم المجاورة بها ، ثم تكلم على بناء الكعبة المعظمة ، وبيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في الجاهلية وصدر الإسلام . ثم ذكر ما زادة العباسيون وملوك الجراكسة وملوك آل عثمان ثم ختم ذلك بذكر المواضع والأمكنة المشرفة التي يستجاب فيها الدعاء ، وقد جاء الكتاب في عشرة أبواب ومقدمة وخاتمة ، ولم يخل باب منها من فوائد منشورة وتراجم محررة ونفائس مكنوزة ، يظفر بها من طالع الكتاب .

وقد زاده الشرح والتعليق حسنا ورونقا ، بذكر ما تجدد فيه في وقتنا هذا ، بحيث صار الكتاب مرجعا معتمدا ، ودليلا مرشدا ، تكفل بسد الحاجة ، وإغاثة اللهفات .

وما علينا بعد أن ذلل لنا حضرة الشيخ عبد الفتاح حفظه الله تعالى هذه الصعوبة ، وسهل لنا تناول الكتاب . ألا أن نعكف على مطالعته وقرائه والاستفادة منه والدعاء لمؤلفه بالرحمة ولناشره بالتوفيق لأمثال هذا العمل المبرور ، والسعي المشكور وبالنظر لأن مؤلف هذا الكتاب كان من العلماء الأجلاء الكاملين ، فقد نقلت ترجمته هنا من ( البدر الطالع ) للإمام الشوكاني ، ليعرف القراء قيمته العلمية ، ومكانته الأدبية قال الإمام الشوكاني .

قطب الدين بن علاء الدين النهروالي ، ثم المهدي الحنفي العالم الكبير ، أحد المدرسين بالحرم الشريف في الفقه والتفسير والأصولين وسائر العلوم ، وكان يكتب الانشاء لاشرف مكة . وله فصاحة عظيمة يعرف ذلك من أطلع على مؤلفه الذي سماه ( البرق اليماني في الفتح العثماني ) هو مؤلف ( الأعلام في أخبار بيت الله الحرام ) وكان عظيم الجاه عند الأتراك ، لا يحج أحد من كبارهم إلا وهو الذي يطوف به ولا يرتضون غيره ، وكانوا يعطونه العطاء الواسع . وكان يشتري بما يحضله منهم نفائس الكتب ، ويبيدها لمن يحتاجها ، واجتمع عنده منها ما لم يجتمع عند غيره ، وكان كثير التزهات في البساتين وكثيرا ما يخرج إلى الطائف ( وهو مصيف أهل مكة ) ويستصحب معه جماعة من العلماء والأدباء ، ويقوم بكفاية الجميع ( ومات ) سنة ٩٨٨ هكذا أرخ موته الضمدي في ذيل الغربال ، وقال العصامي في تاريخه : أنه توفي يوم السبت السادس والعشرين من ربيع الثاني سنة ٩٩٠ قال وأرخ بعضهم موته فقال ( قدمات قطب الدين أجل علماء مكة ) ثم قال وهو يزيد على تاريخ موته بواحد ، أه ما كتبه الشوكاني .

قلت الضمدي نسبة إلى ضمد بفتح الضاد وسكون الميم ، موضع بناحية اليمن ، بين اليمن ومكة على الطريق التهامي كما في معجم البلدان . والضمدي هذا هو عبد الله ابن علي الضمدي ، وتاريخه هذا اسمه ( الوافي بوفيات الأعيان تكميل غربال الزمان ) كما في البدر الطالع .

وبالتأمل في هذه الترجمة ، تعلم أن الامام القطبي كان كبيرا في العلم كبيرا في الأدب كبيرا في الكرم كبيرا في النفوس ، كبيرا في المنزلة ، جمع الله له بين الدين والدنيا ،



والعلم والجاه ، ووقفه لنشر العلم بالدرس والمذاكرة ، وإكرام أهل العلم والفضل ،  
وهده لخدمة بلده الحرام ، بالتأليف والتدوين .

فلا شك أن هذا الكتاب العظيم أثر من آثار ذلك التوفيق ، وبركة من بركات  
تلك الهداية فهو جدير بعناية المسلمين ، وأقبالهم عليه أقبالا يوازي عظمة الحرم  
في نفوسهم .

ويحسن بنا وقد ذكرنا ترجمة المؤلف ، أن نذكر أسانيدنا إليه .

فقد رويناه بعموم الإجازة عن شيخنا العلامة المحدث الشيخ عمر حمدان المتوفى  
بالمدينة المنورة ، ٩ شوال عام ١٣٦٨ ، وشيخنا الشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري المتوفى  
بالمدينة المنورة ، ٢٥ ربيع الثاني عام ١٣٦٤ . كلاهما عن السيد أحمد البرزنجي عن والده  
السيد اسماعيل الزنجي عن شيخه الشيخ صالح الفلاني العمري عن شيخه الشيخ محمد بن سنه  
الفلاني العمري عن المعمر الشيخ أبي الوفاء أحمد بن محمد بن المعجل ، بفتح العين وكسر  
الجيم) اليمنى عن المؤلف مفتي مكة المكرمة قطب الدين محمد بن أحمد النهر والي (باللام،  
نسبه لنهر واله بلدة في توابع كجرات الهند وربما ظنه بعضهم (النهرواني) بالنون  
وليس كذلك لأن النهرواني ، منسوب إلى نهر وان وهي كورة واسعة بين بغداد  
وواسط كما في معجم البلدان بخلاف (النهر والي) فهو منسوب إلى نهر واله كما تقدم  
وأرويه أيضاً بالأجازة العامة عن شيخنا السيد عيدروس بن السيد سالم البار المتوفى  
بمكة المكرمة ( ٦ محرم عام ١٣٦٧ ) وعن مفتي حضرموت السيد عبد الرحمن  
ابن السيد عبيد الله السقاف حفظه الله تعالى بعموم الإجازة أيضاً كلاهما عن السيد  
عيدروس بن عمر صاحب ( عقد اليواقيت ) عن شيخه السيد عبد الرحمن بن السيد  
سليمان الأهدل عن الشيخ محمد بن سنة عن الشيخ أحمد بن العجل اليمني عن المؤلف  
وبهذه الأسانيد التي ذكرناها إلى المؤلف ، نتصل بأصحاب كتب تاريخ مكة  
التي نقل المؤلف منها في تاريخه هذا ، كتاريخ أبي الوليد الأزرقى ، والامام  
أبي عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي ، والسيد تقي الدين الفاس ثم المكي فقد ذكر  
المؤلف أسانيدهم في أول هذا التاريخ

أما الحافظ نجم الدين عمر بن فهد ، وهو من أرخ مكة أيضاً فقد أدركه المؤلف

وله عنه رواية وهذا الذي ذكرناه فيه كفاية ومقنع أن شاء الله تعالى  
وبعد فهذه يد الشيخ عبد الفتاح فدا ، تصاحبكم بهذا الكتاب الجليل ، في حلته  
الأنيقة ، وثوبه القشيب فصاحبها باقتنائه والأقبال عليه

ولا شك أن هذا عمل نافع مفيد ، يستحق فاعله الشكر والثناء ، ويستوجب  
المؤازرة والتشجيع ، حتى يستطيع أن يمضي في سبيله ، ويقدم للقراء في كل فرصة  
سائحة من هذه الطرف الجميلة ، والتحف الثمينة ما تقر به العيون ، ويكون في متناول الأيدي .  
وأني أشكره بلسان الأمة على هذا الضيع المقبول ، وأسأل الله تعالى لنا وله  
الإعانة والتوفيق وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

مكة المكرمة يوم الخميس ١٤ جمادى الثانية عام ١٣٧٠ هـ

كتبه

محمد أمين كني

المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة البعثات  
عفا الله عنه



محمد طاهر الكردى

الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة والمعلق على هذا الكتاب  
أخذت له هذه الصورة سنة ١٣٦٨ هجرية

## خطبة شارح الكتاب

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد أبي القاسم الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

(وبعد) : فيقول محمد طاهر بن عبد القادر الكردي كاتب مصحف مكة المكرمة لقد طلب مني محبنا العزيز الشيخ عبدالفتاح فدا وفقه الله تعالى أن أكتب شرحاً موجزاً وتعليقاً لطيفاً على تاريخ مكة المشرفة المسمى بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، تأليف العلامة قطب الدين الحنفي حيث عزم على طبعه ونشره ، فأجبت طلبه وكتبت شيئاً عن بعض الأمور التي تحتاج إلى بسط ، وتستلزم البيان والتوضيح ، ولم أكتب فيه عن كل جملة أو رواية فإن ذلك مما يطول شرحه .

ولقد رأيت من المستحسن تحلية الكتاب بالرسوم والصور الفتوغرافية زيادة في الترغيب والتشويق ، فتم كل ذلك في أواخر شهر جمادى الأولى سنة ألف وثلاثمائة وسبعين هجرية .

نسأل الله تعالى القبول والتوفيق ، والهداية إلى سواء الطريق ، وأن يختم بالصالحات أعمالنا ، وبالسعادة حياتنا ، وأن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يسترنا في الدارين بستره الذي لا ينكشف ، وأن يدخلنا الجنة بسلام آمين ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بفضلته ورحمته آمين وصلى الله على النبي الأبي وعلى آله وصحبه أجمعين **كتبه**

محمد طاهر الكردي

الخطاط بالمعارف العامة بمكة المشرفة

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي جعل المسجد الحرام حرماً آمناً ومثابة للناس وأمر بتطهير السكبة  
البيت الحرام والعاكفين وأزال عنها الخوف والبأس وقبض لعارة حرمة الأمين  
أعظم الخلفاء والسلاطين وأجلسهم على سرير السعادة أكرم جلاس نحمده على  
حصول المراد ونشكره على الكرامة والإسعاد بهذا الحرم الشريف الذي سواء  
العاكف فيه والباد ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له البر السلام ونشهد  
أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المنزل عليه قد نرى قلب وجهك في السماء فلتولينك  
قبلة رضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام القائل من بنى مسجد الله ولو كفحص  
قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة دار السلام صلى الله عليه وعلى آله الكرام  
وصحبه العظام نجوم الهدى ومصابيح الظلام ما طاف بالبيت العتيق طائف واعتكف  
بالمسجد الحرام عاكف ووقف بعرفات والمشعو الحرام واقف (وبعد) فلما وفقني  
الله تعالى لخدمة العلم الشريف وجعلني من جيران بيته المعظم المنيف تشوقت نفسي  
إلى الاطلاع على علم الآثار وتشوقت إلى فن التاريخ وعلم الأخبار لاشتماله على  
حوادث الزمان وما أبقاه الدهر من أخبار وقائع الدوران وأحوال السلف وما أبقوا  
من الآثار والأحداث بعد ما صاروا إلى الأحداث فإن في ذلك عبرة لمن اعتبر  
وإيقاظاً بحال مضى وغبر وأعلاماً بأن ساكن الدنيا على جناح سفر ومفاكحة للفضلاء  
وإفاده لمن يأتي بعد من البشر فإن من أرخ فقد حاسب على عمره ومن كتب وقائع  
أيامه فقد كتب كتاباً من بعده بحوادث دهره ومن قيد ما شاهد فقد أشهر أحوال  
أهل عصره من لم يكن في عصره ومن كتب التاريخ فقد أهدى إلى من بعده أعماراً  
وبوأ مسامعهم وأبصارهم دياراً ما كانت لهم دياراً وأعلم أهل الأفاق ببلاد ما كانت  
لهم مستقراً ولا داراً

أن فاتني أرى الديار بعيني - فلعلني أرى الديار بسمي

وقد أفادنا الأمم الماضون بأخبارهم وأطلعونا على ما دثروا بقى من آثارهم فأبصرنا  
 ما لم نشاهده بأبصارهم وأحطنا بما لم نحط به خيرا بأخبارهم فرحمهم الله تعالى أجمعين  
 وبوأهم جنات عدن فيها خالدون وقال

لقد غرسوا حتى أكلنا وأنا لغرس حتى يأكل الناس بعدنا

فأردنا إفادة من بعدنا ببعض ما رأينا وشاهدنا وأعلامهم ببعض ما شهدنا وعهدنا  
 استدعاء للدعاء منهم والاسترحام وطلبنا المشو به من الله البر السلام وقد قلت  
 في هذا المقام .

لم يبق منا غير آثارنا وتمحي من بعد أخلاق

وكلنا مرجعنا للفناء وإنما الله هو الباقي

تنبه - ، لا يخفى على ضمائر أولى البصائر وخواطر أهل الفضل الباهر أن  
 المسجد الحرام الذي هو حرم أمن الأنام زاده الله شرفا وتعظيما، ومنحه عزا  
 وعظمة وإجلالا وتكريما أعظم مساجد الدنيا وأشرف مكان خصه الله تعالى  
 بالشرف والعليا يجب تعظيمه وتكريمه على كافة الأنام سيما سلاطين الإسلام  
 الذين هم ظل الله في العالم وخلائف الله في الأرض على كافة بني آدم وقد بنى هذا  
 المسجد ووسعه عدة من الخلفاء أمراء المؤمنين ونمقه ورسمه جملة من أكابر السلاطين  
 وسنشرحه إن شاء الله تعالى وكان آخر ما شاهدنا من آخر أيام الصبا إلى الكهولة الندوة  
 للمعتضد العباسي وزيادة ما عمره المهدي العباسي وزيادة دار إبراهيم للهبة تندر العباسي ثم مالت  
 الأروقة الثلاثة من الجانب الشرقي من المسجد الحرام سنة تسعمائة خمسة وتسعين وفارق  
 السطح المتصل برباط المرحوم السلطان قايتباي والمدرسة الأفضلية لصاحب اليمن التي  
 صارت الآن من وقف الخواجه بن عباد الله وصاروا يرعون ذلك من كل جانب  
 من السلطنة الشريفه في أيام السلطان الأعظم الأكرم السلطان سليمان خان عليه  
 الرحمة والرضوان إلى أن مال هذا الجانب الشرقي ميلا عظيما ظاهرا محسوسا بحيث  
 كان يخشى سقوطه ثم عاق وأسند بالأخشاب في أيام السلطان الأعظم والخاقان  
 الأكرم ملك ملوك العصر والزمان الحليم السليم الكثير الإحسان السلطان سليم  
 خان بن سليمان خان أنزل الله عليه شأيب الرحمة والرضوان فعرض ذلك عليه

فبرز أمره الشريف ببناء جميع المسجد من جوانبه الأربعة على أحسن وضع وأجل صورة فأمر أن يجعل مكان السطح قبة محكمة راسخة الأساس لأن خشب السقف يبلى بتقادم الزمان وتأكله الأرضة والقبيب أمكن وازين في سنة تسعمائة سبع وتسعين فلما وصل إليه الحكم الشريف شرع فيه لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثمانية وتسعين على وجه جميل بغاية الأحكام والإتقان وأسس على تقوى من الله ورضوان إلى أن نقل من سرير سلطنة الدنيا إلى ملك لا يبلى وعز لا يفنى وسلطان لا يزول ونعيم لا ينفد ولا يحول في جنة عالية فيها عين جارية بها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرائق مبثوثة ثم كمل تمام عمارة المسجد الحرام في أيام دولة السلطان الأعظم الهمام أجل عطاء ملوك الإسلام سلطان سلاطين الأرض مالك بساط البسيطة بالعرض القائم بوظائف النفل والسنة والفرض خذا وتذكار العالم وسلطانه وأمير المؤمنين الذي جلس على كرسي الخلافة فما قدر كسرى وديوانه الذي غزى بلبان العدل والأحسان ونشأ على طاعة الله وعبادته منذ كان والى الآن وأحب العلماء والصلحاء وأمدهم بالخيرات الحسان إلى أن وعجز عن القيام بحق شكره لسان كل لسان مجدده عالم المسجد الحرام هو وأبوه وجده ومشيد مدارس العلوم الدينية وقد شملها سعده وحده ناشر الوية الأمن والأمان في جميع الممالك والبلاد ظل الله الممدود على كافة العباد السلطان الأعظم والليث الغشمشم والبحر العظيم السلطان مراد جعل الله السلطنة والخلافة كلمة باقية فيه وفي عقبه إلى يوم التناد وأزال بنور عدله ظلم الظلم والعناد وشتت بسيف قهره شمل أهل الكفر والإلحاد وهدم بماول بأسه وسطوته الكنائس والبيع وعمر بصيب معدلته وصيب عدله وأرفته المساجد والجمع كما قال الله القوي القادر في محكم كتابة العظيم الباهر إنما تعمر مناجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وفي ذلك أقول

|                           |                       |
|---------------------------|-----------------------|
| أن سلطاننا مراد الظل الله | في الأرض باهر السلطان |
| ملك صار من مضي ملوك الأ   | رض وجامعين المعاني    |
| ملك هو في الحقيقة عندي    | ملك صيغ صيغة الإنسان  |
| ملك عادل فكل ضعيف         | وقوى في حكمه سيان     |

سيفه والمنون طرفا رهان      على قتل العدو يبتدران  
 كمل المسجد الحرام بناء      فاق في العالمين كل المباني  
 هكذا هكذا وإلا فلا      إنما الملك في بني عثمان

ولما كان هذا البنيان العظيم الأركان أزرأ باقيا على صفحات الزمان دالا على  
 عظم شأن من أمر بيناته من أعيان الإنسان كما شار إليه القائل في سالف الأزمان  
 إن البناء وأن تعاضم أمره      أضحي يدل على عظيم الباني

جمعت في هذه الأوراق من أخبار ذلك مارق وراق تسير به الركبان الى سائر  
 الآفاق وتير في صفحات الدهر كالشمس في الأشراق ويحفظ في خزائن الملوك والسلاطين  
 كأنفس الأعلام فكان كتابا حسنا في بابه متمعا بمن تعلق بأسبابه أنيسا تجمل مؤانسته  
 وجليسا لا تمل مجالسته جمع بين لطائف تاريخية وأحكام شرعية ومواعظ نافعة  
 وفوائد بارعة (وسميته الأعلام بأعلام بيت الله الحرام) وخدمت به خزائن كتب  
 هذا السلطان الأعم الشاب الأعدل الأكرم المطيع لله ولأوامر خير الأنبياء محمد  
 صلى الله عليه وسلم أحد السبعة الذين يظلمهم الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل  
 إلا ظله ويشملهم بفيض فضله العظيم فلا فضل إلا فضله خلد الله تعالى على الإسلام  
 والمسلمين ظللال ساطنته القوى المتين لتأييد هذا الدين المبين وأنام الأنام في ظل أمانه  
 وعدله المبين وأبقاه على سرير السلطنة العادلة دهرًا طويلا وثبتته على نهج الكتاب  
 والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا

والله أسأل أن يكسو هذا المؤلف من حسن القبول جلبابا لا يخلفه كرا اللبالي  
 والأيام ويجعلنا من المقبولين في بابه العالی الفازين بالنظر إلى وجهه الكريم في دار السلام  
 وقد رأينا أن نقسم هذا الكتاب المستطاب إلى عشرة أبواب وخاتمة والأبواب  
 إلى فصول بحسب الاحتياج وإلى الله المرجع والمآب

(الباب الأول) في وضع مكة المشرفة شرفها الله تعالى وحكم بيعها وشراؤها وحكم  
 المجاورة بها .

(الباب الثاني) في بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما

(الباب الثالث) في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في الجاهلية وصدور الإسلام



(الباب الرابع) في ذكر ما زاد العباسيون في المسجد الحرام  
(الباب الخامس) في ذكر الزيادتين اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد الترييع  
الذي أمر به المهدي العباسي

(الباب السادس) في ذكر ما عمره ملوك الجراكسة في المسجد الحرام .

(الباب السابع) في ذكر ملوك آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم إلى انقضاء  
الدوران و ذكر نبذة من أخبار شاه إسماعيل القزلباش .

(الباب الثامن) في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان السلطان الأعظم  
سليمان خان

(الباب التاسع) في ذكر دولة السلطان الأعظم الخاقاني حضرة سليم خان الثاني  
صاحب التكايا والمباني .

(الباب العاشر) في ذكر سلطان الزمان السلطان مراد الذي بأجله تأليف  
هذا الكتاب .

(الخاتمة) في ذكر المواضع والأمكنة المشرفة التي يستجاب فيها الدعاء .

(المقدمة) في ذكر سندنا فيما نقله في كتابنا هذا من أخبار البلد الحرام إلى من  
نقل عنه الوثوق والاعتماد .

(اعلم) أن من بركة العلم نسبته إلى قائله وما لم يكن هناك سند بين الناقل الراوي  
ومن ينقل عنه فلا اعتماد على هذا النقل ولا بد أن يكون رجال السند موثوقاً بهم  
وإلا فلا اعتبار لتلك الرواية وأقدم مؤرخي مكة هو الامام أبو الوليد محمد بن  
عبد الكريم الأزرقى ثم الامام أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي  
المكي ثم قاضي القضاء السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسيني الفاسي ثم المكي  
ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد وهذا الأخير ممن أدر كناة ولنا عنه رواية  
فأما الأولون فنذكر سندنا إليهم ليعتمد على نقلنا عنهم وأما أبو الوليد الأزرقى  
فروينا مؤلفاته عن جماعة أجلاء أخيار وعلماء كبار منهم والذي المرحوم مولانا  
علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين بن يعقوب الحنفي القادري  
الخرقاني النهروالي ثم المكي رحمه الله تعالى وليس جدنا قاضي خان صاحب الفتاوى

المشهوره من علماء مذهبنا بل هذا غير ذلك من علماء نهر والى قال أخبرنا بها العز  
عبد العزيز بن فهد عن والده الحافظ نجم الدين عمر بن فهد عن شيخه قاضي القضاة  
السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المؤرخ وقال أخبرنا عبد الله بن عمر  
الصوفي عن أبي زكريا يحيى بن يوسف القرشي إجازة أن أبا الحسن علي بن هبة الله  
الخطيب عبد الله بن ظافر الأزدي أنبأه عن أبي طاهر أحمد بن محمد الحافظ قال  
أنبأنا بها المبارك بن عبد الجبار المعروف بالطبوري قال أنبأنا بها أبو طالب محمد  
ابن علي بن الفتح العشاري قال أنبأنا بها أبو بكر بن أحمد بن محمد بن أبي موسى  
الهاشمي قال أنبأنا بها أبو اسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي قال أنبأنا بها أبو الوليد  
محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الوليد الأزرق رحمه الله وأما أبو عبد الله محمد  
بن اسحاق الفاكهي فاني أروى مؤلفه عن الحافظ المسند المعمر خطيب بلد الله  
الحرام أحمد محب الدين بن أبي القاسم محمد العقيلي النويري المالكي نعمده الله برحمته  
قال أنبأني به المسند المعمر أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقي الشهير بالحفار إجازة  
قال أنبأني به المسند المعمر زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم إجازة قال (١) أنبأني  
به الحافظ المسند بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله سبط الحميري إجازة قال أنبأنا  
به الحافظ محمد بن أحمد بن محمد السلفي إجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد  
التجيب كتابه قال أنبأنا به الحافظ أبو علي الحسيني ابن محمد الغاني أحد أركان الحديث  
بقرطبة قال أنبأنا به الحافظ الحكم بن محمد الخزامي عن أبي القاسم بن أبي غالب  
الهمداني عن أبي الحسن الأنصاري عن مؤلفه رحمه الله تعالى .

(١) الصواب قالت كما هو الظاهر

## صلوة الجمعة قبل يوم العرفة



صورة المسجد الحرام وقد امتلأ وإزدحم بالحجاج المنتظرين لصلاة الجمعة قبل الطلوع إلى عرفات والعقد القائم أمام مقام إبراهيم هو مكان باب السلام قديما في عهد الاسلام ويجواره بئر زمزم

# الباب الأول

ذكر وضع مكة المشرفة شرفها الله تعالى  
وحكم بيع دورها وإجارتها وحكم المجاورة بها

(اعلم) أن بلد الله الحرام مكة المشرفة زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب واسعة ولها مبدأ ونهايتان فيبدوها المعلاة وهي المقبرة الشريفة ومنتهاهما من جانب حدة موضع يقال له الشبيكة ومن جانب اليمن قرب مولد سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه لصق مجرى العين ينزل إليه من درج يقال له بازان وعرضها من وجه جبل يقال له الآن جبل جزل إلى أكثر من نصف جبل أبي قبيس ويقال لهذين الجبلين الأخضرين والآخر الأزرق جبل أبي قبيس والجبل الأحمر فانه قال أخشابا مكة أبو قبيس الجبلين المشرف على الصفا والآخ الذي له الأحمر وكان يسمى في الجاهلية الأعراف وهو الجبل المشرف على قيععان وعلى دور عبد الله بن الزبير انتهى فيكون قيععان مما يشرف على الجبل المقابل لأبي قبيس وقال ياقوت في معجم البلدان قيععان هو نفس الجبل وإنما سمي الآن جبل جزل بكسر الجيم وفتح الزاي وتشديد اللام لأن طائفة من الجيوش يقيمون بهذا الجبل يسمون بهذا الإسم يسمون ويلعبون فيه بالطبل (وأما موضع الكعبة المعظمة) فهو وسط المسجد الحرام بين هذين الجبلين في وسط مكة ولها شعاب كثيرة ومزورة إذا أشرف الإنسان من جبل أبي قبيس لا يرى جميع مكة بل يرى أكثرها وهي تسع خلقاً كثيراً خصوصاً في أيام الحج فإنه يرد إليها قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد وبصرة والحسا ونجد واليمن ومن بحر الهند والحبشة والشحر وحضرموت وعربان جزيرة العرب طوائف لا يحصيهم إلا الله تعالى فتسعمهم جميعاً وأفنيتهما وجبالها ووهادها وهي تزيد عمارتها وتنقص بحسب الأزمان وبحسب الولاية والإمن والخوف والغلا والرخا وهي الآن بحمد الله تعالى في دولة السلطان الأعظم الفياض الأكرم معمر هذا العالم بالبذل والفضل والكرم (السلطان مرادخان) خلد الله ملكه وجعل

بساط البسيطة ملكه في أعلا درجات العبادة والامن والرخا بحسب ما رأينا من أول  
العمر إلى الآن هذه العبادة ولا قريبا منها وكنت أشاهد قبل الآن في زمن الصبا  
خلو الحرم الشريف وخلو المطاف من الطائفين حتى إنى أدركت الطواف وحدي  
من غير أن يكون معي أحد مرارا كثيرة أترصده خليا لكثرة ثوابه بأن يكون  
الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده في جميع الدنيا وهذا لا يكون إلا بالنسبة  
إلى الإنسان فقط .

وأما الملائكة - فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن أن لا يخلو عن أولياء  
الله تعالى ممن لا تظهر صورته ويطوف خافيا عن أعين الناس ولكن لما كان ذلك  
خلاف الظاهر صار يثار على أداء هذه العبادة بالانفراد ظاهرا كثيرا من الصلحاء  
لأنه ليس معنا عبادة يمكن أن يفرد بها رجل واحد في جميع الدنيا ولا يشاركه غيره  
في تلك العبادة بغيرها إلا الطواف فانه يمكن أن يفرد به شخص واحد بحسب الظاهر  
والله تعالى أعلم بالسراير .

حتى حكى لي والدي رحمه الله أن ولياً من أولياء الله تعالى رصد الطواف  
الشريف أربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف وحده فرأى بعد هذه المدة خلو  
الطواف الشريف فتقدم ليشرح وإذا بحية تشاركه في ذلك الطواف فقال لها من أنت  
من خلق الله تعالى فقالت أنا أرصد ما رصدت قبلك بمائة عام فقال لها حيث كنت  
أنت من غير البشر فإني فزت بالانفراد بهذه العبادة وأنتم طوافه

وحكى لي شيخ معمر من أهل مكة أنه شهد الظباء تنزل من جبل أبي قبيس إلى  
الصفاء وتدخل من باب الصفا إلى المسجد ثم تعود لخلو المسجد من الناس وهو  
صدوق عندي وكنا نرى سوق المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنا نرى  
القوافل تأتي بالحنطة من بحيلة فلا يجد أهلها من يشتري منهم جميع ما جلبوه وكاوا  
يبيعون ما جاؤا به بالأجل اضطرار ليعودوا بعد ذلك ويأخذوا أثمان ما باعوه  
وكانت الأسعار رخيصة جدا لقلّة الناس وعزة الدراهم وأما الآن فالناس كثيرون  
والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون في ظلل السلطنة الشريفة  
خائضون في بحر انعامها وأحسانها ونعمته الوريفة أدام الله تعالى سلطنته الزاهرة

وأطال عمره وخلص دولته القاهرة وخلافته الباهرة (ومكة شرفها الله تعالى) يحيط بها جبل لا يسلك إليها الخيل والإبل الأحمال الاثلاث مواضع أحدها من جهة المعلاة والثانية جهة الشبيكة والثالثة المسفلة وأما الجبال المحيطة فيسلك من بعض شعابها الرجال على أقدامهم لالخيل والجمال والأحمال .

وكانت مكة في قديم الزمان مسورة فجمة المعلاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبدالله بن عمر إلى الجبل المقابل وكان فيه باب من خشب مصفح بالحديد أهدها ملك الهند إلى صاحب مكة وقد أدركنا منها قطعة جدار كان فيه نقوب للسيل قصير دون القامة وهو سميت قطعة جدار بنى إلى جانبه سبيل على مجرى ذيل عين حنين بناه المرحوم مصطفى ناظر الغين باسم المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقاه الله ماء الكوثر والسلسبيل في يوم العطش الأكبر قدام الميزان وجعل على السبيل منظره بها شبايك من الجهات الأربع يتنزه الناس فيها وذلك باق إلى هذا اليوم وهدم ما عداه وكان في جهة الشبيكة أيضا سور ما بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك إلى خارج مكة وكان هذا السور فيه بابان بعقدين أدركنا أحدهما العقدين يدخل فيه الجمال والأحمال ثم هدم شيئاً فشيء إلى أن لم يبق منه شيء الآن ولم يبق منه إلا فج بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج وكان سور في جهة المسفلة في درب اليمن لم ندركه ولم ندرك آثاره وذكر التقي القاسمي رحمه الله نقلاً عن تقدم أنه كان بمكة سور من أعلاها دون السور الذي ذكره قريباً من المسجد المعروف بمسجد الراية فإنه كان من الجبل الذي إلى جهة القراره ويقال له لعلع إلى الجبل المقابل الذي إلى جهة سوق الليل قال وفي الجبلين آثار تدل على اتصال السور بها انتهى ولم يبق الآن شيء من آثار السور الثاني مطلقاً ولعل دور مكة كانت تنتهي إلى هذا الموضع حيث وضع عليه السور ثم اتصل العمران إلى أن احتيج إلى سور المعلاة قال الفاكهي رحمه الله تعالى ومن آثار النبي صلى الله عليه وسلم مسجد بأعلا مكة يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه عند بئر جبير بن مطعم بن عدى ابن نوفل وكان الناس لا يتجاوزون في السكنى في قديم الدهر هذه البئر وما فوق ذلك خال من الناس وفي ذلك يقول عمر بن ربيعة :

نزلت بمكة من قبائل نوفل ونزلت خلف البئر أبعد منزل

حذار عليها من مقالة كاشح ذرب اللسان يقول ما لم يفعل  
قلت المسجد هذا هو مسجد الراية موجود يزار إلى الآن يقال أن النبي صلى الله  
عليه وسلم وضع رأيته يوم فتح مكة فيه والبئر موجودة الآن خلف المسجد وقد  
يجاوز العمران عن حد هذه البئر كثيرا إلى صوب المعلاة (١) (وأما حدوث هذه  
الأسوار) فقد قال التقي الفاسي رحمه الله ما عرفت متى أنشئت هذه الأسوار بمكة  
ولا من أنشأها ولا من عمرها غير أنه بلغني أن الشريف أبا عزيز قتادة بن إدريس  
الحسني جد سادتنا أشرف مكة أدام الله عزهم وسعادتهم هو الذي عمرها قال وأظن  
أن في دولته عمر السور الذي بأعلا مكة وفي دولته سهلت العقبة التي بنى عليها سور  
باب الشبيكة وذلك من جهة المظفر صاحب اربل في سنة ستمائة وسبعة ولعله الذي  
بنى السور الذي بأعلا مكة والله أعلم قال ورأيت في بعض التواريخ ما يقتضى أنه  
كان بمكة سور في زمن المقتدر العباسي وما عرفت هل هو هذا السور الذي  
بأعلا مكة وأسفلها أو من أحد الجهتين قال وطول مكة من باب المعلاة وإلى باب  
الماجن يعنى درب اليمن بالمسئلة موضع السور كان موجودا في زمانه طريق  
المدعى والمسعى ومسيل وادى ابراهيم والسوق المذى يقال له الآن سوق الصغير مع  
مافيه من دورات ولفترات ليست على الاستقامة أربعة آلاف ذراع وإثنان وسبعون

(١) مسجد الراية هو المسجد الواقع بالجودرية على يمين الصاعد من المدعى إلى المعلا  
وبين المسجد والبيوت التي قبله زقاق ضيق صغير نافذ إلى الطريق العام ، وبئر جبير بن مطعم  
واقعة في هذا الزقاق الضيق وملتصقة بجدار البيت الذي يحوارها ، وهى بئر مهجورة .  
ولقد جدد بناء هذا المسجد في زماننا سنة ١٣٦١ فعند حفر أساسه عثروا على حجرين  
مكتوبين يدلان على أن هذا المسجد هو مسجد الراية أحدهما مؤرخ سنة ٨٩٨ هجرية  
وثانيهما مؤرخ سنة ١٠٠٠ ( ألف ) وقد رأينا الحجرين حين عمارة المسجد ولا يزال  
الحجران مثبتين في جداره .

والبئر المذكورة حفرها في الأول قصى ثم دثرت فاستخرجها جبير بن مطعم بن عدى  
ابن نوفل بن عبد مناف وأحيائها - هكذا قاله الأزرقى في تاريخه  
وحبذا لو اهتمت حكومتنا بأمر هذه البئر الأثرية فأحيتها وأمرت بتنظيفها وإصلاحها .

131753

ذراعا بتقديم السنين بذراع اليد وهو ينقص من ذراع عن ذراع الحديد المستعمل الآن يعنى الذراع الشرعى وطول مكة من باب المعلاة إلى باب الشبيكة من طريق المدعا تم يعدل عنه إلى سويقة ثم إلى الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السنين بذراع اليد أيضا انتهى وقال أيضا ذكر الزبير بن بكار عن ابن سفيان بن أبي وداعة السهمى أن سعد بن عمرو السهمى أول من بنى بيتا بمكة وأنشد في ذلك شعرا .

وأول من بوا بمكة بيته وسور فيها سا كنا بأثافي

وينبغى لمن بنى بمكة بيتا أن لا يرفع بناءه على بناء الكعبة الشريفة فان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يأمر بهدمه قال الأزرقى وإنما سميت الكعبة كعبة لأنه لا يبنى بمكة بناء مرتفع عنها ثم قال حدثني جدى عن ابن عبينه عن ابن مثنى الحجى عن شيبه بن عثمان أنه كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على الكعبة إلا أمر بهدمه ثم قال : قال جدى لما بنى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم داره التى بمكة حيال المسجد الحرام أمر قومه أن لا يرفعوها على الكعبة وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة لتكون دونها اعظاها للكعبة ثم قال الأزرقى قال جدى فلم يبق بمكة دار لكبير أو غيره تشرف على الكعبة إلا هدمت أو خربت إلا هذه الدار فانها باقية إلى الآن انتهى .

( وأما حكم بيع دور مكة وإجارتها ) فقد ذكر الامام قاضى خان أنه لا يجوز بيع دورها عند أبى حنيفة رضى الله عنه فى ظاهر الرواية وقيل يجوز مع الكراهة وهو قول محمد وأبى يوسف قال صاحب الواقعات وعايه الفتوى وروى الحسن عن أبى حنيفة أن يبيع دور مكة جائز وفيها الشفعة وهو قول أبى يوسف وعليه الفتوى وذكره فى عيون المسائل قال قوام الدين فى شرح الهداية يبيع بناء مكة جائزا اتفاقا لأن بناءها ملك الذى بناه الأترى أن من بنى فى أرض الوقف جاز أن يبيع بناءه فكذا هذا ( وأما بيع أرض مكة ) فلا يجوز عند أبى حنيفة وهو ظاهر الرواية عنه وهو قول محمد وعند أبى يوسف يجوز ورجح الطحاوى قول أبى يوسف وقال رأينا المسجد الذى كان للناس سواء العاكف فيه والباد لا ملك لأحد فيه



ورأينا مكة على غير ذلك فقد أجزى إلينا فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخلها من دخل دار ابن سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فلما كانت بما يغلق عليه الأبواب ويبنى فيها المنازل كان صفتها صفة المواضع التي يجرى فيها الأملاك ويقع فيها التوارث ولا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد أن المراد المسجد الحرام لا جميع أرض مكة انتهى ملخصا .

(وأما اجارة دور مكة) فقد ذكر صاحب التصويب قال روى هشام عن أبي حنيفة أنه كره اجارة بيوت مكة وقال لهم أن ينزلوا عليهم في دورهم إن كان فيها فضل وإن لم يكن فلا وهو قول محمد رحمه الله تعالى انتهى

• وروى محمد في الآثار عن أبي حنيفة عن عبد الله بن زياد عن أبي نجبح عن عبد الله بن عمر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكل من أجور بيوت مكة شيئا فإنما أكل نار أخرجه الدارقطني بإسناد ضعيف وقال الصحيح أنه موقوف وروى أنه كره اجارتها لأهل الموسم ولم يكرهه للمقيم لأن أهل الموسم لهم ضرورة إلى النزول والمقيم لا ضرورة له .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه نهى أن يغلق بمكة دون الحاج فانهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا وكتب عمر بن عبد العزيز في خلافته إلى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فانه لا يحل لهم وكانوا يأخذون ذلك خفية ومساترة وهذا مبنى على أصل وهو أن فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة مغنومة ولم يقسمها النبي صلى الله عليه وسلم وأقرها على ذلك فتبقى على ذلك الاتباع ولا تكري ومن سبق على موضع فهو أولى به وبهذا قال أبو حنيفة ومالك والأوزاعي رضى الله عنهم أو كان فتحها صلحا فتبقى ديارهم بأيديهم يتصرفون في أموالهم كيف شاؤوا سكننا وسكاننا وبيعا وإجارة وغير ذلك به قال الإمام الشافعي أحمد رضى الله عنهما وطائفة من المجتهدين رحمهم الله تعالى وعلى ذلك عمدة الناس قديما وحديثا

وأما أسماء مكة المشرفة - فانها سميت بها لقلة ماؤها من قوتهم أمسك الفصيل

ما في ضرع أمه إذالم يبق فيه شيئا ولذلك تسمى المعطشة أو لأنها تنقص الذنوب أو تفنيها  
ومن أسمائها بكة لأنها تبك أعناق الجبارة أي تكسرها ومنها العروض بفتح المهملة  
ولذلك سمي علم الشعر عروضاً لأن الخليل بن أحمد اخترعه بمكة فسماه عروضاً باسمها  
والبلد الأمين والبلد والقرية وأم القرى قال المحب الطبري سمي باسم الله تعالى مكة  
وبكة والبلد والقرية وأم القرى قال ابن عباس سميت أم القرى لأنها أعظم القرى  
شأناً وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها ومن أسمائها كوئي وأم كوئي لأن كوئي  
اسم لحد من قيقعان وفازان المقدسة وقرية النمل لكثرة غلها والحاطمة لحطيمها الجبارة  
والودي والحرام العرش وبره وصلاح مبنياً على الكسر كحزام وقطام ومن أسمائها  
طيبة أيضاً ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى أن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى  
معاد قال مكة ومن أسمائها الباسة بالياء الموحده والسين المهملة المشددة قاله مجاهد  
لأنها تبس من الحد فيها أي تهلكه لقوله تعالى وبست الجبال بسا وتسمى الناسة  
أيضا بالنون والشين المعجمة أي تنش بتشديد آخرها أي تطرد من الحد فيها وتنفيه  
لها أسامي غير ما ذكرنا وللجد الفيروز ابادي رسالة في أسمائها قال الإمام النووي  
رضي الله عنه ولا يعرف في البلاد بلدة أكثر أسمائها من مكة والمدينة لكونهما  
أشرف الأرض وقال عبد الله المرجاني رحمه الله تعالى في تاريخه للمدينة بعد ذكره  
لأسماء مكة ومن الخواص إذا كتبت بدم الرعاف مكة وسط الدنيا والله رؤف  
بالعباد انقطع الرعاف

وأما فضل مكة شرفها الله تعالى — فاعلم أن مكة والمدينة زادها الله شرفاً  
وتعظيماً أفضل بقاع الأرض بالاجماع وذكر القاضي عياض أن موضع قبر نبينا  
صلى الله عليه وسلم أي ماضم أعضائه الشريفة أفضل بقاع الأرض بالاجماع لحلول  
سيد الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة والسلام فيه قال الإشكري رحمه الله تعالى  
جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحوأها  
ونعم لقد صدقوا بسا كنها علت كالنفس حين زكت زكى ما وأها  
ثم اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أن مكة شرفها الله تعالى أفضل أم المدينة  
الشريفة عظمها الله تعالى فذهب الإمام الأعظم أبو حنيفة وأصحابه الإمام الشافعي  
وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين أن مكة أفضل من المدينة زادها الله تعالى شرفاً

وتعظيما لحديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ولا يرتاب في الفضائل التي أثبتها الله تعالى لبلدة الحرام فجعل فيها بيته المعظم الذي إذا قصده عباده حط عنهم أقدارهم ورفع درجاتهم وجعلها قبلة للمسلمين أحياء وأمواتا وفرض الحج إليه على من استطاع إليه سبيلا مرة في عمره وفي كل عام على الناس أجمعين فرض كفاية وحررها يوم خلق السموات والأرض ولا تدخل إلا بإحرام وهي مشوى إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ومسقط رأس خير الأنام صلى الله عليه وسلم ومحل إقامته قبل النبوة وبعدها ثلاثة عشر عاما ومحل نزول أكثر القرآن ومهبط الوحي ومظهر الإيمان والاسلام ومنشأ الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين وبها الحجر الأسود وزمزم المقام وغير ذلك من المزايا العظام ولقد قال القائل

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| أرض بها البيت المحرم قبلة     | للعالمين له المساجد تعدل     |
| حرم حرام أرضها وصيودها        | والصيد في كل البلاد محلل     |
| وبها المشاعر والمناسك كلها    | وإلى فضيلتها البرية ترحل     |
| وبها المقام وحوض زمزم مشرعا   | والحجر والركن الذي لا يرحل   |
| والمسجد العالى المحرم والصفاء | والمشعران لمن يطوف ويرمل     |
| وبمكة الحسنات ضوعف أجرها      | وبها المسمى غنه الخطايا تغسل |

وقال الإمام مالك رضى الله عنه المدينة أفضل من مكة لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين خروجه من مكة إلى المدينة اللهم إنك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إلى فأسكني أحب البلاد إليك رواه الحاكم في المستدرک وما هو أحب البقاع إلى الله يكون أفضل والظاهر استجابته دعائه صلى الله عليه وسلم وقد أسكنه الله تعالى المدينة الشريفة فتسكون أفضل البقاع وأدلة أخرى من الأحاديث الشريفة وبين الطائفتين نزاع ومباحث والله أعلم

وأما حكم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى - فذهب إمامنا الأعظم أبو حنيفة رضى الله عنه أو بعض أصحاب الشافعي وجماعة من المحتاطين في دين الله تعالى رضوان الله

عليهم أجمعين كراهة المقام بمكة وذلك لخوف سقوط حرمة البيت الشريف في نظره وقلة الاحترام بالأنس والثبوت إلى أن يذهب من قلبه الهيبة بالكلية فيصير بيت الله تعالى في نظره القاصر كسائر البيوت والعياذ بالله أو تنقص الهيبة والحرمة الأولى في نظره كما هو شأن سائر الناس في الآكثر الامن عصمة الله تعالى وحيث كان هو الآكثر من حكم الناس أنيط به حكم الكراهة فاقامة المسلم في وطنه وهو مشتاق إلى مكة باق حرمتها في نظره خير له وأسلم من مقامة بمكة من غير احترام لها أو مع نقصان احترامه وهذا ملخص ما قاله امامنا رضى الله عنه ولهذا كان عمر رضى الله عنه يدور على الحاج بعد قضاء الذك بالدرة (١) ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم فانه أبقى لحرمة بيت ربكم في قلوبكم وقال أبو عمر الزجاجي من جاور بالحرم وقلبه متعاق بشئ سوى الله تعالى فقد ظهر خسارته وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به كما قيل

وكم من بعيد الدار نال مراده وكم من قريب الدار مات كئيبا  
وقال ابن مسعود مامن بلاد يؤخذ فيه بالهم قبل الهم إلا مكة وتلا قوله تعالى  
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم، ولهذا اختار حبر الأمة سيدنا  
عبد الله بن عباس رضى الله عنهما المقام بالطائف وحواليه على مكة وقال لأن  
أذنبت سبعين ذنبا بركة أحب إلى من أن أذنبت ذنبا واحدا بمكة وذهب بعض  
العلماء إلى القول بتضاعف السيئات بأرض الحرم كما تتضاعف الحسنات وجاور  
أبو محمد الحريري سنة بمكة فلم يستند إلى حائط ولم يتم فقيل له بهم قدرت على هذا  
فقال علم الله صدق باطنى فأعانى على ظاهرى وبقي أبو عمر الزجاجي الصوفى أربعين  
سنة لم يقض حاجته البشرية في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وهكذا  
يروى عن الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه في مدة إقامته بمكة وكان أصحاب رسول  
الله صلى عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون ذكره  
عبد الرزاق في مصنفه .

(١) الدرة بكسر الراء المشددة السوط ، وبضمها الواو العظيمة الكبيرة .

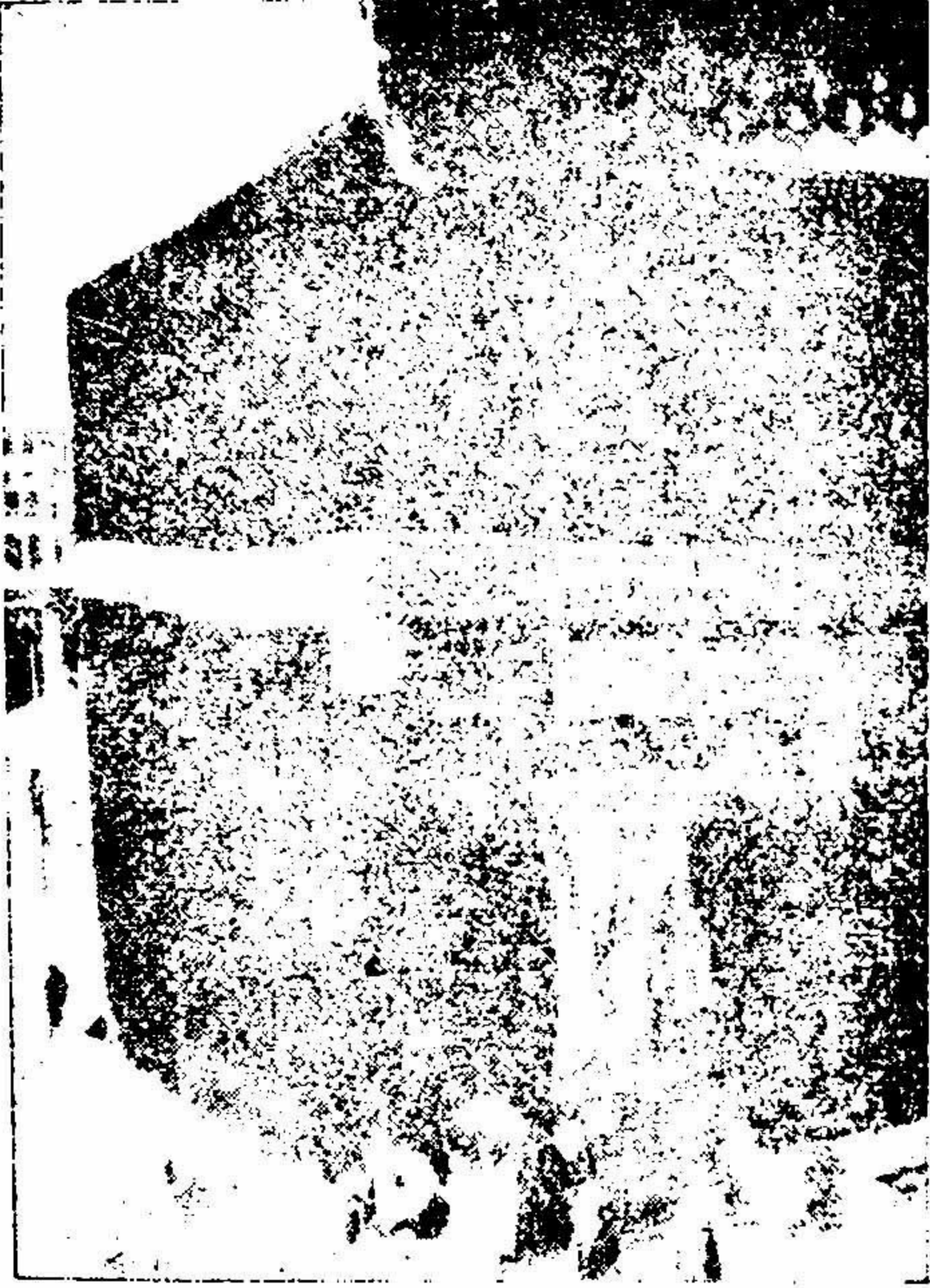
وروى عن وهب بن الورد المكي رحمه الله قال كنت ذات ليلة أصلي في الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار خفيا فاستمعت فإذا هي تناجي وتقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبريل ما ألقى ممن حولي من سمرهم وتفكهمم باللغو وذكر أحوال الدنيا والاعتياب والخوض فيما لا ينبغي لهم واللغو والعبث لأن ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني إلى الجبل الذي قطع منه

وسئل الإمام مالك رضي الله عنه الحج والجوار أحب إليك أو الحج الرجوع فقال ما كان الناس إلا على الحج والرجوع وفهم ابن رشد من هذا اقتضاء كراهة المجاورة عنده والظاهر أنه لا يقتضيه والله تعالى أعلم .

وذهب الإمام أبو يوسف ومحمد والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم إلى استحباب المجاورة بمكة في قولها وأنه الأفضل قال وعليه عمل الناس . وحكى الفاسي في منسكه عن المبسوط أن الفتوى على قولها . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صبر على مكة ساعة تباعدت النار عنه مسيرة مائة عام . وعن سعيد بن جبير من مرض يوما بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذي يعمله في سبع سنين فإن كان غريبا ضوعف ذلك عرواها الإمام الفاكهي رحمه الله تعالى ومحصل ما ذهب إليه أبو حنيفة رضي الله عنه من كراهة المجاورة مبنى على ضيق الخلق عن مراعاة حرمة الحرم الشريف وقصورهم عن الوفاء بقيام حق البيت الشريف فن أمكنه الاحتراز عن ذلك وعرف من نفسه القدرة على الوفاء بحرمة بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه تبقى معه حرمة البيت الشريف وجلالته وهيبته وعظمته في عينه وقلبه كما كان عند دخوله في الحرم الشريف ومشاهدته بيت الله تعالى فالإقامة بها هو الفضل العظيم والفوز الكبير ولا شك في تضاعف الحسنات بها . وأما تضاعف السيئات فأكثر العلماء على عدم تضاعفها ولا شك في تردد الأولياء إليها في الأوقات الفاضلة فمن لمح أحدهم أو لمحه هو نال السعادة العظمى وورد أنهم يحضرون الجمعة والأوقات الشريفة ويحجون كل عام

وكان دأب والدي رحمه الله تعالى قبل أن يكف نظره أن يبادر يوم النحر بعد رمي جرة العقبة إلى مكة ويجلس تجاه بيت الله تعالى ويلحظ بنظره ويستمر جالسا

هناك إلى صلاة المغرب فيطوف بعد صلاة المغرب ويسعى ويعود إلى منى وكان يقول  
 أن أولياء الله لا بد أن يحجوا في كل سنة ويفعلوا الأفضل وهو الأتيان بطواف الزيارة  
 في أول يوم النحر فأبادر إلى النزول من منى في ذلك اليوم وأجلس في الحطيم يوم  
 أشاهد الطائفين لعل أن يقع نظري إلى أحدهم أو يقع نظره علي فيحصل لي بذلك  
 بركتهم واستمر على ذلك إلى أن كف نظره رحمه الله تعالى فمكنا نذهب به ونجلسه  
 في الحطيم ويقول أن كنت لا أنظرهم فاعل أن يقع نظري علي فيحصل لي بركتهم  
 واستمر على ذلك إلى أن توفي رحمه الله وأن أولياء الله يخفون أنفسهم عن أعين  
 الناس فلا يراهم إلا من أسعده الله تعالى والله تعالى المستول أن يجعلنا من سعداء الدنيا  
 والآخرة بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى



« الكعبة المشرفة وقد ظهر الباب وستارته ، كما ظهر الحجر الأسود وما يحيط به من الفضة  
ظهروا واضحا ، وترى الجندي المكلف بالحراسة عند الحجر الأسود ويده شمسية يتق بها  
حر الشمس »

## الباب الثاني

في بناء الكعبة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما

قال قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسيني الفاسي المكي في كتابه شفاء الغرام لا شك أن الكعبة المعظمة بنيت مرات وقد اختلفت في عدد بنائها ويتحصل من مجموع ما قيل في ذلك أنها بنيت عشر مرات وهي بناء الملائكة عليهم السلام وبناء آدم عليه السلام وبناء أولاده وبناء الخليل إبراهيم عليه السلام وبناء العاقلة وبناء جرم وبناء قصي بن كلاب جد النبي صلى الله عليه وسلم وبناء قريش قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف يومئذ خمس وعشرون سنة وبناء عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي وآخرها بناء الحجاج بن يوسف الثقفي وفي اطلاق العبارات في بناء الكعبة تجوز فان بعضها لم يستوعبها البناء كالبناء الأخير وهو بناء الحجاج فانه إنما هدم جانب الميزاب فقط وأعادته وأبقى الجوانب الثلاث وهي جهة الباب وجهة المستجار الذي هو مقابل البات وجهة الصفا المقابل لواجهة الميزاب فانها باقية على بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما .

أما بناء الملائكة الكعبة المشرفة وهو أول بنائها - فذكره الإمام أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد الأزرق في تاريخه فقال حدثنا علي بن مسلم العجلي عن أبيه حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري حدثنا الإمام محمد الباقر بن الإمام علي بن العابد بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال كنت مع أبي علي بن الحسين عليهما السلام بمكة فينا هو يطوف وأنا وراه إذا جاء رجل طويل فوضع يده على ظهر أبي فالتفت أبي إليه فقال السلام عليك يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أريد أن أسألك فرد عليه السلام وسكت أبي وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب وصلى ركعتي أسبوعه ثم استوى قاعدا فالتفت إلى جلست إلى جانبه فقال يا محمد أين السائل فأومأت إلى الرجل فجاء فجلس



بين يدي أبي فقال له عم تسأل قال إني أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت فقال له أبي من أين أنت قال من أهل الشام قال أين مسكنك قال بيت المقدس قال قرأت الكتابين يعني التوراة والانجيل قال نعم فقال له أبي يا أبا الشام احفظ عني ولا ترو عني أما بدء هذا الطواف فان الله تعالى قال إني جاعل في الأرض خليفة فقالت الملائكة أي رب أتخلق غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغضون اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسب ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعظمك ولا نعصيك فقال الله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون قال فظنت الملائكة ان ما قالوه رد على الله وأنه قد غضب عليهم من قولهم فلا ذوا بالعرش ورفعو رؤسهم يتضرعون ويبكون إشفاقا من غضبه وطاقوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله إليهم ونزلت الرحمة عليهم ووضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور على أربع أساطين من زبرجد فغشاها من ياقوته حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت فطافت الملائكة بهذا البيت وصار أهون عليهم من العرش ثم إن الله تعالى بعث ملائكة وقال لهم ابنوا لي في الأرض بيتا بمثاله وقدره وأمر الله تعالى من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور فقال الرجل صدقت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان انتهى . قلت هذا الحديث الشريف يدل على ان بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة الشريفة كان بعد خلق الأرض ولنا أحاديث دالة أن الكعبة خلقت قبل الأرض بأربعين سنة في رواية وبألفي عام في رواية قال الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي المكي في أوائل تاريخ مكة حدثني عبد الله بن أبي سلمة قال حدثنا الواقدي قال حدثنا اسحق بن يحيى بن طلحة أنه سمع مجاهدا يقول ان قواعد البيت خلقت قبل الأرض بألفي سنة ثم بسطت الأرض من تحته أقول وظهر مما روينا أن موضع البيت الشريف خلق قبل الأرض لانفس بناء البيت فانه أوله ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى كما سقناه والله تعالى أعلم .

( الثاني بناء آدم عليه السلام الكعبة المشرفة ) وقد ذكره الامام أبو الوليد الأزرقى فقال حدثني جدى عن سعيد بن سالم عن طلحة بن عمر والحضرمي عن عطاء

ابن أبي رباح بفتح الراء والباء الموحدة بعدها ألف ثم حاء مهملة عن ابن عباس رضی الله عنهما قال لما أهبط الله آدم إلى الأرض من الجنة قال يارب مالي أسمع أصوات الملائكة قال بخطيئتك يا آدم ولكن ابن لي بيتا فطف به واذ كرني حوله كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي قال فأقبل آدم يتخطى الأرض فطويت له ولم يقع قدمه على شيء من الأرض إلا صار عمرا نا وبركة حتى انتهى إلى مكة فبنى البيت الحرام وان جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فكشف عن أس ثابت في الأرض السابعة فقذفت فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق الصخرة ثلاثون رجلا وأنه بناه من خمسة أجبل من لبنان وطور سيناء وطور زيتاء والجودي وحرأ حتى استوى على وجه الأرض وهذا يدل على أن آدم عليه السلام إنما بنى أساس الكعبة حتى ساوى وجه الأرض ولعل ذلك بعد دور ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى ثم أنزل الله تعالى البيت المعمور لآدم عليه السلام ليستأنس به فوضعه على أساس الكعبة ويدل على ذلك ما رواه أبو الوليد الأزرقى في تاريخه . قال حدثني أبي عن جدي قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال بلغني أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال لكعب يا كعب أخبرني عن البيت الحرام قال كعب أنزل الله من السماء ياقوته مجوفة مع آدم فقال له يا آدم إن هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلى حوله كما يصلى حول عرشي ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعد من حجارة ثم وضع البيت عليه فكان آدم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش ويصلى عنده كما يصلى عند العرش فلما أغرق الله قوم نوح رفعه إلى السماء وبقيت قواعد .

\* وقال الأزرقى أيضا حدثني أبي قال محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن عمر ابن أبي معروف عن عبيد الله بن أبي زيادة قال لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة قال يا آدم ابن لي بيتا بجذاه بيتي الذي في السماء تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتي حول عرشي فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الأرض السابعة فقذفت فيه الملائكة الصخر حتى أشرف على وجه الأرض وهبط آدم ياقوته حمراء مجوفة لها أربعة أركان بيض فوضعها على الأساس فلم تنزل ياقوته كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى .

• وقال الأزرقى أيضا حدثني محمد بن يحيى عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن

أبى المليح أنه قال كان أبو هريرة يقول حج آدم ففضى المناسك فلما حج قال رب لكل عامل أجر قال الله تعالى أما أنت يا آدم فقد غفرت لك وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فبناه بذنبيه غفرت له فاستقبلته الملائكة بالردم فقالوا برحمتك يا آدم قد جمعنا هذا البيت قبلك بألني عام قال وما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وكان آدم عليه السلام إذا طاف يقول هذه الكلمات وكان طواف آدم سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار قال نافع وكان ابن عمر رضى الله عنهما يفعل ذلك . وقال الأزرقى أيضا حدثني محمد بن يحيى عن ابن عمر قال حدثني هشام بن سليمان المخزومي عن عبدالله بن أبى مولى بنى مخزوم أنه قال طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت ثم صلى تجمعا باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال اللهم أنك تعلم سرى وعلايتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى ذنبي وتعلم حاجتى فاعظنى سؤلى اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لى والرضا بما قضيت على فأوحى الله تعالى إليه يا آدم قد دعوتنى بدعوات فاستجبت لك وإن يدعونى بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه وانجرت له من وراء كل تاجر وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريد لها قال فمذ طاف آدم عليه الصلاة والسلام كانت سنة الطواف .

(الثالث بناء أولاد آدم عليه السلام الكعبة المعظمة) روى الأزرقى بسنده إلى وهب بن منبه قال لما رفعت الخيمة التى منح الله بها آدم عليه السلام من حلية الجنة حين وضعت له بمكة فى موضع البيت ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعد مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق وغير مكانه حتى بوأ لإبراهيم انتهى .

قال الحافظ أبو القاسم السهيلي فى الفصل الذى عقده لبنيان الكعبة وكان بناؤها الأول حين بنى شيث بن آدم عليه السلام انتهى ولعل مراد السهيلي بالأولية بالنسبة إلى بناء البشر لا الملائكة وإن بناء آدم عليه السلام إنما هو الأساس إلى أن ساوى وجه الأرض وأنزل الله عليه من الجنة البيت المعمور فوضعه على ذلك الأساس والمراد بالخيمة المشار إليها فى خبر وهب بن منبه رضى الله عنه هو البيت المعمور وأعلها خيمة غير البيت المرفوع وأعلها رفعت بعد وفاة آدم عليه السلام وأبقى البيت المعمور

إلى أن رفع زم الطوفان وفي ذلك ارتكاب المجاوز ما يصحح به هذه الروايات المتباينة ظواهرها .

الرابع بناء الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة المشرفة قال السيد الإمام النقي الفاسي رحمه الله تعالى أما بناء الخليل عليه السلام فهو ثابت بالكتاب والسنة الشريفة وهو أول من بنى البيت على ما ذكره الفاكهي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وجزم الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره وقال لم يرد عن معصوم أن البيت كان مبنيًا قبل الخليل عليه السلام انتهى فهو ينكر ما قدمناه من الآثار فبناء إبراهيم عليه السلام أول بناء بالنسبة إلى من بناه بعده لا أول حقيقي والله تعالى أعلم وأحكم (١)

(١) لقد انفق العلماء والمؤرخون على أن الكعبة المشرفة بنيت عدة مرات ، ولكنهم اختلفوا فيمن بناها ابتداء أول مرة - فبعضهم يقول الملائكة وبعضهم يقول إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم وبه جزم العلامة ابن كثير في تفسيره ، والذي نفهمه من قوله سبحانه وتعالى « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل » ومن قوله عز وجل « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت » ثبوت البناء لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فمن قال أن إبراهيم عليه السلام لم يبن بيت الله المعظم لقد كفر لأنه أنكر ما جاء صريحاً في القرآن الكريم ولا يفهم من الآيتين المذكورتين سيدنا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين هو أول من بنى بيت الله المعظم ، بل يجوز أن يكون هو أول من بناه وأن تكون الملائكة أول من بنوه لذلك لا بأس بالميل إلى أحد القولين .

والذي نفهمه من قوله تعالى « إن أول بيت وضع للناس الذي بيكة مباركاً وهدى للعالمين » هو أن الله سبحانه وتعالى جعل بيته المعظم أول بيت بنى لعبادة الله تعالى بكيفية مخصوصة وهي الطواف حوله واستلام ركنه والوقوف عند بابه بذلة وانكسار وخضوع وخشوع والتوجه إليه في الصلاة حالة العمد والقرب مع ما خصه الله عز وجل من المزايا والأسرار . فالكعبة المشرفة هي أول بيت بنيت لعبادة الله تعالى بكيفية مخصوصة بل هي أول بيت وآخر بيت وضع للناس ليطوفوا به ويتوجهوا إليه في الصلاة فلم يكن على وجه الأرض بيت لله قبله مثله ولا يكون بيت لله غيره إلى أن تقوم الساعة فهو أول بيت وآخر بيت لعبادة الله تعالى وإن كانت المساجد كلها بيوت الله تعالى فهي بيوت الله بمعنى الكعبة بيت الله بمعنى آخر . والذي نفهمه أيضاً من هذه الآية الكريمة أن الكعبة المعظمة هي أول بيت وأول بناء كان بمكة المكرمة بناها إبراهيم عليه السلام بالرضم حجارة بعضها فوق بعض من غير طين ولا جص فكان صلوات الله وسلامه عليه أول من اكتشف مكة وأول من أسكن فيها ذريته وأول من أخذ عنه الناس صنعة البناء بمكة .

• وروى الأزرقي رحمه الله في تاريخه عن ابن اسحق أن الخليل عليه السلام لما بنى البيت جعل طوله في السماء تسعة أذرع وجعل طوله في الأرض من قبيل وجه البيت الشريف من الحجر الأسود إلى الركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعا وجعل عرضه في الأرض من قبل الميزاب من الركن الشامي إلى الركن الغربي الذي يسمى الآن الركن العراقي اثنين وعشرين ذراعا وجعل طوله في الأرض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربي المذكور إلى الركن اليماني إحدى وثلاثين ذراعا وطول عرضه في الأرض من الركن اليماني إلى الحجر الأسود عشرين ذراعا وجعل الباب لاصقا بالأرض غير مرتفع عنها ولا مبوب حتى جعل لها تبع الحميري بابا وغلقا بعد ذلك وحفر إبراهيم عليه السلام في بطن البيت على يمين من دخله حفرة لتسكون خزانة للبيت يوضع فيها ما يهدى إلى البيت وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يبنى وإسماعيل عليه السلام ينقل له الأحجار على عاتقه فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبنى ويحوله له إسماعيل عليه السلام في نواحي البيت حتى انتهى على موضع الحجر الأسود فقال إبراهيم لإسماعيل عليهما الصلاة والسلام يا إسماعيل إئتني بحجر أضعه هنا يكون علما للناس يبتدون منه الطواف فذهب إسماعيل في طلبه فجاء جبريل عليه السلام إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام بالحجر الأسود وكان الله عز وجل استودعه جبل أبي قبيس حين طوفان نوح فوضعه جبريل عليه السلام في مكانه وبنى عليه إبراهيم وهو حينئذ يتلأ بالأورا فأضاء بنوره شرقا وغربا وشاموا ويمنا إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية وإنما سودته أنجاس الجاهلية وأرجاسها قال ولم يكن إبراهيم عليه السلام قد سقف البيت ولا بناه بمدور وإنما رصه رصا قال

هذا وسند كوفي ختام هذا الكتاب القصيدة التي نظمناها في أشهر بنايات الكعبة وهي بناء إبراهيم خليل الله وبناء قريش وبناء عبد الله بن الزبير وبناء الحجاج بن يوسف الثقفي وبناء السلطان مراد الرابع وهي القصيدة كنا طبعتها في رسالة صغيرة بالهند سنة ١٣٦٧ ومبيناتها ومنظومة في صفة بناء الكعبة المعظمة ثم في عام ألف وثلاثمائة وسبعين هجرية زدنا على هذه المنظومة بعض أبيات رأينا ذكرها في هذا الكتاب المهم مع الزيادات تسميا للفائدة العامة .

وذكر سنده إلى عبد الله بن عمران جبريل عليه السلام نزل بالحجر على إبراهيم عليه السلام من الجنة وأنه وضعه حيث رأيتم وأنكم لا تزالون بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فإنه يوشك أن يحيى جبريل عليه السلام فيرجع به من حيث جاء به انتهى (١) قال السيد الامام تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى وروينا عن قتادة قال ذكر لنا أن الخليل عليه السلام بنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء



(١) أنظر إلى صورة الحجر الأسود في عصرنا الحاضر وترى صورة محمد طاهر الكردي الخطاط الذي كتب تعليقا على هذا الكتاب ظاهرة فيها وهو يهيم بتقيل الحجر الأسود في طوافه وقد وضع يده على ما يحيط به من الفضة .

وطور زيتا، ولبنان والجودي وحراء قال وذكر لنا أن قواعده من حراء قال ويروى أن الخليل عليه السلام أسس البيت من ستة أجبل من أبي قبيس ومن الطور ومن القدس ومن ورقان ومن رضوى ومن أحد وقال الأزرق رحمه الله قال أبي وحدثني جدى عن سعيد بن سالم عن أبي جريج عن مجاهد أنه قال كان موضع الكعبة قد خفي ودرس زمن الطوفان فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام قال وكان موضعه أكمة حمراء تعلوها السيول غير أن الناس كانوا يعلمون أن البيت فيما هنالك من غير تعيين محله وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الأرض ويدعو عنده المكروب وما دعا عنده أحدا إلا مستجيب له وكان الناس يحجون إلى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لإبراهيم عليه السلام لما أراد عمارة بيته وإظهار دينه وشرائعه فلم يزل منذ أهبط الله آدم إلى الأرض معظما محترما عند الأمم والملل .

قال الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي في كتابه العرائس في قصص الانبياء عليهم السلام لما أنجى الله خليله إبراهيم عليه السلام من نار النمرود وآمن به من آمن خرج مهاجرا إلى ربه وتزوج ابنة عمه سارة وخرج بها يلتمس الفرار بدينه والأمان على نفسه ومن معه فقدم إلى مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى وكانت سارة من أحسن النساء وكانت لا تعصى إبراهيم وبذلك أكرمها الله تعالى فاتى إبليس إلى فرعون وقال إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء فأرسل الجبار إلى إبراهيم وقال له ما هذه المرأة منك فقال هي أختى وخاف أن قال هي امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها إلى فرجع إبراهيم إلى سارة فقال إن هذا الجبار سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى عنده فانك أختى فى كتاب الله فانه ليس مسلم فى الأرض غيرى وغيرك ثم أقبلت سارة إلى الجبار وقام إبراهيم يصلى وقد رفع الله الحجاب بين إبراهيم وسارة ينظر إليها منذ فارقته إلى أن عادت إليه إكراما له وتطييبا لقلب إبراهيم عليه السلام فلما دخلت سارة على الجبار ورآها فدهش فى حسنها ولم يملك نفسه أن مد يده إليها فبست يده على صدره فلما رأى ذلك أعظم أمرها وقال لها سلى ربك على أن يطلق يدى فوالله إني لا أوديك

فقال سارة اللهم إن كان صادقا فأطلق يده فوهب لها هاجر وهي جارية قبطية جميلة وردها إلى إبراهيم فأقبلت إليه فلما أحس بها فأنقذت من صلواته وقال مريم فقالت كفى الله كيد الفاجر ووهبني هاجر وقد وهبتها لك فلعل الله أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى آيست فوقع إبراهيم على هاجر فحملت وولدت له اسماعيل وأقام إبراهيم بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيلياء وهو يضيف من ياتية وقد أوسع الله عليه وبسط له في الرزق والمال والخدم فلما أراد الله هلاك قوم لوط بعث الله رسله يأمرونه بالخروج من بين ظهرائهم وأمرهم أن يبدوا فيبشروه بأسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا عليهم مر بهم وقال لا يخدم هؤلاء القوم إلا أنا فجاء بعجل سمين مشوي بالحجارة فقر به إليهم فأمسكوا أيديهم فنكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه ثم قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وأمراته قائمة تخدمهم فبشروه بأسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت .

قال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وكانت بلغت تسعين سنة وبلغ إبراهيم مائة وعشرين وقال مجاهد وعكرمة ضحكت أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الأرنب إذا حاضت . قال السدي حملت سارة بأسحاق وكانت قد حملت هاجر باسمعيل فوضعتا وشب الغلامان فتسا بقافسبق اسمعيل فأخذه إبراهيم وأجلسه في حجره وأخذ اسحق إلى جانبه فغضبت سارة وقالت عمدت إلى ابن الأمة فأجلسته في حجرك وعمدت إلى ابني فأجلسته إلى جنبك وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن منها بضعة ولتغيرين خلقها ثم ناب إليها عقلها فتحيرت في يمينها قال لها إبراهيم اخفضيها واثقي أذننا ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء والخفاض بالمعجمات للنساء كالختان للرجال ثم تضارب اسماعيل واسحق كما تتهاوش الأطلاق فغضبت سارة على هاجر وحلفت أن لاتساكنها في بلد واحد وأمرت إبراهيم أن يعزلها عنها فأمر الله تعالى إبراهيم أن يأتي بها هاجر وابنها إلى مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهي إذ ذاك عضاء وسلم موضع البيت ربوة حمراء فعمد



بها إلى موضع الحجر بسكون الجيم فيه وأمرها أن تتخذ عريشاً ثم انصرف فتبعته  
هاجر فقالت الله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا فرجعت عنه وكان معها  
ماء فنقد فعطشت وعطش ولدها فنظرت إلى الجبل فلم تر داعياً ولا مجيباً وصعدت  
على الصفا فلم تر أحداً ثم هبطت وعينها من ولدها حتى نزلت فغابت عنه فهرولت  
حتى صعدت من الجانب الآخر واستمرت إلى أن صعدت المروة فمأرات أحد  
فترددت لذلك سبعا وعادت إلى ولدها وقد نزل جبريل عليه السلام فضرب موضع  
زمزم بجناحه فنبع الماء فبادرت هاجر إليه وحبسته عن السيلان كي لا يضيع الماء . وفي  
لفظ النبوة لو لا أنها عجلت لكانت عينا معينا فشربت وأرضعت ولدها وقال لها جبريل  
لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتا لله عز وجل بينية هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع  
أهله . قال الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي في تفسيره لا يجوز لأحد  
أن يتعلق بهذا في جواز طرح ولده وعياله بأرض مضيعة انكالا على العزيز الرحيم  
واقتراد . بفعل إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه فعل ذلك بأمر الله تعالى . وقد  
روى أن سارة لما غارت من هاجر لما ولدت إسماعيل خرج بها إبراهيم عليه السلام  
إلى مكة وأنزل ابنه وأمه هناك وركب منصرفا من يومه وكان ذلك كله بوحي  
من الله تعالى .

ولماء زمزم من الشرف والخواص والمزايا ما لا يوجد لغيره

ففي المستدرک من حدیث ابن عباس رضی الله عنهما مرفوعا ماء زمزم لما شرب له  
ورجاله موثقون إلا أنه اختلف في إرساله ووصله وإرساله أصح كذا في فتح البازي  
بشرح البخاري . وروى الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له وأن شربته اشبعك الله به وأن شربته لقطع  
ظمئك قطعه وهي ضربة جبريل وسقيا الله إسماعيل . وعن عكرمة قال كان ابن  
عباس إذا شرب من زمزم قال اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من

كل داء (١). وفي صحيح البخاري قاله أبو ذر رضي الله عنه ما كان لي طعام الاماء زمزم اجتزى به ثلاثين ما بين يوم وليلة فسمنت حتى تكسرت على بطني وما أجد على كبدي سحفة جوع . وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر أنه طعام طعم زاد الطيالى من الوجه الذى أخرجه مسلم وشفاء سقم . قال القاضى أبو بكر بن العربي رحمه الله وهذا موجود فيه إلى يوم القيامة لمن صحت بيته وسلمت طويته ولم يكن مكذبا ولا لشربه مجربا (قلت) ومن عجيب ما اطلعت عليه من كتاب وفاء الوفا في أخبار دارالمصطفى للسيد نور الدين السمهودى الشافعى عالم المدينة فى عصره ومؤرخها ومحدثها وقد أخذنا عن أحد عنه فروى عنه بواسطة قال إن بالمدينة بئر زمزم ولم تزل أهل المدينة قديما وحديثا يتبركون بها ويشربون من مائها وينقلون

(١) انظر باب بئر زمزم وترى فى الصورة محمد طاهر الكردى الخطاط وقد وقف على

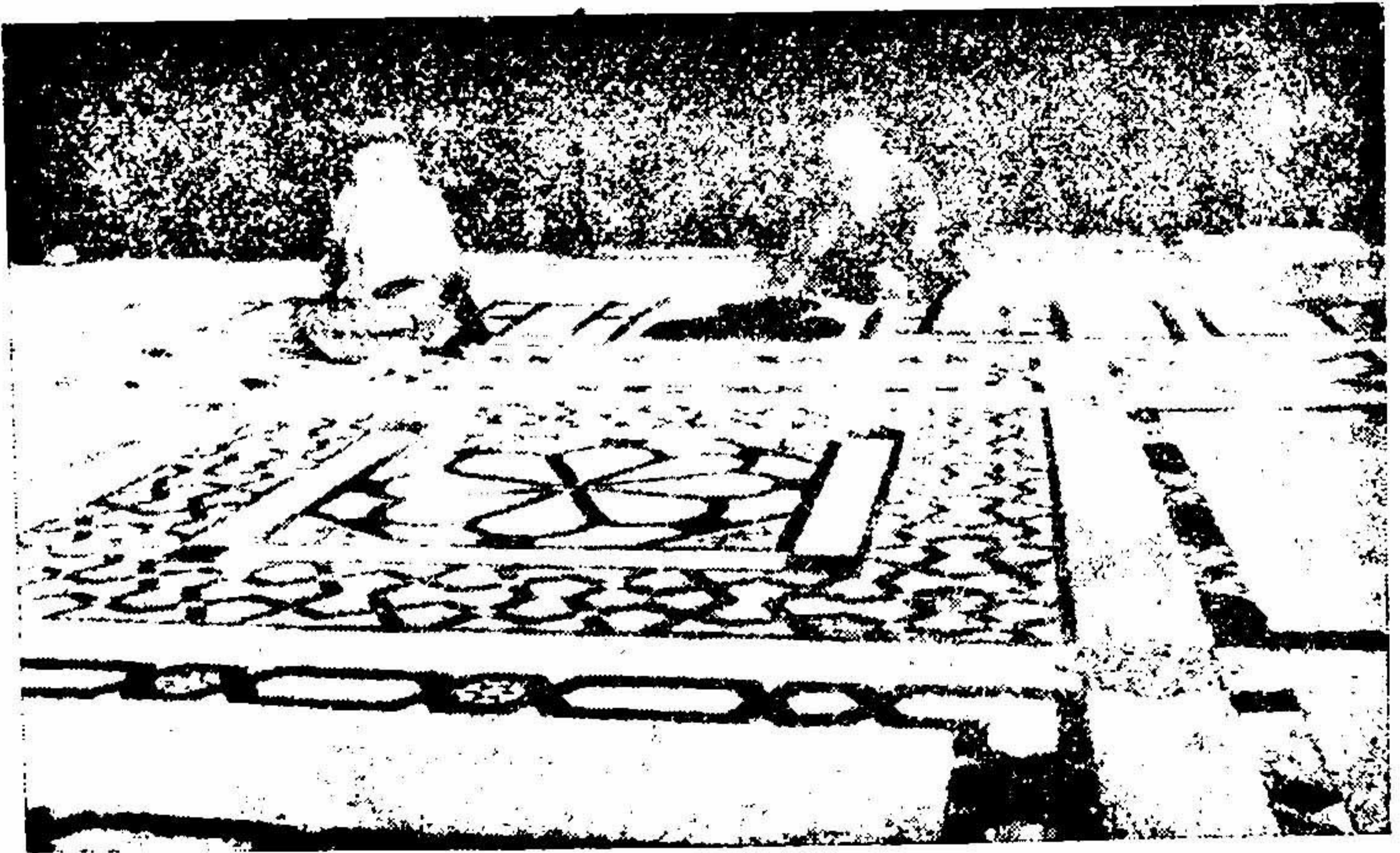
باب البئر .



منه إلى الآفاق كما ينقل ماء زمزم لبركتها انتهى (١). رجعنا إلى القصة قال ومرت رفقة من جرم يريدون الشام فرأوا طيرا يحوم على جبل أبي قبيس فقالوا إن هذا الطير يحوم على ماء فتبعوه فأشرفوا على بئر زمزم فقالوا لهاجر إن شئت نزلنا معك وآسناك والماء ماؤك نشرب منه فأذنت لهم فنزلوا معاهم أول سكان مكة وتوفيت هاجر وقبرها في الحجر بسكون الجيم (٢) وشب اسماعيل فتزوج اسماعيل من جرم

(١) الظاهر ان هذه الحكاية مختلفة لا أصل لها - لأن بئر زمزم لا يطلق إلا على البئر الواقعة عند الكعبة المشرفة بمكة ولا يعرف على وجه الأرض بئر بهذا الاسم سواها ، ولو وجد في المدينة المنورة بئر بهذا الاسم لتواتر ذلك في كتب الحديث والفقهاء والتاريخ .

(٢) انظر حجر اسماعيل عليه السلام وتجد أرضه مفروشا بالرخام الجميل المزخرف وترى في الصورة على اليمين محمد طاهر الكردي الخطاط جالسا تحت ميزاب الكعبة المشرفة مشيرا بأصبعه إلى الحجر الأخضر الذي تكلم عنه في كتابه و مقام إبراهيم عليه السلام ، بصحيفة ١٤٩ .



وتكلم بلسانهم فتعرب فيقال لبي اسماعيل العرب العاربة والعرب العرباء وكان لسان  
ابراهيم عبرانيا ولسان اسماعيل ه ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور  
هاجر وابنها فاذنت له واشترطت ان لا ينزل عندها فقدم ابراهيم من مكة وقدمات  
هاجر فأتى إلى بيت اسماعيل فوجد امرأته فسألها أين صاحبك فقالت ذهب يتصيد  
وكان اسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم إلى الحل يتصيد ما يتعش به فقال لها  
عندك ضيافة من طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء فقال لها إذا جاء زوجك  
فاقرئيه مني السلام وقولي له غير عتبه بابك فذهب ابراهيم عليه السلام فلما جاء  
اسماعيل قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا فقال السلام وقال غير عتبه بابك فقال  
الحق باهلك وتزوج غيرها فكث ابراهيم مدة ثم استأذن سارة ان يزور اسماعيل  
فاذنت له واشترطت ان لا ينزل فجاء ابراهيم إلى مكة وقدم على منزل اسماعيل فوجده  
غائبا في الصيد فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد ورحبت به وقالت  
اجلس يرحمك الله وجاءت بلحم وابن فأكل وشرب فقالت له يا عم هلم حتى اغسل  
رأسك وازيل شعرك وجاءته بحجر وهو حجر المقام الذي بنى عليه الكعبة فجلس  
عليه فغاصت رجلاه في الحجر فغسلت شقه الأيمن ثم الأيسر ثم أفاضت الماء على  
رأسه وبدنه إلى أن فرغت من تنظيفه فقام من عندها وتوجه من حيث جاء وقال  
لها إذا جاء صاحبك فاقرئني عليه السلام وقولي له قد استقام عتبه بابك فالزمها ه فلما  
جاء اسماعيل وجد رائحة أبيه فقال هل جاءك أحد قالت جاءني شيخ من أحسن  
الناس وجها وأطيبهم ريحا فاضفته وسقيته وغسلته وهذا موضع قدميه وحين توجه  
أقرأك السلام وقال لك كذا وكذا فقال نعم أمرني ان اثبت معك وقبل موضع قدم  
أبيه من الحجر وحفظه يتبرك به إلى أن بنى عليه فيما بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام  
الكعبة لما بناها هكذا في قصص الأنبياء ه وروى فيها أيضاً عن عبد الله بن عمر  
رضي الله عنهما انه قال أشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس نورهما ولولا أن طمس  
نورهما لأضآ ما بين المشرق والمغرب ثم لما أمر الله تعالى خليفه ابراهيم عليه السلام  
ببناء بيته الشريف قدم إلى مكة وبناها كما قدمناه فلما فرغ من بناء بيت الله الحرام

أمره أن يؤذن الناس بالحج فقال يارب وما عسى أن يبلغ مدا صوتي فقال عليك الآذان وعلينا البلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا وأمركم أن تحجوه فحجوه وأجيبوا داعي الله فاستمع الله صوته جميع من في الدنيا ومن سيولد من هو في أصلاب الرجال الآباء وأرحام الأمهات (وأما أمر الله تعالى إبراهيم بذبح ولده اسماعيل عليهما السلام) فقد اختلف العلماء في أن المأمور بذبحه اسماعيل أو اسحاق فقال قوم هو اسحق وذهب اليه عمر بن الخطاب وعلى ابن أبي طالب رضي الله عنهما وذهب عبد الله ابن عمر وابن المسيب والشعبي ومجاهد والحسن البصري رضي الله عنهم أنه اسماعيل قال الامام أبو ذكريا النووي رحمه الله تعالى في كتابه تهذيب الأسماء واللغات اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الذبيح هل هو اسماعيل أو اسحق عليهما السلام والأكثر على أنه اسماعيل عليه السلام انتهى ومن رجح كون الذبيح اسماعيل عليه الصلاة والسلام الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى قال في ترجمته وهو الصحيح وروى عن كعب الاحبار عن رجال قالوا لما أرى إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه وتحقق أنه أمر ربه قال لابنه يا بني خذ الحبل والدية وانطلق بنا إلى هذا الشعب لتحتطب لأهلنا فأخذ المديّة والحبل وتبع والده فقال الشيطان لئن لم أفن عند هذا آل إبراهيم لأقتن أحدا منهم أبدا فتمثل الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرى أين ذهب إبراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب لنا من هذا الشعب فقال الشيطان لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه قالت كلا هو أشفق به وأشد حباله فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك قالت ان كان الله تعالى قد أمره بذلك فليطع أمره فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لأهلنا من هذا الشعب فقال لا والله ما يريد إلا ذبحك فقال لآي شيء فقال يزعم ان الله أمره بذلك فليفعل ما أمره الله تعالى به وسمعا وطاعة لأمر الله تعالى فأقبل الشيطان إلى إبراهيم عليه السلام فقال أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه فقال إني أرى أن الشيطان خدعك بهذا المنام الذي رأيت انك تريد ذبح ابنك وقلدة كبدك فتندم بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم فعرفه إبراهيم عليه السلام فقال عني ياملعون فوالله لأمضين لأمر ربي فنكص إبليس على عقبيه ورجع بخزيه وغيبظه

فلما خلا ابراهيم في الشعب ويقال ذلك في ثبير قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك قال يا ابيت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فقال فحدث ان اسماعيل قال له عند ذلك يا ابتاه اذا اردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصيبك من دمي فينقص أجرى وان الموت شديد ولا امن أن اضطرب عنده إذا وجدت مسه واستحد شفرتك حتى تجهز على فتذبحني فاذا أنت أضجعتني لتذبحني فاكبني على وجهي ولا تضجني لشقي فاني أخشى ان انت نظرت إلى وجهي ان تدركك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك في وان رأيت أن ترد قيصي إلى أمي فاني أرجو أن يكون أسلي لها فأفعل فقال ابراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ويقال انه ربطه كما أمره بالحبل فأوثقه ثم شحذ شفرته ثم نله للجبين واتقى النظر إلى وجهه ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبا جبريل عليه السلام لقفائها في يده ثم اجتذبا إليه ونودي ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبيحة فداء لابنك فاذبحها دونه وأتاه بكبش من الجنة قال ابن اسحق حدثني الحكم بن عيينة عن مجاهد عن مقسم عن ابن عباس رضی الله عنهما قال أخرج الله هذا الكبش من الجنة قيل رعى قبل ذلك أربعين عاما قال الفاكهي ذكر أهل الكتاب وكثير من العلماء ان الكبش الذي فدى به اسماعيل كبش أملح أقرون أعين ثم روى بسنده عن ابن عباس رضی الله عنهما أنه هو القربان المتقبل من أحد بني ادم فانظر رحمك الله إلى طاعة هذا الولد أمر الله تعالى من ذبح ابنه قره عينه وقطعة كبده وإلى طاعة هذا الولد أمر الله تعالى وأمر والده وانقياده إلى ذلك راضيا مستسلما باذلا روحه لله تعالى فانظر إلى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة وإطاعتها لأمر الله تعالى وإطاعة زوجها \* اللهم صلي وسلم عليهما أفضل صلواتك وسلامك على سائر الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وأنفعنا ببركاتهم أجمعين وارزقنا التوفيق وحسن اليقين امين \* قال الأزرقى ثم ولد لاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام من زوجته السيدة بنت مضاض بن عمر والجراهمي اثنا عشر رجلا منهم ثابت بن اسماعيل وقيدار بن اسماعيل وقطور بن اسماعيل وكان عمر اسماعيل مائة وثلاثين عاما ومات ودفن في الحجر مع أمه فولى البيت بعده ثابت بن اسماعيل ونشر الله العرب من ثابت وقيدار فكثروا وغوا ثم توفي ثابت فولى البيت بعده جده لأمه مضاض بن عمرو الجراهمي وضم

بنى ثابت بن اسماعيل وضار ملكا عليهم وعلى جرمهم ونزلوا بقيقعان بأعلى مكة وكانوا أصحاب سلاح كثير وتقعقع فيهم وصارت<sup>(١)</sup> وكانوا نازلين بأسفل ونزلوا بأجباد وكانوا أصحاب خيل وغيره وكان الأمر بمكة لمضاض بن عمرو ودون السميديع إلى أن حدث بينهما البغي واقتتلوا فقتل السميديع وتم الأمر لمضاض بن عمرو وفي ذلك يقول :

ونحن قتلنا سيد الحى عنوة  
وما كان يبقى أن يكون خلفنا  
فذاق وبالاً حين حاول ملكنا  
فنجن عمرنا البيت كنا ولاته  
وما كان يبغى أن يلى ذاك غيرنا  
وكناملو كافي الدهور التي مضت  
ثم نشر الله بنى اسماعيل وخولتهم جرمهم وكانت ولاية البيت لا ينازعهم  
بنو اسماعيل لخولتهم وقرابتهم فلما ضاقت عليهم مكة انتشروا في الأرض فلا يأتون  
قوما ولا ينزلون بلدا إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم وهو يومئذ دين ابراهيم حتى ملكوا  
البلاد ونفوا عنهم العاليق وكانوا ولاية مكة وكانوا ضيعوا حرمة الحرم واستحلوها  
واستخفوا بها فأخرجهم الله من أرض الحرم قال ثم ان جرهما استخفت بأمر  
البيت الحراز وارتكبوا الأمور لعظام وأحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم  
مضاض بن عمرو بن الحارث بن عمرو خطيبا فقال يا قوم احذروا البغي فقد رأيتم  
من كان قبلكم من العاليق كيف استخفوا بالبيت فلم يعظموه فسلطكم الله عليهم  
وأخرجتموهم فتفرقوا في البلاد وتمزقوا كل ممزق فلا تستخفوا بحق بيت الله تعالى  
فيخرجكم منه فلم يطيعوه ودلاهم الشيطان بالغرور قالوا من يخرجنا ونحن أعز

(١) في العبارة تحريف ونقص كما هو الظاهر — والمعنى ان مضاض بن عمرو نزل  
بمن معه من جرمهم بأعلى مكة وقيقعان وكانوا أصحاب سلاح كثير من السيوف والرمح  
وغيرها ، وأن السميديع نزل بمن معه من قطورا بأجباد وأسفل مكة وكانوا أصحاب  
خيل ورجال .

العرب وأكثرها رجالا وسلاحا فقال لهم إذا جاء أمر الله بطل ما تقولونه فلما رأى مضاض بن عمرو ذلك عمد إلى غزالتين من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الأمور التي كانت تهدي إلى الكعبة ودفنها في بئر زمزم وقد نصب ماؤها فخفرها بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها تلك الغزالتين والأموال وطم البئر واعتزل جرهما وأخذ معه بني اسماعيل وخرج من مكة فجاءت خزاعة فأخرجت جرهما من البلاد ووليت أمر مكة وصاروا أهلها فجاءهم بنو اسماعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فسألوا خزاعة السكن معهم فأذنوا لهم وسألهم في ذلك مضاض بن عمرو والجرحمي وكان قد اعتزل أيضا حرب جرهم وخزاعة ولم يدخل بينهما واستأذنتهم أن يساكنهم فابت خزاعة وقالت من قارب الحرم من جرهم فدمه هدر فترعت إبل لمضاض بن عمرو فدخلت مكة فأخذتها خزاعة وصارت تنحرها وتأكلها فتبع مضاض أثرها فوجدها في بطن وادي مكة فابصر الإبل تنحر وتوكل ولا سبيل إليها ورأى أنه أن هبط الوادي قتل فوني منصرفا إلى أهله وأنشأ يقول :

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا  
 ولم يتربع واسطا فجنوبه  
 بلى نحن كنا أهلها فأنادنا  
 وأبدلنا عنها الأسي دار غربة  
 وكنا ولاة البيت من بعد ثابت  
 وكنا لا سمعيل صهرا وجيرة  
 فأخرجنا منها المليك بقدره  
 وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة  
 وسحت دموع العين تبكي لبلدة  
 بواد أنيس لا يطار حمامة  
 وفيها وحوش لا تراب أنيسه  
 فيا ليت شعري هل يعمر بعدنا  
 وهل فرج يأتي بشيء يزيده  
 وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه إلى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة

أنيس ولم يسمر بمكة سامر  
 إلى المنحني من ذي الأراكة حاضر  
 صروف الليالي والحدود العوابر  
 بها الذيب يعوى والعدو محاصر  
 نظوف بهذا البيت والخير ظاهر  
 فابناؤه منا ونحن الأصاهر  
 كذلك يا للناس تجرى المقادر  
 كذلك عضتنا السنون الغوابر  
 بها حرم أمن وفيها المشاعر  
 ولا ينفرن يوما لديها العصافر  
 إذا خرجت منها فما إن تغادر  
 جياذ ومفضى سيله والظواهر  
 وهل جزع ينحيك بما تحاذر



وحازت خزاعة حجابة بيت الله الحرام وولاية أمر مكة وفيهم بنو اسماعيل لا ينازعونهم في شيء ولا يطلبونه إلى أن كبر شأن قصي بن كلاب بن مرة فاستولى على حجابة البيت وأمر مكة وكان قصي أول رجل من بني كنانة أصاب بمكة فكانت إليه الحجابة والرفادة والسقاية والقيادة وهو الذي جمع أمر قيس فسمى بجمعا بكسر الميم المشددة وفي ذلك يقول القائل .

أبوهم قصي كان يدعى تجمعا به جمع الله القبائل من فهو  
هم ملكوا البطحاء بجدا وسوددا وهم طردوا عنها عراة بني عمرو  
وقيل سميت قريش قريشا لتجمعهم على قصي والتقرش هو الاجتماع وما كان  
يسمى قريش قبل ذلك قريشا وقيل أن النضر بن كنانة كان يسمى قريشا واستمر بنو  
قصي كذلك إلى ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وقد أطلنا الكلام في هذا المقال وهو  
مع ذلك قطرة من بحر فانتخبنا منه هذا المقدار لاشتماله على فنون من الاعتبار .

### الخامس والسادس بناء العماقة للكعبة المعظمة

ذكر الأزرقى في ذلك وذكر سنده إلى سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه أنه قال في خبر بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة ثم انهدم فبنته العماقة  
ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم وذكر الفاكهي بسنده إلى سيدنا علي ابن أبي طالب  
أيضا رضي الله عنه أنه قال أول من بنى البيت إبراهيم عليه السلام ثم انهدم فبنته  
جرهم ثم انهدم فبنته العماقة قال السيد التقى قلت هذا يقتضى أن جرهما بنت البيت  
الشريف قبل العماقة والخبر الأول يقتضى أن العماقة بنته قبل جرهم وبه جزم المحب  
الطبرى في القرى وذكر المسعودى في مروج الذهب أن الذي بنى الكعبة من جرهم  
هو الحارث بن مضاض الأصغر وأنه زاد في بناء البيت ورفعها كما كان عليه بناء  
إبراهيم عليه السلام والله أعلم بحقيقة ذلك .

ذكر الأزرقى شيئا من خبر العماقة يقتضى سبقهم على جرهم فإنه روى بسنده  
إلى سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان بمكة حتى يقال لهم العمايق

كانوا في عز وثروة وكانت له خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وما حولها وكانت  
العضاء ملتفة مبقلة وكانوا في عيش رخي فبغوا في الأرض وأسرفوا على أنفسهم  
وأظهروا المظالم والاحقاد ولم يشكروا الله فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون بمكة الظل  
ويبيعون الماء فأخرجهم الله بأن ساط عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم حتى أحقهم  
بمسقط رؤوس آبائهم ببلاد اليمن ففرقوا وهلكوا وأبدل الله بعدهم الحرم بحرمهم  
فكانوا سكانه إلى أن بغوا فيه أيضاً فأهلكهم جميعاً .

### السابع بناء قصي للكعبة المعظمة

ذكر الزبير بن بكار قاضي مكة في كتاب النسب ان قصي بن كلاب لما ولي  
أمر البيت جمع نفقته ثم هدم الكعبة فبناها بنياناً لم يبنه أحد من بناها قبله مثله وذكر  
أبو عبد الله أحمد بن عائد الدمشقي في مغازيه ان قصي بن كلاب بنى البيت الشريف  
وجزم به الامام الماوردي في الاحكام السلطانية فانه قال فيها أول من حدد بناء  
الكعبة من قريش بعد ابراهيم قصي بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل  
انتهى قال السيد التقى الفاسي في شفاء الغرام وما رواه القاضي الزبير بن بكار ان  
قصيا بنى الكعبة على خمسة وعشرين ذراعاً ففيه نظراً لما اشتهر في الاحكام ان  
ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى طول الكعبة تسعة أذرع وان قصيا أراد  
أن يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعاً فالمعروف أنه من الجهة الشرقية والغربية  
لا ينقص عن ثلاثين ذراعاً في بناء الخليل بل يزيد على ثلاثين ألفاً مقدار زيادة وان  
أراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها في هاتين الجهتين ينقص عن خمسة  
وعشرين ذراعاً ثلاثة أذرع أو يزيد وكل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه السلام  
لم يبنها إلا على قواعد ابراهيم غير أن قريشاً اقتصرت من عرضها في جهة الحجر  
الشريف لأمر اقتضاه الحال وصنع ذلك الحجاج بعد عبد الله بن الزبير عناداً له (١)

(١) نحن لا نرى ما صنعه الحجاج ببيت الله المعظم كان عناداً لعبد الله بن الزبير رضي  
الله تعالى عنه فراجع ما ذكرناه في هذه المسألة في كتابنا

والله تعالى أعلم \* وكان مبدأ امر قصي ان أباه كلاب بن مرة تزوج فاطمه بنت سعد ابن سيل فولدت له زهرة وقصي فهلك كلاب وقصي صغير وهو بضم القاف وكسر الصاد بمعنى بعيد واسمه زيد وانما لقب قصيا لأنه أبعد عن أهله ووطنه مع أمه لما توفي أبوه فانها تزوجت ربيعة بن حزام فرحل بها إلى الشام فولدت له زراحا فلما كبر قصي وقع بينه وبين آل ربيعة شر فعيروه بالغرابة أو قالوا لا تلحق بقومك وكان لا يعرف له أبا غير ربيعة بن حزام زوج أمه فشكى إليها ما يعيروه به فقالت له يا ولدي أنت أكرم ابا منهم انت بن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام فقدم لمكة فعرف له قومه فضله فقدموه وأكرموه وكانت خزاعة مستولية على البيت وعلى مكة وكان كبيرهم خليل بن جيشة الخزاعي بيده مفتاح البيت الشريف وسدته فخطب إلى خليل ابنته فعرف خليل نسبه فزوجه ابنته عيسى فتزوجها قصي وكثرت أولاده وأمواله وعظم شأنه وهلك خليل وأوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته عيسى فقالت لا أقدر على السدانة فجعلت ذلك لأبي غيشان وكان سكير يحب الخمر فأعوزه في بعض الأوقات ما يشربه من الخمر فباع مفتاح البيت بزق خمرا فاشتراه منه قصي وسار في الأمثال أخسر صفقة من أبي غيشان فلما صار المفتاح إلى قصي تناكرته خزاعة وكثر كلامها عليه فاجمع على حربهم وأخرجهم من مكة وولى قصي أمر الكعبة ومكة وجمع قومه فلكوه على أنفسهم وكانوا يحترمون أن يسكنوا مكة ويعظمونها على أن يبنوا بيتا مع بيت الله فكانوا يكمنون بمكة نهارا فاذا أمسوا خرجوا إلى الحل ولا يستحلون الجناية بمكة فلما جمع قصي قومه إليه اذن لهم أن يبنوا بمكة بيوتا وان يسكنوها وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم ولا يستطيع أحد إخراجهم فقالوا له انت سيدنا ورأينا تبع لرأيك فجمعهم حول البيت وفي ذلك يقول القائل :

أبوكم قصي كان يدعى بجمعا به جمع الله القبائل من فهر  
وانتم بنو زيد وزيدا أبوكم به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وابتدا هو فبنى دار الندوة وهي في اللغة العربية الاجتماع وكاوا يجتمعون فيها للشورة وغيرها من المهمات فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش إلا فيها

قال الأرزقي ولم يدخل من قريش ولا غيرهم إلا ابن أربعين سنة وكان ولد قصي كلهم أجمعون يدخلونها وقسم البيت الشريف بين طوائف قريش فبنوا دورهم حول الكعبة الشريفة من جهاتها الأربع وتركوا الطواف لبيت الله تعالى مقدارا يقال إنه المفروش الآن حول البيت الشريف بالحجن المنحوت المسمى بالمطاف الشريف وشرعوا أبواب بيوتهم إلى نحو البيت وتركوا ما بين كل بيتين طريقا ينفذ منه إلى المطاف إلى ان زاد عمر رضى الله عنه في المسجد الحرام وتبعه عثمان رضى الله عنه وتبعهما غيرهما على ما سياتى تفصيله ان شاء الله تعالى وكان قصي أول ملك من بني كعب أصاب ملكا أطاعه به قومه وله كلمات حكم تؤثر عنه منها من أكرم لثيما شركه في لومه ومن استحسنت قبيلها تنزل إلى قبضه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان .

وكان اجتمع لقصي ما لم يجتمع لغيره من المناصب فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة فالحجابة وهي سدانة البيت الشريف أى توليته مفتاح بيت الله والسقاية اسقاء الحجيج كلهم الماء معذب وكان عزيزا بمكة يجلب إليها من الخارج فيستقي الحجاج منه وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقونه الحجاج وكانت وظيفة فيهم والرفادة إطعام الطعام لسائر الحجاج تمد لهم الاسمطة في أيام الحج وكانت السقاية والرفادة مستمرة أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين قال السيد التقي رحمه الله ان الرفادة كانت أيام الجاهلية وصدر الإسلام واستمر إلى أيامنا وقال وهو الطعام يصنع بأمر السلطان كل عام حتى ينقضى الحج .

قلت وأما في زماننا فلا يفعل شيء من ذلك ولا أدرى متى انقطع وأما الندوة فقد تقدم بيانها وأما اللواء فراية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر إذا توجهوا إلى محاربة عدو فيجتمعون تحتها ويقاتلون عندها والقيادة أمانة الجيش إذا خرجوا إلى حرب وهذه كلها اجتمعت في قصي فلما كبر سنه وضعف بدنه قسمها بين أولاده وكان عبد الدار أكبر أولاده وكان عبد مناف أشرف زمان أبيه فقال قصي لعبد الدار لألحقنك يابني بالقوم وأن شرفوا عليك فأعطاه الحجابة وسلم إليه مفتاح البيت وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها

له وأعطاه السقاية واللواء وقال لا يشرب أحد إلا من سقيتك ولا يعقد لواء لقريش لحزبها إلا أنت بيدك وجعل له الرقادة وقال لا يأكل من هذا الموسم طعاما إلا من طعامك وكانت الرقادة خرجا تخرجه قريش من أموالها في كل موسم فتدفعه إلى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وكان قصي فرض ذلك على قريش حين جمعهم وقال لهم يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل حرمة وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الأضياف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدر عنكم فجعل قصي كلما كان بيده من أمر قومه إلى عبد الدار وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنعه لعظم شأنه ونفاذ سلطانه قال ابن اسحاق ثم إن قصيا هلك فقام على أمر بنوه من بعده ثم إن بني عبد مناف هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا اجتمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرقادة ورأوا أنهم أولى بذلك منهم أشرفهم عليهم وفضلهم وتفرقت قريش فكانت طائفة منهم يرون أن بني عبد مناف أحق من بني عبد الدار وطائفة يرون إبقاء بني عبد الدار على ما جعله قصي لأبيهم فأجمعوا على الحرب ثم اصطالحوا على أن تكون السقاية والرقادة لبني عبد مناف والحجابة واللواء والندرة لبني عبد الدار تحالفوا على ذلك فولى الرقادة والسقاية هاشم وكان عبد شمس سفارا مقلدا ذا ولد وكان هاشما موسرا وهو وأول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وهو أول من أطعم الثريد بمكة واسمه عمرو وإنما سمي هاشما لهشمه الخير وثرده لقومه كما قال القائل :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه      ورجال مكة مشنون عجاف  
سنت إليه الرحلتان كلاهما      سفر الشتاء ورحلة الأضياف

ثم هلك هاشم بغزة من أرض الشام تاجرا فولى الرقادة والسقاية أخو المطلب بن عبد مناف وكان ذا شرف وكرم وكان يسمى الفيض لسماحته وكرمه وفضله وكان أصغر من عبد شمس فتوفى المطلب بدومان من أرض اليمن وتوفى عبد شمس بمكة وتوفى نوفل بالعراق ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرقادة بعد عمه المطلب فأقام لقومه ما كانت تقيمه أبائهم من قبله وشرف في قومه شرفا لم يبلغه

أحد من آبائه وأحبه قومه وعلم حطره فيهم . وكان أكبر أولاده الحارث لم يكن له أول أمره غيره وبه كان يكنى فقال عدى بن نوفل بن عبد مناف يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذلا ولد لك فقال عبد المطلب أو بالمقلة تعيرني فوالله لئن أتاني الله عشرة من الولد لأنحرن أحدهم عند الكعبة فلما كمل له عشرة جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء بذلك فاطاعوه وقالوا له أوف بنذرك وافعل ما شئت قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا فيكتب فيه اسمه ثم اتنوني ففعلوا ودخل بهم على هبل وهو صنم كان يعبد في جوف الكعبة فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب علي هؤلاء بقداحهم وأعطى كل واحد قدحه وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغرهم سنا وأحبهم إلى والده ثم ضرب صاحب القداح فخرج السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به على أساف وهو صنم كان على الصفا ليذبحه عنده فجذب العباس عبد الله من تحت رجل أبيه حتى أثر في وجهه شجة لم تزل في وجه عبد الله إلى أن مات فقامت قريش من أنديتها وقالوا لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقي الناس على هذا ولكن اعذر فيه فنفديه بأموالنا وكان بالحجاز عرافة كاهنة لها تابع من الجن فانطلقوا حتى قدموا عليها وقص عليها عبد المطلب خبر نذره فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا من عند هاشم غدوا عليها فقالت كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الإبل فقالت قربوا عن ولدكم عشرة من الإبل ثم أضربوا عليها وعلى ولدكم واستمروا كذلك إلى أن يخرج السهم على الإبل فأنحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا وولدكم فخرجوا حتى قدموا مكة فقربوا عشرة من الإبل وضربوا القداح فخرج القداح على عبد الله فزودوا عشرة فخرج على عبد الله واستمروا يزيدون عشرة فعشرة حتى بلغت الإبل مائة فخرج القدح على الإبل فأعادوه ثانية ثم ثالثة فخرج القدح على الإبل فأتى بها فنحرت ثم تركت لا يمنع عن لحومها آدمى ولا وحش ولا طير قال الزهري وكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل فخرجت قريش ثم في العرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الثامن بناء قريش الكعبة المشرفة ) قال خاتمة الحفظ والمحدثين مولانا الشيخ محمد الصالحى قدس الله تعالى وحسه في كتاب سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وهو أحسن كتاب للمتأخرين وأبسطه في السيرة النبوية

ولنا منه أجازة عامة رحمه الله تعالى ان امرأة جمرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترق أكثر أخشابها وجاء سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأرادوا أن يشدوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخل الأمان شأوا وكان البحر قد رمى بسفينة إلى ساحل جدة لتاجر رومي اسمه يا قوم بموحدة وقاف مضمومة وكان نجاراً بناء فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى جدة فابتاعوا خشب السفينة وكلوا بأقوم الرومي أن يقدم معهم إلى مكة فقدم إليها وأخذوا أخشاب السفينة أعددوها لسقف الكعبة .

قال الاموي كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم ويحمل فيها الرخام والخشب والحديد إلى الكنيسة مع يا قوم إلى الكنيسة التي أحرقتها الفرس بالحبشة فلما بلغت قريب مرسى جدة بعث عليها ريحا فخطمتها انتهى قلت لا يعرف طريق بعد بحر الروم والحبشة يمر فيها على جده إلا أن يكون ملك الروم طلب ذلك من ملك مصر فجزها له من بندر السويس أو الطور أو نحو ذلك

قال ابن إسحاق وكان بمكة قبلى يعرف بنجر الخشب وتسويته فوافقهم أن يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده يا قوم .

قال وكانت حية عظيمة تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى إلى الكعبة تشرف على جدار الكعبة لا يدنو منها أحدا لانشت وفتحت فاهها وكانوا يهابونها ويزعمون أنها تحتفظ الكعبة وهداياها وأن رأسها كراس الجدى وظهرها وبطنها أسود وأنها أقامت فيها خمسمائة سنة .

قال ابن عتبة فبعث الله تعالى طائرا فاختطفها وذهب بها فقالت قريش نرجو أن يكون الله تعالى رضى لنا بما أردنا فعله فأجمع رأيهم على هدمها وبنائها (١) .

(١) الذى يظهر أن هذا طائر كبير جدا أكبر من النسر بكثير حتى أمكنه أن يحمل حية عظيمة فاذا كانت رأسها كراس الجدى فكيف يكون طولها وحجمها ، فهذا الطائر ليس من طيور الحجاز وإنما هو طير غريب أرسله الله تعالى لئلا يهدم هذه الحية من الكعبة المشرفة ليتمكن قريش من هدمها وبنائها وليكون دليلا على رضا الله تعالى بما أجمعوا عليه من أمر الكعبة والله تعالى أعلم .

قال ابن هشام فتقدم عائد بن عمران بن مخزوم وهو خال النبي صلى الله عليه وسلم فتناول حجراً من السكبة فوثب من يده حتى رجع إلى مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من ما لكم إلا حلالاً ليس فيه مهر بغى ولا ربا ولا مظلمة . ثم إن قريشا اقتسمت جوانب البيت فكان شق الباب لبني زهرة وبني عبد مناف وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ومن انضم إليهم من قريش وكان ظهر السكبة لبني جمح وبني سهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار وبني أسد بن عبد العزى وبني عدى بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل معهم حتى إذا انتهى الهدم إلى الأساس فأفضوا إلى حجاوة خضر كالأسنة فضربوا عليها بالمعول فخرج برق يكاد أن يخطف البصر فانتهوا عند ذلك الأساس ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن الحجر فاختلفت فيه القبائل وكل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه وكادوا أن يقتتلوا على ذلك فقال لهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفاً مطاعاً اجعلوا الحكم بينكم فيما اختلفتم فيه أول من يدخل من باب الصفا فقبلوا منه ذلك فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الأمين وكان يسمى قبل أن يوحى إليه أمينا لأمانته وصدقه فقالوا جميعاً رضينا بحكمه ثم قصوا عليه قصتهم فقال صلى الله عليه وسلم لهم إلى ثوباً فأتى به فأخذ الركن فوضعه بيده فيه ثم قال ليأخذ كل قبيلة بطرف من هذا الثوب فحملوه جميعاً وأتوا به ورفعوه إلى ما يحاذى موضعه فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثوب ووضعه بيده الشريفة في محله وفي ذلك يقول هبيرة بن أبي وهب المخزومي .

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| تساجرت الأحياء في فصل خطه  | جرت ظيرهم بالنحس من أسعد   |
| تلاقوا بها بالبغض بعد مودة | وأوقد نار بينهم شر موقد    |
| فلما رأينا الأمر قد جد جده | ولم يبق شيء غير سل المهند  |
| رضينا وقلنا العدل أول طالع | يحى من البطحاء من غير موعد |
| فجاجنا هذا الأمين محمد     | فقلنا رضينا بالأمين محمد   |



وتعماني التاريخ فحفظ منه جملة وكان رئيسا طاهر اللسان لطيف المحاضرة والمحاضرة لا تمل  
 مجالسته مات في ظهر يوم الجمعة ثامن عشر من جادى الآخرة بمكة ودفن بالمعلاة رحمه الله .  
 محمد القواسى الدمشقى أحد المعتقدين مات فى ساء من ذى القعدة بزواية غربى المصلى ظاهر  
 دمشق . مفتاح الدوادار الحسنى أحد القواد أبو على مات فى المقتله التى كانت بجدة فى صفر  
 وكذا مقدم بن عبد الله بن على بن جبار بن عمر بن شاش مضى فى محمد  
 وسر بن جوبعد بن رسم كما نقل . موسى بن محمد بن يحيى بن احمد بن على المغربى الشاذلى  
 المالكى نزيل مكة مات بهم فى صبح يوم السبت خامس عشر شعبان وكان انسانا صالحا معتقدا  
 فيه فضيلة رحمه الله

### سنة سبع وأربعين وثمانمائة

استهلت وأكثر من تقدم على حاله الا المحتسب بمصر والقاهرة فهو الشيخ بدر الدين العيني  
 والدوادار الكبير اينال (١) العلاى الاجرودى والحازندار فقهرا جال الظاهرى والزمام والحازندار  
 فقير وزالنوروزى وناظر الجيش والبهائى بن يحيى والاستاد الفزنى قريب ابن أبى الفرج  
 نائب مكة وأبو القاسم بن حسن بن عجلان وقاضيه الشافعى وأبو سعادات بن ظهيرة  
 وياش التركى بما فاق بردى انظفرى ونائب جماعة فاق بردى ونائب الينبع فعزى والقاضى الحنفى  
 بالشام حميد الدين النعمانى وهو محتسبها أيضا ومالكها (٢) فيحيى المغربى وحنبلها  
 فنظام الدين بن مفلح والشافعى مجلب فالجمال بن الباعونى وحنفها فان العزالهاصلى والشافعى  
 بقره بن الحمصى وبصفا بن سالم وبالا سكندرية الشهاب التمساني

(المحرم) أوله بالرؤية الاربعاء كما قال شيخنا فى يوم الخميس ثابته أمر السلطان  
 بحبس الفرج القادمين من رودس (براء مضمومة وواو ساكنة ثم دال موهلة مكسورة  
 ثم سين موهلة كما ضبطه النووى وقال هكذا ضبطناه فى صحيح مسلم وكذلك نقله القاضى  
 عياض فى المشارق عند الاكثرين ونقل عن بعضهم فتح الرأى وعن بعضهم فتح الدال  
 بالشين المجهمة وفى رواية أبى داود فى السنن بنى موهلة وسماها العيني أريدس  
 وهى جزيرة بأرض الروم) قبل فراغ السنة التى قبلها بأيام قليلة لطلب المهادنه ومعهم مقدمة  
 واسراء من المسلمين فبسوا بالمشرة حبس أولى الجرائم وهم (٣) نيف على عشر من نفسا

(١) واينال (٢) ومالكها (٣) وهو

بخير قريش كلها أمس شيمته      وفي اليوم مع ما يحدث الله في غد  
فجاء بأمر لم ير الناس مثله      أعم وأرضى في العواقب والبد  
أخذنا بأطراف الرداء وكنا      له حصه من رفعها قبضة اليد  
فقال ارفعوا حتى إذا ما علت به      أكفهم وفا به خير مسند  
وكل رضينا فعله وصنيعه      فأعظم به من رأى هاد ومهد  
وتلك يدمنه علينا عظيمة      يروح بها هذا الرمان ويفتدى

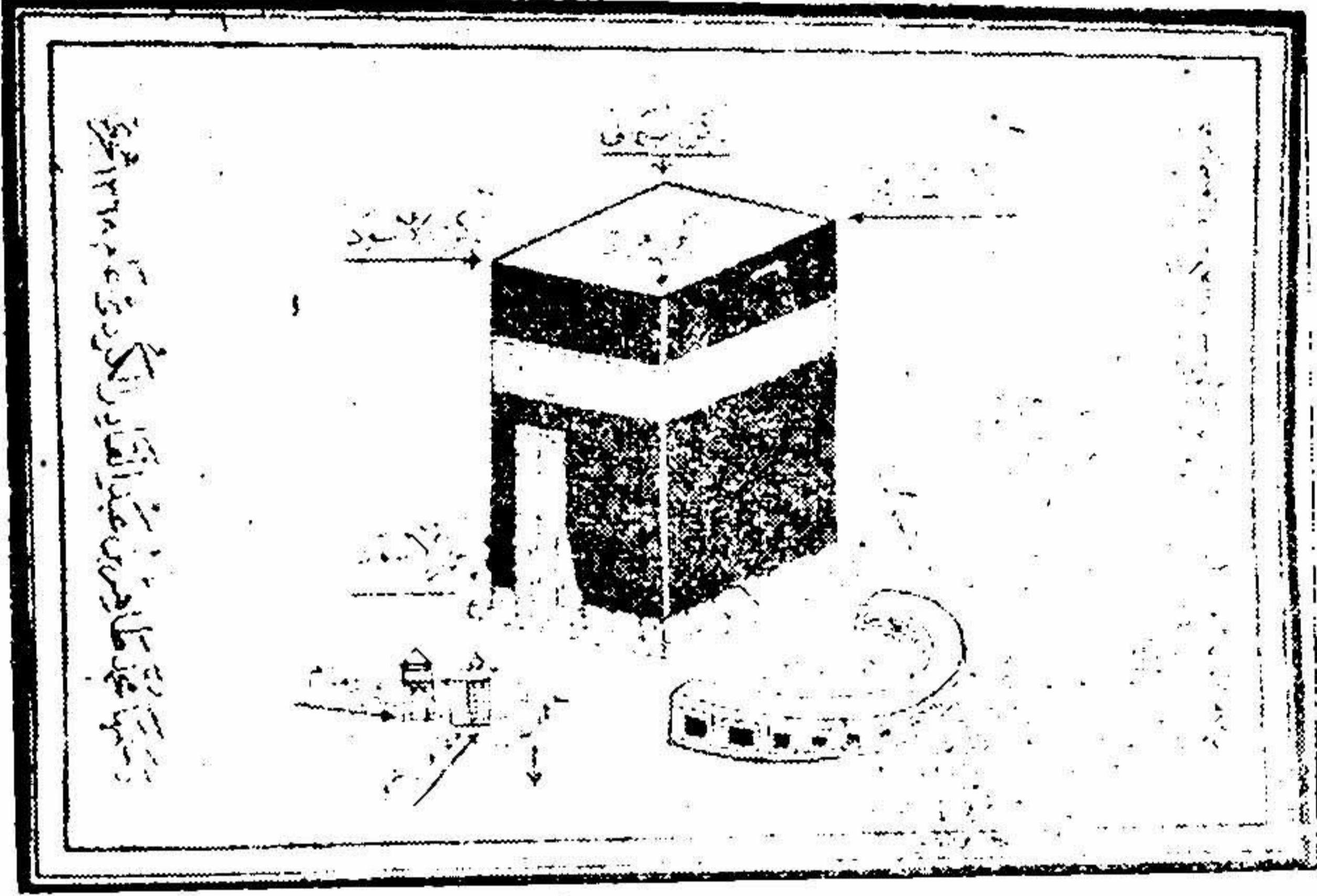
( ولما بنت قريش الكعبة ) جعلت ارتفاعها من خارجها الثمانية عشرة ذراعا  
منها تسعة أزرع زائدة على ما عمره الخليل عليه السلام ونقصوا من عرضها أذراعا  
من جهة الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعارة الكعبة ورفعوا بابها عن  
الأرض ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا وجعلوا في داخلها ست دعائم في صفين  
ثلاث في كل صف من شق الحجر إلى الشق اليماني وجعلوا في ركنها الشامي من  
داخلها درجة يصعد منها إلى سطح الكعبة .

[ تنبيه ] اختلف في من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة  
فقيل كان ابن خمس وثلاثين سنة وهو أشهر الأقوال وروى عن مجاهد ان ذلك كان  
قبل المبعث بخمس سنين والله تعالى أعلم . ( التاسع بناء عبد الله بن الزبير الكعبة  
الشريفة في زمن الاسلام ) وسيأتي تفصيل ذكره وما وقع له في الباب الثالث في بيان  
ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدرا الاسلام إن شاء الله تعالى  
( العاشر بناء الحجاج بن يوسف الثقفي ) بعد بناء سيدنا عبد الله بن الزبير وسيأتي  
بيانه عقب ذكر بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان شاء الله تعالى وبناء الحجاج هو  
جهة الميزاب والحجر بسكون الجيم وتعلية جوف الكعبة ورفع البواب الشريف  
الذي في لصق الملتزم وسد الباب الغربي الذي يلاصق المستجار لا غير وما عدا ذلك  
في الجهات الثلاث وهو وجه الكعبة الشريفة وجهة ظهرها وما بين الركن اليماني  
والحجر الاسود فهو بناء سيدنا عبد الله بن الزبير باق إلى الآن كما سنذكره في زيادة  
عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام وهدمه الكعبة وبنائها على قواعد ابراهيم  
عليه السلام .

## فصل في تحلية الكعبة الشريفة

وبابها الشريف بالذهب والفضة وقناديلها الشريفة

قال أبو الوليد الأزرقى رحمه الله أول من حلى الكعبة الشريفة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالغزاليين الذين وجدتهما في بئر زمزم حين حفرها ثم قال أول من ذهب البيت في الاسلام عبد الملك بن مروان وقال المسيحي ما يقتضى خلاف ذلك فقال أول من حلى البيت عبد الله بن الزبير وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب . وذكر الفاكهي ان عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة وثلاثين ألف دينار يضرب بها على باب الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التي في جوف الكعبة وعلى أركانها من داخل . وذكر الأزرقى ان الأمين بن هارون الرشيد أرسل إلى عامله على مكة سالم بن الحجاج بثمانية عشر ألف دينار فضربها صفائح سميت على الباب وجعل مساميرها وحلقتى الباب وأعتابه من الذهب وذكر أيضا أن حجة الكعبة أرسلوا إلى المتوكل العباسي يذكرون له ان زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها كلها ذهبا فأرسل المتوكل إلى إسحاق بن سلمة الصائغ بذهب وأمره بعمل ذلك فنكس إسحاق تلك الزوايا وأعادها من الذهب وعمل منطقة من فضة ركبها فوق ازار الكعبة من داخلها عرضها ثلاثا ذراع وجعل لها طوقا من الذهب متصلا بهذه المنطقة قال وكان أسفل الباب عتبة من خشب ساج قد رثت وتآكلت فأبدلها بخشب آخر وألبسه صفائح من فضة قال إسحاق الصائغ فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال ومنطقة الفضة وما على الباب من الفضة وما حلى به المقام من الفضة سبعين ألف درهم وذكر السيد القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى ما وقع بعد الأزرقى من تحلية البيت الشريف فقال من ذلك ان الحجة كتبوا إلى المعتضد العباسي ان بعض ولادة مكة قطع أيام الفتنة عضادتي باب الكعبة وغيرهما وسبكنهما دنانير وأصرفهما على الفتنة فأمر المعتضد باعادة ذلك جميعه وأعيدت كما أشار به قال ومن ذلك ان أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها لؤلؤ أن يلبس جميع اسطوانات البيت الشريف ذهب ففعل ذلك في سنة عشر



انظر رسم الكعبة المشرفة وقد ظهر فيها جميع الأركان الأربعة  
مع بيان أسماءها كما ظهر حجر اسماعيل عليه السلام وغيره

وثلاثمائة قال ومن ذلك ان الوزير جمال الدين بن محمد بن علي بن منصور المعروف بالجواد وزير صاحب مصر أنفذ في سنة تسع وأربعين وخمسمائة حاجبه إلى مكة ومعه خمسة آلاف دينار ليعمل بها صفائح الذهب والفضة في أركان الكعبة من داخلها . قال ومن حلالها الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وحلالها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن أيضا ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى صاحب مصر حلى باب الكعبة الذى عمله لها بخمسة وثلاثين ألف درهم وان حفيده الملك الأشرف شعبان حلى باب الكعبة في سنة ست وسبعين وسبعمائة انتهى ما ذكره التقي القاسمى رحمه الله . قلت وقد أدركنا الباب الشريف مصفحا بالفضة وكان يختلس من فضته أوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده إلى أن انكشف أسفل الباب الشريف عن خشب الباب ومسك مرارا من يفعل ذلك وحيسوا وبهدلوا فعرض ذلك على الأبواب الشريفة السلطانية في أيام المرحوم المقدس السلطان سليمان خان أسكنه الله تعالى فراديس الجنان في سنة إحدى وستين وتسعمائة فبرز الأمر الشريف السلطاني بتصفيح الباب الشريف بالفضة إلى ناظر الحرم الشريف المقيم بمكة في منصب نظارة الحرم الشريف يومئذ وهو من فضلاء كتبة مصر أحمد جلي المقاطعجى صهر المرحوم محمد بن سليمان دفتر دار مصر إذ ذاك رحمه الله تعالى وكان له شعر لطيف بالتركي وتخلصه تبركا ويتمنا جامى وترجم باللسان التركي كتاب روضة الشهداء لمولانا جامى وضمنه من لطائف النظم والنثر ما يستحسنه ومن بحاسن السجع ما يخف على السمع وهو كتاب مقبول متداول بين الناس اللطفاء (١) .

وكان وصوله إلى مكة في افتتاح سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وكان في البيت الشريف خشبية من أخشاب خشبه المنيف انكسرت وصار الماء ينزله من موضع الكسر إلى جوف البيت المعظم وكان قاضى مصر يومئذ قدوة علماء الموالى العظام مولانا

(١) وقد أمر في عصرنا الحاضر بتجديد باب الكعبة المشرفة حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وفقه الله تعالى فعمل باب جديد مصفحا بالذهب والفضة وركب على الكعبة المعظمة سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وستين .

حامد أفندي وهو اليوم مفتي ممالك الاسلام بالباب العالي أطال الله عمره المديد وأدام بقاءه السعيد قد حج إلى بلد الله الحرام وقاضى مكة يومئذ الأفندي مولانا محمد بن محمود المعروف بخواجه قيني أسكنهما الله فسيح الجنان وحف ترتهما بالروح والريحان فاطاعا على هذا الاخلال وعرضاه على الأبواب الشريفة السليمانية فلما وصل العرض إلى المرحوم المقدس المغفور الأقدس السلطان سليمان خان حازا على غرف الجنان أرسل إلى مفتي الإسلام سلطان العلماء الأعلام مولانا أبي السعود أفندي المفتي الأعظم قدس الله روحه يستفتيه عن حكم الله في هذه المسئلة جوازاً وعدم جواز فكاتب إليه بجواز ذلك إن دعت الضرورة إليه فأرسل بجواب المفتي الأعظم إلى صاحب مصر يومئذ الوزير المعظم المرحوم علي باشا فأرسله الوزير المذكور إلى ناظر الحرم المشار إليه وقاضى مكة يومئذ محمد بن محمود رحمهما الله تعالى مع أمر شريف سلطاني مضمونه العمل بمقتضى الفتوى فجمع احمد چلبى مؤن العمارة والأخشاب اللائقة لهذا العمل وكان كاتبه صولق مصطفى چلبى ومعماره مصطفى المعمار وقبل الشروع في العمل اقتضى رأيهم مشاورة العلماء في ذلك فجلس مولانا الأفندي محمد بن محمود بن كمال بعد صلاة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة تسع وخمسين وتسعمائة في الحرم الشريف واستحضر مفتي العلماء الشافعية المرحوم مولانا الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي ومولانا الشيخ نور الدين علي بن ابراهيم العسيلي ومولانا القاضي يحيى بن فايز بن ظهيرة ومؤلف هذا الكتاب وتقاضوا في هذه المسئلة فذكر مصطفى المعمار أنه شاهد عودين من أعواد سقف الكعبة مكسورين نزلاً عن محاذات بقية أخشاب السقف الشريف من وسطها مقدار اثني عشر قيراطاً وذكروا أن عوداً ثالثاً إلى جانبها لنحو الباب الشريف نزل أيضاً تسعة أصابع عن محاذة أعواد السقف الصحيحة هبوطاً إلى أسفل وأنه يحتمل أن يكون مكسوراً أيضاً ويحتمل أن يكون صحيحاً لكنه احوج باحوجاج ما إلى جانبه من العود المكسور وشهد معه احمد الحياتى المصرى وغيره وذكروا بأنه ان لم يتدارك تغير الخشب المكسور بخشب صحيح فالغالب في أمثال ذلك أن يسقط إلى أسفل وتترزع الجدران بسقوطه ويغلب في الظن اختلال في جوانب السطح يؤدي إلى سقوط السقف جميعه وتسقف الجدران وسقوطها فاتفقت

آراء الحاضرين على الاقدام على تغمير السطح وتبديل تلك الأعماد وعينوا أن يشرعوا  
 صباح يوم السبت منتصف شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وتسعمائة فتعصب  
 طائفة حركهم الهوى والغرض لمخالفة رأينا وحركوا طائفة من العلماء إلى الخلاف  
 وزعموا أن من تعظيم البيت الشريف ان لا يتعرض له يترميم ولا إصلاح وان قيام  
 الكعبة الشريفة هذه المدة العديدة والرياح تنسفها من الجوانب الأربع ولا تؤثر فيها  
 دليل على أن قيامها ليس بقوة البناء بل هي قائمة بقدرته تعالى وأنه لا يجوز تغيير أخشابها  
 إلا إذا سقطت بنفسها وغير ذلك من التوبيهات والتهويلات التي تلبو عن مسامح  
 العقلاء؛ هولوا الأمر على عوام الناس وغوغاهم وكادت أن تقوم لذلك فتنة على العوام  
 وكتب مولانا شهاب الدين احمد بن حجر تأليفا واسعا في الرد على أولئك المعاندين  
 واستند إلى نقول كثيرة وصمم على الجواز وجاءني رحمه الله تعالى يحر ضبي على الثبات  
 على ما صدمني من القول بالجواز ونقل لي عن المحب الطبري في كتابه استقصاء البيان  
 في مسألة الشاذروان بعد ذكره حديث عائشة رضي الله عنها في هدم الكعبة ما نصه  
 ومدلول هذا الحديث تصريحاً وتلويحاً انه يجوز التغيير في الكعبة لمصلحة ضرورية  
 أو حاجة أو مستحسنة انتهى<sup>(١)</sup>  
 ولما بلغ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالی السيد الشريف شهاب الدين احمد

(١) هذا النص لا اعتراض عليه أبداً بل هو عين الصواب فان الكعبة المشرفة مبنية  
 بالحجارة فهي قابلة للهدم والخراب وهل من المعقول شرعاً اذا تهدم بيت الله المعظم  
 أو حصل فيها خراب أن يترك على حاله فلا تمتد إليه الأيدي بالإصلاح والتعمير كلا والله ،  
 ولو أراد الله عز وجل أن لا تمتد إليه الأيدي بالإصلاح لخلقه قطعة واحدة من الجواهر  
 الثمينة والأحجار الكريمة .

ولو نظرنا إلى بناية خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام لوجدنا البيت الحرام لم يكن  
 بهذه الصفة فلم يكن عرضه وارتفاعه بهذا المقدار ولم يكن له سقف ولا باب وكانت فتحة  
 الباب لاصقة بالأرض ولم يكن في داخله درج يؤدي إلى السطح ولم تكن له ستارة ولا كسوة  
 ولم يكن مبنياً بالطين والجص . . . إلخ.

وانظر ما ذكرناه في اختلاف بنايات الكعبة وتعميرها بصحيفة ٥٨ من كتابنا « مقام  
 ابراهيم عليه السلام » المطبوع بمصر بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

بن نبي صاحب مكة إذ ذاك تغمده الله تعالى برضوانه وأسكنه فسيح جناته حضر بنفسه من البر إلى مكة المشرفة وطلب سيدنا ومولانا سلطان العلماء الأعلام شيخ شمس الملة والدين الشيخ محمد بن مولانا الشيخ أبي الحسن البكري نفع الله به وبأسلافه الكرام وشيد به أزر شريعة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ومولانا الأفتدي الأعظم قاضي مكة المشرفة وسيدنا ومولانا قاضي القضاة ومرجع أهل بلد الله الحرام القاضي تاج الدين بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكي طيب الله مثواه وجعل الفردوس الأعلى مأواه وناظر الحزم الشريف المسكي يومئذ أحمد چلي المذكور فحفروا جميعاً تجاه البيت الشريف عند مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام وأشير إلى سيدنا ومولانا الشيخ الأعظم محمد البكري أن يلقي درساً يتكلم فيه على قوله تعالى وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعي ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم فتكلم على جاري عاداته بلسان طلق فصيح ولفظ منتظم مليح أهر به الحاضرين وأدهش الناظرين وأفاد وأجاد وقلد نفائس الدر الأجياد .

فلما انقضى الدرس أخرج الناظر فتوى المفتي للناس فرآها مولانا الشيخ الأعظم الشيخ محمد البكري فقال ومن يخالف هذا من الناس هذا هو عين الحق ومحض الصواب وأمر مولانا السيد أحمد العمال بالشروع في العمل فشرعوا وسكنت الفتنة والله الحمد وكل ذلك بتدبير المرحوم القاضي تاج الدين المالكي رحمه الله وكان عاقلاً محتشماً ذار أي صواب محضاً وله فضل تام وفكر صائب تمام وتوفي إلى رحمة الله تعالى في سنة إحدى وستين وتسعمائة .

ثم لما كشف عن تلك الأعواد في السقف وجدوها كما ظنوا وأبدلوها بأعواد جيدة في غاية الأحكام والاستقامة وأعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الاتقان وسطر ثواب ذلك في صحائف المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان ثم بعد الفراغ طلبوا منا شيئاً يمكن كتابته فكتبت لهم كلاماً يتضمن التاريخ .

وهو الحمد لله الذي عمر الكعبة الشريفة بالشرائع المحمدية وسقفها بتشييد وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعي ربنا تقبل منا وأصلح الوجود بوجود من وجد فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه وخصه بكنز إنما يعمر مساجد الله من آمن



بالله واليوم الآخر فكان له أعظم كرامة وأبناؤه الحظ الأوفر من ملك سمي به نبي الله سيدنا سليمان ابن السلطان سليم خان الحادى عشر من ملوك بنى عثمان خادم الحرمين الشريفين الخافقة ألوية نصره ورايات ظفروه فى الخافقين فلقد جدد سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته حفظ البيت المعمور والسقف المرفوع وأصلح أرضها المقدسة وجدرانها المتخذة قبلة للسجود والركوع وغرد طير تاريخ تجديد عمارته على غصون حساب أبجد ( فكان مجدد سطح بيت الله مالك الدولة سليمان ) ملكه الله الأرض ومن عليها وجعل باب سعادته قبلة تسجد جباه المطالب إليها ثم لما فرغ من تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلق به شرع فى تسوية فرش المطاف الشريف فإن أحجاره انفصلت وصار بين كل حجرين حفر وكان تلك الحفر تسد تارة بالنورة وتلك وتارة بالرصاص ويسمر بمسامير الحديد فأزال ما بين الأحجار من الحفر وتحت طرف الحجر إلى أن ألصقه بطرف الحجر الآخر من جوانبه الأربعة واستمر فى فرش المطاف الشريف على هذا الأسلوب إلى أن فرغ من ذلك وأصلح أبواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالحصى ثم ورد الحكم السلطاني بتصفيح الباب الشريف وإصلاح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموهة بالذهب إلى أن غير بعد ذلك وعمل الميزاب فى الباب الخاقاني فوصل ووضع فى الخزانة العامرة .

( وأما عمارة المطاف الشريف ) فوقع فى سنة إحدى وستين وتسعمائة وكنت قد أمرت بتاريخ يكتب على بعض مواضع المضاف فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم أن أول بيت وضع للناس للذى بمكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا تقرب إلى الله تعالى بتجديد فرش أحجار المطاف وتسويتها تحت أقدام الطائفين فى الطواف وتحلية الباب الشريف والميزاب المعظم المنيف خليفة الله تعالى الأعظم سلطان الروم والعرب والعجم من اصطفاه الله تعالى واجتباها لترميم بيته الحرام واختباره وارضاء بخدمة الركن والمقام السلطان ابن السلطان الملك المطفر أبو الفتوحات السلطان سليمان خان تقبل الله منه صالح الأعمال وبلغه ما يؤمله من السعادة والاقبال ولما تم ذلك غرد بالتاريخ طين الهنا عمر الله قبلتنا .

## فصل في ذكر تعاليق الكعبة المعظمة وكسوتها

أما التعاليق فقال المسعودي في مروج الذهب كانت العرب تهدي إلى الكعبة أموالا وجواهر في الزمان الأول وكان بن ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا كثيرا إلى الكعبة . وقال الشريف التقي الفاسي في شفاء الغرام يقال ان كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة القرشي أول من علق في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة ثم نقل عن الأزرق في أشياء أهديت للكعبة منها أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث إليه هلالان فبعث بهما فعلقهما في الكعبة وبعث السفاح بالصفحة الخضراء فعلقت في الكعبة والمأمون بالياقوتة التي تعلق في كل موسم بسلسلة من الذهب فعلقت في وجه الكعبة وبعث المتوكل على الله بشمسية من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب في وجه البيت في كل موسم واهدى المعتصم العباسي قفلا لباب الكعبة فيه ألف مثقال ذهبا في سنة تسع عشرة ومائتين وكان والي مكة يومئذ من قبل صالح بن العباس فأرسل إلى الحجبة ليقبضهم القفل فأبوا أن يأخذوه منه وأراد أن يأخذ القفل الأول ويرسل به الخليفة فأبوا أن يعطوه ذلك وتوجهوا إلى بغداد وتكلموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة عليها وأعطاهم القفل الذي كان بعثه إليها فاقسموه بينهم وذكر الفاكهي أن مما أهدى إلى الكعبة طوق من ذهب مكلل بالزمرد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء أرسله ملك الهند لما أسلم في سنة تسع وخمسين ومائتين فعرض أمره على المعتمد على الله فأمر بتعليقها في البيت الشريف فعلقت قال التقي الفاسي رحمه الله تعالى وما علق بعد الأزرق قصبة من فضة فيها كتاب بيعة جعفر بن أمير المؤمنين المعتمد على الله وبيعة أبي أحمد الموفق بالله ابن أخى المعتمد على الله وقدم بها الفضل بن عباس في موسم سنة إحدى وستين ومائتين وكان وزن الفضة ثلثمائة وستين درهما فضة وعليها خارجا عن ذلك ثلاث أزرار بثلاثة سلاسل من فضة ودخل الكعبة يوم الاثنين لأربع خلون من صفر فعلق هذه القصبة مع تعاليق الكعبة .

( قلت ) وسيأتي ان هارون الرشيد كتب أن يكون ولي عهده بعد محمد الأمين ثم عبد الله المأمون وبايع لها على ذلك أعيان مملكته وكتب مبايعتهم وأرسل نسخة ذلك العهد إلى الكعبة وعلقها في الكعبة ثم لما وقع بعده الاختلاف بينهما وأرسل الأمين عسكريا لقتال أخيه المأمون أرسل إلى مكة وأخرج كتاب العهد من الكعبة ومزقه فمزق الله ملكه وانكسر عسكره وانتصر المأمون وجاء إلى بغداد وحاصر الأمين إلى أن أمسكه عبد الله بن طاهر وقتله وأتى برأسه إلى المأمون وسيأتي تفصيل ذلك جميعه إن شاء الله تعالى .

ثم لما وقعت الفتن بمكة أخذت تلك التعاليق من الكعبة وصرفت في ذلك وقد كانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق في الكعبة وكانت شيوخ سدة البيت الشريف إذا احتاجت اختلست منها ما تسد به خللها وتدفع به فقرها واحتياجها وقد أدركنا في أيام الصبا وقد خفت القناديل من شيوخ الكعبة من كان يهتم بذلك بل أخبرني نجار أنه عمل لأحدهم محطاً مركباً من الخشب مؤلفاً من عدة أعواد طول كل واحد منها نحو ذراع تزكب فيطول ثم ينكل ويحمل في الكم فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتداء فدخل وحده كما هو عادة مشايخ الكعبة وركب ذلك المحط ونزل قنديلاً وفك تلك الأعواد وعفس ذلك القنديل ووضع في كفه الواسع أذن للناس بالدخول في البيت الشريف وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه تجاوز لله عنه وافتقد مرة أمير من أمراء جدة قنديلاً كان علقه قريباً في البيت الشريف فكلم على ذلك الشيخ وأراد إهاتته فلم يقدر على ذلك وتكلم الناس عليه وكان يقول المحافظة على بنية الإنسان أوجب من المحافظة على قناديل معلقة في الكعبة لا ينفعها تعليقه ولا يضرها فقده وقد وصلنا إلى حد الخمسة فتعذر في ذلك أن وقع فعله منا والبيت الشريف الآن والله الحمد والشكر في غاية الصون أيام هذا الشيخ الموجود الآن لعفته وأمانته وعلقت في أيامه قناديل كثيرة أهداها الملوك إلى الكعبة الشريفة وهي محفوظة معلومة عند الناس باقية يرونها في سقف البيت الشريف في أوقات فتح الكعبة لسائر الناس

وقد وصل في وسط سنة أربع وثمانين وتسعمائة من الباب العالي الشريف السلطاني

جاويز اسمه محمد جاويز كان قبل ذلك كاتباً للحرم الشريف على عمارة المسجد الحرام وكان توجهه ببشارة اتمام المسجد الشريف إلى الباب العالي السلطاني وهو رجل في غاية الأمانة والاستقامة وحسن الخدمة وفضيلة الكتابة وحسن الخط والمرورة وعلو الهمة سلمه الله تعالى فأقبلت عليه السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى وأنعمت بالأنعام والترقي وغير ذلك من الأكرام وأدخل في عداد خواص جاويزية الباب العالي وأرسل إلى الحرمين الشريفين بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة الحرم الشريف في هذه العمارة أجملهم سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي سيد السادات الأشراف صفوة الصفوة من شرفاء بني عبد مناف السيد الشريف الحسين النسيب المستغنى بشرف ذاته عن التوصيف والتلقب بدر الدنيا والدين حسن بن أبي غي خلده الله دولتهما وسعادتهما وأدام عزهما وسيادتهما وكذلك شيخ مشايخ الإسلام سيد العلماء الأعلام ونسل الفضلاء الأكرام ناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم سلاطين الأنام صفوة آل سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقاضي المدينة المنورة سابقاً بدر الملة والدين مولانا السيد حسين الحسيني المكي المكيين لازال حرم الله الأمين مشمولاً في أيام نظارته بالعز والتمكين وأهل الحرمين الشريفين غارقين في بحر إحسانه كل وقت وحين وكذلك لقاضي مكة المشرفة يومئذ أفضى قضاء المسلمين أولى ولاية الموحدين معدن الفضل واليقين وارث علوم الأنبياء والمرسلين مولانا مصلح الدين لطفى بك زاده ذكره الله بالصالحات وأفاض عليه سوابغ الخيرات وكذلك أمير العمارة الشريفة افتخار الأمراء العظام معمر المسجد الحرام الأمير احمد وفقه الله وسدد وأكرمه وأسعد وجهزت السلطنة الشريفة نصر الله تعالى بها الإسلام وأيد تأييدها دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مع الجاويز المشار إليه ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر ليعلق اثنان منها في سقف بيت الله تعالى تشریفاً وتعظيماً والثالث في الحجرة الشريفة تجاه الوجه الشريف النبوي تعظيماً لسيد الأنام وقال :

على ذلك الوجه المليح نحية مباركة من ربنا وسلام

فلما وصل محمد جاويز إلى مكة المشرفة شرفها الله تعالى بما في يده من الخلع

والشريف والقناديل المعظمة قوبل بغاية التعظيم والإجلال ووعول بنهاية الاحترام والإقبال وألبس الخلع الشريفة الفاخرة وأنعم عليها بالضيافات والإنعامات الوافرة حضر إلى المسجد الحرام بنفسه النفيسة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالی السيد حسن المشار إلى حضرته العالیة أدام الله عزه وإقباله ومعه أكابر السادة الأشراف وجلس في الحطيم الكريم تجاه بيت الله المنيف ومعه سيدنا ومولانا ناظر حرم الله تعالى شيخ مشايخ الإسلام السيد القاضي حسين الحسني المومي إليه تخلص الله عظمته وإجلاله عليه وباقى من ذكر وسائر الأعيان والأهالي وكافة العلماء والفقهاء والموالي واجتمعت الناس حول الكعبة الشريفة وامتلاء الحرم الشريف بذلك الموكب المنيف وفتح باب بيت الله تعالى وأحضرت الخلع الشريفة السلطانية والقناديل السنية الخاقانية .

وقرئت المراسيم الشريفة المطاعة في الأقطار والجهات فوق منبر لطيف بصوت جمهوري يسمعه الخاص والعام وألبس سيدنا ومولانا السيد حسن نصره الله تعالى خلعتين فاخرتين ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة من السلطنة ثم طاف مولانا وسيدنا السيد حسن بالبيت بخلعته على المعتاد والرئيس المؤذن يدعو للسلطنة الشريفة وله بعلو زمزم على العادة والناس كلهم رافعون أصواتهم بالدعاء والأمين إلى أن فرغ سيدنا ومولانا من الطواف ودعا بالملتزم الشريف ثم صلى ركعتي الطواف في مقام ابراهيم عليه السلام ثم طلع هو ومولانا ناظر الحرم الشريف وبقية الأعيان إلى باب بيت الله تعالى ودخلوا الكعبة وأحضرت القناديل الشريفة واختاروا لها مكاناً عالیاً يقع نظر الداخل إلى البيت الشريف في أول دخوله المعظمة عليها وأحضر سلباً يصعد عليه فعلقهما سيدنا ومولانا السيد حسن بيده الشريفة تعظيماً لأمر السلطنة العلية المنيفة وقرئت الفواتح في الكعبة الشريفة وحوها ودعت الناس أجمعون ورفعت أصواتهم وهم إلى الله تعالى يتضرعون بدوام دولة هذا السلطان الأعظم سلطان سلاطين العالم تخلص الله تعالى خلافته الزاهرة وأيد أيام سلطنته القاهرة وجمع له بين سعادت الدنيا والآخرة ثم انفض ذلك المجلس العظيم وانقضى ذلك الموكب الشريف الوسيم وكان يوماً شريفاً مشهوداً ووقتاً مباركاً متيمناً

مسموداً رفته الليالى والأيام فى صفحات أوراقها وأثبتته فى جرائد دفاترها وأطباقها.

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن روى

ثم توجه محمد جاویش بالقنديل الذى بقى معه إلى المدينة المنورة ووصل إلى تلك الروضة الشريفة المطهرة واجتمعت له أ كابر المدينة الشريفة وأعيانها وعلماؤها وصلحاؤها وأركانها وشيخ حرما ونوابها ومن له شان وقدر من مجاورها وسكانها وعمل موكب شريف فى الحرم الشريف النبوى وفتحت الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وعلق ذلك القنديل تجاه وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقرئت الفواتح وحصل الدعاء من جيران سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام دولة هذا السلطان الأعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى ملكه السعيد وأبد معدته وفضله وإحسانه المزيد فأنه يطبل عمره ويسعده ويوفقه للخيرات ويرشده ويسوقه إلى الباقيات الصالحات من أعمال الخير ويسدده وهو أول من علق قناديل الذهب فى الحرمين الشريفين من سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم وأبد دولتهم إلى انتهاء الزمان وقد سبق بهذه المنقبة الشريفة آباءه السلاطين العظام وفاق بهذه المزية آباءه وأجداده الكرام لازال فائقاً سلاطين العالم وخلفائها وراقياً بأقدام عزمه ملوك الدنيا وعظماؤها .

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| هو العادل الظلام للبال والعدا | خزائنه قد أفقرت وديارها       |
| عليهم بنور الله ينظر قلبه     | فلم يغن أسرار القلوب استتارها |
| به دمر الله الصليب وأهله      | به ملة الإسلام عال منارها     |
| فلا زالت الأفلاك تجرى بنصره   | ولا زال عنه قطبها ومدارها     |

## فصل في ذكر كسوة الكعبة الشريفة

قديماً وحديثاً وحكم بينها وشرائها والتبرك بها

ذكر الأزرقي وابن جريح رحمهما الله تعالى أن أول من كسى الكعبة تبع الحميري من ملوك اليمن في الجاهلية تعظيماً لها واسم هذا التبّع أسعد وأنه رأى في منامه أن يكسو الكعبة فكساها الانطاع .

ثم رأى أنه يكسوها فكسا من حبر اليمن وجعل لها باباً يغلق وقال أسعد في ذلك .

وكسونا البيت الذي حرم الله مالا معصباً وبروداً

وأقمنا منه إلى حيث كنا ورفعنا لواءنا المعقوداً

قال الأزرقي أيضاً حدثني سعيد بن سالم عن ابن مليكة قال كان يهدى للكعبة هدايا شتى فإذا بلى شيء منها جعل فوقه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء .

وكانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة البيت فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وكان مثيراً يتجر في المال فقال لقريش أنا أكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك إلى أن مات فسمته قريش العدل لأنه عدل قريشاً وحده في كسوة البيت الشريف ويقال لابنيه بنو العدل .

وقال أيضاً أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن اسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيشة عن أبيه قال قال كسى النبي صلى الله عليه وسلم البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي وكان يكسى كل سنة كسوتين فيكسو أولاً الديباج قيصاً يدلى عليها يوم الزوية ولا يخاط ويترك الأزرار حتى يذهب الحاج لثلاً يخرقونه فإذا كان إلى عاشوراء علقوا عليها الأزرار وأوصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها إلى يوم السابع والعشرين من شهر رمضان فيكسوها الكسوة الثانية وهي من القباطي .

فلما كان أيام خلافة المأمون أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات فتكسى  
الديباج الأحمر يوم التروية وتكسى القباطي أول رجب وتكسى الديباج الأبيض  
في عيد رمضان واستمر على ذلك ثم أنهى إليه أن الأزار الذي تكسى به الكعبة  
في العاشوراء ويلصق بالقميص الديباج الأحمر الذي يكسى به يوم التروية لا يصبر  
إلى تمام السنة وأنه يحتاج أن يحددها أزارا على عيد رمضان مع قميص الديباج  
الأبيض الذي تكسى به على العيد فأمر أن تكسى أزارا آخر في عيد رمضان ثم  
بلغ المتوكل على الله أن الأزار يبلى قبل شهر رجب من كثرة مس أيادي الناس  
فزادها أزارا وأمر بأسبال قميص الديباج الأحمر إلى الأرض ثم جعل فوقه في كل  
شهرين أزارا وذلك في سنة أربعين ومائتين .

ثم بعد الخلفاء العباسيين وأيام وهنهم وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة  
تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل سلاطين اليمن بحسب قوتهم وضعفهم إلى  
أن استقرت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر إلى أن اشترى السلطان الملك الصالح  
ابن السلطان الملك الناصر قلاوون قرينتين بمصر وقفهما على عمل كسوة الكعبة  
الشريفة اسمهما ييسوس وسنديس .

ثم استمرت سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة في كل عام وكانوا  
يرسلون عند تجديد كل سلطان مع الكسوة السوداء التي تكسى من ظاهر البيت  
الشريف كسوة حمراء لداخل البيت الشريف وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية  
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مكتوب على كل من الكسوة السوداء والحمراء  
والخضراء لا إله إلا الله محمد رسول الله دالات في قلب دالات وقد زاد في حواشي  
تلك الدالات آيات آخر مناسبة أو أسماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أو تترك ساذجة بحسب ما يؤمر النساج به فلما آلت سلطنة ممالك العرب إلى سلاطين  
آل عثمان خلد الله تعالى أيام سلطنتهم القاهرة مادام الدوران وأقام الزمان وأخذ  
المرحوم المقدس السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والرضوان  
مملكة العرب من الجرا كسة بالسيف والسنان جهزت كسوة المدينة الشريفة على  
ما جرت به العادة وأمر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة الشريفة على الوجه المعتاد .



ولما آلت السلطنة إلى المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أمر باستمرار الكسوة الشريفة على عواندها السابقة ثم ان قرىتي بيسوس وسند بيس الموقوفتين على كسوة الكعبة الشريفة خربتتا وضعف ريعهما عن الوفاء بمصروف الكسوة فأمر أن تكتمل من الخزائن السلطانية بمصر ثم أضاف إلى تلك القريتين الموقوفتين قرى آخر وقفها على كسوة الكعبة الشريفة فصار وقفا عامرا فائضا مستمرا وذلك من أعظم مزايا السلاطين العظام التي يفتخرون بها على ملوك الأنام ولا يصل إلى ذلك إلا أعظم السلاطين الفخام وهي الآن في صفحات دفتار الدهر إلى يوم القيامة إن شاء الله الملك العلام .

( وأما نزع كسوة الكعبة الشريفة وتقسيمها بين الناس )

فقد ذكر الأزرقى رحمه الله تعالى قال حدثني جدى عن مسلم بن خالد عن أبي نجيع عن أبيه ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان ينزع كسوة البيت فى كل سنة فيقسمها على الحاج وقال أيضاً حدثني جدى حدثنا عبد الجبار بن الورد المكي قال سمعت ابن أبى مليكة يقول كان على الكعبة الشريفة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض فكما كسيت فى الإسلام من بيت المال خفت عنها تلك الكساوى شيئاً فشيئاً .

وكان أول من ظاهر لها بكسوتين عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما كان أيام معاوية بن أبى سفيان كساها الديباح مع القباطى ثم أنه بعث إليها بكسوة ذيباح وقباطى وحبر وأمر شيبه بن عثمان أن يجرّد الكعبة عن الكساوى ويخلفها بالطيب ويلبسها ما جهزه إليها فجردها وطيبها وطيب حدرانها بالخلوق وكساها تلك الكسوة التى بعث بها معاوية وقسم الثياب التى كانت عليها بين أهل مكة وكان سيدنا عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما حاضرا فى المسجد الحرام فما أنكر ذلك ولا كرهه قال وكان شيبه يكسومنها حتى رأى على امرأة حائض من كسوتها فأنكر تلك عليها وقال أيضاً حدثني محمد بن يحيى عن الواقدى عن عبد الحكم بن أبى فروة عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار قال قدمت مكة معتمر فجلست إلى عبد الله فى منعة زمزم وشيبه بن عثمان يجرّد الكعبة ورأيت يخلق جدورها ويطيبها ورأيت ثيابها التى جردها

قد وضعت بالأرض ورأيت شيبة بن عثمان وقال أيضاً حدثني جدي حدثنا ابراهيم ابن محمد بن أبي يحيى حدثنا علقمة عن أمه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان شيبة بن عثمان دخل عليها وقال لها يا أم المؤمنين تكثير ثياب الكعبة عليها فنجردها عن خالقانها ونحفر لها حفرة تدفن فيها ما بلى منها كيلا يلبسها الحائض والجنب فقالت له عائشة رضي الله عنها ما أصبت فيما فعلت فلا تعد إلى ذلك فان ثياب الكعبة إذا نزع عتها لا يضرها من لبسها من حائض ولكن بيعها واجعل ثمنها في سبيل الله تعالى وابن السبيل ومذهب علمائنا رضي الله عنهم في ذلك رجوع أمره إلى السلطان .

قال الامام نحر الدين قاضي خان رحمه الله تعالى في كتاب الوقف من فتاواه ديباج الكعبة إذا صار خالقاً يبيعه السلطان ويستعين به في أمر الكعبة لأن الولاية فيه للسلطان لا لغيره .

ون تتمه الفتاوى عن الامام محمد رحمه الله تعالى في ستر الكعبة يعطى منه إنسان فان كان شيء له ثمن لا يأخذه وان لم يكن له ثمن فلا بأس قال الإمام نجم الدين الطرسوسي في منظومته .

وما على الكعبة من لباس ان رث جاز يبيعه للناس  
ولا يجوز أخذه بلا شرا للاغنياء إلا ولا للفقرا

وقال الامام الفقيه أبو بكر الحدادي في السراج الوهاج لا يجوز قطع شيء من كسوة الكعبة ولا نقله ولا يبيعه ولا شراؤه ولا وضعه بين أوراق المصحف ومن حمل شيئاً من ذلك فعليه رده ولا عبرت بما يتوهمه أنهم يشترون ذلك من بني شيبة فانهم لا يملكونه . فقد روى عن ابن عباس وعائشة أنهما قالاً يبيع ذلك ويجعل ثمنه في سبيل الله تعالى انتهى . وقد ورد في الحديث لولا حداثة قومك بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله قال القرطبي من علماء المالكية رحمة الله تعالى كنز الكعبة المال المجتمع مما يحلى به من الذهب والفضة لأن حليتها حبس عليها كحصرها وفناديلها لا يجوز صرفها في غيرها انتهى فعلى قول القرطبي يكون كسوتها أيضاً حبساً عليها كحصرها وفناديلها فلا يملكها انتهى . وقال الزركشي من علماء الشافعية رحمهم الله

تعالى في قواعده قال ابن عبدان منع من بيع كسوة الكعبة وأوجب رد من حمل منها شيئاً وقال ابن الصلاح مفوض إلى رأى الامام والذي يقتضيه القياس أن العادة استمرت قديماً بأنها تبدل كل سنة وتأخذ بنو شيبه تلك العتيقة فيتصرفون فيها بالبيع وغيره والذي يظهر لى أن كسوة الكعبة الشريفة إن كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فأمرها راجع له يعطيها لمن شاء من الشيبين أو غيرهم وإن كانت من أوقاف السلاطين وغيرهم فأمرها راجع إلى شرط الواقف فيها فهى لمن عينها له وإن جهل شرط فيها عمل فيها بما جرت العوائد السابقة فيها كما هو الحكم فى سائر الأوقاف وكسوة الكعبة الآن من أوقاف السلاطين ولم يعلم شرط اواقف فيها وقد جرت عادة بنى شيبه أنهم يأخذون لأنفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيبقون على عادتهم فيها والله تعالى أعلم .

وللعلماء المتأخرون رسائل فى حكم كسوة الكعبة لم يتيسر لى الآن الوقوف على شىء منها (١) .

(١) جاء فى كتاب الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف .

ما نصه : ( فصل ) فى بيان جهات المصلين إلى القبلة من سائر الآفاق — ملخصاً بما ذكره الشيخ عز الدين بن جماعة فى دائرته بحذف الكواكب إذ ليس كل أحد يعرف لاستدلال بها ( فجهة ) مصر وصعيدها الأعلى وسواحلها السفلى أسوان واسناوقوس القسطنطينية والأسكندرية والأكدم والمحلة ودمياط وبلبيس وبرقة وطرابلس وصفد وساحل المغرب ، والأندلس وما كان على سمته ما بين الغربى والميزاب .

( وجهه ) جانب الشام الغربى ووسط غزة والرملة وبيت المقدس والمدينة الشريفة ، ودمشق وفلسطين وعكا وصيدا ، وإلى ذلك من السواحل على سمته وهى من قبيل ميزاب الكعبة إلى دون الركن الغربى .

( وجهة ) الشام كلها غير ما ذكر وهى حمص وحماة وسلمية وحلب ومنبج وحران وميفارقين وما والاها من البلاد وسواحل الروم ما بين الميزاب والركن الشامى موقفهم موقف أهل المدينة ودمشق لكنهم يتياسرون شيئاً يسيراً والجهة شاملة للجميع إن شاء الله تعالى .

= (وجهة) الرها والموصل وملطية وسميشاط وسنجار والجزيرة وديار بكر وما كان على سمعة ذلك إلى القبلة من الركن الشامي إلى مصلى آدم عليه السلام.

(وجهة) الكوفة وبغداد وحلوان والقادسية وهمدان والري ونيسابور وخراسان ومرو وخوارزم وبخارى ونسا وفرغانة والشاش وما كان على سمعة ذلك ما بين مصلى آدم عليه السلام إلى قرب باب الكعبة .

(وجهة) البصرة والأهداف وفارس وكرمان واصبهان وسجستان وشمال بلاد الصين وما على سمعة ذلك من باب الكعبة إلى الحجر الأسود .

(وجهة) وسط بلاد الصين والهند والمهرحان وكابل والمهديان والتار والمغل والحدهار وما والاها وما كان على سمعتها من الركن الأسود إلى دون مصلى النبي ﷺ

(وجهة) بلاد الهند وجنوب بلاد الصين وأهل النهايم والسد والبحرين وما والاها وكان على سمعتها من دون مصلى النبي ﷺ إلى ثلثي هذا الجدار .

(وجهة) اليمن بأسره ظفار وحضرموت وصفاء وعمان وصعدة والشحروخبا وما والاها وكان على سمعتها من دون الركن اليمنى بسعة أذرع إلى الركن اليمنى .

(وجهة) الحبشة والزنج وزيلع وأكثر بلاد السودان وجزائر فرسان وما والاها من البلاد وكان على سمعتها من الركن اليمنى إلى ثلثي الجدار وهو آخر الباب المسدود .

(وجهة) جنوب بلاد البجاة ودهلك وسواكن وبلاد البكين والنوبة إلى بلاد التكرور وما وراء ذلك وما على سمته من بلاد السودان وغيرهم إلى البحر المحيط من دون الباب المسدود إلى ثلثي الجدار .

(وجهة) شمال بلاد البجاة والنوبة وأوسط المغرب من جنوب الواحات إلى بلاد أفريقيا وأواسط بلاد بربر وبلاد الجريد إلى البحر المحيط وهي جهة جدة وعيذاب وجنوب أسوان من دون الركن الغربي ثلث الجدار إلى الركن الغربي .

انتهى ما لخص من الدائرة وهذه الجهات المذكورة هي من جهة الجملة ومن أراد التحرير في الاستقبال كما ينبغي فليراجع كتب الميقات وما وضع لذلك من الآلات يقف على المراد والله أعلم .

انتهى كل ذلك من الجامع اللطيف

# الباب الثالث

في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدور الاسلام

وبيان ما أحدث فيه من التوسع والزيادة في زمان خلافة سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن خلافة سيدنا عثمان بن عفان وزمن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهدم عبد الله بن الزبير بناء قريش للكعبة وإعادتها على قواعد إبراهيم عليه السلام ثم هدم الحجاج جانب الحجر والميزاب من الكعبة وإعادتها على ما بنته قريش في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه الشريف

اعلم أن الكعبة الشريفة لما بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكن حولها دار ولا جدار احتراماً للكعبة الشريفة فلما آل أمر البيت إلى قصي بن كلاب واستولى على مفتاح الكعبة كما تقدم بيانه جمع قصي قومه وأمرهم أن يبنوا بمكة حول الكعبة الشريفة بيوتاً من جهاتها الأربع وكانوا يعظمون الكعبة أن يبنوا حولها بيوتاً أو يدخلوا مكة على جنبه وكانوا يقيمون بها نهار فاذا أمسكوا خرجوا إلى الحبل فقال لهم قصي إن سكنتم حول البيت هابتكم الناس ولم تستحل قتالكم والمهجوم عليكم وبدأ هو وبني دار الندوة في الجانب الشامي كما تقدم بيانه ويقال أنها مقام الحنفية الذي يصلى فيه الآن الامام الحنفي الصلوات الخمس وقسم قصي باقي الجهات بين قبائل قريش فبنوا دورهم وشرعوا أبوابها إلى نحو الكعبة الشريفة وتركوا للطائفتين مقدار المطاف الشريف بحيث يقال أن القدر المفروش الآن بالحجر المنحوت إلى حاشية المطاف الشريف وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكاً شارعاً فيه باب يسلك منه إلى بيت الله تعالى ثم كبرت البيوت واتصلت إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم فولد صلى الله عليه وسلم على أشهر الأقوال بشعب بني هاشم

بقرب المحل المسمى الآن بشعب على . وكان صلى الله عليه وسلم يسكن دار سيدة النساء أم المؤمنين خديجة الكبرى رضوان الله عليها ثم لما ظهر الاسلام وكثر المسلمون استمر الحال على ذلك الوضع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمان خليفته أنى بكر الصديق رضى الله عنه ثم زاد ظهور الاسلام وتكاثر المسلمون في زمن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه فرأى أنه يزيد في المسجد الحرام فأول زيادة زيدت في المسجد الحرام زيادته رضى الله عنه .

فنبأ بذكرها فنقول ربنا بالسند المتصل المذکور سابقا في المقدمة عن الامام أبى الوليد الأزرقي قال أخبرني جدى قال أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريح قال كان المسجد الحرام ليس عليه جدران يحيط به وإنما كانت دور قریش محذقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبوابا يدخل منها الناس إلى المسجد الحرام .

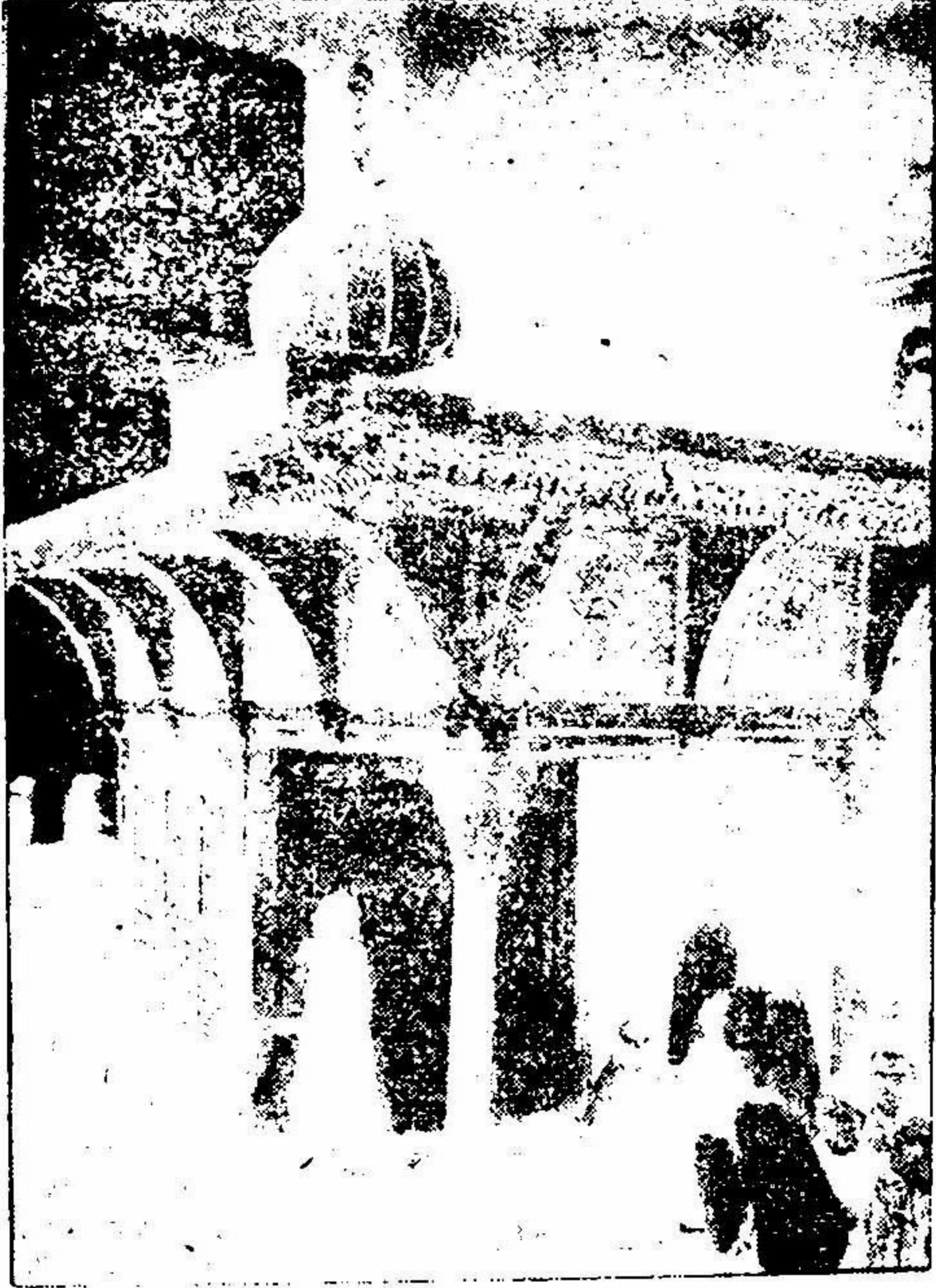
ولما كان زمان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضاق المسجد بالناس ولزم توسيعه اشترى دورا حول المسجد وهدمها وأدخلها في المسجد وبقيت دور احتيج إلى إدخالها في المسجد وأبى أصحابها من بيعها فقال لهم عمر رضى الله عنه أنتم نزلتم في فناء الكعبة وبنيتم به دورا ولا تملكون فناء الكعبة وما نزلت الكعبة في سوحكم وفنائكم فقومت الدور وجعل ثمنها في جوف الكعبة ثم هدمت وأدخلت في المسجد ثم طلب أصحابها الثمن فسلم اليهم ذلك وأمر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد وجعل فيه أبوابا كما كانت بين الدور قبل أن تدم جعلها في محاذات الأبواب السابقة .

ثم كثر في زمان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بتوسعة المسجد واشترى دورا حول المسجد وهدمها وأدخلها في المسجد وأبى جماعة عن بيع دورهم ففعل كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهدم دورهم وأدخلها في المسجد فضج أصحاب الدور وصاحوا فدعاهم وقال إنما جرأكم على حلى عليكم ألم يفعل ذلك بكم عمر رضى الله عنه فما جنح به أحد ولا صاح عليه وقد احتذيت حذوة فضجرتم منى وصحتم على ثم أمرهم إلى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم ولم يذكر الأزرقي رحمه الله متى كانت زيادة مير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنهما

وذكر ابن جرير الطبري وابن الأثير الجوزي في تاريخهما أن زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت في سبع عشرة من الهجرة بتقديم السين وأن زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان في سنة ست وعشرين من الهجرة أقول زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمارتها للمسجد كانت عقب السبل العظيم سنة سبع عشرة من الهجرة وتخريجه معالم الحرم الشريف ويقال ذلك السبل سبل أم نهشل

قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقى محمد بن فهد الهاشمي العلوي رحمهم الله تعالى في كتاب انحاف الوري بأخبار أم القرى في حوادث سنة سبع عشرة فيها جاء سبل عظيم يعرف بسبل أم نهشل من أعلى مكة من طريق الردم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام إبراهيم من موضعه وذهب به حتى وجد بأسفل مكة وعين مكانه الذي كان فيه لما عفاه السبل فأتى به وربط بلسق الكعبة في وجهها وذهب السبل بأم نهشل بنت عبيدة ابن سعد بن العاص بن شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب فماتت فيه واستخرجت بأسفل مكة وكان سيلا هائلا فنكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالمدينة الشريفة فأهاله ذلك وركب فزعا إلى مكة فدخلها بعمره في شهر رمضان فلما وصل إلى مكة وقف على حجر المقام وهو ملصق بالبيت الشريف ثم قال انشد الله عبدا عنده علم في هذا المقام فقال المطلب بن أبي وداعة السهمي رضي الله عنه أنا يا أمير المؤمنين عندي علم ذلك فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الأمر فأخذت قدره من موضعه إلى باب الحجر ومن موضعه إلى زمزم بمقاط وهي عندي في البيت فقال له عمر رضي الله عنه اجلس عندي وأرسل إليها من يأتي بها فجلس عنده وأرسل إليها فأتى بها فقيس ووضع حجر المقام في هذا المحل الذي هو فيه الآن وأحكم ذلك واستمر إلى الآن<sup>(١)</sup> قال وفيها وسع أمير المؤمنين رضي الله عنه

حدود المسجد الحرام قديما وحديثا والزيادات فيه وموضع المقام الكريم وغيرها من من الأمور المهمة ذكرناها بتفصيل تام في كتابنا «مقام إبراهيم عليه السلام» فليرجع إليه من شاء وهو كتاب مطبوع بمصر القاهرة بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وهو كتاب مهم للغاية بل هو أول كتاب وضع عن تاريخ المقام الذي قال الله تعالى في حقه «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى»



صورة مقصور المقام الكريم عند الكعبة المشرفة وترى الناس يصلون  
ويدعون ربهم



الردم الذى بأعلى مكة صوتا للمسجد وبناءه بالصفائر والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يعلم سبيل بعد ذلك غير أنه جاء سيل عظيم فى سنة اثنين ومائتين فكشف عن بعض أحجاره وشوهدت فيه صخور عظيمة كبيرة لم ير مثلها والأقدمون يسمون هذا الردم ردم بنى جمع بضم الجيم وفتح الميم وبعدها جاء مهملة وهم بطن من قریش نسبوا إلى جمع بن عمرو بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك . أقول المراد بهذا الردم الموضع الذى يقال له الآن المدعا وهو ما كان يرى منه البيت الشريف أول ما يرى وكان الناس يرونه خصوصا من يريد الحج من ثنية كداء وهى الحجون إذا وصلوا هذا المحل شاهدوا منه البيت الشريف والدعاء مستجاب عند رؤية بيت الله تعالى وكانوا يقفون هناك للدعاء وأما الآن فقد حالت أبنية عن رؤية البيت الشريف ومع ذلك يقف الناس للدعاء فيه على العادة القديمة وعن يمينه ويساره ميلان للإشارة إلى أنه المدعا

قال مولانا القاضى جمال الدين محمد أبو البقاء من الضيا الحنفى فى كتاب البحر العميق فى مناسك الحج إلى بيت الله العتيق أنه يرى فى زمانه رأس الكعبة لا كلها من رأس الردم يعنى المدعا فاذا ظهر له يقف ويدعوا ويسأل الله حوائجه فان الدعاء مستجاب عند رؤية البيت

ونقل حافظ الدين النسفى فى المنافع عن صاحب الهداية رحمهما الله تعالى أنه استوصى عن شيخ سماه له فقال له إذا وصلت المدعا من كداء ورأيت الكعبة فادع الله تعالى أن يجعلك مستجاب الدعاء لمن قال أن من زارها ودعا كانت دعوته مستجابة انتهى .

وكان القاضى أبو البقاء من الضياء المذكور فى أوسط المائة التاسعة ووفاته فى سنة أربع وخمسين وثمانمائة ولا شك أن من عهد الصحابة رضى الله عنهم إلى زمانه كان الناس يقفون ويدعون عنده لمشاهدتهم الكعبة ولا أعلم هل وقف النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وكان ذلك محل غير مرتفع فى عهده صلى الله عليه وسلم وما رفعه إلا سيدنا عمر رضى الله عنه بالردم الذى بناه فارتفع عن الأرض فصار البيت الشريف يشاهد منه حينئذ فوق الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الشريف منه

ولكني أنظر في جميع عمرى في المدعا يوقف فيه تبركا فاللائق استمرار وقوف  
الناس بهذا المحل الشريف والدعاء فيه تبركا بوقوف من سلف للدعاء فيه  
والله تعالى أعلم

ولما ردم هذا المكان صار السيل إذا وصل من أعلى مكة لا يعلوا هذا المكان  
بل كان ينحرف عنه إلى جهة الشمال للبناء الذي بناه عمر رضى الله عنه فلا يصل  
هذا السيل إلى المسعى ولا إلى باب السلام إلى الآن وصارت هذه الجهة من يومئذ  
إلى أثناء هذا مرتفعة عن يمر السيل وصار السيل الكبير كله ينحدر إلى جهة سوق  
الليل ويمر بالحانب الجنوبي من المسجد إلى أن يخرج من أسفل مكة وهذا السيل  
وادي ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل إلى مكة سيل آخر يعترضه يسمى سيل  
جباد ويمر عرضا إلى أن يصدم الركن اليماني من المسجد وينحرف إلى أسفل مكة  
وقوة جريان هذا السيل يمنع من جريان سيل وادي ابراهيم فيعقف ويتراكم ويدخل  
المسجد الحرام ويقع مثل هذه السيول بمكة في كل عشرة أعوام تقريبا مرة يدخل  
المسجد الحرام ويحتاج الناس إلى التنظيف وتبديل الحصا ونحو ذلك وقد عمل  
المتقدمون والمتأخرون لذلك طرقا واهتموا لذلك تمام الاهتمام فاندثرت أعمالهم  
لطول الزمان ولم يتفطن فالملوك بعدهم لذلك فاستمرت السيول العظيمة بعد كل مرة  
تدخل المسجد ولسنا الآن بصدد شرح لذلك

(وأما زيادة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه في المسجد الحرام)

فقد ذكرها الإمام أفضى القضاة الماوردى في كتاب الأحكام السلطانية وغيره من  
الأئمة المعتمدين رحمهم الله تعالى وفي كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا اما المسجد  
الحرام فكانت فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد النبي صلى الله  
عليه وسلم وأبي بكر رضى الله عنه جدار يحيط به وبين الدور أبواب تدخل الناس من  
كل ناحية فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكثر الناس وسع المسجد واشترى  
دورا وهدمها وزادها فيه واتخذ للمسجد جداراً قصيراً وكانت المصاييح توضع عليه .  
وكان عمر رضى الله عنه أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام فلما استخلف  
عثمان رضى الله عنه ابتاع منازل ووسعه بها أيضاً وبني المسجد الحرام والأروقة  
فكان عثمان أول من اتخذ للمسجد الأروقة انتهى .

قال الحافظ النجم عمر بن فهد في تاريخه في حوادث سنة ست وعشرين فيها  
اعتمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة فأتى ليلاً فدخل فطاف  
وسعى وأمر بتوسيع المسجد الحرام فذكر ما قدمناه قال وجدد أنصاب الحرم وكلم  
أهل مكة عثمان رضي الله عنه أن يحول الساحل من الشعبية وهي ساحل مكة قديماً  
في الجاهلية إلى ساحلها اليوم وهي جدة لقربها من مكة فخرج عثمان رضي الله عنه  
إلى جدة ورأى موضعها وأمر بتحويل الساحل إليها ودخل البحر واغتسل فيه وقال  
أنه مبارك وقال لمن معه أدخلوا البحر للاغتسال ولا يدخله أحد إلا بمئزر ثم خرج  
من جدة على طريق عسفان إلى المدينة وترك الناس ساحل الشعبية من ذلك الزمان  
واستمرت جدة بندر إلى الآن لمكة شرفها الله تعالى وهي على مرحلتين طويلتين  
من مكة بسير الأثقال تستوعب على أحدهما الليل كله في أيام اعتدال الليل والنهار  
وتزيد المرحلة الثانية على جميع الليل بشيء قليل وأما الراكب المجد والساعي على  
قدميه يقطعهما في ليلة واحدة وما رأيت من علمائنا من صرح بجواز القصر فيها بل  
رأيت من أدركت من مشايخي الحنفية كانوا يكملون الصلاة فيها وأما أنا فأرى القصر  
فيها لأن مدة القصر عندنا ثلاث مراحل يقطع كل مرحلة في أكثر من نصف النهار  
من أقصر الأيام بسير الأثقال وهاتان المرحتان تكونان على هذا الحساب ثلاث  
مراحل فزيد .

ثم رأيت في موطأ الامام مالك رضي الله عنه حديثاً صحيحاً يدل على صحة  
ما جنحت إليه صورته عن مالك أنه بلغه أن بن عباس كان يقصر الصلاة في مثل  
ما بين مكة والطائف وفي مثل ما بين مكة وعسفان وفي مثل ما بين مكة وجدة  
والله أعلم .

ثم وقعت زيادة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ،

هو صحابي بن صحابي أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأمه أسماء بنت أبي  
بكر الصديق رضي الله عنها ذات النطاقين وخالته عائشة الصديقة أم المؤمنين  
رضي الله عنها .

ولد بالمدينة بعد عشرين شهراً من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول مولود

(م - ٦)

للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحاً شديداً لأن اليهود زعموا أنهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمره لا كما وسماه عبد الله وكناه أبا بكر بإسم جده الصديق رضى الله عنه وكان صواماً قواماً طويل الصلاة وصولاً للرحم عظيم الشجاعة قوياً قسم الليالي إلى ثلاث فليلة يصلي قائماً إلى الصبح وليلة يصلي ويستمر راكعاً إلى الصبح وليلة يصلي ويستمر ساجداً إلى الصبح وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثين حديثاً.

وكان من أبي البيعة يزيد وفرّاً إلى مكة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يخرج عن طاعته إلا أهل مصر والشام فإهم بايعوا يزيد فلما هلك أطاع أهلها عبد الله بن الزبير ثم خرج مروان بن الحكم فتغلب على مصر والشام إلى أن ولي عبد الملك فجهز جيشاً كثيفاً أعلى ابن الزبير وأمر عليهم الحجاج ابن يوسف الثقفي فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير أصحابه فخرج ابن الزبير وحده وقاتل قتالا عظيماً إلى أن استشهد رضى الله عنه في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وأنشد فيه النابغة الجعدي :

حكيت لنا الصديق لما وليتنا وعمان والفروق فارتاح معدم

وسئوت بين الناس في الحق فاستوى وعاد صباحاً حالك الليل أسحم

وكان لما حاصره الحصين بن مير في عسكر جهزه يزيد عليه التجأ إلى المسجد الحرام فنصب عليه المجانيق وأصاب بعض حجارة الكعبة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض أخشابها وكسوتها وانهمز الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر نعيه فرأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة ويحكم بناءها ويبنيها على قواعد إبراهيم عليه السلام لما سمعه من حديث عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض ولجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشاً استقصرتها حين بنت الكعبة فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنيوه فهلى لأريك ما تركوا منه فأراها نحواً من سبعة أذرع أخرجه الشيخان في صحيحيهما .

وفي رواية مسلم عن عطاء قال قال ابن الزبير إني سمعت عائشة رضى الله عنها

تقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا أن الناس حديثو عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لسكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع فاستشار عبد الله بن الزبير من بقي من الصحابة رضى الله عنهم في ذلك فمنهم من أبى ومنهم من وافقه على ذلك فصمم وأقدم على ذلك .

( ولما أراد هدم البيت الشريف ليجدد بناءه )

خرج أهل مكة خوفاً فتأخر العمال عن ذلك فأرقى عبد الله بن الزبير عبد أديق الساقين وعبيداً له من الجيوش يهدمونها رجاء أن يكون فيهم الحبشى الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة .

قال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله فى تاريخه مرآة الجنان أراد عبد الله ابن الزبير أن يجعل الطين الذى يبنى به الكعبة من الورس فقبل له أنه لا يستمسك به البنيان كما يستمسك بالحصص فأرسل إلى صنعاء اليمن طلب منها حصاً نظيفاً محكماً فأتوا به فبنى به الكعبة اهـ ( فلما أكلوا هدمها ) كشف منها عن أساس إبراهيم عليه السلام فوجد الحجر داخل فى البيت فبنى البيت على ذلك الأساس وكان أدار سترأ على فناء البيت وكان البناء يبنون من وراء ذلك الستروالناس يطوفون من خارج فأدخل الحجر فى البيت وألصق باب الكعبة بالأرض ليدخل الناس منه وفتح لها باباً غربياً فى مقابلة هذا الباب ليخرج الناس منه كما كان عليه لما جدت قريش الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف خمسة وعشرون سنة وكانت النفقة قصرت بقريش لما بنوا الكعبة يومئذ فأخرجوا الحجر من البيت وجعلوا عليه حائطاً قصيراً على أنه من الكعبة فأزال عبد الله بن الزبير ذلك الوضع وأعادها على ما كانت عليه زمن الجاهلية وهى على قواعد إبراهيم عليه السلام وكان طول الكعبة قبل قريش تسعة أذرع فلما أكمل عبد الله بن الزبير طولها ثمانية عشر ذراعاً عرضية لا طول لها فزاد فى طولها تسعة أذرع فصار طولها فى السماء سبعة وعشرين ذراعاً ( ولما فرغ من بنائها ) طيها بالمسك والعنبر داخلها وخارجها من أعلاها إلى أسفلها وكساها بالديباج وبقيت من الحجارة بقية فرشها حول البيت الشريف نحواً من عشرة أذرع .

وكان فراغه من عمارة البيت الشريف في سابع عشر رجب سنة أربع وستين من الهجرة فخرج إلى التنعيم هو وأهل مكة معتمرين شكر الله تعالى ونحو مائة بدنة وذبح كل أحد على قدر وسعه وجعلوا ذلك اليوم عيداً مشهوداً وبقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة إلى اليوم يجتمعون إلى الاعتمار فيه ولا يكادون يتخلفون عن الاعتمار في هذا اليوم في كل عام ويأتون من البر بقصد هذه العمرة . وكان اعتناء الناس بهذه العمرة قبل الآن أكثر وأعظم من الآن بحيث يقال ان صاحب الينبع يومئذ السيد قتادة بن ادريس بن الحسنى جد ساداتنا الأشراف ولاية مكة الآن أدام الله تعالى عزهم وسعادتهم لما علم من أمراء مكة يومئذ وهم طائفة أخرى من بني حسن يقال لهم الهواتم الانهماك على اللهو واللذات وكثر الظلم من عبيدهم على الناس وإستيلاء الغرور عليهم ونفرت القلوب عنهم وعدم توجههم إلى أحوال البلد ارتقب الشريف قتادة اليوم السابع والعشرين من رجب واغتم الفرصة لاشتغال أهل مكة بهذه العمرة وخروجهم بتجملاتهم إلى التنعيم فهجم بعبيده وذويه ودخل مكة وهي يومئذ مسورة وولائها من حسن الهواتم آخرها الشريف مكدة ابن عيسى بن فليته ففر بمن معه إلى جهات اليمن وتمكن السيد قتادة من البلاد وذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستمرت الولاية في ولده إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وفي سنة أربع وسبعين من الهجرة كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يذكر له أن عبد الله بن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها باباً آخر فكتب إليه عبد الملك ان يعيدها على ما كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فهدم الحجاج من جانبها الشامي قدر ستة أذرع وشبرا وبني ذلك الجدار على أساس قريش وكبس أرضها بالحجارة التي فضلت ورفع الباب الشرقي وسد الباب الغربي وترك سائرهما ولم يغير منها شيئاً فبنى الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامي بناء الحجاج وهو ظاهر الانفصال من بناء عبد الله بن الزبير .

فلما فرغ الحجاج من ذلك وفد عبد الملك بن مروان وحج في ذلك العام ومعه الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومي وهو من ثقات الرواة فتحدثا في أمر الكعبة

فقال عبد الملك ما أظن ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمع منها في أمر الكعبة فقال الحارث أنا سمعت ذلك عن عائشة رضى الله عنها أنها تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن قومك استقصروا في بناء البيت ولولا حدثان عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه وأعدته على ما كان عليه في زمن إبراهيم فان بدا لقومك أن يبنوه فهلى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع قال صلى الله عليه وسلم وجعلت لها بابين موضوعين على الأرض بابا شرقيا يدخل الناس منه وبابا غربيا يخرج الناس منه فقال عبد الملك أنت سمعتها تقول ذلك قال نعم سمعت هذا منها قال فجعل ينكت بقضيب في يده منكسا ساعة طويلة ثم قال وددت والله إنى تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك ذكره النجم بن فهد رحمه الله تعالى وقد ذكرنا ذلك جميعه بالاستطراد لاشتماله على الفوائد المهمة والحديث مشجور رجعنا إلى ما نحن بصدده في ذكر زيادة سيدنا عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام .

وبسندنا المتقدم ذكره متصلا مرفوعا إلى الامام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الأزرقى قال حدثني جدى قال كان المسجد الحرام محاطا بجدار قصير غير مسقف وكان الناس يجلسون حول الكعبة بالغداة والعشى يتتبعون الأفياء فاذا قلص قامت المجالس .

قال وحدثني جدى حدثنا عبد الرحمن بن الحسن بن القائم بن عقبة عن أبيه قال زاد عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام واشترى دورا وأدخلها إلى المسجد وكان مما اشترى بعض دار جدنا الأزرقى وكانت لاصقة بالمسجد الحرام وبابها شارع على باب بنى شيبه على يسار الداخل إلى المسجد وكانت دار كبيرة اشترى بعضها ببضعة عشر ألف دينار وأدخلها المسجد الحرام وكتب لنا إلى أخيه مصعب بن الزبير بالعراق يدفع إلينا قال فركب رجال منا إلى العراق فوجدوا مصعبا يقاتل عبد الملك ابن مروان فلم يلبث إلا يسيرا حتى قتل مصعب فرجعوا إلى مكة فصار ابن الزبير بعدنا ويدافعنا حتى جاء الحجاج بن يوسف وحاصروه وقتل ولم نأخذ منه شيئا .

قالى وذكر جدى انه سمع مشيخة أهل مكة يذكرون ان عبد الله بن الزبير

سقف المسجد غير أنهم لا يدرون أكله سُقِفَ أم بعضه قال ثم عمره عبد الملك ابن مروان ولم يزد فيه لئلا يرفع جدراناه وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة . قال وحدثني جدي حدثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن فروة عن أبيه قال كنت على عمل المسجد في زمان عبد الملك بن مروان فأمر أن يجعل في رأس كل اسطوانة خمسين مثقالاً من الذهب قال وروى جدي عن سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى ابن جعدة عن زاذان بن فروح قال مسجد الكوفة تسفة أجربة ومسجد مكة سبعة أجربة وذلك في زمان عبد الله بن الزبير .

### ( ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الحرام )

قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى كان الوليد جباراً ظالماً أخرج أبو نعيم في الحلية قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن جندب بالحجاز وقرّة بن يزيد بمصر امتلأت الأرض والله جوراً قال الحافظ السيوطي لكنه أقام الجهاد في أيامه وفتحت في دولته الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال ابن أبي عبيدة وأين مثل الوليد افتتح الهند والاندلس وبني مسجد دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوي وبنائه قال أبو الوليد الأزرق قال جدي عمر الوليد المسجد الحرام ونقض عمل عبد الملك وعمل عملاً محكماً وكان إذا عمل المساجد زخرفها وهو أول من نقل الأساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وجعل على رؤوس الأساطين صفائح الذهب وأزر المسجد بالرخام وجعل للمسجد سرادقان قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى بعث الوليد بن عبد الملك إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على بابي الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التي في باطنها وعلى الأركان التي في جوفها ويقال إن الحلية التي حلاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هي ما كانت في مائدة سليمان بن داود من ذهب وفضة وكانت قد احتملت من طابطة من جزيرة الأندلس على بغل قوى تفسخ تحتها وكان لها أطواق من ياقوت وزبرجد .



## الباب الرابع

في ذكر ما زاده العباسيون في المسجد الحرام

لما انطوى بساط ملك بني مروان وآل إلى آل عباس الامرة والسلطان مزقت  
بنو أمية كل ممزق وشفق الدهر حالا ايناسهم ومزق وخرق بنار البأس لباسهم وخرق  
وكان رقص لهم وشفق وكانت ثغور آماهم بواسم وغرر أيامهم بصنوف اللهو  
مواسم ورياح عزتهم في رياض غرتهم نواسم وكانت تضيق بجيوشهم الفضاويجرى  
على حسب مطويهم خيول القدر والقضا ثم انخرقت عنهم الايام فأظلمت إشراقهم  
وأذرى بلهيب العكس يانع ابراقهم ورمتهم بصواعق أرعادهم وابراقهم فلم يدفع عنهم  
الروح ولا الحسام ولم ينفع ما سبق لهم من المنن الجسام وأذيق الموت الأحمر مروان  
الحمار ونزع من تحت الملك إلى تحت حافر الحمار فما بكت عليهم الأرض وما بقي لهم  
إلا ما قدموه من نفل وفرض ونزعوا من بين الأتراب إلى باطن التراب وسبقوا  
للحساب فسحقا لدنيا لا وفاء فيها لبنيتها ولا بقاء لحالاتي تجليها وتجنيتها ولا بقاء منها  
على مجتليها ومجتنيتها ذلك عزة عاد وهدمت قصر شداد وأخربت ارم ذات العباد  
فأف على الدنيا وزخرفها والحذر الحذر من هجوم صرفها وتصرفها كم نادى عليهم  
لا تغتروا بضحكى ولا يغرركم منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى وكانت مدة  
ملكهم ألف شهر وكان ما تحملوه من الوزر والقهر لتلك المدة كالمهر وجعل  
الله تعالى لبيت النبوة عوض ذلك ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير  
من ألف شهر .

قال الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى الدر المشور أخرج ابن أبى حاتم عن  
ابن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه قال رأيت ولد الحكم بن العاص  
على المنابر كأنهم القرودة وأنزل الله فى ذلك وما جعلنا الرؤيا التى أرىناك الا فتنة  
للناس والشجرة الملعونة يعنى الحكم وولده .

وأخرج ابن مروديه عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يوماً وهو مغموم فقيل له مالك يا رسول الله قال إني أرى في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل يا رسول الله لا تهتم فانها دنيا تنالهم فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال ابن عطية في تفسيره ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان رضي الله عنه ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز وما كانت في الحقيقة ولاية بني أمية إلا فتنة للناس وآل الملك من بعدهم إلى آل العباس وأضحكهم الدهر العبوس والباس وألبسهم الدهر حلل الأمر والنهي وأفرحهم بذلك الألباس وأنسهم بعد الوحشة وما دام لهم ذلك الإبتاس وهكذا الدنيا دول تدول وتداول وما زال لكل زمان دولة ورجال .

( فأول من ولي منهم السفاح ) أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن العباس رضي الله تعالى عنهما وكان أصغر من أخيه أبي جعفر المنصور .

قال جرير الطبري كان بدء أمر العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس عمه ان الخلافة تؤول إلى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك إلى أن بويع لولده محمد سراً فلما مات محمد عهد لولده ابراهيم فسجنه مروان وقتله في الحبس فعهد ابراهيم لأخيه عبد الله هذا وبويع له في الكوفة في ثالث ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين ومائة وكان مولده سنة ثمان ومائة وتوفي بالجدرى في ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وكان بذولاً سفاحاً وقد قتل في مبايعته من بني أمية وأتباعهم ما لا يحصى كثرة وتوطأت الممالك من الشرق إلى أقصى الغرب وكان عمره ثمانية وعشرين عاماً ومدة إمارته أربعة أعوام و جرت عادة الله في الملوك والسلاطين قصر أعمارهم من سفك الدماء منهم ( وولى بعده أخوه جعفر المنصور عبد الله ) .

هو أسن من أخيه السفاح وبويع له بعهد من أخيه في أول سنة سبع وثلاثين ومائة وكان ظلوماً غشوماً وهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وقتل الأخوين محمد وإبراهيم ابني محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكانا خرجا عليه وأذى بسببيهما خلقاً كثيراً آمن العلباء قتلاً وضرباً بمن

أقنى بجواز الخروج عليه منهم الامام أبو حنيفة رضى الله عنه أكرهه على القضاء فسجنه فمات في السجن لكونه اقنى بالخروج عليه وسمى لبخله أبا الدوانق لمحاسبته الصنائع والعمال على الدانق والحبة وقتل أبا مسلم الخراساني وهو الذي قام بدعوة الناس إلى بني العباس وشرح ذلك بطول ووطئت له الممالك ودانت له الأمصار ولم يخرج عنه غير جزيرة الأندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان الأموي فانفرد بالأندلس وطالت مدته وملكها بنوه واستمرت في يدهم مدة. وفي المحرم سنة ثلاثين ومائة أمر أبو جعفر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام فزيد في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة وزاد في أسفله إلى أن انتهى إلى المنارة التي في ركن باب بني سهم لم يزد في الجانب الجنوبي لاتصاله بمسيل الوادي ولصعوبة البناء فيه وعدم ثباته إذا قوى السيل عليه ولذلك لم يزد في أعلى المسجد واشترى من الناس دورهم وأدخلها في المسجد الحرام وكان الذي ولي عمارة المسجد لأبي جعفر أمير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله الحارثي .

وكان من شرطه عبد العزيز بن عبد الله بن مشافع جد مشافع بن عبد الرحمن الشيبني وكان زياد أجحف بدار شيبة بن عثمان وأدخل أكثرها في الجانب الأعلى من المسجد فتكلم مع زياد في أن يميل عنه قليلا ففعل فكان في هذا المحل ازورار في المسجد وأمر أبو جعفر المنصور بعمل منارة هناك فعملت واتصل عمله في أعلى المسجد يعمل الوليد بن عبد الملك وكان عمل أبي جعفر طاقا واحدا باساطين الرحام دائرا على صخر المسجد وكان الذي زاد فيه مقدار الضعف مما كان قبله وزخرف المسجد بالفسيفساء والذهب وزينه بأنواع النقوش ورخم الحجر بالحاء المهملة المكسورة ثم الجيم وهو أول من رخمه وكان اكل ذلك على يد زياد بن عبد الله الحارثي وإلى الحرمين والطائف من قبل المنصور وفرغ من عمل ذلك في عامين وقيل في ثلاثة أعوام .

وكتب على باب بني جمح أحد أبواب المسجد الحرام من جهة الصفا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات

بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين أمر عبد الله أمير المؤمنين المنصور بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم والذي زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وفرغ منه ورفعت الأيدي منه في ذى الحجة سنة أربعين ومائة وذلك بتيسير الله على أمير المؤمنين وحسن معونته وكفايته وإكرامه له بأعظم كرامته فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه وجمع الله لديه خيري الدنيا والآخرة وأعز نصره وأيده.

وحج المنصور ذلك العام وأحرم من الحيرة وبذل على بنخله الأموال العظيمة وأعطى أهل المدينة عطايا لم يعطها أحد كان قبله ولما قضى الحج والزيارة توجه إلى زيارة بيت المقدس ثم سلك إلى الشام ثم أتى إلى الرقة فترها كذا ذكره الحافظ عمر بن فهد رحمه الله تعالى .

وذكر حكاية مفيدة أذكرها استطرادا وإن كانت خارجة عن مقصودنا لعظم فائدتها وهي لما حج كان يخرج من دار الندوة إلى الطواف آخر الليل فيطوف ويصلي ولم يعلم به أحد فاذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة فيجئ المؤذنون ويسلمون عليه ويؤذنون للفجر ويقومون الصلاة فيخرج يصلي بالناس فخرج ذات ليلة في السحر وشرع يطوف إذ سمع رجلا عند الملتزم يقول اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه من كلامه ثم خرج من الطواف إلى ناحية من المسجد ثم أرسل إلى ذلك الرجل يطلبه فصلى ركعتين وقبل الحجر وأقبل مع الرسول وسلم على المنصور فقال له المنصور فما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما أفلقتني وأمراضني وأشغل خاطري فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي وصغيت إلى بأذن واعية أنبأتك بالأمور من أصلها وإلا احتجبت عنك بقدره الله واقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل عن غيري فقال أنت آمن على نفسك وقل فاني ألقى إليك السمع وأنا شهيد بالقلب فقال إن الذي داخله الطمع حتى حال بينه

وبين الحق ومنع عن إصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض هو أنت فقال  
 أيها الرجل كيف بداخلكي الطمع والصفراء والبيضاء بيدي والحلو والحامض في  
 قبضتي ومن يحول بيني وبين ما أريد من ذلك فقال هل إذا دخل الطمع أحدا من  
 الناس ما داخلك يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل استرعاك أمور المؤمنين أنفسهم  
 وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من  
 الحجر والطين وأبوابا من الخشب والحديد وحجابا معهم السلاح واتخذت وزراء  
 فجرة وأعوانا ظالمة ان نسيت لا يذكر ونك وإن أحسنت لا يعينونك وقويتهم على  
 ظلم الناس بالأموال والسلاح والرجال وأمرت أن لا يدخل عليك غيرهم من الناس  
 ولم تأمر بإيصال المظلوم إليك ومنعت عن إدخال الملهوف عليك وحببت الجائع  
 والعارى والمحتاج وما أحد منهم إلا وله حق في هذا المال فما زال هؤلاء النفر  
 الذين استخلصتهم لنفسك وآرتهم على رعيتك وأمرتهم أن لا يجربوا عنك  
 يقولون في أنفسهم هذا قد خان الله مالنا لا نخونه فأنفقوا على أن لا يصل إليك  
 من أخبار الناس إلا ما أرادوه ولا يخالف أمرهم عامل إلا أقصوه عنك وأبعدوه  
 فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم وأكرمواهم وهادوهم وكان  
 أول من صانعهم وداراهم عمالك بالأموال والهدايا والرشاء فتقوا بها على ظلم  
 رعيتك ليظلموا من دونهم فامتلات بلاد الله تعالى بالظلم والغشم وزاد بغيتهم  
 وطمعهم وكثر فسادهم وإفسادهم وصار هؤلاء شركؤك في سلطانك وأنت غافل  
 فان جاءك متظلم حيل بينه وبين الوصول إليك وإن أراد وقع قصته إليك وصرخ  
 بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر بعينك ولا ترحم  
 بقابك فان سألت عنه قالوا أساء الأديب فأدبناه وجهل مقامك فضر بناه فما بقضاء  
 الاسلام على هذه المظالم والآثام وإني سافرت إلى أرض الصين فقدمتها وقد أصاب  
 ملكها آفة أذهبت سمعه فجعل يبكي فقال له وزرائه لم تبكي لا بكت عينك فقال إني  
 لا أبكي على فقد سمعي ولكني أبكي على المظلوم يصرخ بيابى يطلب رفع ظلامته  
 فلا أسمع صوته وحيث ذهب سمعي فان بصري لم يذهب فنادوا في الناس أن لا يلبس  
 الأحمر مظلوم لأميزه بالنظرة فأعينه وكان يركب الفيل كل يوم ليرى المظلوم  
 ويستدنيهم ويرفع عنهم ظلامتهم .

انظر يا مسكين هذا مشرك بالله رأفته بالمشركين على رأفتك بالمسلمين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الأموال لا تجمع إلا لواحد من ثلاثة أمور إن قلت أجمعها لولدي فقد أراك الله عبراً في الطفل يخرج من بطن أمه عريانا ماله على وجه الأرض مال وما من مال إلا ودونه بدشحيحة به تحويه وتصونه عن كل أحد فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى يسوق إليه ما قدره له من المال فيملكه ويحويه كما حواه غيره ولست بالذي يعطى من يشاء ويمنع من يشاء لا مانع لما أعطى ولا يعطى لما منع وإن قلت أجمع المال ليشتد به سلطانى فقد أراك الله عبراً فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما أجمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من السلاح والكرام وماضرك ما كنت أنت وولد أباك عليه من الضعف والقلة حين أراد الله بكم ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أعلى مما أنت فيه فوالله ما فوق ما أنت منزلة تدرك إلا بالصالح واعلم بأنك لا تعاقب أحداً من رعيتك إذا عصاك بأعظم من القتل وإن الله تعالى يعاقب من عصاه بالعذاب الأليم وإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فكيف يكون وقوفك غداً بين يديه وقد نزل ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب هل يغنى عنك ما كنت فيه شيئاً .

قال فبكى المنصور بكاء شديداً حتى ارتفع صوته ثم قال كيف احتيالى فيما خولت ولم أر من الناس إلا خالياً قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام الراشدين قال ومن هم . قال العلماء العامرين قال فانهم قد فروا منى قال نعم فروا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر لهم من طريقتك فإذا فتحت الأبواب وسهلت الحجاب ونصرت المظلوم ومنعت الظالم وظهرت بالعدل ونشرت الفضل فاتى ضامن لمن هرب منك أن يعود إليك .

وجاء حينئذ المؤذنون وسلموا عليه وأذنوا للفجر وأقاموا فقام المنصور للصلاة وصلى بالناس وإذا بالرجل قد غاب من بين أيديهم فلما فرغ المنصور من الصلاة سأل عنه فقالوا ذهب فقال إن لم تأتوني به عاقبتكم عقاباً شديداً فذهبوا يلتمسونه فوجدوه فى الطواف فتقدم إليه الحرس وقال انطلق معى وإلا هلكت وهلك من

معي فقال كلا لا يقدر عليك وأخرج من جيبه ورقة وقال ضعها في جيبك فلا ينالك منه سوء فإنه دعاء الفرج قال دعاء لا يرزقه إلا السعداء من دعا به صباحا ومساء هدمت ذنوبه واستجيب دعاؤه وبسط الله تعالى رزقه عليه وأعطاه أمه وأعانه على عدوه وكتب عند الله تعالى صديقا فقال إقرأه لي لأخذ عنك وأتلقه منك

فقال قل اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كما علمت ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في عليك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك من خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا استوجهه منك فصرت أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وأنت المحسن إلي وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتوعد إلى بالنعم وأتبغض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك فعد بفضلك وإحسانك إلى أنك أنت التواب الرحيم قال فقراءته وأخذت الورقة في جيبها وإذا بالرسول تسعى إلى تستعجلني فأنتهه وإذا هو جمر يتلظى فلما وقع نظره على سكن غضبه وغبطه وتبسم وقال لي ويلك أتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرى ثم قال هات الورقة فأخذها وصار يبكي إلى أن بل لحيته وأمر لي بعشرة دنانير ثم قال أتعرف الرجل فقلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام

قلت وأنا أروى هذه الحكاية عن والدي الشيخ علاء الدين أحمد القادري الخرقاني النهروالي الحنفي نزيل مكة المشرفة رحمه الله تعالى قال أنبأني بهذه الحكاية العزيز بن عبد العزيز بن النجم عمر بن فهد عن القاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين العثماني المراغي عن الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزني .

قال أنبأنا الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن البخاري عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي قال له أنبأنا محمد بن ناصر أنبأنا المبارك بن عبد الجبار أنبأنا محمد بن علي بن الفتح حدثنا أبو نصر محمد بن النيسابوري عن إبراهيم

بن أحمد الخثبات وحدثنا أبو علي الحسن بن عبد الله الرازي حدثنا المثنى حدثنا سلمة القرشي قاضي اليمن قال سمعت أبا المهاجر المكي يقول قدم المنصور مكة وكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف آخر الليل وساق الحكاية بطولها قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفیان الثوري فلما وصل إلى بئر ميمون بعث إلى الخثابين فقال لهم إن رأيتم سفیان الثوري فاصلبوه فجاؤوا ونصبوا له الخشب وكان جالسا بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفیان بن عيينة فقبل له يا أبا عبد الله قم واخترق ولا تشمت بنا إلا عداة فتقدم إلى أستار الكعبة واخذها ثم قال برأت منه إن دخلها أبو جعفر وعاد إلى مكانه فركب أبو جعفر المنصور من بئر ميمون فلما كان بين الحجون سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات لوقته في سابع الحجة وقت السحر فحفروا له مائة قبر ودفنوه في أحدها ليعموا قبره على الناس وبر الله قسم عبده سفیان فانظروا إلى عباد الله المخلصين وأدلا لهم على جناب قدس رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم في عظمة سلطان السلاطين وما أحقر سلطان البشر المخلوق من ماء مهين وما أسرع زوال ملكه وصيرورته عبرة للمعتبرين إن في ذلك لعبرة الأولى الإبصار ويعلم أن الملك لله الواحد القهار لا شريك له في الملك ولا ولي من الدن على الدوام والاستمرار والمنصور هو الذي بنى مدينة بغداد ومولده سنة خمس وتسعين ومدة ملكه اثنان وعشرون وثلاثة أشهر وعاش أربعاً وستين سنة وكان رأى مناما يدل على قرب أجله فعهد إلى ولده محمد وسار إلى الحج وتوفي كما ذكرنا .

( وولي بعده الملك والخلافة ولده أبو عبد الله محمد ولقبه المهدي )

ثالث من ولي من العباسيين وقام بالبيعة له بمكة لما مات أبوه أبو الربيع بن يونس الحاجب وأمرع بإرسال الخبر إليه فوصل إليه الخبر في بغداد فكتم الأمر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أن المنصور أمير المؤمنين قد دعى فأجاب وأمر فأطاع ثم ذرفت عيناه ثم قال بلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراق الأجابة وقد فارقت عظيما وقلدت جسيما فعند الله احتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على تقلد



أمور المسلمين ونزل فبايعه الناس وأول من جمع بين تعزيتيه وتهنئته أبو دلامه  
الشاعر حيث قال

عيناي واحدة ترى مسرورة      بأمرها جذلي وأخرى تذرف  
تبكي وتضحك تارة ويسوءها      ما أنكرت ويسرها ما تعرف  
فيسوءها موت الخليفة محرما      ويسرها أن قام هذا بخلف  
ما أن رأيت كما رأيت ولا أرى      شعرا أسرحه وآخر انتف  
هذا حياه الله فضل خلافة      ولذلك جنات النعيم تزخرف

وكان المهدي لما شب ولاه أبوه طبرستان والرى وما يليها فتأدب وتميز وجالس  
العلماء وكان كريما مليح الشكل شجاعا محبا للعلماء وكان يقول ادخلوا على العلماء  
والقضاء واحضروهم عندي فلو لم يكن من حضورهم إلا رد المظالم حياه منهم لكان  
خيلا وقد علم عليه مروان بن أبي حفصة الشاعر فانشده قصيدة فلما وصل إلى قوله .

إليك قصرنا النصف من صلواتنا      مسيرة شهر بعد شهر نواصله  
وما نحن نخشى أن يخيب مسيرنا      إليك وإلينا البرعا جله

فضحك المهدي وقال كم بيتا قصيدتك قال سبعون بيتا فأمر بسبعين ألف درهم  
قبل أن يتم إنشادها وله شعر رقيق لطيف أحسن من شعر أبيه وأولاده بكثير  
ومنه ما ذكره الصولي وهو

ما يكف الناس عنا      ما يريد الناس منا  
إنما همتهم      أن ينشبوا ما قد دفنا  
لو سكننا باطن الأرض      لكانوا حيث كنا  
إن أرادوا كشف أمر      قد سترناه كشفنا

ومن نظمه هذا البيت من عدة أبيات نظمها في جارية كان يحبها جدا شديدا .  
أما يكفيك أنك تمليكني      وإن الناس كلهم عبيدي

وكان المهدي يحب الحمام فدخل عليه غياث وكان يروى الحديث فقال يروى  
عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا لا سبق إلا في حافر أو نصل وزاد فيه أو  
جناح ففهم المهدي أنه وضع هذه الزيادة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يجبه بالرد تأديبا وأمر له بعشرة آلاف درهم فلما قام قال المهدي أشهدان قفاك قفا كذاب ثم أمر بذبح ما عنده من الحمام فذبحت وكان نقش خاتمه الله ثقة محمد وبه يؤمن وحكى الربيع قال عرض على المنصور يوما خزائن مروان بن محمد وكان من جملتها اثنا عشر الف عدل ثياب خز فأخرج منها ثوبا واحدا ودعا الخياط وقال فصل من هذا جبة لي وجبة لولدي محمد المهدي فقال لا يجي. منه جبتان فقال فصل جبة وقلنسوة وبخل أن يخرج ثوبا آخر منها فلما أفضت الخلافة إلى ولده محمد المهدي أمر بتلك الثياب كلها بعينها ففرقها كلها في عبيده وخدمه في ساعة واحدة وكان جواد شجاعا كثير اللهو والصيد إلا أنه يكره الزنادقة وقتل منهم خلقا كثيرا ووصى ابنه الهادي بقتلهم حيث وجدهم

قال النجم عمر بن فهد في حوادث سنة ستين ومائة وفيها حج أمير المؤمنين المهدي العباسي وحمل له الأمير محمد بن سليمان الثلج حتى وافى به مكة وهذا شيء لم يتم لأحد قبله ونزل المهدي دار الندوة وجاء عبيد الله بن عثمان بن ابراهيم الحجبي في ساعة خالية نصف النهار فأدخل عليه فقال له أن معي شيئا لم يحمل لأحد قبلك فكشف له من الحجر الذي فيه صورة قدمي ابراهيم خليل الله عليه السلام وهو الذي يزار الآن بمقام ابراهيم عليه السلام فسر المهدي بذلك وقبله وتمسح به وصب فيه ماء وشربه وأرسله إلى أهله وأولاده فتمسحوا به وشربوا منه ثم احتمله وأعادته إلى مقام ابراهيم وأعطاه المهدي جوائز كثيرة وأقطع خيفاً بوادي نخلة يقال ذات الفريح فباعه بعد ذلك بسبعة آلاف دينار .

وذكر حجة الكعبة للمهدي أنه تراكت على الكعبة كسوة كثيرة أثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فأمر بنزعها فنزعت حتى بقيت مجردة ووجدوا كسوة هشام من الديباج الثخين وكسوة من قبة عامها من ثياب الين فجردت الكعبة منها وعلى جدرانها من داخلها وخارجها بالقالية والمسك والعنبر وصعد الخدام على سطح الكعبة وصاروا يسكبون قوارير العالبة الممسكة المطيبة على جدران الكعبة إلى أن استوعبوها ثم كسبت ثلاث كساوى من القباطى والحز والديباج وقسم المهدي في الحرمين الشريفين أموالا عظيمة وهي ثلاثون ألف ألف درهم ووصل بها معه

من العراق وثلاثمائة ألف دينار وصلت إليه من مصر ومائتا ألف دينار وصلت إليه من اليمن وخمسين ألف ثوب فرق جميع ذلك على أهل الحرمين واستدعى قاضي مكة يومئذ وهو محمد الأوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي وأمره أن يشتري دورا في أعلا المسجد ويهدمها ويدخلها في المسجد الحرام وأعد لذلك أموالا عظيمة فاشترى القاضي جميع ما كان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور فما كانت من الصدقات والأوقاف اشترى المستحقين بدلها دورا في فجاج مكة واشترى كل ذراع يكسر في مثله مما دخل في المسجد بخمسة عشر دينارا فكان في ذلك الهدم دار الازرقى وهي يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من أعلاه على يمين الخارج من باب بنى شيبه وكان ثمن ناحية منها ثمانية عشر ألف دينار وكان أكثرها داخل في المسجد الحرام في زيادة عبد الله بن الزبير ودخلت أيضا دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان ثمنها ثمانية وأربعين ألف دينار دفعت إليها وكانت شارعة على المسعى يومئذ قبل أن يؤخر المسعى ودخلت أيضا دار لآل جبير بن مطعم ودار شيبه بن عثمان اشترى جميع ذلك وهدم وأدخل في المسجد وجعل دار القوارير حبة بين المسجد الحرام والمسعى حتى استقطعها جعفر البرمكي من الرشيد لما آلت الخلافة إليه فبناها دارا ثم صارت إلى حماد البربري فعمرها وزين باطنها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفسيفساء .

قلت وتداولت الأيدي عليها بعد ذلك إلى أن صارت رباطين متلاصقين أحدهما كان يعرف برباط المراغي والثاني كان يعرف برباط السدرة فاستبدلها السلطان قايتباي وبناهما مدرسة ورباطا في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ووقف عليها سقفت بمكة وأقطعا بمصر وهو باق إلى الآن صدقة جارئة على سكانه غير أنه شرع في أوقفه الخراب لاستيلاء الأيدي الجارية عليها عمر الله من عمرها وأحسن إلى من أحسن نظرها وهذه الزيادة الأولى للهدى في أعلى المسجد وكذلك في أسفل إلى أن انتهى به إلى باب بنى سهم ويقال له الآن باب العمرة وإلى باب الخياطين ويقال له الآن باب الخياطين وكذلك زاد من الباب الشامي إلى منتهاه الآن وكذلك زاد في الجانب اليماني أيضا إلى قبة الشراب وتسمى الآن قبة العباس وإلى حاصل

الزيت وكان بين جدار الكعبة اليماني وجدار المسجد الحرام الذي يلي الصفا تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع وكان ما وراءه مسيل الوادي فهذه كلها الزيادة الأولى للمهدى وأمر بالأساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت بحرا إلى قرب جدة في موضع كان في أيام الجاهلية ساحلا لمكة يقال لها الشعبية فجمعت هناك لأن مرساه قريب بخلاف بندر جدة لأن مرساه التي تقف فيه السفينة بعيدة من البر وصارت أساطين الرخام تحمل منها على العجل وتتحا كالعربان أن بها بقايا أساطين رخام دفنها الريح بالرمل والله أعلم بحقيقة ذلك .

وعمل الأساس لتلك الأساطين بحيث حفر لها في الأرض جدارات على شكل الصليب أقاموا كل أسطوانة على موضع القاطع كشف منه السيل العظيم الواقع في سنة ثلاثين وتسعمائة فشاهدنا أساس الأساطين على هذا الوجه واستمر عليهم إلى سنة أربع وستين ومائة فخرج المهدي في ذلك العام وشاهد الكعبة المعظمة ليست في وسط المسجد بل في جانب من وراء المسجد قد اتسع من أعلاه وأسفله ومن جانبه الشامي وضاق من الجانب اليماني الذي يلي مسيل الوادي وكان في محل السيل الآن بيوت الناس وكانوا يسلكون من المسجد في بطن الوادي ثم يسلكون زقاقا ضيقا ثم يصعدون إلى الصفا وكان المسعى في موضع المسجد الحرام اليوم وكان باب دار محمد بن عباد بن جعفر العبادي عند حد ركن المسجد اليوم عند موضع المنارة الشارعة في نحر الوادي عن دونها في بعض المسجد الحرام اليوم فهدموا أكثر دار محمد بن عباد بن جعفر العبادي وجعلوا المسعى والوادي فيها وكان عرض الوادي من الميل الأخضر اللاصق للأذنة التي في الركن الشرقي وكان هذا الوادي مستطيلا إلى أسفل المسجد الآن يجري فيه السيل ملاصقا لجدر المسجد إذ ذاك وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليماني .

فلما رأى المهدي تربيعة المسجد الحرام ليس على الاستواء ورأى الكعبة الشريفة في الجانب اليماني من المسجد أراد لتكون الكعبة في وسط المسجد فقال له لا يمكن ذلك إلا بأن تهدم البيوت التي على حافة المسيل في مقابلة الجدار اليماني من المسجد

وينقل المسيل إلى تلك البيوت ويدخل المسيل في المسجد كما قدمنا ومع ذلك فإن وادي ابراهيم له سيول عارمة وهو واد حدور يخاف أن حواناه عن مكانه أن لا يثبت أساس البناء فيه على ما نريد من الاستحكام فيذهب به السيول وتعلو السيول فيه فتصب في المسجد ويلزم هدم دور كثيرة وتكثر المونة وتكبر ولعل ذلك لا يتم فقال المهدي لا بد أن أزيد هذه الزيادة ولو انفقت جميع بيوت الأموال وصمم على ذلك وعظمت نيته واشتدت رغبته وصار يلهج به فهندس المهندسون وذلك بحضوره وربطوا الرماح ونصبوها على أسطحة الدور من أول الوادي إلى آخره وربعوا الوادي من فوق الأسطحة وطلع المهدي إلى جبل أبي قبيس وشاهد تربع المسجد ورأى السكعة في وسط المسجد ورأى ما يهدم من البيوت ويجعل مسيلا تحلا للسعي وشخصوا له ذلك بالرمح المربوطة من الأسطحة ووزنوا له ذلك مرة بعد أخرى حتى رضى به .

ثم توجه إلى العراق وخلف الأموال الكثيرة لشراء هذه البيوت والصرف على هذه العمارة العظمى وهذه هي الزيادة الثانية للمهدي في المسجد الحرام هذا ملخص ما ذكره الأزرقى والفاكهى والحافظ نجم الدين عمر بن فهد في تواريخهم رحمهم الله تعالى .

( وهنا اشكال ) ما رأيت من تعرض له وهوان السعي بين الصفا والمروة من الأمور التعبدية التي أوجها الله تعالى علينا في ذلك المحل المخصوص ولا يجوز لنا العدول عنه ولا تعتبر هذه العبادة إلا في ذلك المكان المخصوص الذي سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وعلى ما ذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك المسعى في الحرم الشريف وحول المسعى إلى دار بن عباد كما تقدم .

وأما المكان الذي يسعى فيه الآن فلا يتحقق أنه بعض من المسعى الذي سعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره فكيف يصح السعى فيه وقد حول عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات ولعل الجواب عن ذلك أن المسعى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عريضا وبنيت تلك الدور بعد ذلك في عرض المسعى القديم فهدمها المهدي وأدخل بعضها في المسجد الحرام وترك بعضها للسعى فيه ولم يحول

نحويلا كليا والا لانكره علماء الدين من الأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين مع توفرهم إذ ذاك فكان الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن رضى الله عنهما والإمام مالك بن أنس رضى الله عنه موجودين يومئذ وقد أقرؤا ذلك وسكتوا وكذلك من صار بعد ذلك الوقت في مرتبة الاجتهاد كالإمام الشافعي وأحمد بن حنبل وبنية المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين فكان اجماعا منهم رضى الله عنهم على صحة السعي من غير تكبير نقل عنهم .

وبقي الاشكال في جواز ادخال شيء من المسعى في المسجد وكيف يصير ذلك مسجدا وكيف حال الاعتكاف فيه وحله بأن يجعل حكم المسعى حكم الطريق فيصير مسجدا ويصح الاعتكاف فيه حيث لم يضر بمن يسمى فاعلم ذلك وهذا مما انفردت ببيانه والله الحمد على التوفيق لتبيانه .

فصل : وما يلائم ما نحن فيه ما نقل في التعدي على السعي الشريف واغتصاب ما وقع قبل عصرنا بنحو مائة عام في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الأشرف قايتباي المحمودى ساعه الله تعالى ومحصله أنه كان تاجر يتخدمه قبل سلطنته ويتعاطى له متاجره مع دينه وخيريته ومأثره الجميلة واعتقاده في العلماء والصلحاء واتصافه بطلب العلم أيضاً وكان السلطان قايتباي أرسله إلى مكة ليتعاطى له متاجره وليعمر له مدرسة ويعمر جانبا من المسجد الشريف النبوى بعد الحريق المشهور الواقع سنة ثمانين وثمانمائة وبنى له المدرسة التى فى المدينة الشريفة وأجرى عين الزرقاء بالمدينة وعين خليص من طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية إلى الآن غير أن حب الجاه ونفاذ الأمر أوقعه فيما نذكره :

وهو أنه كان بين الميلىن ميضأة أمر بعملها الملك الأشرف شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون وكانت فى مقابلة باب على حدها من الشرق بيوت للناس ومن الغرب المسعى الشريف ومن الجنوب سيل وادى ابراهيم الذى يقال الآن سوق الليل ومن الشمال دار سيدنا العباس رضى الله عنه الذى هو الآن رباط يسكنه الفقراء فاستأجر الخواجا شمس الدين بن الزمن هذه الميضأة وهدمها وأقدم من جانب المسعى نحو ثلاثة أذرع وحفر أساسه ليبنى بها رباط السكن الفقراء فنهه من ذلك

قاضي القضاة بمكة عالم المسلمين وقاضي الشرع المبين القاضي برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي فلم يمتنع من ذلك فجمع القاضي ابراهيم محضرا حافلا حضره علماء المذاهب الأربعة ومن أجالهم مولانا زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي رئيس العلماء الحنفية يومئذ والشيخ شرف الدين موسى بن عيد المالكي والقاضي علاء الدين الرادى الحنبلي وبقية العلماء المسكين والقضاة والفقهاء وطلب الخواجا شمس الدين بن الزمن وأنكر عليه جميع الحاضرين وقالوا له في وجهه ان عرض المسعى كان خمسة وثلاثين ذراعا وأحضر النقل من تاريخ الفاكهي ودرعوا من ركن المسجد إلى المحل الذي وضع فيه ابن الزمن أساسه فكان سبعة وعشرين ذراعا فقال بن الزمن المنع خاص بي أو بجميع الناس فقال له القاضي أمنعك الآن لأنك مباشر في هذا الحال لهذا الفعل الحرام وأمر المغيرة أيضاً بإزالة تعديده وتوجه القاضي بنفسه إلى محل الأساس ومنع البنائين والعمال من العمل وأرسل عرضا ومحضرا فيه خطوط العلماء إلى السلطان قايتباي وكتب ابن الزمن أيضا إليه وكانت الجرا كسة لهم تعصب وقيام ومساعدة من يلوذ بهم ولو على الباطل .

فلما وقف على تلك الأحوال السلطان قايتباي نصر بن الزمن وعزل القاضي ابراهيم وولى خصمه المنصب وأمر أمير الحج أن يضع الأساس على مراد ابن الزمن ويقف عليه بنفسه وكان أمير الحج شيبك الجمالي فوصل في موسم سنة خمس وسبعين وثمانمائة ووقف بنفسه بالليل وأوقد المشاعل وأمر البنائين والعمال بالبناء خوفا من انكار العملة عليهم فبنوه إلى أن صعدوا به وجه الأرض وجعل ابن الزمن ذلك رباطا وسبيلا وبني في جانبه دارا وصغر الميضاة جدا وجعل لها بابا من جهة سوق الليل وجعل في جانب الميضاة مطبخاً يطبخ فيه الدشيشة ويقسم على الفقراء ووقف دورا بمكة ومزارع بمصر واستمرت إلى أن انقطع ذلك الطبخ وبيعت القدور بل والدور ويا لله العجب من ابن الزبير وما ذكرناه في فضله وخيريته كيف ارتكب هذا المحرم باجماع المسلمين طالبا به الثواب وكيف تعصب له سلطان عصره السلطان قايتباي مع أنه أحسن ملوك الجرا كسة عقلا ودينا وخيرية وهو يأمر بفعل هذا الأمر المجمع على حرمة في مشعر من مشاعر الله تعالى وكيف يعزل قاضي الشرع

الشريف لكونه نهي عن منكر ظاهر الإنكار فرحم الله الجميع وسامحهم  
وغفر لهم .

وأين هذا بما يحكى عن أنوشروان العادل وهو من أهل الكفر لما أراد المهندسون  
تسوية أيوانه بادخال قطعة أرض لعجوز بعد أن بذلوا لها أضعاف ثمن أرضها  
فأمر بعدم التعرض لأرضها فبقي في أيوانه ازورار بسبب ذلك فقبل هذا الازورار  
خير من الاستقامة وصار ذلك مثلاً يذكر بعد ألوف من السنين وقال :

وإنما المرء حديث بعده فكأن حديثاً حسناً لمن روى

فصل : قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة سبع وستين ومائة  
ما ملخصة فيها هدمت الدور التي اشترت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثانية  
للهمدي فهدموا أكثر دار محمد بن عباد وجعلوا المسمى والوادي فيها وهدموا ما بين  
الصفاء والوادي من الدور وخرقوا الوادي في موضع الدور حتى أوصلوه إلى مجرى  
الوادي القديم في الأجياد الكبير وهو الآن الطريق الذي يمر منه إلى دور السادة  
الأشراف أمراء مكة المشرفة عمر الله بهم البلاد وأزال بوجودهم مواد الفتنة والفساد  
وابتدؤا من باب بني هاشم من أعلى المسجد ويقال له الآن باب على رضى الله عنه  
ووسع المسجد منه إلى أسفل المسجد وجعل في مقابلة هذا الباب باب في المسجد  
يعرف الآن بباب حزورة ويحرفونه العوام فيسمونه باب عزورة لأن السيل إذا  
زاد على مجرى الوادي ودخل المسجد خرج من هذا الباب إلى أسفل مكة فإذا أطفح  
عن ذلك خرج من باب الخياطين أيضاً ويسمى الآن باب ابراهيم فيمر السيل ولا  
يصل إلى جدار الكعبة الشريفة من الجانب اليماني وكان من جدار الكعبة إلى الجدر  
اليماني من المسجد المتصل بالوادي تسعة وأربعون ذراعاً ونصف ذراع فلما زيدت  
هذه الزيادة الثانية فيه صار من المسجد أولاً إلى الجدار الذي عمل آخر وهو باق إلى  
اليوم تسعون ذراعاً فاتسع المسجد غاية الاتساع وأدخل في قرب الركن اليماني من  
المسجد في أسفله دار أم هانيء لأن دارها رضى الله عنها كانت بقرب هذا الباب  
داخل المسجد الحرام الآن ومن هذا الباب يدخل إلى المسجد أمراء مكة سادتنا  
الأشراف آل الحسن بن علي ابن أبي طالب رضى الله عنه وكانت عند دار أم هانيء .



رضى الله عنها بئر جاهلية حفرها قصي بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم فأدخلت أيضاً تلك البئر في المسجد الحرام وحفر المهدي عوضها بئراً خارج الحزورة يغسلون عندها الموتى من الفقراء ومن أبواب المسجد من أسفله باب بني سهم يعرف الآن بباب العمرة لأن المعتمرين من التنعيم يدخلون منه إلى المسجد من أعلى مكة كما هو السنة الشريفة وسيأتي ذكر بقية أبواب المسجد الحرام عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمانية خلد الله ملك سلطنتها إلى قيام الساعة إن شاء الله تعالى واستمر البناء والمهندسون في بناء الزيادة ووضع الأعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب المنقش بالألوان نقرأ في نفس الخشب كما أدركناه وكان في غاية الزخرفة والأحكام باقياً فيه لون اللازورد في غاية الصفاء والرونق بالنسبة إلى لازورد هذا الزمان واستمر عملهم إلى أن توفي المهدي رحمه الله لثمانى بقين من المحرم سنة تسعة وتسعين ومائة قبل أن تتم عمارة المسجد على الوجه الذي أراده وكان مولده في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ومدة ملكه إحدى عشرة سنة وشهراً وعاش ثلاثاً وأربعين سنة وعقد الأمر لولده موسى الهادي .

( فصل في ولاية أبي محمد موسى الهادي بن المهدي بن المنصور العباسي ) ولد بالري سنة سبع وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران والدة هرون الرشيد وكان حين موت والده بمرجان وقد عهد له أبوه بالخلافة فآخذ له البيعة أخوه هرون الرشيد لما مات أبوه لثمان بقين من شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة ولم يل الخلافة قبله أحد في مقدار سنه .

وركب خيل البريد من جرمان إلى بغداد لما بويع له بالخلافة وما ركبها خليفة غيره وكان طويلاً جسيماً أبيض بشفته العليا تقاص فيكثر لذلك فتح فيه ويغفل عن ذلك فيستمر فيه مفتوحاً فوكل به أبوه في صباه خادماً كلما رآه مفتوح الفم قال له موسى أطبق فيستفيق على نفسه ويضم شفته فلقبه الناس موسى أطبق فعرف بهذا اللقب وكان وصاه أبوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقاً كثيراً وكان شجاعاً كريماً يعجبه المدح دخل عليه مروان بن أبي حفصة فأنشده قصيدة في مدحه فلما بلغ إلى قوله :

في هذا الشهر فاغزو حج ووسع على أهل الحرمين ففعل هذا كله في عام واحد أول خلافته ذكر ذلك الحافظ السيوطي وغيره :

وقال الحافظ النجم عمر بن فهد رحمهما الله في حوادث سنة سبعين ومائة فيها حج هارون الرشيد بالناس وفرق مالا كثيرا وكان حججه ماشياً على اللبود تفرش له من منزل إلى منزل وقيل إن الحججة التي حج فيها ماشياً حجته في سنة سبع وسبعين ومائة. قال وفي بعض حججات هارون أخلى له المسعى ليسعى فيه فتعلق ببخلته وهو يسمى أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهم فوقف له هارون الرشيد وأقبل عليه فصاح به يا هارون فقال ليك يا عم قال أرق إلى الصفا فلما رقاها قال أرم بطرفك إلى البيت قال قد فعلت فقال كم هي يعني الحجيج فقال ومن يحصيهم إلا الله تعالى قال فاعلم أيها الرجل ن كل واحد من هذه الخلائق يحاسب عن خاصة نفسه ويسأل عنها وحدها يوم القيامة وأما أنت وحدك فتسأل عنهم أجمعين فانظر كيف جوابك حين تسأل يوم القيامة فسكى هارون بكاء شديدا وخدمته يعطونه مندبلاً بعد مندبيل وهو يناها بدموعه فقال له وأخرى أقولها لك قال قل يا عم فقال ان الرجل إذا أساء التصرف في ماله حجر عليه فكيف أنت تسرف في مال المسلمين وتسيء التصرف فيه وأنت محاسب عليه بين يدي الله تعالى عز وجل فازداد بكأوه وكثر نحيبه وأراد جنده أن يطردوا الرجل عنه فكفهم عنه إلى أن فرغ من نصابه كلها وقام عنه بنفسه وهاورن يبكي ويتضرع ويستغفر .

فصل : وفي أثناء دولة الرشيد قدمت الخيزران أم الرشيد والهادي إلى مكة قبل الحج في سنة إحدى وسبعين ومائة فأقامت إلى أن حجبت وعملت الخيرات واشترت دوراً بالصفا إلى جنب دار الأرقم المخزومي التي تشتمل على مسجد مأثور يقال له المختبي لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيه إلى الإسلام خيفة من صولة على المسلمين في أول البعث وأسلم فيه جماعة رضي الله عنهم ولما أسلم فيه عمر رضي الله عنه أظهر الإسلام وفيه قبة ومزار تسمى قبة الوحي وهذه الدور التي اشتراها صاحبنا المغفور له المرحوم المبرور المشكور الأمير المأمور بأجراء عين عرفة إلى بيت الله المعمور بالبادل نفسه وماله وأولاده في سبيل الله طلباً لنيل المثوبات والأجور دفتر دار مصر سابقاً

صاحب اللواء السلطاني المنشور المذكور باحسان إلى يوم النشور إبراهيم بك بن تغرى بردى المهمندار أسكنه الله تعالى في دار القرار جنات تجري من تحتها الأنهار ثم ملكها من المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم رجب جلبي أفندي ناظر الصدقات السليمية حضرة السلطان الأعظم سلطان ملوك العالم ذوى الخلق الخليم والطبع الكريم المرحوم المغفور له السلطان سليم نقله الله إلى جنات النعيم وملكه ملكاً أعظم من ملكه العظيم فملكها وهو شاه زاده يومئذ قبل أن يلي تحت السلطنة العظمى ففرح بها كثيراً واستبشر بحصولها ونوى أن ينشئ فيها عمائر وخيرات وجهات تصرف إلى فقراء هذه الجهات فلم يقدر له ذلك وزاحمته أمور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار وافتتاح بلاد قبرس وغيرها ولم يمهل الزمان الجائر ولا ساعده الدهر الغابر ولكن حصل له ثواب مانوا من الخيرات فالأعمال بالنيات وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وصارت هذه الدار الآن من أملاك ملك العصر والزمان سلطان سلاطين الدهر في هذا الأوان صاحب تخت السعادة والاسعاد وارث سرير الملك عن الآباء والأجداد السلطان الأعظم الأكرم السلطان مراد خلد الله تعالى أيام سلطنته القاهرة إلى يوم التناد وألهمه العدل في الرعية لا حياء رسوم المعدلة بين العباد.

قلت ولم أطلع للرشيد مع كثرة خيره على أنه عمر في أيامه شيئاً من المسجد الحرام غير أن عامله بمصر موسى بن عيسى أهدى إلى مكة المشرفة منبراً منقوشاً مكفلاً له تسع درجات فجعل في المسجد الحرام وأخذ المنبر القديم الذي كان يخطب عليه بمكة ووضع في عرفه وذلك في أول حجج الرشيد في سنة سبعين ومائة وقيل غير ذلك . وفي سنة أربع وأربعين من الهجرة الشريفة نصب وخطب عليه معاوية ابن أبي سفيان وهو أول من خطب بمكة على منبر وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون بها قياماً على أقدامهم في وجه الكعبة وفي الحجر .

قال أبو الوليد الأزرق حدثني جدي عن عبد الرحمن بن حسن عن أبيه قال : أول من خطب بمكة على منبر معاوية بن أبي سفيان وساق ما قدمناه في ذلك ثم قال وذلك المنبر الذي جاء به معاوية ربما خرب فكان يعمر ولا يزداد فيه حتى حج الرشيد فأتى بمنبر له تسع درجات وخطب عليه فكان منبر مكة لمن بعده إلى أيام الواثق

بأنه العباسي فاراد أن يحج فأمر أن يعمل ثلاث منابر منبر لمكة ومنبر لمنى ومنبر لعرفات وحج وخطب عليها وفرق بالحرمين على أهلها مالا كثيرا .

وفي أيامنا التي أدركناها من الشباب إلى المشيب شاهدنا منابر عملها سلاطين عصرنا وسندكرها في محلها إن شاء الله تعالى .

فصل اعلم أن ما يتحفه العاقل ويدخر عنه إلا الأبله ان الدنيا دار الأكدار وحمل الموم والغموم والحسرات وان أخف الخلق بلاء وألما الفقراء وأعظم الناس تعباً وهما وغما الملوك والأمراء والكبراء ويقال لكل بشر غنى قامة من الهم وقيل :

لقد قنعت همى بالخمول وصدت عن الرتب العاليه  
وما جهلت والله طيب العلى ولاكنها تؤثر العافية  
وقيل أيضا

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك والرتب العاليه  
وكن في مقام إذا ماوقفت تقوم ورجلاك في عافية

وطال ما رضيت الملوك والسلاطين بحال الضعفاء والفقراء والمساكين

في كل بيت كربة ومصيبة ولعل بيتك إن رأيت أقلها

فارض بحال فقرك واشكر الله على خفة ظهرك ولا تتعد طورك تجد ذلك نعمة  
خفية ساقها إليك ورحمة أفاضها الله تعالى من خزائن لطفه عليك واعتبر بهذه الكلمات  
وخذ لنفسك حظ وافرا من هذه العظات :

ومن ذلك أن هارون الرشيد من أعقل الخلفاء العباسيين وأكملهم رأيا وتديرو فطنة  
وقوة وإتساع مملكته وكثرة خزائنه بحيث كان يقول للسحابة امطرى حيث شئت  
فان خراج الأرض التي تمطرى فيها يحى . إلى ومع ذلك كان اتعبهم خاطرا وأسنهم  
فكر وأشغلهم قلبا وكان من أولاده محمدا الأمين من زيدة بنت جعفر المنصور .

## تقسيم الرشيد الملك بين ولديه الأمين والمأمون

وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف أرادت وكان ولده منها محمد الأمين شديد الترفه والدلا كثير اللهو واللعب مغلوبا على عقله لا يصلح للملك ولا يستحق الخلافة وولده الثاني من جارية سوداء اسمها مراجل من جوار المطبخ ماتت في نفاسها عن عبد الله المأمون وكان أتم عقلا ورأيا وأصح تدبيرا وأكثر فضلا ومعرفة فيه صلاحية لتدبير الملك وأهلا لأن يكون خلفا عن أبيه في خلافته وما قد رابوه أن يجعله ولي عهده بعده مخافة على خاطر زبيدة على ذلك فجعل ولي عهده محمد الأمين في سنة خمس وسبعين ومائة ولقبه بالأمين وعمره يومئذ خمس سنين لحرص أمه زبيدة على ذلك وجعل عبد الله المأمون ولي العهد بعد محمد الأمين في سنة ست وثمانين وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي ولقبه المؤمن وقسم ملكه بين هذه الثلاثة فقالت العقلاء لقد ألقى بينهم وأضر الرعية بهم قال عبد الملك بن صالح .

الله قلد هارونا خلافته لما اصطفاه فأحيا الدين والسنننا  
وقدم الأمر هارون لرافته بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

وطوى الرشيد الملك عن ولده الرابع وهو محمد المعتصم لكونه أميا فأراد الله تعالى خلاف ما أراده الرشيد وقتل محمد الأمين على يد عبد الله المأمون وصارت الخلافة بعد المأمون إلى محمد المعتصم ساقها الله تعالى إليه وجعل الخلق كلهم من نسله ولم يجعله من غير نسله من أولاد الرشيد وإن الملك بيد الله يؤتیه من يشاء وكان الرشيد لما كمل عهده لأولاده الثلاثة جمع الجموع وأمرهم بمبايعة أولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب بذلك عهدا محكما وكتوبا مبرما ووضع الأعيان والأركان والأمراء والكبراء خطوطهم عليه وجهز إلى بيت الله تعالى وأمر بتعليقه في وسط الكعبة الشريفة ليشتد الوثوق به ولا يقع خلافه في ذلك قال إبراهيم الموصلي .

خير الأمور تعبه وأحق أمر بالتام

أمر قضى أحكامه مولاي في البيت الحرام

ولم يغن ذلك التدبير عمارقه قلم التقدير في لوح المقادير والله على كل شيء قدير  
وقال :

ولو كانت الدنيا تنال بغبطة وتدير رأى نيل أعلى المراتب  
ولسكنها الأقدار تجرى بقدره من الله لا تجدى تدابير طالب

قال شيخ شيو خنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى و ذكر محمد بن الصباح الطبري أن أباه مشى مع الرشيد من خراسان إلى النهروان فجعل الرشيد يحادثه في الطريق ويشكو همومه ويتنفس عنده نفثات الصدور إلى أن قال يا صباح أظنك لا تراني بعد هذا فقلت بل يطيل الله عمر أمير المؤمنين ونفديه بأرواحنا ويعيش سالماً من الآفات فقال إنك لا تدري ما أجد فقلت لا والله فقال تعالى حتى أريد ما أخفيه عن غيرك وتنحى عن الطريق وأوما إلى من معه بالتنحى عنه فأبعد عنهم وهم يرمقونه بطرف خفي ثم قال أمانة الله يا صباح أكتم أمري فقلت نعم فكشف عن بطنه فإذا عصابة حرير معصوبة على بطنه فقال هذه علة أكتمها عن كل أحد وحولي رقباء لكل واحد من أولادي يعدون أنفاسي على فيسرور رقيب المأمون وجبريل بن بختشوع رقيب الأمين وفلان وعد ثالثاً أنسيته رقيب المؤمن وكل منهم يحصى أيامي وساعاتي ويستطيل عمري وحياتي ويظهر ذلك الآن منهم أن أطلب منهم برذونا لركوبى فيأتونى به أعجف ضعيفا يزيد فى عاتى ويضاعف على مرضى ثم طلب منهم برذونا لركوبه فأتوه برذون عاجز منقطع يتعب راكبه كما ذكر وهو يداريهم ويصبر على ما يكابده منهم فنظر إلى نظرة حزين مكروب وركب ذلك البرذون فقبلت رجله وودعته وهم ينظرون إلى نظرة خفت عاقبتها وكفانى الله تعالى شرم واستمر الرشيد عليلاً إلى أن بلغنى وفاته بطوس رحمه الله تعالى فأنظر إلى هذا الملك الجليل والخليفة النبىه النبيل والسلطان الذى قل أن يوجد له مثل وهو عاجز فى يد غلبانه مغلوب عليه فى ملكه وسلطانه متحسر على عظيم شأنه متأسف على علو مكانه بيده خزائن الأرض ولا يملك منها نقيراً ولا قطميراً ولا يقدر على كل شيء وكان ربك قديراً . ولما جردت المنية موسى الحمام على هارون ومزقت ثياب رشد الرشيد مخالب المنون

وخلعت عنه خلع الخلافة والسلطان وغسلته بماء الدموع الممزوج بدماء الأجداء  
وحنطته بحنوط أعماله وأدرجته في أكفان خصاله وخلالها ونقلته من سرير السعود  
إلى أخدود الاحود فمضى كأنه لم يكن شيئا مذكورا وكان أمر الله قدرا مقدورا  
وقد حكى الرشيد أنه كان رأى منا ما أنه يموت بطوس فلما وصل إلى طوس  
وقد غلب عليه الروعك عرف أنه ميت فبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لي  
قبرا في هذا المحل فحفروا له فقال قربوني إلى شفيره فحملوه في قبة إلى أن نظر إلى  
القبر فسالت عبرته وزادت غبرته وقال يا ابن آدم إلى هذا تصير ولا بد من هذا  
المصير وأمر أن ينزل إلى لحده من يقرأ ختمة فيه ففعلوا ذلك فمات وصلى عليه ابنه  
صالح والحد في القبر بطوس لثلاث مضي من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين  
ومائة وتقدم أن مولده بالرى سنة ثمان وأربعين ومائة وكانت مدة ملكه ثلاثا  
وعشرين سنة وشهرين ونصف رحمه الله تعالى :

(فصل) ولما توفى الرشيد ولي الخلافة ولده محمد الأمين وكان مليح الصورة  
أيضا جميلا فصيحاً بليغاً سىء التدبير كثير التبذير ضعيف الرأي أرعن لا يصغى  
إلى قول المشير .

ولما ولي الخلافة اتخذ اللهو شعاراً وشرب الخمر خمرا وخلع العذارى في العذارى  
واشترى عريب المغنية بمائة ألف دينار وجارية بن عمه ابراهيم بن المهدي بعشرين  
ألف دينار وعزل أخاه المؤمن وخلع أخاه المأمون وأرسل إلى السكعبة المعظمة  
من جاءه بصحيفة عهد والده له ولأخويه فمزقها وعهد إلى ولد له رضيع سماه الناطق  
بالحق ودعى له على المنابر ومن نصح الأمين ومنعه عن هذا الغدر والنسك حازم  
ابن خزيمه فقال له يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك  
وإني أنصحك وأصدقك ولا أكذب في نصحك لا تجرى القواد على الخلع فيخاطبك  
ولا تحملهم على نسك العهد فينكثون عهدك وإن الغدر شؤم والناكث منكوب  
مغلوب وصاحب الحق مظلوم وجرت العادة بنصر المظلوم وتوجه القلوب إليه  
ورقت النفوس عليه ولذلك تأثير في الظاهر والباطن فأبى الأمين منه ونبت كلامه  
وعمل برأيه السقيم وصمم أشد تصميم وأرسل جيشا مع علي بن عيسى إلى أخيه

المأمون عدتهم أربعون ألفاً وأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين ومعه أربعة آلاف مقاتل فانهزم على بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء طاهر بن الحسين برأسه إلى المأمون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله فقوى قلب المأمون بذلك وكثر أتباعه ومال الناس إليه فجمع الخلع وسار إلى بغداد لقتال أخيه الأمين ولا زال أمر المأمون يحسن بحسن تديره وامثال الناس إليه ويضعف الأمين في هوه وغفاته ولعبه مع نسائه بحضرتة واحتجابه عن أهل دولته إلى أن هجم طاهر ابن الحسين ودخل إلى بغداد فجاء مسرور الخادم إلى الأمين وهو في جنب حوض مع جواريه يصيد معهن السمك من ذلك الحوض وكان وضع في أنف كل سمكة درة نفيسة شبكها بقضيب الذهب فكل من صادت من جوارية سمكة كانت الدرّة التي في أنفها لصانديتها فرفع الأمين رأسه إلى مسرور فقال له أن طاهر بن الحسين دخل بغسكركه إلى بغداد فقال له دعني فإن الجارية فلانة صادت مشنفتين وأنا ما صدت شيئاً فرجع مسرورا باهتا وإذا بالجند قد أحاطوا بدار الخلافة ونهبوها وأمسك طاهر بن الحسين الأمين وحبسه فلما شاهد الأمين هذا الحال قال لطاهر بن الحسين يا طاهر أعلم أنه ما قام لنا قائم قط فكان جزاؤه عندنا إلا السيف فانظر لنفسك أودع يلوح بأب موسى الخراساني الذن بذلوا أموالهم في قيام الدولة العباسية فكان ما لهم إلى القتل وهذه عادة الله تعالى فيمن ذكر من مقيمى الدول كعمرو بن سعيد أقام دور السفاح فقتله المنصور وكعبد الله القائم بدولة العبيديين قتله عبيد الله المهدي وأمثال ذلك كثير فأثرت هذه الكلمات في قلب طاهر وصار يحذر منها إلى ان كان آخر قتله بيد المأمون

ولما رأى طاهر بن الحسين بعد الاستيلاء على الأمين وحبسه عدم سكون الفتنة ادخل اعاجم لا يعرفون اللسان على الأمين وأمرهم بقتله فقتلوه فأخذ برأسه وطيف به في مدينه بغداد ونودي عليه هذا رأس المخلوع إلى ان سكنت الفتنة وكان ذلك في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

قال محمد بن راشد اخبرني إبراهيم بن المهدي انه كان مع الأمين لما حوصر قال فطلبني في ليلة مقمرة تجتته فقال ما ترى في حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر



فاشرب معي نبيذا فسقاني ثم طلب جارية تغنيه فجاءت جارية إسماها ضعف فتطيرت  
منها وغنت بشعر النابغة الجعدي .

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا وأسير ذنباً منك مزج بالدم

فتطير من ذلك وقال غنى غير هذا فغنت تقول .

أبكى فراقهم عيني فأرقمها ان التفرق للاحباب بكاء

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها لعنك الله أما تعرفين غير هذا فقالت :

أما ورب السكون والحرك أن المنايا كثيرة الشرك

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك

إلا لنقل السلطان عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك

وملك ذى العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومي لعنك الله فقامت فعثرت في كأس بلور فكسرتة فازداد تطيره

فقال يا ابراهيم ما أظن أسرى إلا قد قرب وإذا بصوت سمعناه من الشارع قضى

الأمر الذى فيه تستفتيان فقام مغتما وقت عنه فأخذ بعد ليلتين وقتل تجاوز الله تعالى

عنه وعظم قتل الأمين على المأمون وكان يريد أن يرسل به طاهر ابن الحسين إلى

أخيه حيا ليرى رأيه فيه فحقد ذلك على طاهر حتى عاش طريدا بعيدا وآل أمره

إلى ما آل .

فصل ، لما تم على الأمين ماتم وكان ذلك على أمه زبيدة أعظم مآثم آل الملك

إلى عبدالله المأمون بعد قتل أخيه في سنة ثمان وتسعين ومائة .

وكان من أتم رجال بنى العباس حزما وعزما وعلما وحلما وفراسة وفهما سمع الحديث

على جماعة وتأدب وتفقه وبرع في فنون التاريخ والأدب ولما كبر اعتنى بالفلسفة

وعلوم الأدب فضل وأضل وحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان

يعد من أكمل الخلفاء وكان يضرب المثل بحلمه .

ومن أنصافه أنه رأى آل النبي صلى الله عليه وسلم أحق بالخلافة من غيرهم وهم  
يخلع نفسه وتفويض الأمر إلى علي بن موسى الكاظم وهو الذي لقبه بالرضي وضرب  
الدنانير والدرهم باسمه وزوجه ابنته وأمر بترك السواد ولبس الحضرة وجعله  
ولي عهده في الخلافة فاشتد ذلك على بني العباس وخرجوا عليه وبايعوا إبراهيم بن  
المهدي ولقبوه المبارك فثار المأمون عليه فهرب منه واختفى ثمان سنين ثم جاء إلى  
المأمون في صفر سنة أربع ومائتين .

وتوفي الإمام علي بن موسى الرضي في سنة ثلاث ومائتين وأسف عليه المأمون  
وأراد إقامة غيره فذكر الصولي أن بعض نصائحه قال له انك في برك بأولاد علي بن  
أبي طالب كرم الله وجهه والأمر فيك أقدر على برهم والأمر فيهم وكلم العباسيون  
في إعادة لبس السواد فأبى فكررُوا ذلك عليه إلى أن أجابهم إلى ذلك وأعاد شعار  
السواد وكان كثير الجهاد وهو الذي افتتح قرعة حصار وكان كثير العبادة قيل أنه ختم  
في شهر رمضان ثلاثة وثلاثين ختمة وكان العلماء محوئين في أيامه يجبرهم على القول  
بخلق القرآن فدعوا عليه فأهلكه الله تعالى .

ويقال أن سبب موته أنه اشتهى أكل سمكة تسمى الرعادة أن لمسه أحد أخذته  
النفاضة من ساعته أبردها فأكل منها فمات لوقته وما أمن المأمون من أظفار ريب  
المنون ونقل من الملك إلى الهلك جسمه المصون وواراه التراب عن الأحباب ومالت  
العيون ورجع إلى ربه الكريم وإنا إلى الله راجعون وكان وفاته لاثنتي عشرة ليلة  
بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بأرض الروم ودفن في طرسوس وفيه  
قال أبو سعيد الخزومي .

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون أو عن ملكة المأسوس

خلفوه بعرضتي طرسوس مثل ما خلفوا أباه بطوس

فصل لما مات المأمون ولي بعده الخلافة أبو اسحق محمد المعتصم بن هارون الرشيد

مولده سنة ثمانين ومائة

وكان يقال له الثمن لأنه ثامن الخلفاء وثمان أولاد الرشيد والثامن من ولد

العباس واستخلف سنة ثمان عشرة ومائتين وملك ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وعاش ثمانية وأربعين سنة .

وذكر الصولي قال كان مع المعتصم غلام في الكتاب يتعلم معه القرآن فمات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال نعم ياسيدي واستراح من الكتاب فقال يا ولدي وان الكتاب يبلغ منك هذا المبلغ وقال لمعلمه اتركه لا تعلمه شيئا فانتشأ عاميا يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة وقال نفظويه كان المعتصم من أشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ السيوطي وتلك قوة عظيمة ما وصل إليها أحد .

قال وهو أول من أدخل الأتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الأعاجم وبلغ غلبانه الأتراك ثمانية عشر ألفا .

وبعث إلى سمرقند وفرغانه أموالا لشراء الأتراك وألبسهم أطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل في بغداد ويؤذون الناس فضاقت بهم البلد فشكاهم أهل بغداد إلى المعتصم واجتمعوا على بابه وقالوا أن لم تخرج جندك الأتراك عنا حاربناك قال كيف تحاربوني وأنتم عاجزون عن حربى قالوا نحاربك بسهام الأسحار ونسل عليك سيوف الدعاء فقال والله لا أطيق ذلك ولكن أنظرونى لأنظر لى بلدأ أستقل بهم فيها ولا تتضررون بى وكفوا على سهام دعائكم فبنى مدينة سرمن رأى بقرب بغداد وانتقل إليها فى سنة عشرين ومائتين وللمعتصم عدة غزوات مع الكفار أشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها اليد البيضاء ونصر فيها الملة المحمدية الغراء وخذل فيها الكفرة أعداء الدين وأعز فيها الإسلام والمسلمين .

وملخصها أن ملك الروم كان إذ ذاك من أكبر ملوك النصارى أرسل كتاباً للمعتصم يهدده فاستشاط غضبا فكتب له الجواب فلم يرضه شيء منها ومزق الكتاب الذى ورد عليه وأمر أن يكتب فى ظهر قطعة منها .

بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ماتراه لا ما تقرأه وسيعلم الكافر لمن عقبى المدار وتجهز من ساعته فتمعه المنجمون وقالوا أن الطالع نحس فقال هو نحس عليهم

لا علينا وسافر من يومه وتلاحقت المساكر ووقع حرب عظيم قتل فيه ستون ألفاً من النصارى وأسر منهم ستون ألفاً وهرب ملكهم وتحصن بحصن عمورية فحاصره المعتصم ونزل به إلى أن فتحه وأسر ذلك الملك الكافر وقتله وكان ذلك فتحاً عظيماً من أعظم فتوح الإسلام ومدحه الشعراء بقصائد طنانة وأحسن ما قيل فيها قصيدة أبي تمام التي سارت بها الركبان وطنت حصاتها في الأسباع والأذان وهي :

|                                 |                                 |
|---------------------------------|---------------------------------|
| السيف أصدق أنباء من الكتب       | في حده الحد بين الجد واللعب     |
| بيض الصفائح لا سود الصحائف في   | متونهم جلاء الشك والريب         |
| والعلم في شهب الأرماع لامعة     | بين الخمسين لا في السبعة الشهب  |
| أين الرواية بل أين النجوم وما   | صاغوه من زخرف فيها ومن كذب      |
| ولو تبين أمر قبل موقعه          | ما يخفى ما حل بالأوثان والصاب   |
| فتح تفتح أبواب السماء له        | وتبرز الأرض في أنوابها الثقب    |
| فتح الفتوح المعلى أن يحيط به    | نظم من الشعر أو نثر من الخطب    |
| تدير معتصم بالله منتقم          | لله مرتقب في الله مرتقب         |
| لم يرم قوما ولم ينهض إلى بلد    | ألا تقدمه جيش من الرعب          |
| لو لم يقدر جحفاً يوم ألوغا لغدا | من نفسه وحدها في عسكر لجب       |
| عداك حر الثغور المستضاءة عن     | برد الثغور على سلسالها الخضب    |
| حتى تركت عمود الشرك منعزلاً     | ولم تفرج على الأوتاد والطب      |
| ان الأسود أسود الغاب همتها      | يوم الكريمة في المسلوب لا السلب |
| خليفة الله جازى الله سعيك عن    | جرثومة الدين والإسلام والحسب    |
| ان كان بين صروف الدهر من رحم    | موصولة أو ذمام غير منقضب        |
| فبين أيامك اللاتي نصرت بها      | وبين أيام بدر أقرب النسب        |

أنظر إلى هذا الدر المنضود والجوهر الذي يذرى بجوهر العقود وتنزه في رياض ألفاظه ومعانيه واجتني ثمار البلاغة من مقاطف أزهاره ومجانيه وخذ بالحظ الوافر من ذوق تراكيبه ومبانيه .

وكان المعتصم من أغلظ الخلفاء الذين الزموا الناس بخلق القرآن وجبر علماء

الإسلام على ذلك وأذاتهم الهوان وهذه من أعظم خلاله الردية مع أنه كان عامياً  
لاحظ له من الكجالات العلية بل حمله على ذلك مجرد الجهل والعصية وما كان أغناه  
هو وأخوه عن إلزام العلماء بهذه الجهليات عدواناً وبغياً وما لهم والدخول في هذه  
المسالك الضيقة ضللاً وغياً وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور بهذه الدنيا فما  
أسرع ما ذهبوا وذهب غرورهم وعزم بددا ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم  
ربك أحداً :

ولما جرد عليه الأجل سيف المنون ما عصم المعتصم ظهوراً الحصن ولا بطون  
الحصون ولا منعه عن حسام الحمام مال ولا بنون .

|                             |                         |
|-----------------------------|-------------------------|
| كل حي لاقى الحمام فردى      | مالحي مؤمل من خلود      |
| لا تهاب المنون شيئاً ولا تر | عى على والد ولا مولود   |
| يقدم الدهر في شماريخ رضوى   | ويحط الصخور من هبود     |
| ولقد تنزل الحوادث والآيا    | م وهنا في الصخرة الجلود |
| وأرانا كالزراع يحصدنا الد   | هر فمن بين قائم وحصيد   |
| بجكم الله ما يشاء ويمضى     | ليس حكم الله بالمردود   |
| ليس ينجي من المنون حصون     | عاليات ولا حصار حديد    |

ومن أرجى دعائه لما احتضر اللهم إنك تعلم إنى أخلفك من قبلى لا من قبلك  
وأرجوك من قبلك لا من قبلى فيا من لا يزول ملكه ارحم ملكاً قد زال ملكه .  
وتوفى إلى رحمة الله يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة  
سبع وعشرين ومائتين .

(فصل وولى الخلافة بعد المعتصم أبو جعفر ولقب الواثق بالله) في تاسع  
ربيع الأول سنة ثمان وعشرين ومائتين .

وهولده لعشر بقين سنة ست وتسعين ومائة وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس  
واستخلف تركيا اسمه اشنامس ولقبه بالسلطان وهو أول خليفة استخلف سلطاناً  
وألبسه وشاحين وتاجاً مجوهر أو تبع أباه في القول بخلق القرآن ثم رجع عن ذلك آخر عمره .

قال الخطيب كان أحمد بن داود حاضراً فقال الرجل وهو مكبل بالحديد أخبروني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس إليه هل هو عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس إليه أو لم يعلمه فقال ابن داود بل عليه فقال فكان يسهه أن لا يدع الناس إليه وأنتم لا يسعكم فبهتوا وضحك الواثق وقام قابضاً على فمه ودخل بيته ومد رجليه وهو يقول وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت عنه ونحن لا يسعنا وأمر أن يعطى الرجل ثلاثمائة دينار وإن يرد إلى بلده ولم يمتحن أحد بعدها ومقت ابن داود من يومئذ ولم يرتفع له شأن والرجل هو أبو عبد الله بن محمد الأزدي شيخ الكسائي، وكان الواثق عالماً شاعراً حاذقاً كثير الأكل أكثر بني العباس رواية للشعر ومن شعره في واقعة خال له

حياك بالترجس والورد معتدل القامة والقـد  
فأهبت عيناه نار الجوى وزاد في اللوعة والوجد  
أملت بالملك وصالابه فصار ملكي سبب البعد  
مولى تشكى الظلم من عبده فأنصفوا المولى من العبد  
قال الصولي أجمعوا على انه ليس لأحد من الخلفاء مثل هذه الآيات في  
الرفقة واللفظ .

مات بسر من رأى يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة اثنتين وثلاثين  
ومائتين .

وحكى أنه لما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جردون  
واستل عينيه وأكلها فسيحان العزيز المتعال وتبارك القوى القادر ذو الجلال بيده  
الملك لا يزول ولا يزال .

( ثم ولى بعد أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد  
العباسي ) ، ولد سنة خمس ومائتين وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات أخوه فيه  
وأمه أم ولد تركية اسمها شجاع وكان كريماً ما أعطى خليفة شاعراً ما أعطاه المتوكل  
وكان سدياً منياً أظهر السنة وأكرم علماء الحديث وأما البدع ومنع القول بخلق  
القرآن وألبس النصارى بلبس الغل وشنع على الجهمية والمعتزلة وأمر نائبه بمصر أن

يخلق لحية قاضي مصر ابن أبي الليث ويطوف به الأسواق على حمار لأنه كان جهما معتزليا يقول بالجهة وخلق القرآن .

ومن أفعاله الشنيعة أنه هدم قبر الحسين بن علي رضى الله عنهما في سنة ست وثلاثين ومائتين وهدم ما حوله من الدور وجعله مزرعة ومنع من زيارته فتآلم الناس لذلك وكتبوا شتمه على الحيطان وقيل فيه .

تالله ان كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت بنيتها مظلوما  
فلقد أتاه بنوا أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوما  
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه رميما  
وهذا الفعل السيء محامى محاسنه وصار ماء عذب من زلال إحسانه مغلوبا  
باجاه وآسنه وعدت عليه هذه الزلة أفضح فضيحة وهذه الخلة الشنيعة أقبح من  
كل قبيحة .

ووقعت في أيامه عجائب منها أن النجوم ماجت في السماء وتناثرت كالجراد ولم يعد قط مثل ذلك ورجعت قرية السويداء بناحية مصر بأحجار من السماء فوزن حجر منها فكان عشرة أرطال وسار جبل بالين عليه مزارع إلى جبل آخر ووقع في قرية طائر دون الرخمة فصاح يا معشر الناس اتقوا الله أربعين مرة وجاء من الغد ففعل ذلك فكتبوا خبر ذلك على البريد إلى بغداد وكتبوا فيها شهادة خمسمائة إنسان سمعوا ذلك بأذانهم وذلك في رمضان سنة إحدى وأربعين ومائتين وحصلت الزلازل وغارت عيون مكة فأرسل المتوكل إلى مكة ألف مائة دينار ذهباً لاجراء ماء عين عرفات إليها فصرف فيها إلى أن جرت ذكر ذلك السيوطي رحمه الله .

وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في كتابه اتحاف الوري بأخبار أم المquiry في حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين فيها غارت عين مشاش وهي عين مكة فبلغ ممن القرية درهما فبعث المتوكل على الله جعفر بن المعتصم مالا فأنفق عليها حتى جرت كذا ذكره ابن الأثير في تاريخه وهذه العين من عمل زبيدة وهي عين بازان فلما انتهت .

قلت عين مشاش موجودة إلى الآن وهي من جملة العيون التي تنصب في دبل

عين حنين وهي تجرى وتضعف أحيانا بقلة المطر ومحام معروف .  
ولما كثرت الممالك في بغداد ودخلوا في أمر الملك استولوا على المملكة وصار  
بيدهم الحل والعقد والولاية والعزل إلى أن حملهم الطغيان على العدوان وسطوا على  
الخليفة المتوكل لما أراد أن يصادر مملوك أبيه وصيف التركي لكثرة أمواله وخزائنه  
فتعصب له باغر التركي وانحرف الأتراك عنه فدخل باغر عليه ومعه عشرة أتراك  
وهو في مجلس أنسه وعنده وزير الفتح بن خاقان بعد أن مضى من الليل ثلاث ساعات  
فقال الفتح ويلكم هذا سيدكم وابن سيدكم وهرب كل من كان حوله من الغلمان  
والندماء على وجوههم وبقي الفتح وحده والمتوكل غائب عن نفسه من السكر فضربه  
باغر بالسيف على عاتقه فقدمه إلى خصمه فطرح الفتح نفسه عليه فضرمه باغر ثانية  
فماتا جميعاً فلفهما في بساط هو ومن معه ولم ينتطح في ذلك شاتان ،

وكان قتله في ليلة الأربعاء لليلتين مضتا من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين  
في القصر الجعفرى وكان بناء المتوكل ولما قتل دفن فيه رحمه الله تعالى هو ووزيره  
الفتح بن خاقان رحمهما الله تعالى .

وكانت خلافته أربعة عشر عاما وعمره إحدى وأربعون سنة . ( وولى بعده  
ولده محمد أبو جعفر المنتصر بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هارون  
الرشيد العباسي ) . بويغ له بالخلافة بعد قتل أبيه ولم يتهن بالملك لاستيلاء الممالك  
الأتراك على المملكة ويقال أنه واطأ الأتراك على قتل أبيه ليلى الخلافة بعده والله  
علم بذلك .

وكان على حذر من الأتراك ويسبهم ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء فلم يأمنوه  
وأرادوا قتله فما أمكنهم الأقدام على ذلك لشدة محاذرة منهم فدمسوا إلى طبيبه ابن  
طيفور ثلاثين ألف دينار عند تو عكه ليسمه فقصدته بمبضع مسموم فأحس بذلك  
وأراد قتل الطبيب فقال له انك تصبح طيبا وتندم على قتلى فأمهلى إلى الصبح فأمهله  
فأصبح ميتا .

ويحكى أنه بات ليلة في وعكه فانتبه فزعا وهو يبكي فسألته أمه ما يبكيك فقال  
أفسدت ديني ودنياي رأيت والدى الساعة وهو يقول قتلتني يا محمد لأجل الخلافة



والله لا تتمتع بها إلا أياما قلائل ثم مصيرك النار فاستمر موهوما من هذا المنام فما عاش بعد ذلك إلا أياما قليلة وذكر بن يحيى المنجم أن المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته الملوك ففرش فرأى فيه صورة رأس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فأحضر لذلك رجل من الأعاجم فقرأه بإسنانه وعبس عند قراءتها فسأله المنبصر عنها فقال لا معنى لها فألح عليه فقال أنا الملك شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبي فلم أتمتع بالملك إلا ستة أشهر وهي مشهورة فتغير وجه المنتصر لذلك وأقام من ذلك المجلس وترك اللهو الذي أرادته وصار مغتما مهتما به .

وكان علي خلاف رأى أبيه في آل أبي طالب وأعاد قبر الإمام الحسين بعد ما كان هدمه أبوه وأمر بزيارته ورد على آل الحسين حائط فدك .  
وقصته مشهورة وهي ما تنقمة الشيعة على سيدنا أبي بكر رضى الله عنه وإنما فعل ذلك لحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ووافقته على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولم ينقض ذلك الحكم لما آلت الخلافة إليه لعلمه أن ذلك هو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال وكانت خلافة المنتصر ستة أشهر كما توهمه

قال أبو منصور الثعالبي رحمه الله في العجائب أن الأعرق الأكاسرة في الملك شيرويه قتل أباه فلم يعيش بعده إلا ستة أشهر .  
قلت وكل منهما مات مسموما وكانت وفاة المنتصر بالقصد بمبضع مسموم كما قدمناه لخمس ماضين من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وكان عمره ستا وعشرين سنة .

( ثم تولى بعده أبو العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم بالله عم المقتدر بالله أخو المتوكل على الله ) وإنما قدمه الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لأنهم قتلوه يخافوا أن يلي الخلافة أحد من أولاده فيأخذ بثأر أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله .

ومولده سنة إحدى وعشرين ومائتين وأمه أم ولد تسمى مخارق وما كان له من الخلافة إلا الاسم وكانت المماليك الأتراك مستولين على الملك وكان الأمر جميعه لوصيف التركي وباغر التركي حتى قيل في ذلك:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا  
يقول ما قال له كما يقول البغا

فاستمر كذلك وهو يترصد لهما إلى أن ظفر بوصيف التركي فقتله ونفى باغر التركي الذي كان سلطا في المتوكل وقتل به فتكرت له الأتراك فخرج عنهم من سامرا إلى بغداد فأرسلوا إليه يعتذرون منه ويسألونه في العود إلى سامرا وهو محل الأتراك فامتنع منهم وكان المستعين فاضلا دينيا أخباريا مطلقا على التواريخ متجملا في ملبسه وهو أول من أحدث الأحكام العراض فجعل عرض الحكم ثلاثة أشبار وهو الآن من شعار سادتنا أشرف مكة بنى حسن أعزم الله تعالى ولما أبى المستعين عن العود إلى الأتراك في سامرا قصد الأتراك خلعاه فأتوا إلى الحبس واستخرجوا منه محمدا أبا عبد الله بن المتوكل على الله ولقبوه المعز بالله وبايعوه عمره تسعة عشر عاما ولم يل الخلافة أصغر سنا منه وخلعوا المستعين بالله في أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين وجيشوا إلى بغداد جيشا كثيفا على المستعين بالله وقاتلوه وقتلهم ودام القتال شهرا وكثر القتال وغلت الأسعار وعظم البلاء وتلاشا أمر المستعين بالله إلى أن خلع نفسه وأشهد القضاة والعدول على نفسه بذلك فأخذوه وانحدروا إلى واسط وحبسوه بها تسعة أشهر ثم ندب له سعيد الحاجب فذبحه في الحبس في ثالث شوال سنة اثنين وخمسين ومائتين وله إحدى وثلاثون سنة رحمه الله واستمر المعز بالله خليفة وكان بديع الحسن مليح الصورة وليس في الخلفاء أجمل حسنا منه وكان مستضعفا مع الأتراك وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعز خائفا منه فاجتمع الجند عليه وطلبوا منه أن يركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه فيصفو له الملك ولم يكن في خزائنه مال ليصرفه عليهم وطلب من أمه وكانت تركية اسمها قبيحة لفرط جمالها فأبت عليه وشحت بالمسال وسمحت بولدها وهو خليفة وكان معها مال عظيم

فاتفقوا الأتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن باغر وأتوا إلى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروا برجله فأوقفوه في الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه وأدخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء إلى أن مات عطشا .

وأحضروا أبا عبد الله محمد بن الواثق بالله ولقبوه المهتدي بالله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وله بضع وثلاثون سنة وصادر صالح بن وصيف أم المعتز وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار ذهباً ونصف أردب لؤلؤ ومثله زمرد وثلث أردب ياقوت أحمر ثم أخرجت إلى مكة وأقامت بها إلى أن مات وأقل الناس الترحم عليها حيث ظهر عندها هذا المال وشحت به على ولدها .

وكان المهتدي كثير العبادة ليس له من الأمر شيء وكان قد أطرح الملاحى ومنع الظلمة عن الظلم فاتفق الأتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج إليهم وقاتلهم بنفسه إلى أن مسكوه باليد وعصروا على بطنه إلى أن مات رحمه الله تعالى في رجب سنة ست وخمسين ومائتين وكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً ( وولى الخلافة بعده ابن عمه أبو جعفر أحمد ) وتلقب المعتمد على الله وستأق ترجمته قريباً إن شاء الله تعالى .

## الباب الخامس

### في ذكر الزياتين

اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد تربيعة الذي أمر به المهدي بن المنصور العباسي وشرع فيه فأدر كتبه الوفاة قبل إتمامه وأتم في ولاية الهادي بن المهدي المذكور كما سبق شرح ذلك فيما تقدم ووقع ترميم في الجانب الغربي من المسجد الحرام قبل الزياتين في أيام المعتمد على الله العباسي ثم بنيت الزيادة الكبرى في الجانب الشمالي من المسجد الحرام في أيام المعتضد بالله ثم زيدت الزيادة الصغرى في الجانب الغربي من المسجد الحرام في أيام المقتدر بالله فلنذكر تراجم هذه الخلفاء ولنذكر ما أحدثوه في المسجد الحرام من تجديد وزيادة وترميم على الترتيب إن شاء الله تعالى مع ما نذكر في ضمن ذلك من الفوائد الاستطرادية ترويحاً للنفس وتسيباً لحصول الفوائد والأحسن توفيقاً على أحوال الدهر وتعريفاً بما يحدث من الحوادث في كل عصر لئلا يعتمد العاقل على هذه الدنيا ويعتبر بمن قبله في غدر هذه العجوز العمياء وهذه الفوائد في الحقيقة هي نتائج علم الأخيار ويعتبر المعتمد حال نفسه بحال غيره في هذه الدار فإن من قواعد الحكمة أن أفعال الفاعل متشابهة الآثار والله تعالى هو الفاعل المختار وأن دار الآخرة هي دار القرار .

وقد وجدت محل القول ذاسعة فان وجدت لسانا قاتلا فقل  
لما قتل متغلبة العبيد الأتراك الخليفة المهدي بالله صبوا عمدا إلى الحبس  
وأخرجوا منه ابن عمه جعفر ،

أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن الرشيد العباسي

ولقبوه المعتمد على الله بابهوه على الخلافة في رجب سنة ست وخمسين ومائتين  
مولده سنة تسع وعشرين ومائتين وأمه أم ولد رومية اسمها فتيان وكان له انهماك

على الله والذات فقدم أخاه طلحة بن المتوكل على الله ولقبه الموفق بالله وجعله  
 ولي عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان  
 له ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض إلى الله وولاه المغرب والشام والجزيرة وعقد  
 لها الواثين أبيض وأسود وعقد لها البيعة وشرط على أخيه الموفق أنه إن حدث به  
 الموت وولده صغيرا كان الموفق ولي عهده وإن كان حينئذ ولده كبيرا كان ولده  
 ولي عهده وكتب بذلك معاودة كتب كل منهما خطه عليها وكتب عليها القضاء  
 والعدول خطوطهم وأرسلها إلى مكة فملقت فيها وما أفاد من هذه التدابير حذر  
 من قدر وما وقع إلا ما قدره الله تعالى وكان الموفق عاقلا مدبر شجاعا مشتغلا  
 بأمور المملكة مدبرا ملتفتا لأحوال الرعية وكان أخوه المعتمد مكبا على لهوة  
 ولذاته مهملا لأحوال الرعية غير ملتفت لأمور المملكة فكروه الناس وأحبوا  
 أخاه طلحة الموفق بالله وظهرت منه نجاحات كثيرة .

وكان ميمون منقيب مظفرا في الحروب وكان ظهر في أيام المعتمد على الله  
 طائفة الزنج وتغلبوا على المسلمين وكان لهم رئيس اسمه بهبول يدعى أنه أرسله الله  
 إلى الخلق وادعى علم المغيبات وقتك في المسلمين حيث ذكر الصولى أنه قتل ألف  
 ألف وخمسمائة ألف مسلم وكان يستأسر نساء المسلمين ويبيعهن بأبخس الأثمان وكان  
 ينادى على العلوية والشريفة بدرهمين وكان عند الزنج نساء شريفات يطوهن ويمتهن  
 في الخدمة الشاقة وكان ذلك من أعظم المصائب في الإسلام وتملك هذا الكافر  
 مدنا كثيرة أخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعلها دار ملكته كواسط  
 ورامهرمز وما والاها فاتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع والعساكر من حنكته  
 وقائع الحروب ورسمته قوارع الخطوب قاتخذهم جنانا ويدا ورضى بهم ساعدا  
 أو عضدا وتعصب لعمود الإسلام وأعد السيوف والرماح والسهام وركض بحفله  
 إلى الأعداء الكفرة اللثام إلى أن التفت الفتان على حرمة الحرب وتساقيا كؤوس  
 الطعن والضرب فجعلت السودان من لعان الصارم الأبيض وولو الأدبار للفرار  
 كما يفر الليل الأسود من النهار المبيض وانهمزوا ما بين مقتول ومأسور ومجروح  
 ومكسور غير مجبور إلى أن قتل كبيرهم بهبول ووجوه عسكره المخذول ونصر الله

تعالى ملة الاسلام ومحى بنوره ذلك الظلام واستردت المدن التي أخذها بالكفر والعناد كواسط ورامهرمز وغيرهما من البلاد واطمأنت المسلمون وكافة العباد ( ولقبوه الناصر لدين الله ) وصار له حينئذ لقبان ودخل إلى بغداد في عظمة وعلو شأن ورأس ذلك الكافر على رمع ورؤس كبار عسكره على الأرماع ودعاه المسلمون وقصده الشعراء بالقصائد والامداح فاحبه الناس وبعد صيته وكثر في بابه المداح واستفحل أمره ولاحت له السعادة والفلاح واستمر أخوه المعتمد على حاله منهمكا في لهوة ولذاته وله اسم الخلافة وجميع الأمور يتلقاها الموفق بصدر منشرح ويسد غاية السداد .

وفي أيامه سنة إحدى وسبعين ومائتين وقع وهن في بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربي قبل زيادة باب إبراهيم وكان في نفس الجدار الغربي من المسجد الشريف باب كان يقال له باب الخياطين وكان بقربه دار تسمى دار زبيدة بنت أبي جعفر المنصور فسقطت تلك الدار على سطح المسجد الحرام فانكسرت أخشابه وانهدمت أمطواتان من أساطين المسجد الشريف ومات تحت ذلك عشرة أنفس من خيار الناس وكان عامه بمكة يومئذ هارون بن محمد بن اسحاق وقاضيا يوسف بن يعقوب القاضي .

فلما رفع أمر هذا الهدم إلى بغداد أمر أبو أحمد الموفق بالله عامه على مكة هارون المذكور بعمارة ما تهدم من المسجد الشريف وجهز إليه مالا بسبب ذلك فشرع في عمارته وجدد له سقفا من خشب الساج ونقشه بالألوان المزخرفة وأقام الاسطوانتين الساقطتين وبني عقودهما وركب السقف ونصب في أيام عمارته سرادقا بين العمال والبنائين وبين الناس يستريحون عن أعين من بالمسجد إلى أن أكمل ذلك في سنة اثنين وسبعين ومائتين وركب من الحجر لوحين في جدار المسجد الشريف في ذلك الجانب نقش في لوح الحجر ما صورته .

بسم الله الرحمن الرحيم : أمر الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين أبو أحمد الموفق بالله أخو أمير المؤمنين أطال الله بقاءهما القاضي يوسف بن يعقوب بعمارة المسجد الحرام لما في ذلك من رجاء ثواب الله تعالى أجزل الله ثوابه وأجره وتم

ذلك على يد محمد بن العلاء بن عبد الجبار في سنة اثنين وسبعين ومائتين والحجران  
المذكوران لا وجود لهما الآن بل محاهما الدهر والأزمان وعفا أثرهما القديم الجديان  
كما عفا أثر غيرهما من العمار والبنيان ودار عليهما الدوران ولا يبقى الأثر أيضا  
بعد زمان .

الدهر تفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور  
وفد نقلت صورة تلك الكتابات من تاريخ مكة للإمام أبي عبد الله محمد بن  
اسحاق الفاكهي رحمه الله تعالى .

وكان للموفق بالله ولد نجيب هو أحمد أبو العباس جعله الموفق ولي عهده  
واستعان به في حروبه وأحواله وظهرت به نجابة وقوة فخشي الموفق منه على نفسه  
وعلى أخيه المعتمد لما رأى من شجاعته وبسالته فأودعه بطن الحبس ووكّل به من  
يبقى به في أمره واستمر محبوسا إلى الزمان الذي قدره الله تعالى له .

ثم وقعت الوحشة بين المعتمد على الله وأخيه الموفق بالله المذكور وتباغضت  
قلوبهما وتشاحت الصدور فان الرياسة الدنيوية لا تقبل الاشتراك والغيرة على  
الملك والسلطنة أسرع شيء بوغر صدور الأملاك والانفراد والاستقلال مما يتفانى  
عليه أبناء الدنيا من أصحاب الأملاك .

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها  
فان تجتلبها كنت سلما لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

ولما كان المعتمد على الله مع كونه عاجزا عن أخيه الموفق كان يحسده ويريد  
هضمه لاستيلائه على المملكة ورضى الناس عنه واشتغاله بالفحص عن أحوال  
الرعية عن الملاحى والملاذ فاستعان المعتمد على الله في هضم جانب أخيه بصاحب  
مصر يومئذ أحمد بن طولون وكان ملكا شجاعا فانكا صاحب جيوش وجنود  
كثيرة الأموال والخزائن مستقلا بمملكة مصر يأخذ خراجها وكانت يومئذ عامرة  
أهله كثيرة المحصول لرفقه برعيته وتقويته لهم وعدم ظلمه وجوره عليهم فكان  
يحصل منها أموالا كثيرة جدا بسبب عمارتها وكانت كالروض البهيج في زهرتها

ونضارتها وما كانت خرابا يابا أكثرها مأوى اليوم والصداء ولا تفرق رعبتها من جور ولاتها بدادا عمرها الله تعالى نعدلة سلطاننا الأعظم وخليفة عصرنا الأكرم الأفخم الذي عمر بعمدته البلاد سلطان السلاطين (السلطان مراد) ألهمه الله تعالى العدل والرفق بالعباد ومحق بسيفه الصارم أهل الظلم والفساد وأطال عمره ودولته حتى تلحق الأحفاد بالأجداد فكاتب المعتمد على الله أحمد بن طولون وأمره أن يقاتل أخاه الموفق لينخف أمره عليه بذلك ويهون وجرت بينهما من ذلك شئون واشتغل الموفق بذلك عن أخيه وصار يواليه تارة ويداريه ويباعده تارة ويداليه ومضى على ذلك أيام وانتضى عليه أعوام إلى أن مالت قناة حياة الموفق كل الميل ولزم بطون الفراش بعد متون سوابق الخيل وهي جسده ووهنت قواه ولا صانه حصانه ولا وقاه .

وخانه يده على حملة قلبا من بعد حطم القناني لبة الأسد

فلما اشتد حاله وتحقق عند غلمانته ماله بادروا إلى الحبس وكسروه وأخرجوا منه ولده المعتضد وآووه ونصروه وجاؤا به إلى والده الموفق فلما رآه أيقن بالموت وتحقق وقال له يا ولدي لهذا اليوم خباتك وفروض إليه وأوصاه بعمة المعتمد خيرا وكان ذلك قبل موت الموفق بثلاثة أيام فعظف الموت على الموفق فركب طبقاً عن طبق إلى أطباق الثرى بالعنق ومضى عن الدار الفانية إلى الدار الباقية والتحق وكانت وفاته رحمه الله في سنة ثمان وسبعين ومائتين وشمث في موته أخوه المعتمد وظن أنه استراح من الموفق وما علم أنه عن قليل باخية ملحق وحسب أنه صفاله دهره وما علم أن الصفا يعقبه الكدر وإن الدهر ما صفا لأحد من البشر وإن صروف الدهر تأتي باليمن والعبر وانها لا تبقى ولا تذر فما حال عليه الحول حتى استلب ذلك الطول والحول ولم يكن له خذلان من قوة ولا ناصر ولا طال عمره القصير ولا استطال حوله القاصر ولم يبق للمعتمد عمال ولا اعتماد على الدهر الخون القادر وانتقل من الملك إلى ظهر الهلك ومضى كأن لم يكن شيئاً مذكوراً وكان امر الله قدرا مقدورا .

وكانت وفاته ليلة الاثنين لحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين



وما بين رحمة الله تعالى - وولى الخلافة بعده في تاريخه بن أخيه أبو العباس أحمد المعتضد بالله بين كلمة الموفق به المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي مولده سنة ثلاث وأربعين ومائتين وبويع له بالخلافة بعد عمه المعتضد في تاريخ وفاته المذكور آنفا وأمه أم ولد اسمها صواب وكان ملكا مهيبا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الأسد وحده شديد السياسة إذا غضب على أحد ألقاه في حفيرة وطم عليه التراب وكان أسقط المكوس في أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بني العباس بعدما وهى ووهم وأظهر عزة الملك بعدما تذلل وامتنه يسمى السفاح الثانى حيث جدد كل منهما ملك بنى العباس وفي ذلك يقول ابن الرومى.

هنياء بنى العباس أن أمامكم      أمام الهدى والجود والباس أحمد  
كأبى العباس أنشأ ملككم      كذا أبى العباس أيضا يحدد  
أمام يظل الأمس يشكو فراقه      تأسف ملهوف ويشتاقه غد

وفي ذلك يقول عبد الله بن المعتز أيضا

أما ترى ملك بنى هاشم      عاد عزيزا بعد ما ذللا  
يا طالباً للملك كن مثله      تستوجب الملك وإلا فلا

وكان مع سطوته وبأسه يتوخى المعدلة ويبرز أموراً في صورة الجبروت والعسف وهو فى الباطن محق فيها فيما يفعله وهذا هو الرأى السيدى للحاكم الرشيد لجمعه بين سياسة الدنيا والحق عند الله تعالى .

وقد نقل الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى تاريخ الخلفاء عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد للصيد وأنامعه فر بمقتاة فعاث بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فأحضره وسأله عن سبب صياحه فقال ثلاثة من غلمانك نزلوا المقتاة فأخربوها فأمر عبيده بإحضارهم فضرب أعناقهم ومضى وهو يجادثنى فقال أصدقنى يا عبد الله ما الذى تنكره الناس على من أحوالى فقلت له تسفك الدماء كثيراً فقال ما سفكت دماً حراماً فقلت له بأى ذنب قتلت أحمد بن الطيب فقال أنه دعانى إلى الإلحاد وظهر لى إلحاده فقتلته لنصرة الدين قلت فالثلاثة الذين نزلوا المقتاة الآن

بم استحللت دماءهم ولاى شىء قتلهم فقال والله ما قتلتمهم وإنما أحضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأوهمت الناس أنهم هم الذين نزلوا المقناة فأمرت بضرب أعناقهم ثم أمر صاحب الشرطة بإحضار الثلاثة الذين نزلوا المقناة وأحضرهم بأنفسهم وشاهدتهم ثم أمر بإعادتهم إلى الحبس وهكذا ينبغي لتدبير السياسة وإظهار النصفة وتخويف الجند وإرعابهم .

ومن معدلته أنه كتب إلى الآفاق بإبطال ديوان المواريث والأمر بتوريث ذوى الأرحام وكانو محرمونهم الميراث وكانوا يستولون على مخلفات الناس بالظلم ولا يتصل الوارث بجميع حقه من الإرث بل يؤخذ كثير من عين حقه بأنواع التعللات وكان يحصل على الرعية ظلم كثير بسبب ذلك وبعض الظلم باق إلى الآن يسر الله إزالته على يد سلطاننا ووفقه الله تعالى لأحياء المكارم وإسداء المحارم وأعاناه على إبطال المظالم .

ولما أمر المعتضد بإبطال ديوان المواريث فى سائر مملكته فرح الناس بذلك وأحبوه ودعوا له بدوام دولته وصار له بذلك صيت عظيم وأمر جميل عند الله الكريم ولعله هو الذى نفعه فى يوم آخرته وأدخله الله جنات النعيم .

وكان من قضائه القاضى أبو خارم بالخاء المعجمة والراء وهو من أكابر العلماء أهل الدين والتقوى فكان من بعض تصلباته فى الدين شخصا انكسر عليه مال كثير للناس وثبت ذلك عليه عند القاضى المذكور فأمر بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاصة وقد انكسر على ذلك المديون مال للخليفة المعتضد أيضا فأرسل المعتضد القاضى أبو خارم يقول أشركنى مع غرماء هذا المديون بالمحاصة فان لى أيضا مالا فى ذمته فاجعلى كأحد غرمائه فقال أبو خارم أنى لا أحكم لمدع بدون بينة عادلة فأرسل وكيلا وبينه أرضاها لتكون بأسوة غرماء هذا المديون فأحكم لكن بعد سماع الدعوى والبينة والزكية سرا وجهرا فأمر المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضى وكانوا من أكابر أمرائه فما حضر أحد منهم إلى القاضى خوفا من رد شهادتهم ولم يحكم القاضى للمعتضد أن يكون من غرماء ذلك المديون فأعجب المعتضد ديانة القاضى وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وعدم ميله إليه وما أحوج زماننا هذا إلى قاض

مثل هذا خصوصا في أطراف البلاد يقول الحق ويثبت ولا يميل إلى خواطر العباد  
وكان المعتضد ينظم شعرا حسنا ومن نظمه مارثى به جاريتة دائرة .

|                   |                   |
|-------------------|-------------------|
| يا جيبيا لم يسكد  | يفدله عندي حبيب   |
| أنت عن عيني بعيد  | ومن القلب القريب  |
| ليس لي بعدك في    | شيء من اللهو نصيب |
| لك من قلبي على    | قلبي وأن غبت رقيب |
| لو تراني كيف حالي | فرط عول ونحيب     |
| وفؤادي حشوه من    | حرق القلب لهيب    |
| لتيقنت بأني       | فيك محزون كئيب    |

وقال لما احتضر عفا الله عنه

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| تمتع من الدنيا فانك لا تبقى  | وخذ صفوها لما صفت ودع الرنقا   |
| ولا تأمن الدهر إنى متته      | فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا |
| قتلت صنديد الرجال ولم يدع    | عدوا ولم أمهل على جسد خلقا     |
| وأخليت دور الملك عن كل نازل  | وفرقتهم غربا ومزقتهم شرفا      |
| فلما بلغت النجم عزا ورفعة    | ودانت رقاب الخلق أجمع لي رقا   |
| رمانى الردى سمهما فأخذ جمرتي | فها أنا ذا في حفرتي عاجلا ملقى |
| وأفسدت دنياى ودينى سفاهة     | فمن ذا الذى منى بمصرعه اشقى    |
| فيا ليت شعري بعد موتى ما أرى | إلى رحمة الله أم نارة ألقى     |

ومما وقع في أيام المعتضد من عمارة المسجد الحرام من الجانب الشامي زيادة  
دار الندوة وأدخلها في المسجد الشريف من الجانب الشامي بلصقه إلى رواق الجانب  
المذكور وهذا المحل يسمى دار الندوة وهي كانت في زمن الجاهلية دار يجتمع صنديد  
قريش فيها عند نزول حادث بهم للاستشارة في دفع ذلك الحادث عنهم بالاتفاق  
على رأى يجمعون على كونه صوابا فيأتون به بعد ذلك وكانت الندوة مما تتفاخر به  
قريش في الجاهلية وكان قد اجتمع في قصي بن كلاب الرقادة والسقاية والسدانة  
والندوة واللواء ففرقها في أولاده .

ولما ظهر شأن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به كثير من قريش من الأنصار

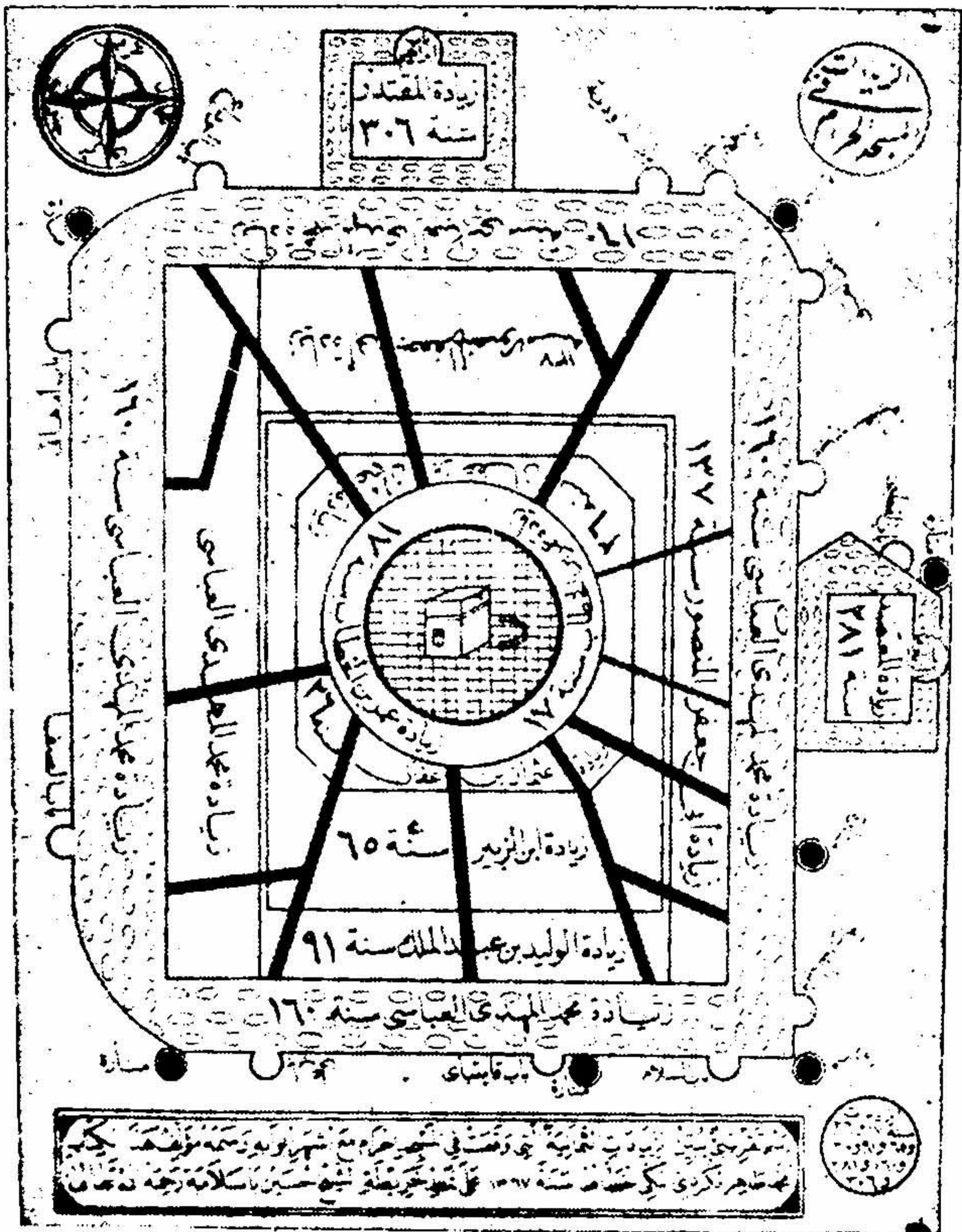
خاف منه كفار قريش واجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في قتله صلى الله عليه وسلم فظهر لهم إبليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي واختار لهم من الرأي ما اختاره فنجاه الله تعالى من كيد المشركين وأذن له في الهجرة كما هو مذكور في كتب السيرة .

وذكر الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وليست الزيادة هي عين دار الندوة بل محلها في تلك الأماكن لا على التعيين من خلف مقام الحنفي الآن إلى آخر هذه الزيادة .

وكانت دار الندوة بعد ظهور الاسلام وكثرة بناء الدور بمكة دار واسعة ينزل بها الخلفاء إذا وردوا مكة ويخرجون منها إلى المسجد الحرام للطواف والصلاة وكان له فناء واسع صار سباحه ترمى فيه القمام فإذا حصلت الأمطار الغزيرة سال من الجبال التي في يسار الكعبة مثل جبل قيعان وما حوله من الجبال سيول عظيمة إلى ذلك الفناء وجملت أوساخه وقائه إلى دار الندوة وإلى المسجد الحرام واحتيج إلى تنظيف ذلك الأوساخ والقمام من المسجد الشريف كلما سالت سيول هذا الجانب الشمالي وصار ضررا على المسجد الحرام .

فكتب قاضي مكة من قبل المعتضد العباسي القاضي محمد بن عبد الله المقدمي وأمير مكة يومئذ من قبله أيضا عجب بن حاج مولى المعتضد المذكور مكاتبات إلى وزير المعتضد يومئذ وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب يتضمن أن دار الندوة قد عظم خرابها وتهدمت وكثيرا ما يلقى فيها القمام حتى صارت ضررا على المسجد الحرام وجيرانه وإذا جاء المطر سالت السيول من بابها إلى بطن المسجد وحملت تلك القمام إلى المسجد الحرام وإنها لو أخرج ما فيها من القمام وهدمت وبنيت مسجد يوصل بالمسجد الحرام يصل الناس فيها ويتسع الحجاج بها لكانت مكرمة لم يتها لأحد غير الخلفاء بعد المهدي والهادي ومنقبة باقية وشرفا وأجرا باقيا على

طول الزمان وإن بالمسجد خرابا كثيرا وإن سقفه يسيل منه الماء إذا جاء المطر وإن مكة قد انكسرت بالأتربة فعملت الأرض عما كانت وصارت السيول تدخل من الجانب اليماني أيضا إلى المسجد الحرام ولا بد من قطع تلك الأراضي وتمهيدها وتنزيهاها إلى حد تر فيها السيول منحدره عن الدخول إلى المسجد الحرام ووصل أيضا إلى بغداد سدنة الكعبة ورفعوا أمرهم إلى ديوان الخلافة إن وجه جدران الكعبة من باطنها قد تشعث وإن الرخام المفروش في أرضها قد تكسر وإن عضادتي باب الكعبة كانتا من ذهب فوَقعت فتنة بمكة في سنة إحدى وخمسين ومائتين بخروج بعض العلويين فقلع عامل مكة يومئذ على عضادتي باب الكعبة من الذهب وضربه دنائير واستعان به على حرب العلوي الذي خرج عليه يومئذ وصاروا يسترون العضادتين بالديباج ووقعت بعدها أيضا فتنة بمكة في سنة ثمان وستين ومائتين فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من الذهب الذي كان مصفحا على باب الكعبة ومن أسفله وما على أنف الباب الشريف من الذهب وضربه دنائير واستعان به على دفع تلك الفتنة وجعل بدل الذهب فضة موهة على الباب الشريف وعلى أنف الباب المنيف فاذا تمسح الحجاج به أيام الحج تبركا بذلك المكان الشريف ذهب صبغ الذهب وانكشفت الفضة فيجدد تمويهها كل سنة والمناسب إعادة ذلك ذهبا صرفا كما كان وإن رخام الحجر الشريف قد تكسر ويحتاج إلى التجديد وإن بلاط المطاف حول الكعبة الشريف لم يكن تاما ويحتاج أن يتمم من جوانبها كلها وإن ذلك من أعظم القربات وأكرم المثوبات وقد رفع إلى الديوان العزيز المبادرة إلى انتهاز ذلك والأمر راجع إلى دار الخلافة الشريفة والسلام فلما أشرف على هذه المكاتبات كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب الكاتب وكان من أهل الخير له قدم راسخ في قصد الجميل وفعل الحسنات ونية جميلة في إحراز الأجر والمثوبات بادر إلى عرض ذلك على اسماع الخليفة المعتضد وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة إليها وبذل المقدور فيه فبرز أمر المقندر إليه وإلى غلامه المؤمر بالحضرة بعمل ما رفع إليه من ترميم الكعبة الشريفة والحجر والمطاف والمسجد الحرام وأن تهدم دار الندوة وتجعل مسجد يالحق بالمسجد الحرام وتوصل



انظر في صحيفة ٨٨ من كتابنا مقام ابراهيم عليه السلام نجد فيها تفصيلاً تاماً عن الزيارات التي حصلت في المسجد الحرام وإليك خريطة رسمنا فيها جميع الزيارات بوضوح تام.

به (١) وان يحفر الوادى والمسيل والمسعى وما حول المسجد الحرام ويعمق حفرها إلى أن يعود إلى حاله الأولى ويجرى ماء السيل فيه ولا يدخل شيء منه إلى المسجد الحرام فينصان المسجد بذلك عن دخول السيول إليه وأن يحكم ذلك غاية الأحكام ويعمر ما تجب عمارته على وجه الاتقان والاستحكام وأمر أن يحمل من خزائنه ما لا عظمها لهذا العمل وأمر قاضى بغداد يومئذ وهو القاضى يوسف بن يعقوب أن يرتب ذلك ويجهز لعماله من يعتمد عليه وأمر بحمل المال إليه لجهز بعضه نقداً في أيام الحج مع ولده أبى بكر عبد الله بن يوسف وكان مقدما على حوائج دار الخلافة ومصالح طريق الحج وعمارته وأرسل بياقى المال سفائحاً سلمها إلى ولده المذكور ليسلمها بمن كذب اسمه في تلك السفائح وعين معه هذه الخدمة رجلاً يقال له أبو الهياج عميرة بن حسان الأمدى له أمانة وحسن رأى ونية جميلة وسيرة حسنة فوصل إلى مكة في موسم حج سنة احدى وثمانين ومائتين فحلى بالذهب الخالص باب الكعبة الشريفة وحج وتخلف بعد الحج بمكة أبو الهياج المذكور ومن معه من العمال والأعران وعاد عبد الله بن القاضى يوسف مع الحجاج إلى بغداد ليرسل إليه ما يحتاج إليه من بغداد لتكميل ما أمر من العمارة المذكورة فشرع أبو الهياج في حفر الوادى وما حول المسجد الحرام فحفره حفراً جيداً حتى ظهر من درج المسجد الحرام الشارعة على الوادى اثنا عشر درجة وإنما كان الظاهر منها خمس درجات فحفرت الأرض ورمت بترابها خارج مكة ونظفت دار الندوة من القمام والأتربة وهدمت وحفر أساسها وجعلت مسجداً وأدخل فيها من أبواب المسجد الكبير ستة أبواب كبار سعة كل باب خمسة أذرع وارتفاع كل باب من الأرض إلى جهة الشمال أحد عشر ذراعاً وجعل بين الأنواب الكبير ستة أبواب صغار وارتفاع كل باب ثمانية أذرع وسعة كل باب ذراعان ونصف وجعل في هذه الزيادة بابان

(١) لقد قمنا بتحقيق دقيق في بيان موضع دار الندوة فظهر لنا أن مكانها في رحبة باب الزيادة كما يفهم ذلك صريحاً من سياق هذا التاريخ وقد نشرنا ذلك في مجلة المنهل الفراء التي تصدر بمكة المكرمة .

بطاق شارعين إلى الخارج في جانبها الشمالي وباب بطاق واحد في جانبها الغربي وأقيمت أروقتها وسقفها من جوانبها الأربعة وركبت سقفها على أساطينها وسويت بخشب الساج وجعل لها منارة وفرع من عمارتها في ثلاث سنين ولعل كما لها في سنة أربع وثمانين ومائتين إلا أنها ما استمرت على هذه الهيئة بل غيرت بعد قليل إلى وضع أحسن منه بعد المعتضد المذكور .

قال محمد بن اسحاق الفاكهي في تاريخ مكة إن أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي ذكر في تعليق له إن قاضي مكة محمد بن موسى القاضي لما كان إليه أمر البلد جدد بناء زيادة دار الندوة وغير الطاقات التي كانت فتحت في جدار المسجد الكبير وجعلها متساوية واسعة بحيث صار كل من في زيادة الندوة من مصل ومعتكف وجالس يمكنه مشاهدة البيت الشريف وجعل أساطينها حجرا مدورا منحوتا وركب عليها سقوفا من الخشب الساج منقوشا من خرفا وعقود مبنية بالآجر والجص ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولا أحسن من أول وجدد شرافاتها وبيضا وأنه عمل ذلك في سنة (١) وثلاثمائة انتهى .

ولقد كان ابتداء عمارة هذه الزيادة عظيمة ومنقبة كريمة أنى بها المعتضد بالله وأثرا باقيا على صفحات هذا الدهر ما فاز بها سواه وفعل لا يزال يذكر وصاحبه يمدح بالسنة الخلق ويشكر وقد بلى عظامه تحت التراب الأغر قامات من يذكر بالجمل بعد أن يقبر وما عاش من عاش بالسوء حين يذكر

ما عاش مذموما خصائله ولم يمت من يكن بالخير مذكورا

واستمرت ذلك الأساطين المنحوتة من الأحجار السود عليها أسف الساج المزخرف المنضود مشيدة باقية إلى أن أدركناها في عصرنا .

ثم بدأت بأساطين منحوتة من الشيسى الأصفر بعقود محكمة أزين من عقود الجواهر وجعل عرض السقف الذي يبلى خشبه كل حين قيام رفوعة نزهة للناظرين

(١) الصواب سنة ست وثلاثمائة كما ذكره العلامة ابن ظهيرة القرشي في كتابه الجامع اللطيف :



في غاية الاتقان والتزيين في زمان سلطان سلاطين الزمان السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان بن عثمان خلد الله تعالى سلطانه وأفاض على العالمين بره وإحسانه .

( رجعنا إلى ما كنا فيه ) من أخبار المعتضد العباسي وما وقع له من الناس الذي ليس من أمتي .

ولما أن عضد المعتضد عضد الموت العاضد وقطع عرق حياته مباضع الزمان الحاسد وما حتمه عن الحمام قوته ولا منعة عن منعته ولا هيبة فأنزلته يد المنايا من سرير الخلافة والملك وأركبته سرير الحدباء إلى شفير الفناء والهلك ودفنه في تربة عمله الصالح وسقف ثراه بمطالب من ثنائه الفائح

( ومن أغرب ما حكاه ) المسعودي عن المعتضد في وفاته أنه اعتل من إفراطه في كثرة الجماع وطالت علته وغشى عليه فشك من حوله في موته وكان لا يجسر عليه أحد لشدة هيبة فتقدم إليه الطبيب يخبره بحس نبضه ففتح عينه وفطن لذلك فرفس الطبيب برجله رفسة فدحاه أذرا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته . وكان وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخالف من الأولاد ذكورا وإحدى عشر بنتا وكانت مدة ملكه تسع سنين وتسعة أشهر ونصف رحمه الله .

( فصل ) لما اشتد مرض المعتضد جعل ولي عهده من بعده ولده أبا محمد ولقبه المكتفي بالله وأخذ له البيعة قبل موته بثلاثة أيام فلما توفي المعتضد إلى رحمة الله كان المكتفي غائبا بالرقعة فنهض بالبيعة له الوزير أبو الحسين القاسم بن عبد الله وكتب إليه فوصل إلى بغداد من الرقة في سابع جمادى الأولى وكان يوم وصوله يوما مشهودا زينت له بغداد ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور تسع خلع عظيمه ومدحه الشعراء . وأنعم عليهم بالجوائز السنية .

وكان مولده في غرة ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين وأمه أم ولد تركية اسمها جيغل وكان مليح الصورة يضرب بحسنه المثل وفيه قال القائل يصف الدنيا .

ميزت بين جاهلها وفعالها فإذا الملاحاة بالقباحة لاتفي  
 والله لا اختارها ولو أنها كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي  
 وكانت سيرته حسنة وأفعاله حميدة فأحبه الناس وفرحوا بخلافته ودخوله وذكر  
 عبد الغافر في تاريخ نيسابور عن ابن أبي الدنيا وكان معلماً للمكتفي قبل أن يلي  
 الخلافة قال فلما أفضت الخلافة إلى المكتفي كتبت إليه هذين البيتين يقول  
 أن حق التأديب حق الأبوه عند أهل الحجى والمروءة  
 وأحق الرجال أن يحفظوا إذا كويرعوه أهل بيت النبوه  
 انتهى :

ومن أعظم الحوادث في أيامه ظهور القرامطة الملحدين بل الكفرة المفسدين  
 أعداء الدين فأول من خرج منهم يحيى بن مبرويه القرمطى ومحل خروجهم ودار  
 ملكهم هجروهم إباحية يستحلون دماء الحجاج والمسلمين يدعون أن الإمام الحق  
 بعد النبي صلى عليه وسلم محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وينتسبون  
 إليه بالباطل ويسندون إليه أقاويل باطلة لا أصل لها ويكفرون من عداهم وهم  
 الكفرة قاتلهم الله تعالى (ولما ظهر بالخروج يحيى المذكور) جهز إليه المكتفي بالله  
 جيوشاً واستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة إلى أن قتل وسبق إلى جهنم  
 وبئس المصير .

فقام بعده أخوه الحسين وأظهر شأنه بوجهه الأسود زعم أنها آيته وظهر  
 ابن عمه عيسى بن مبرويه وتلقب بالمدثر وزعم أنه المراد بالسورة الشريفة القرآنية  
 ولقب غلاماً مظلماً بالمطور بالنون وتسمى أمير المؤمنين وزعم أنه المهدي ودعا  
 لنفسه على المنابر وأفسد بالشام وعاث فيها فخرّبوا وقتل الثلاثة وحزت رؤسهم  
 وطيف بها في البلاد في سنة إحدى وتسعين .

وخلف من بعدهم خلف ظهر منهم مفسد سيأتي ذكرها استطراداً وتعب  
 المسلمون كثيراً في أمرهم إلى أن خذلهم الله تعالى ولم يطل زمان المكتفي .  
 وكانت مدة ملكه ستة أعوام ونصف ولما مرض مرض الموت وتيقن بالفناء

والفوت سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر بن المعتضد فقيل أنه احتلم وصح عند ذلك ( فجعله ولي عهده ولقبه المقتدر بالله ) وبويع له على أن يكون الخليفة بعده قال الصولي سمعت المكتفي يقول في علمته التي مات فيها والله ما أسقى إلا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من بيت مال المسلمين في أبنية وعمارات لا احتاج إليه وذكروا أبو منصور الثعالبي قال حكى إبراهيم بن نوح أن الذي خلفه المكتفي مما جمعه هو وأبوه لا غير مائة ألف دينار مابين عين وأمتعة وأواني وعقارات وكان من جملة لأمتعة ثلاث وسبعون ألف ثوب ديباج فسبحان من بيده خزائن السموات والأرض له الملك وإليه ترجعون ولما جاءه الأجل المحتوم المقتدر وتلى لسان حاله أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر انقصف غصن شبابه القشيب ويبس عود جماله النضير الرطيب وصار بدر كماله مخسوفاً وعاد محياه المشرق بالجمال مكسوفاً فانتقل من دار الفنا إلى دار البقا في ليلة الأحد لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر القعدة الحرام سنة خمس وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى وخلف ثمانية أولاد ذكور وثمانى بنات.

• وولي بعده أخوه أبو محمد علي المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن الموفق بالله ابن المتوكل على الله بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسي ، بايعه الناس وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر من ذكره الجلال السيوطي وأمه أم ولد تسمى شعب وولي الخلافة ثلاث مرات هذه الأولى منها ولم يتم له فيها أمر لصغر سنه فتغلب الجند عليه واتفقوا على خلعهم فخلعوه .

وعقدوا البيعة لأبي العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد . ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين واستمر خليفة ساعة من ذلك النهار .

وعبد الله بن المعتز لقصر خلافته لا ينبغي عده من الخلفاء ولكن تذكره لفضله وأدبه وهو أشعر بنى العباس بل أشعر بنى هاشم على الإطلاق وأكثرهم فضلاً وأدباً ودخولاً ومعرفة بعلم الموسيقى وأشعر الشعراء مطلقاً في التشبيهات المبتكرة الغريبة المخترعة المرقصة التي لا يشق غباره فيها أحد .  
مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين .

قال المعاني بن زكريا لما بويغ ابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العام الكبير المفسر المحدث المؤرخ رحمه الله تعالى فقال لي ما الخبر قلت بويغ بالخلافة لعبدالله بن المعتز قال فمن مرشح لوزارته فقلت محمد بن داود قال فمن قاضية قلت أبو المثنى فأطرق قليلا ثم قال هذا أمر لا يتم فقلت ولم لا يتم فقال كل من ذكرت ذو شأن عظيم متقدم في فضله وعلوه وعقله وان الدنيا توليه والزمان مدبر ولا مناسبة لأحد من ذكرت اسمه برياسة في مثل هذا الزمان وما أرى هذا العقد إلا آيلا إلى الانحلال والاضمحلال فقدر الله تعالى أنهم خلعوه في ذلك اليوم وتلاشى أمره فإن عبد الله بن المعتز لما عقدت له البيعة والخلافة أرسل إلى المقتدر بأمره يا إخلاء دار الخلافة وأن يذهب إلى دار محمد بن طاهر لينظر في أمره .

فلما جاء الرسول إلى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له جواب عندي غير السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلون للقتل في غاية الخوف والرعب هجموا على عبدالله بن المعتز وعلى بعض الأمراء والفقهاء وسلمهم إلى يونس الخازن وقتل منهم من أراد وحبس عبدالله بن المعتز وأخرج من الحبس ميتا واستقام الأمر للمقتدر وهذه ولايته الثانية فسار أحس سيرة واستقام أمره بعد الاضمحلال وطلعت شمس سعاده بعيد الزوال ولاح بدر فلاحه من أوج الكمال والعزة لله الكبير المتعال وحيث انجر الكلام إلى ذكر عبد الله بن المعتز فلا بأس بتعميق هذه العجالة وترويق هذه الوسالة ببعض أشعاره المستظرفة ليعلم البلغاء مرتبته في البلاغة واقتداره على الكلام فنورد قصيدته في الحماسة التي فاخر بها آل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخفى على أن الأقدام على مثل ذلك يدل على قوة الطبع فان الادعاء لهذا القطب العالي من أمثاله عجوج في الاسماع منفور عن الطباع فاذا أبرزه مع ذلك في قالب مطبوع دل ذلك على قوة طبع الشاعر كما قال شاعر عصره الأديب المفوه بن الرومي :

في زخرف القول تزيين لباطله      والحق قد يعتريه سوء تغير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه      وان تعب قلت ذاق الزناير

وهذه منتخب تلك القصيدة التي فاخر فيها بين قومه بني العباس وآل أبي طالب

رضي الله عنهم في الخلافة وما انصف فيما ادعاه ولكنه أتى بشعر بليغ معناه فقال :

الامن لعيني وتسكابها  
 ترامت بنا حادثات الزمان  
 ويارب أسنة كالسيوف  
 وكم دهي المرء من نفسه  
 وإن فرصة أمكنت في العدو  
 فان لم تلج بابها مسرعا  
 وما نافع ندم بعدها  
 وما ينتقص من سباب الرجال  
 نيت بني رحي ناصحا  
 وقد ركبو ابعيهم وارتقوا  
 وراموا فرائس أسد الشرى  
 دعوا الأسد فرس ثم اشبعوا  
 قتلنا أمية في دارها  
 ولما أبى الله أن تملكوا  
 ونحن ورثنا ثياب النبي  
 لكم رحم يا بني بنته  
 فهلا بنو عمنا انها  
 وكانت تزلزل في العالمين  
 وأقسم بأنكم تعلمون

فرد عليه شاعر زمانه وبلغ أوانه الصفى الحلبي بقوله :

الأقل لشر عبيد الاله  
 أنت تفخر آل النبي  
 بكم يا اهل المصطفى أم بهم  
 أعنكم نفى الرجس أم عنهم  
 أما الشرب واللغو من دأبكم  
 هم الصائمون هم القائمون  
 هم الزاهدون هم العابدون  
 هم قطب ملة دين الاله

وتطاعى قريش وكذا بها  
 وتجحدها حق أسبابها  
 ترد العداة بأوصابها  
 لطهر النفوس وألبابها  
 وفرط العبادة من دأبها  
 هم العالمون بأدابها  
 هم الساجدون بمحرابها  
 وأهل الرحي بأقطابها

تقول ورثنا ثياب النبي  
وعندك لا تورث الأنيدي  
أبوهم وصي نبي الالـ  
أجدك يرضى بما قلته  
وكان بصفين من حربهم  
وصلى مع الناس طول الحية  
فهلا تقمصها جدكم  
وإذ جعل الأمر شورى لهم  
وقولك أتم بنو بنته  
بنوا البت أيضا بنو عمه  
وقلت بانكم القاتلون  
كذبت ولولا أبو مسلم  
وقد كان عيدا لهم لالكم  
وكنتم أسارى بطون الجبوس  
فأخرجكم منها وجباكم بها  
فجـاز يتموه بشر الجزا  
فدع في الخلافة فضل الخ  
وما أنت والفحص عن شأنها  
وما ساومتك سوى ساعة  
ودع ذكر قوم رضوا بالكفة  
عليك بلهوك بالفائيات  
ووصف العذار وذات الخ  
فذلك شأنك لاشأنهم  
ووجرى الجياد بأحسابها

ومن السحر الحلال الذي عقده في اللال ورقمه بقلم البلاغة على صفحات الأيام  
والليالي هذا الموشح الذي يصلح وشاحا للجوزاء واكليلا على التاج المحلى بنجوم  
الثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بالسنة الزمان بقوله :

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

ونديم همت في غرته

ويشرب الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق إليه وانكى وسقاني أربعا في أربع

ما لعيني عشيت بالنظر

أنكرت بعدك ضوء القمر

وإذا ما شئت فاسمع خبري

عشيت عيناى من فرط البكا وبكى بعضى على بعضى معى

غصن بان مال من حيث التوى

مات من يهواه من فرط الجوى

خفق الأحشاء موهون القوى

كلما فكر في البين بكى ويحه يبكى لما لم يقع

ليس لي صبر ولا لي جلد

يا لقومى عدلوا واجتهدوا

أنكروا شكواى بما أجد

مثل حالى حقها أن تشتكى طمع اليأس ودل الطمع

كبدى حرا ودمعى يكف

يذرف الدمع ولا يعترف

أيها المعرض عما أصف

قد نمتى حبي بقلبي وركا لا تقل في الحب إلى مدعى

ومن تشبهاه الرائقه وأشعاره الفاتقة قوله :

ومقرطق يسعى إلى الندماء بعقيقة في درة بيضاء

والبدر في أفق السماء كدرهم ملقى على ياقوته زرقاء

(وله مثلث وهو معن بديع)

خليلي طاب الراح من بعد طبخها وقد عدت بعد الكسر والعود أحمد  
 فإتانا عقارا من قيص زجاجة كياقوتة في درة تتوقد  
 يصوغ علينا الماء شباك فضة لها خلق بيض تحل وتعقد  
 وقتي من نار الجحيم بنفسها وذلك من إحسانها ليس يجحد  
 وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاهات الاخوان وكتاب  
 الصيد والجوارح وكتاب السرقات الشعرية وكتاب أشعار الملوك وكتاب طبقات  
 الشعراء وديوان شعر وغير ذلك .

ومن كلامه في البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم نطل سفر الكلام وأشعاره البليغة  
 وتشبيهاته الغريبة كثيرة لا تطول بها هذه العجالة .

ولما تقرر أمر المقتدر في التمكن والاقنطار واستقرت خلافته أتم استقرار  
 استوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات فسار أحسن سيرة واستقر في الخلافة  
 إلى سنة سبع عشرة وثلثمائة فخرج يونس الخادم على المقتدر فركب وركب معه  
 الجيش والأمراء وجاءوا إلى دار الخلافة فهرب خواص المقتدر من داره ونهبوا  
 دار الخلافة فكان مما نهب ستمائة ألف دينار لام المقتدر فاشهد على نفسه بالخلع لاربع  
 عشر ليلة خلت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة

وأحضر أبو منصور محمد بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد  
 وبإيعه يونس والأمراء ولقبوه القاهر بالله وفوضت الوزارة إلى الوزير أبي علي  
 ابن مقلة الكاتب المشهور وجلس القاهر يوم السبت وكتب الوزير بن مقلة إلى  
 سائر البلاد وعمل يوم الاثنين الديوان في العسكر يطلبون منه إنعام الجلوس فارتفعت  
 الأصوات فمنعهم الحاجب ومالوا إلى دار يونس وأخرجوا المقتدر من الحبس  
 وحملوه على أعناقهم إلى دار الخلافة فجلس على السرير وأتوا بأخيه محمد القاهر إليه  
 وهو مقهور يبكي ويقول الله الله يا أخي في روعي فاستدناه المقتدر وقبل بين عيني  
 أخيه وقال له يا أخي لا ذنب لك وأنت مغلوب على أمرك والله لا ينالك مني مكروه  
 فطب نفسا وقر عينا ولما زال روعه أوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتس



بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الأموال للجنود واسترضاهم وثبتت له الخلافة وهذه ثالث مرة والثالثة ثابتة .

فصل : من جملة محاسن المقتدر بالله أنه زاد في المسجد الحرام زيادة باب إبراهيم وليس المراد به الخليل عليه السلام وعلى نبينا وسائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه بل كان إبراهيم هذا خياطاً يجلس عند هذا الباب عمردهراف عرف به وكان قبل هذه الزيادة باب متصل بأروقة المسجد الحرام بقرب باب الجزيرة ويقال له باب الخياطين وبقربه باب ثان يقال له باب بنى جمع وخارج هذين البابين مساحة بين دارين لزبيدة أم الأمين بنتها في سنة ثمان ومائتين وما بقي لتلك الدارين أثر الآن والذي يظهر أن دار زبيدة كانت إحدهما في الجانب الشامي في مكان رباط الحوذى الآن وكانت الأخرى تقابلها من الجانب اليماني من تلك الزيادة وهي رباط رامشت الذي يعرف الآن برباط ناظر الخاص فدخلت هذه المساحة التي بين الدارين في المسجد الحرام وأبطل البابين يعني باب الخياطين وباب بنى جمع بحيث دخل في المسجد الحرام وجعل عرض البابين باب إبراهيم باب كبير هو المسمى بباب إبراهيم في غربي هذه الزيادة .

( قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد رحمه الله تعالى ) في حوادث سنة ست وثلثمائة من كتاب اتحاف الوري بأخبار أم القرى فيها زاد قاضي مكة يومئذ محمد ابن موسى في الجانب الغربي قطعة عند باب الخياطين وباب بنى جمع وهي السوح الذي كان بين داري زبيدة أم الأمين وعمل ذلك مسجد أوصله بالمسجد الكبير وطول هذه الزيادة من الأساطين التي في وزان جدار المسجد الكبير إلى القبة التي عليها باب إبراهيم سبعة وخمسون ذراعاً إلا سدس ذراع وعرض هذه الزيادة من جانبها الشامي إلى جانبها اليماني وذلك من جدار رباط الحوذى إلى جدار رباط رامشت اثنان وخمسون ذراعاً وربع ذراع وفي هذه الزيادة في جانبها الشرقي المتصل بالمسجد الكبير صفان من الرواق على أساطين منحوتة من الحجارة وكذلك في جانبها الشمالي ولم يكن في جانبها الغربي رواق في جانبها الشمالي بسبيل وسط رواقه وكانت بهذه الزيادة منارة ذكرها التقى الفاسي في شفاء الغرام .

قلت أما المنارة فلا أدري من بناها ولا متى هدمت وأما السبيل فكان موجوداً إلى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فهدم عند وصول العمارة السلطانية إليه أعيد بناؤه سبيلاً كما كان وهذه الزيادة الثانية وقعت في أيام المقتدر العباسي رحمه الله تعالى .

( ومن جملة محاسن المقتدر أيضاً ) أنه أبطل من ديوانه استخدام أهل الذمة من اليهود والنصارى وأبطل تصرفهم في الأموال السلطانية وأعاد الأمر بتوريث ذوى الأرحام في سائر ممالك الإسلام وأنلف كثيراً من الأموال وأفرغ خزائن بيت المال وباع كثيراً من الضياع حتى أرض الجند بامهال عطيتهم وكان يفرق كل عام من الإبل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألف رأس كذا ذكره الجمال يوسف ابن تغرى بردى في تاريخه مورد اللطافة فيمن أولى السلطنة والخلافة .

وقال أبو المحاسن يوسف سبط ابن الجوزي رحمهما الله تعالى كان المقتدر يصرف في طريق مكة والحرمين ثلاثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألف دينار .

وقال الحافظ السيوطي كان النساء غلبن على المقتدر فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها وأعطى بعض حظاياها الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاث مثاقيل وأعطى زبدان القمر مائة سبعة جواهر لم ير مثلاً لها وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود .

وكان مبلغ النفقة على بيهارستان أم المقتدر في كل عام سبعة آلاف دينار وأنه ختن خمسة من أولاده فصرف في ختانهم ستمائة ألف دينار ( وقدمت رسل ملك الروم ) بهدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيماً لارهاب العدو فأقام مائة وستين ألف مقاتل بالسلح الكامل سماطين من باب الشمامسة إلى دار الخلافة ببغداد تمر الرسل بينهما في هذه المسافة وأقام بعدهم الخدام وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التي بقيت على دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف متر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت في الأرض اثنين وعشرين ألف بساط وفي الحضرة مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وغير ذلك .

وزاد الجمال يوسف تغرى بردى من جملة الزينة شجرة صيغت من الذهب والفضة والجواهر تشتمل على ثمانية عشرة غصناً أوراقها من الذهب والفضة وأغصانها

تتايل بحركات مصنوعة وعلى الأغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فيسمع  
 انكل طير مدح مفرد وصغير خاص وهذا بعد وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف  
 كان زينتها في أيام قوة دولتهم في كمال وصفها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى  
 ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشئون ولا تحوله الأحوال وهو الله الملك  
 الكبير المتعال له الملك وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثال كونه إلا كوان  
 وقدرها تقديراً ولم يتخذ صاحبة ولا وزيراً تعالى شأنه وعلا سلطانه علواً كبيراً  
 وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل  
 وكبره تكبيراً .

فصل وأول ما ظهر من الوهن للخلافة ، في أيام المقتدر ظهور الطائفة الملحدة  
 التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدي إلى الكفر يستبيحون دماء المسلمين  
 وينسبون إلى موالاته محمد بن الحنفية من أولاد سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي  
 طالب رضي الله عنه ويرضون ضلال كافة المسلمين فأول نجس خبيث ظهر منهم  
 أبو طاهر القرمطي وبني داراً في هجر سماها دار الهجرة أراد نقل الحج إليها ألعنه الله  
 وأخزاه وكثر فتك في المسلمين وسفك دماء المؤمنين إلى أن اشتد بهم الخطب  
 وانقطع الحج في أيامه خوفاً منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم ففى أواخر  
 عام سبع وعشرة وثلاثمائة لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة إلا وقد وافاهم أبو طاهر  
 القرمطي في عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم إلى المسجد الحرام ووضعوا  
 السيف في الطائفين والمصلين والمحرمين مجردين في أحرامهم إلى أن قتلوا في المسجد  
 الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف إنسان وتلك مصيبة ما أصيب الإسلام  
 بمثله وركض أبو طاهر بسيفه مشهوراً في يده وهو سكران فصفى بفرسه عند  
 البيت الشريف فبال وراث والحجاج يطوفون حول البيت الحرام والسيوف تنوشهم  
 إلى أن قتل في المطاف الشريف ألف وسبعائة طائف محرم ولم يقطع طوافه علي بن  
 بابويه وجعل يقول .

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا  
 والسيوف تقفوه إلى أن سقط ميتاً رحمه الله تعالى وطمت بالشهداء بثر زمزم

وما بمكة من آبار وحفر وقد ملئت بهم وطلع أبو طاهر إلى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول :

أما بالله وبالله أنا يخلق الخلق ويفنيهم أنا

وصاح في الحجاج يا حمير أتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الأمن وقد فعلنا ما فعلناه فأخذ شخص باجم فرسه فقال وقد استسلم للقتل ليس معنى الآية الشريفة ما أنكرت وإنما معناه من دخل فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه عنه ولم يلتفت إليه وصانه الله تعالى ببركة بذل نفسه في سبيل الله والرد على ذلك الكافر أخزاه الله .

وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع قرمطيا يقلعه له فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فما أخطأ منهجره وخرميتا وأمر آخر مكانه فسقط من فوق إلى أسفل على رأسه فهاب الثالث عن الأقدام على القاع فمضى أبو طاهر وتركه على رغم أنفه وقال أتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي زعم أنه يخرج منهم .

وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن ابن أحمد الجارودي الهروي أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلقة باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب بيت الله تعالى وأخوه أمام الفقهاء الحنفية أبو سعيد أحمد ابن الحسين البردعي والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوي وشيخ الصوفية علي بن بويه الصوفي والشيخ محمد بن خالد زيد البردعي نزيل مكة وجماعة كثيرون من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من أهل خراسان والمغاربة ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهلها إلا من اختفى في الجبال ومن هرب من مكة يومئذ قاضيا يحيى بن عبد الرحمن بن هارون القرشي من عياله إلى وادي رهمان ونهبت القرامطة من داره وأثائه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار فافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور مكة إلى أن صار الباقي ممن نجا من تلك الويلة فقراء يستعطون ولم يحج في هذا العام أحد ولا وقف بعرفة إلا عدد يسير فازوا بأنفسهم وسمحوا بأرواحهم فوقفوا بدون إمام وأنموا حجهم مستسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وما فيها من الذهب والفضة وكسوة الكعبة

وخلعها وما نهبه من أموال الحجاج فقسما بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذي فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم (١) صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه وعلى سائر أنبياء الله ورسله الكرام فلم يظفر به لأن سدنة الكعبة أخفوه وغيبوه في شعاب مكة وتألم لذلك فاستدعى بجعفر بن أبي علاج البناء وأمر بقلع الحجر الأسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ذلك العام وصار بزندقته يقول قاتله الله ولعنه وأخزاه

فلو كان من هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا  
لأنا حججنا حجة جاهلية محللة لم تبسق شرقا ولا غربا  
وأنا تركنا بين زمزم والصفاء جنائز لا تبغى سوى ربنا ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام ثم انصرف إلى بلده هجر وحمل معه الحجر الأسود يريد أن يحول الحج إلى المسجد الضرار الذي سماه دار الهجرة وعلقه في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد وبقي موضع الحجر الأسود خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويتبركون بمحله وأمر هذا الفاجر أن يخطب لعبيد الله المهدي أولى الخلفاء العبيديين الفاطميين وكان أول ظهوره فبلغ عبيد الله المذكور ذلك فكتب إليه أن أعجب العجب إرسالك بكتبتك ممتنا بما ارتدكبت في بلد الله الأمين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي لم يزل محترما في الجاهلية والإسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وقتكت بالحجاج والمعتمرين ثم تعديت وتجرات على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض يصافح بها عباده وحملته إلى أرضك ورجوت أن أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما ينجو به في غده فلبا وصل كتاب

(١) انظر في كتابنا «مقام ابراهيم عليه السلام» من صحيفة ١٠٨ إلى صحيفة ١١٦ تجد فيها صفة المقام وعمق القدمين وطولها وحجم المقام الكريم وقاعدته ورسمه وغير ذلك من التفاصيل التامة والبيانات الواضحة وهو كتاب مطبوع بمصر بمطبعة ومكتبة مصطفى الباني الحلبي وأولاده

عبيد الله المهدي إلى أبي طاهر القرمطي وعلم ما فيه انحراف عن طاعته واستمر الحجر عندهم أكثر من عشرين سنة يستجلبون به الناس إليهم طمعا أن يتحول الحج إلى بلدهم ويأبي الله ذلك والاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه أعظم مصائب الاسلام وأشد وهن في الدين من أولئك الفجرة اللثام ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنها في الحاضر والباد .

إلى أن دمر الله تعالى تلك الطائفة الفاجرة وتمزقت كل ممزق بيد الله القاهره وابتلى أبو طاهر النحس بالأكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة إلى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولما أيست القرامطة عن تحويل الحجاج حجهم إلى هجر ردوا الحجر الأسود إلى محله وورد سنبر بن الحسين القرمطي إلى مكة في يوم النحر يوم الثلاثاء عاشر ذي الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ومعه الحجر الأسود فلما صار بفناء الكعبة حضر معه أمير مكة يومئذ وهو ٢ طنا (١) أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي فأظهر سفعطا أخرج منه الحجر الأسود عليه ضباب من فضة في طوله وعرضه تضبط شقوقا قد حدثت فيه بعد قلعه وأحضر معه حصا يشده به فوضع حسن بن مرزوق البناء الحجر في مكانه الذي قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدره الله وأعدناه بمشيئته وقد أخذناه بأمر ورددناه بأمر ونظر الناس إلى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك محمد بن نافع الخزاعي ونظر إلى الحجر الأسود وتأمله فاذا السواد في رأسه دون سائرته وسائرته أبيض حضر معهم من حج في تلك السنة محمد بن عبد الملك بن صفوان الأندلسي وشهد رد الحجر إلى مكانه ولما أعيد الحجر إلى

(١) ليس في هذه العبارة نقص فقد راجعنا كتاب إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام لمؤلفه الشيخ عبد الله الهندى المكي المتوفى في الخامس من شعبان سنة ألف وثلاثمائة وخمس وستين هجرية رحمه الله تعالى فوجدنا في الجزء الأول بصحيفة ٢٠٧ مانصه « ... حضر معه أمير مكة يومئذ وهو طيا أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي ... الخ » وهذا الكتاب هو أكبر تاريخ وأهم كتاب في تاريخ مكة المشرفة وهو مخطوط يقع في أربع مجلدات كبار لم يطبع بعد نسأل الله أن يسهل طبعه ونشره .

مكة حمل على قعود هذيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون جملا وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنان وعشرون سنة إلا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي أرسل أحمد بن سعيد القرمطي أخا طاهر بخمسين ألف ذهب في الحجر الأسود ليرده فلم يفعل وبذل حكم التركي مدبر الخلافة خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الأسود فأبوا وقالوا قد أخذناه بأمر ولا نرده إلا بأمر إلى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذي ذكرناه وفي التواريخ صور أخرى لهذه القصة رأيناها متناقضة وهذا أصح ما روى فيها فاعتمدنا عليه فعض عليه بالنواجذ .

ثم أن الحجبة خافوا على الحجر الأسود من استطالة يدخائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه في البيت الشريف حفظا له وصونا عن من أراد به سوء ثم أمروا صانعين فصنعوا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا بناءه في محله كما كان ذلك قديما وكما هو الآن أيضا كذلك .

وكان قلع الحجر الأسود في أيام المقتدر ثم وقع بينه وبين يونس حرب فتوغل في المعركة فضربه واحد من البربر من خلفه فسقط إلى الأرض فقال لضاربه ويحك أنا الخليفة فقال له أنت المطلوب وذبحه بالسيف ورفع رأسه على الرمح وسلب ما عليه وبقي مكشوف العورة إلى أن ستر بالحشيش ثم حفر له مكانا ودفن فيه وعنى أثره فسبحان المعز المذل السميع البصير له الملك وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير وكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة إلا أياما وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وولى أخوه مكانه أبو منصور محمد بن المعتضد .

ولقب القاهر بالله وقهر القاهر المذكور وسمل عينيه . وجاءوا بأبي العباس محمد ابن المقتدر بالله بن المعتضد ولقبوه الراضي بالله وبايعوه في سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وصار خليفة إلى أن مات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وبويع لأخيه أبي اسحاق ابراهيم بن المقتدر بعده ولقب المتقي بالله وقبض عليه تورون التركي

وسمى عينيه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وبويع بعده لابن عمه أبي القاسم عبد الله بن المكتفي بالله بن المعتضد .

ولقب المكتفي بالله واستمر في خلافته سنة واحدة وأمسكه من أمرائه معز الدولة ابن بويه وسمى عينيه وضمه إلى المكتفي بالله والقاهر بالله وصاروا ثلاثة في العمى .

وولى الخلافة الفضل بن المقتدر ولقب المطيع لله وبويع له بالخلافة في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة .

وكان رد الحجر الأسود إلى مكانه من البيت الشريف في أيام المطيع لله هذا وتم أمره على ضعف الخلافة ووهنها واستيلاء بني بويه على الملك وطالت أيامه إلى أن خلع نفسه وبويع لولده أبي بكر بن عبد الكريم في سنة ثلاث وستين وثلثمائة ولقب الطائع لله وكان مغلوبا عليه من قبل أمرائه وما كان له إلا العظمة ظاهرا لا غير بحيث لما ورد في سنة تسع وستين وثلثمائة رسول العزيز بالله بن المعز للعبيد صاحب مصر إلى بغداد وسأله عضد الدولة ابن بويه وهو يومئذ ملقب بالسلطنة من الطائع وبيده أمر المملكة أن يزيد في ألقابه ويقال له تاج الملة ويجدد عليه الخلع ويلبسه التاج فأجاب إلى ذلك فجلس الطائع على سرير عال وأوقف حوله مائة سيف مسلول وبين يديه مصحف عثمان رضى الله عنه وعلى كتفيه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده قضيب النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك جميعه كما يتوارثه الخلفاء ويجعلونه لمواكبهم العامة واحتجب بستارة عالية حتى لا يقع عليه نظر الجند قبل رفع الستارة وحضر الجند من الأتراك والديلم ووقف أرباب المراتب صفين ثم أذن بعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة وقبل الأرض وأدخل رسول العزيز صاحب مصر فارتاع وأهاله ما رأى فقال لعضد الدولة أهذا هو الله فقال له هذا خليفة الله في أرضه ثم استمر يمشى ويقبل الأرض سبع مرات التفت الطائع إلى خادمه المقرب عنده واسمه خالص وقال له استدنه فقربه إلى رجل السرير وقبل رجله فثنى الطائع يمينه على رأس عضد الدولة وأمره أن يجلس على كرسي وضع له قريبا من السرير فاستغنى



عُضد الدولة من ذلك فأقسم عليه ليجلس فقبل الكرسي ثم جلس عليه فلما استقر جالسا قال له الطائع قد فوضت إليك ما كان الله تعالى فوضه إلى من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها فقال يعينني الله تعالى على طاعة أمير المؤمنين وقبل الأرض فأمر أن يفاض عليه سبع خلع فأفيضت عليه وهو يقبل الأرض في كل واحدة وانصرف الناس خلفه وقد أהלهم مارأوه واستعظموها ما شاهدوه وما كانت هذه العظمة إلا صورة صناعية وكلفة اصطناعية حقيقتها واهية وقوتها واهنة وإن السلطنة لما آلت إلى أبي النصر بن بويه ركب الطائع اليه وخلع عليه سبع خلع وطوقه بطوق مجوهر وسوره بسوارين ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة في سنة تسع وسبعين وثلاثمائة . ثم في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة جاء بهاء الدولة إلى الطائع وقبل الأرض بين يديه وجلس على الكرسي وأمر خدامه من الديلم فحذبوا الطائع من سريره ولفوه في كساء وأمره بهاء الدولة أن يخلع نفسه ففعل .

( وأتى بأبي العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله ) وبويع له بالخلافة لعشر مضين من شهر رمضان من ذلك العام وكان على غاية من الديانة والعبادة والفضل وصنف كتابا في الرد على القائلين بخلق القرآن وأمر أن يقرأ في كل جمعة في حلق أصحاب الحديث بحضرة الناس وعده ابن الصلاح في علماء الشافعية وذكره في طبقاته وطالت مدة خلافته حتى أنافت على إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر وتوفي إلى رحمة الله تعالى في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة .

( وولى بعده بعهد منه ولده أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ولقبه القائم بأمر الله ) وكان خيرا دينيا باهر الفضل إلا أنه مغلوب بيد أمرائه وطالت مدته مع ذلك وكانت خلافته خمسة وأربعين سنة ووفاته في شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .

( وولى بعده بعهد منه حفيده أبو القاسم عبد الله محمد بن القائم بأمر الله ولقبه المقتدى بأمر الله ) وبويع له بالخلافة يوم وفاة جده بحضرة الامام الكبير الولي الشهير مولانا أبي اسحق الشيرازي أحد أركان أئمة الشافعية رضى الله عنهم وكان خيرا دينيا من نجباء خلفاء بني العباس وصالحينهم .

ومن جملة صلاحه وبركته ان السلطان ملك شاه من آل سبكتكين قصد أن

يتحكم عليه ويظهر الحيف والحيف على الخليفة المذكور فأرسل إليه وهو يقول  
لا بد أن تترك لي بغداد وتذهب إلى أي بلد شئت فأرسل الخليفة إليه يتلطف به  
في ذلك فأبى إلا شدة وغلظة فقال لرسوله أسأله المهلة لي ولو شهراً فأبى وقال  
ولا ساعة فأرسل إلى وزيره واستعمله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم بالنهار  
ويقوم بالليل ويتضرع إلى الله تعالى ويضع خده على التراب ويناجي رب الأرباب  
ويدعو على ملك شاه فنفذ دعاؤه وهو مظلوم نفوذ السهم المسموم في كبد الظلوم  
واستجاب الله دعاءه وتقبل ضراعتة فهلك السلطان ملك شاه قبل مضي عشرة أيام  
وكفاه الله تعالى شره وما ربك بظلام وعدت هذه كرامة للخليفة المقتدى وهذه  
عقبي كل ظالم معتدى ورحم الله من قال :

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي  
وكم فرج أتى من بعد عسر وفرج كربة القلب الشجي  
وكم هم تساء بهم صباحا وتأتيك المسرة بالعشى  
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فتق بالواحد الفرد العلي  
تمسك بالنبي فكل هم يزول إذا تمسك بالنبي  
وكذلك من قال :

لا تشتغل بمهموم القلب مكتئباً ولا تبتين إلا خالي البسال  
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

وكانت وفاة الخليفة المقتضى بأمر الله في محرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

( وولي بعده ابنه أبو العباس أحمد ولقب المستظهر بالله ) . بويغ له بالخلافة  
يوم مات أبوه وكانت أمه أم ولد تركية اسمها الطون وكان كريم الأخلاق حسن  
الخط لا يقاومه أحد في كتابته حافظاً للقرآن عالماً فاضلاً . وكان قد غاب عليه  
ملوك آل سلجوق وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وتوفي  
يوم الأربعاء لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

( وولي بعد ولده أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله ولقب المسترشد بالله )  
وبويغ له بالخلافة يوم مات والده وأمه أم ولد تسمى لبابة .

وكان شجاعاً دينا مشغولاً بالعبادة حفظ القرآن وقرأ الحديث ونظم الشعر

ومن شعره :

أنا الأشقر الموعود لي في الملاحم ومن يملك الدنيا بغير مزاحم  
وكان هذا التخيل من خيالاته الفاسدة فانه ما ملك من الدنيا ولا فناء داره  
وخرج إلى قتال مسعود ابن محمد ابن ملك شاه السلجوقي فلم يقاتل معه أحد فقاتل  
وحده إلى أن قتل في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

( ولى بعده ابنه جعفر منصور بن المسترشد ولقب الراشد بالله ) . وبويع له  
بالخلافة يوم قتل أبوه رحمه الله تعالى ولم تطل مدته بل قبض عليه السلطان مسعود  
السلجوقي وخلعه من الخلافة في يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة  
الحرام سنة ثلاثين وخمسمائة وحبسه وقتله في حبسه .

( وولى عمه أبو عبد الله محمد ابن المستظهر ولقبه المقتنى بالله ) . وبويع له  
يوم خلع ابن أخيه وكان عالماً فاضلاً حسن السيرة دمك الأخلاق شجاعاً توفى  
يوم الأحد لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

( وولى بعده ولده المظفر يوسف بن المقتنى ولقب المستنجد بالله ) وبويع له  
يوم وفاة أبيه وأمه أم ولد حبشية اسمها طاووس ويحكى أنه قبل أن يصير خليفة  
رأى في منامه أن ملكاً نزل من السماء فكتب في كفه خمس خآآت فلما أصبح سأل  
بعض المعبرين عن منامه فقال انك تلى الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمسمائة  
فكان كذلك توفى إلى رحمة الله تعالى في يوم السبت لليلتين خلتا من ربيع الثاني  
سنة ست وستين وخمسمائة .

( وولى بعده ابنه أبو محمد المستنجد بالله ولقب المستضيء بالله ) . وبويع له يوم  
وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس في مالكة وكثر ثناء  
الخلق عليه وتوفى في مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

( وولى بعده ابنه أبو العباس أحمد فللقب الناصر لدين الله ) وبويع له بالخلافة  
ثمان مضي من ذي القعدة وهي اليوم الثاني من وفاة والده وفي أيام ظهور السلطان  
صلاح الدين بن أيوب واستخلافه بيت المقدس من أيدي النصارى الفرنج

واستيلائه على مصر وإزالة دولة الفاطميين عنها وخطب لهذا الناصر العباسي على منابر مصر ووقع بينه وبين السلطان صلاح الدين منافرة بسبب لقبه بالناصر لدين الله فان صلاح الدين تلقب به والفاطميون ويقال لهم العبيديون أربعة عشر خليفة أولهم عبید الله المهدي .

واختلف المؤرخون في نسبهم وهم ينسبون إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأنكر ذلك كثير من المؤرخين وطعنوا فيهم بأنهم من أولاد الحسين بن محمد ابن القداح وقالوا كان القداح المذكور مجوسيا وثانيهم المنصور وثالثهم القائم ورابعهم المعز وهو الذي انتقل من بلاد المغرب إلى مصر وملكها من الأخشديين وبني القاهرة المعزية واستمر هو ومن بعده من العبيديين بمصر إلى أن كان آخرهم العاضد وهو الرابع عشر منهم . توفي يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وذلك بعد استيلاء صلاح الدين بن أيوب عليه وعلى مملكته وخطب على منابر مصر للناصر لدين الله وانقرضت دولة العبيديين وكانوا أرفاضا سبائين ومنهم ملاحظة كالحاكم بأمر الله ويحكى عنه كفريات عجيبة وأكثر المؤرخين على نفى شرفهم والله أعلم بحقيقة ذلك وطالت مدة الناصر فأحيا رسوم الخلافة وامتلات القلوب من هيئته وكان ذا فكرة صائبة وكانت أيامه من غرر الزمان وكان له احسان إلى أهل الحرمين الشريفين وكانت الكعبة الشريفة تكسى الديباج الأبيض في زمن المأمون إلى آخر أيام الناصر فكساها الديباج الاسود كساه الحمام ثياب أكفانه وعزله عن سرير ملكه وتخت سلطانه وكانت وفاته في سلخ شهور رمضان سنة اثنين وعشرين وستمائة .

( وولى مكانه بعد موته أبو نصر محمد بن الناصر ولقب القاهر بالله ) . وبويع له بالخلافة يوم مات والده بعد منه فأظهر العدل والاحسان وأبطل المكوس وورث ذوى الأرحام وكان العمال يكيلون للديون بكيل زائد على ما يكيلون به للناس فأبطل الظاهرة ذلك وكتب إلى وزيره ويل للمطففين الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال الوزير ان تفاوت الكيل ينوف على

ثلاثين ألف دينار فقال أبطله ولو أنه ثلثمائة ألف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال اتركني أفعل الخير فإني لا أدري كم أعيش فلم يلبث أن وفاه الله السكيل الأوفى وأثابه على عمله الصالح ووفى فعاش حميداً ومضى سعيداً وتوفى في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

( وولى بعده ولده أبو جعفر منصور بن الظاهر ولقب المستنصر بالله ) وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط والمدارس وهو الذي بنى المدرسة المنتصرية ببغداد التي لم ير مثلها في مدارس الاسلام ولم يوجد في المدارس أكبر منها كتباً ولا أكثر أوقافاً عليها وكان لهذه المدرسة أربعة مدرسين يدرسون فيها على المذاهب الأربعة رتب فيها الخبز والحلوى والفاكهة وكسوة الشتاء والصيف وجعل فيها ثلاثين يتيماً ووقف على ذلك ضياعاً وقرى كثيرة سردها الذهبي وغيره فرحم الله أهل الخير وأهل الاحسان ورفع الله درجاتهم في أعلى الجنان ووقفهم لنشر العدل بالقسط والميزان وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل في ارتفاع العماد واتقان المهاد وطيب المساء ولطف الهواء ورفاهية الطلاب وسعة الطعام والشراب وغير ذلك من الأسباب وقد حكى أن أول مدرسة بنيت في الدنيا مدرسة نظام الملك في بغداد فباغ علماء ماوراء النهر هذا الخبر فاتخذوا للعلم مأتماً وحزنوا على سقوط حرمة العلم فسيئوا عن ذلك فقالوا ان العلم ملكة شريفة فاضلة لا يتطلبها إلا النفوس الشريفة الفاضلة لجذب الشرف الذاتي والمناسبة الطبيعية ولما جعل عليه أجره تتعلمه النفوس الرذلة وتجعله مكسباً لحطام الدنيا ويتزاحم عليه لا لتحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب الدنيوية السفلة الفانية فيرذل العلم برذالتهم ولا يشرفون بشرفه إلا ترى إلى علم الطب فإنه مع كونه علماً شريفاً تعاطته أراذل اليهود بشرف علم الطب وهذا حال أكثر طلبة العلم في هذا الزمان الفاسد وهذا شأن طلاب هذه العلوم المتداولة الآن في هذا السوق الكاسد فانك ترى أكثرهم مع دأبه في الطلب وأكبابه على فنون العلم والآداب يزداد كل وقت عجباً وكبراً ويتعاضم على كل أحدثها وفخراً ولم ينتق من أوصاف الاخلاق الرذيلة ولو اكتسب مهماً اكتسب من الفضيلة وقلما يتحلى أحد منهم

بجلى الأخلاق الحسنة الجميلة والمزايا الفاضلة الكاملة الجليلة وما ثمرة كسب العلوم غير التخلق بحسن الأخلاق والعمل بمقتضى طب الأصول والاعراق فإله تعالى يبصرنا بعيوبنا ويستر علينا معائب ذنوبنا وينير بصر بصائرنا ويزيل عوار قلوبنا ويرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه .

قلت وحيث انجر الكلام إلى ذكر نظام الملك فأذكر لك حكاية لطيفة نقلها صاحب كتاب وصل الحبيب ونديم اللبيب .

( قال ذكر ) أن نظام الملك لما استوزر بالعراق للسلطان أبى الفتح السلجوقى قام بالدولة أحسن قيام فشيء أركانها وأسس بنيانها والى الأولياء وإستمال الأعداء وعم إحسانه العدو والصديق والقريب والبعيد وكان أقبل إقبالا عظيما على العلماء والصلحاء والفقهاء وبني المدارس العظيمة والخانقاهات العالية وأجرى الخيرات الكثيرة والسكاوى الجليلة الفاخرة لطبقات طلبة العلم والمشايخ والصوفية وغيرهم ممن يتوسم فيهم الدين والصلاح وعم بذلك سائر الأقطار من بلاد العراقين إلى الحرمين الشريفين بحيث كان يخرج من خاصته الخالصة السلطانية والخزائن الديوانية من هذه الوجوه ما ينوف عن ستمائة ألف مثقال من الذهب غير الذى ينفقه من خاصة أمواله ومحصلات غلاله وما يدخل عليه من الهوائيات وغيرها ولعله كان يقرب من القدر الذى يخرج من أموال السلطنة فسار صيته فى الآفاق وكثر حساده ولا يخلو السعداء من الحساد فى كل زمان كما هو مشهود بالعيان فى كل أوان وما وجدوا للطعن على نظام الملك طريقا غير إجحافه فى الإخراج من الأموال السلطانية فى هذه الوجوه فوشوا به إلى السلطان أبى الفتح من طرق شتى وكرروا فى سماعه أن نظام الملك أخرج بيت المال وإن هذه المصاريف الزائدة التى يخرجها فى هذه الوجوه يمكن أن تصرف فى جمع جيش كثيف يركز رايته فى سور قسطنطينية وكانت يومئذ ملكة النصارى وهى الآن بحمد الله دار ملك الاسلام عمرها الله تعالى بمهدة سلطان سلاطين الأنام وحرصها بالنصر والتأييد إلى يوم القيام وأنه يؤخذ بذلك الجيش كثيرا من الممالك والأقاليم وتتسع بها المملكة ويكثر الخراج والأموال فلما تكرر ذلك على سماع السلطان أثر كلامهم فى قلبه واعتقد نصحهم كل كلام و

تكرر على السمع قبله القلب وانطبع في الطبع ولو كان واهنا واهيا في نفس الأمر فطلب نظام الملك وقال له يا أباي وكان يخاطبه بالأب تعظيما له لكبر سنه وعقله بلغني أنك تخرج من بيت المال في كل سنة ستمائة ألف دينار إلى من لا ينفعنا ولا يفنى شيئا فبكى نظام الملك وقال يا بني أنا شيخ أعجمي لو نودي على في السوق ما سويت خمسة دنائير وأنت شاب تركي لو نودي عليك عساک أن تساوي ثلاثين دينارا وقد اخترنا الله وفوض أمور عباده وبلادنا إليك فمقابلته بالشكر ولا عرفنا قدر نعمة الله تعالى فاستمررت أنا في كتابي وضبطي وأنت منهلك في لذاتك ولهوك وأكثر ما يصعد إلى الله تعالى معاصينا دون طاعتنا وشكرنا وجيوشك الذين أعددتهم للنواب إذا احتشدوا عنك كاحتشدوا عنك بسيف طول ذراعان ومهم لا يعرفونهم مع ذلك منهم من يكون في المعاصي والخمور والملاهي ثم أخرى بنزول القمر عن نزول الفتح والنصر فاتخذت لك جيشا كثيفا وعسكرا منيفا يسمى جيش الليل وعسكر السحر إذا نامت جيوشك ليلا قامت هذه الجيوش على أقدامهم صفوفًا بين يديهم وأرسلوا دموعهم أو أطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا أكفهم فرموا سهامًا تحرق السموات والأرض وسلوا سيوفًا تعمل في كل حين طوالا تبلغ إلى الصين فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وبركاتهم تمرطون وبدعاتهم تنصرون فبكى السلطان أبو الفتح بكاء شديدا وقال شاباش يا أباي استكثر من هذا الجيش فإنه الذي لا بد لنا منه ولما كان كل منهما له قابلية الخير معجونا به ما أثر عند ملكه كلام الحساد مع تكرره إلا تأثيرا ضعيفا وزال في الحال وعاد إلى حب الخير الذي جبل عليه واستغفر الله تعالى بما فرط من تقصيره فرحم الله تلك الأرواح الطاهرة ومتعها بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة فقد زالوا وما زالت أخبارهم تروى وأحاديثهم الحسنة تنشر على السنة الرواة ولا تطوى (١).

(١) هذه الحكاية كان من حقها أن تكتب بالذهب ، وأن تلقى على الناس من فوق المنابر كالخطب ، وأن تنشر بينهم في الصحف والجرائد - فقد اختلفت أحوال المسلمين اختلافا بينا ، وتشعبت بهم الأهواء ، وصار مهمهم جمع المال من الحرام أم من الحلال ، تركوا حقوق ربهم وحقوق بعضهم ، فلا يتراحمون ولا يتواصلون ، ولا يتناصحون ، وانغمسوا في اللذات =

( وعدنا إلى ما كنا فيه ) ومن جملة خدام المستنصر بالله الأمير شرف الدين اقبال الشرايبي المستنصرى العباسى بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتباً كثيرة في سنة إحدى وأربعين وستمائة ذهبت شذر مدر والمدرسة باقية إلى الآن وقد صارت رباطاً وفيه محل التدريس وبه كتب وقفها أهل الخير ممن أدركناه رحمه الله تعالى وبلصق الكعبة الشريفة في وسط مقام سيدنا جبريل عليه السلام من الرخام الأزرق الصافي منقول فيه النحت من الرخام الأزرق الصافي منقول فيه بالمنبت ما صورته .

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا ومولانا الامام الأعظم المفترض الطاعة على سائر الأمم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك في شهر سنة إحدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم اه وهذا اللوح باق إلى زماننا وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة وكنم موته وخطب بعد موته إلى أن جاء الامير اقبال الشرايبي إلى ولده أبى أحمد المستنصر وسلم عليه بالخلافة لعشر مضين من رجب سنة أربعين وستمائة .

( فبويعه ذلك اليوم ولقب المعتصم بالله ) وهو آخر الخلفاء العباسيين في بغداد وبزواله زالت دولتهم من الدنيا كما سنشرحه إن شاء الله تعالى .

وحجت والدة المعتصم بالله في سنة إحدى وأربعين وستمائة وهى أم ولد حبشية واسمها هاجر وكان فى خدمتها اقبال الشرايبي الدوادار ومعه ستة آلاف خلعة

والشهووات وغرقوا فى اللهو واللعب ، ونسوا الله فنسيهم ، إلا من رحم ربك وقليل ما هم فكيف ينتصرون على أعدائهم الذين أحاطوا بهم أحاطة السوار بالمعصم ، والله تعالى يقول « إن تنصروا الله يتصركم ويثبت أقدامكم » ونصرة الله لا تكون إلا باتباع أوامره واجتناب نواهيه فانه غنى عن العالمين

نسأل الله أن يرفع مقته وغضبه عنا وأن يعاملنا بما هو أهله وأن يلف بنا فيما جرت به المقادير آمين .



وتصدق بنحو ستين ألف دينار وعدة جمال وركب بغداد في تلك السنة فكانت  
مائة ألف وعشرين ألف جعل ثم عادت إلى بغداد رحمها الله تعالى ولما جرت عادة  
الله تعالى بانقراض الدول واختصاص العزة والبقاء لله عز وجل آلت دولة آل  
عباس إلى الانقراض والزوال وغيرتهم الغير ونابتهم النوائب وحالت بهم الأحوال  
ودالت دولة غيرهم ولكل زمان دولة ورجال .

ما بين غمضة عن واتبأهتا يغير الدهر من حال إلى حال

وكل شيء له سبب من الأسباب وعلّة يدور عليه التقاب والانقلاب وكان  
سبب ضعف خلفاء بني العباس امتيلاء مماليتهم وأمراتهم عليهم وتفويض أمور  
جميع المملكة إليهم وتلقيهم بألقاب السلطان وفرط ادلالهم على مواليهم وامتثالهم  
إياهم غاية الامتثال إلى أن صاروا أسما بلا مسميات وصورا هيولانية يتصرف فيها  
بالمحو والاثبات وصار أمرؤهم يفسحون سرهم ويغشونهم ويصل أرباب الغرض  
إلى أغراضهم الفاسدة لما يرضونهم .

فأول أسباب زوال الملك ان المستنصر بالله كان له ولدان أحدهما يعرف  
بالخفاجي كان شديد اليأس صعب المراس والثاني المستعصم بالله هينا لينا ضعيف  
الرأى فاختره الأمير اقبال الشرابي على أخيه ليستبد بالأمور ويستقل بأحوال  
المملكة ولا يناله مكروه من المستعصم ولا يخشاه كما يخشى من أخيه الخفاجي فلما  
توفي المستنصر أخفى الأمير اقبال موته عشرين يوما حتى دبر لولاية المستعصم وبويع  
له بالخلافة وفر أخوه إلى العربان وتلاشى أمره .

ثم أعظم سبب الزوال ان مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الملك العلقمي صار  
وزيرا للمستعصم وكان رافضيا سبابا مستوليا على المستعصم عدوا له ولأهل السنة  
يداريهم في الظاهر وينافقهم في الباطن وكان تديره على إزالة الخلافة من بني العباس  
وإعادتها إلى العلويين وطمس آثار أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدعة  
وإبقاء ديارهم فصار يكاتب هولاكو خان ويطعمه في ملك بغداد ويخبره عن صورة  
أخذها وضعف الخليفة وانحلال العسكر وصار يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم  
الصرف على العسكر والاذن لهم في التفرق والذهاب أين شاؤوا ويقطع أرزاقهم

ويشقت شملهم بحيث أذن مرة لعشرين ألف مقاتل أن يذهبوا أين أرادوا ووفر  
علوفاتهم في الخزينة وأظهر للمستعصم أنه وفر من علوفاتهم خزائن أموال عظيمة  
توفرت في بيت المال فأعجب المستعصم رأيه وتوفيره وكان يحب المال ويجمعه وما علم  
أنه يجمعها لعذره .

وقد سئل بنو أمية بعد ذهاب ملكهم فقالوا أقواها أنا اعتمدنا على المال  
واستهونا بالرجال فوفرنا المال وقللنا الرجال فأخذ العدو مالنا وتقوى به علينا  
وأنا أبعدنا الصديق اعتمادا على صداقته وقربنا العدو استجلابا لمحبهه فصار الصديق  
عدوا ولم يصر العدو صديقا بالاستجلاب .

أحذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة  
فلربما انقلب الصديق فصار أدرى بالمضرة

وكان من قضاء الله وقدره ان هولاء كو خان سلطان القول وجفتاي من دشت  
قفجاق رجعوا على بلاد الاسلام وجاء بعسكر جرار لا يعمله إلا الله تعالى وكان  
أقوى سلاطين الاسلام إذ ذاك علاء الدين خوارزم شاه وكان يملك من العراق  
إلى أقصى بلاد الشرق وكان له قوة وشوكة وعسكر وافر وجند متكاثر فظهر هلاكو  
وقاتله خوارزم شاه مرارا وهو ينكسر إلى أن قتل هو وأولاده وجنوده واستباح  
كثيرا من بلاد الاسلام وقتل من فيها بالقتل العام وصار يجول هولاء كو في الديار  
وناره في غاية الاشتعال والاستعار والمستعصم ومن معه في غفلة عنه لاخفاء  
ابن العلقمي عنه سائر الأخبار إلى أن وصل هولاء كو خان إلى بلاد العراق واستأصل  
من بها قتلا وأسرا وتوجه إلى بغداد وأرسل إلى الخليفة يطلبه إليه فاستيقظ من نوم  
الغرور وندم على غفلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز إلى قتاله وجمع  
من أهل بغداد وخاصة عبيده وخدمه ما يقارب أربعين ألف مقاتل لكنهم مرفهون  
بابن المهاد ساكنون على شاطئ بغداد في ظل نخيل وماء معين وفاكهة وشراب  
 واجتماع أحبب وأصحاب ما كابدوا حربا ولا دافعوا طعنا ولا ضربا وعساكر  
الغل ينوفون عن مائتي ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وسالب وباسل وفانك  
وقائل يثبون وثب القردة ويتشكلون بأشكال المردة يقطعون المسافات الطويلة

في ساعات قليلة ويخوضون الأوحال ويتعلقون بالجبال ويصبرون على العطش والجوع ويهجرون الغمض والهجوع ولا يباليون بالبرد والحر والسمل والوعر والبحر والبر طعامهم كف شعير وشرابهم من طرق البير يكاد أحدهم يتقوت باذن فرسه يقطعها ويأكلها نيه ويصبر على ذلك أياما عديدة أو يكتفى هو وفرسه بحشيش الأرض مدة مديدة فوق المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال وزحف الخيس إلى الخيس في يوم الخميس عاشر المحرم الحرام سنة ست وخمسين وستمائ. وثبت أهل بغداد مع براقهم على حد السيوف وصبروا مضطرين على طعم الختوف وأعطوا الدار حقها فاستمطروا غنائم السهام وأبلاها وودقها واستقبلوا بحر وجوهم صواعق الحرب وبرقها ورزقوا في تلك المكابدة الفوز بالشهادة وارتقوا في الدار الآخرة رتب السعادة وجادوا بأنفسهم في سبيل الله وأجادوا أحسن اجاده واستمروا كذلك من اقبال الفجر إلى ادبار النهار فمجزوا عن الاضطبار وانكسروا أشد انكسار وولوا الأدبار بالأدبار وما أغنى عنهم الفرار

ولذم الطراد إلى قتال أحد سلاحهم فيه فرار  
مضوا متسابقى الأعضاء فيه لأجلهم باروسهم عشار  
يرون الموت قداما وخلفا فيحتررون والموت اضطرار

وغرق كثير منهم في دجله وقتل أكثرهم أشد قتله وأعقبهم التار فوضعوا السيف فيهم والنار وقتلوا من المسلمين في ثلاثة أيام ما يشوف على ثلثمائة ألف وسبعين ألف وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الخزان والاموال فأخذ هولاء كو جميع النقود وأمر باحراق الباقي ورموا كتب بغداد في بحر الفرات وكانت لكثرتها اجسرا يمشون عليها ركباناً ومشاة وتغير لون الماء بمداد الكتابة إلى السواد وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام ( واستؤسر المعتصم ) هو وأولاده وجماعته وأنوا به إلى هولاء كو أسيرا ذليلاً فقيراً حقيراً فسبحان المعز المذل القادر القاهر تعالى شأنه الباهر وعلا سلطانه على كل ذى سلطان قاهر فاستبقى هولاء كو الخليفة أياما إلى أن استصفي أمواله وخزائنه وذخائره ودفائه ثم رمى رقاب أولاده وذويه وأتباعه ومنطقيه وأمر أن يوضع الخليفة في غرارة فيرفس بالأرجل إلى أن يموت

ففعل به ذلك فاستشهد رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وانقطعت الخلافة من بني العباس وهم سبع وثلاثون أولهم السفاح وآخرهم المستعصم وبعده صار المسلمون بلا خليفة ولم ينل ابن العلقمي ما أراد ولم يستفد غير سلامة أهل الحلة من النهب والقتل بمساعدته لهم فانجد الدين محمد بن الحسن بن طاووس الحلبي وسديد الدين يوسف بن المطهر الحلبي أرسلوا كتابا إلى هولاء كوا على يد ابن العلقمي وفيه كلام يروونه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

صورته إذا جاءت العصابة التي لا خلاق لها لتخرين يا أم الظلمة ومسكن الجبارة وأم البلايا ويل لك يا بغداد وللدار العامرة التي لها أجنحة كالطواويس نمتين كما يموت الملح في الماء ويأتي بنو قنطورا ومقدمهم جهوري الصوت لهم وجوه كالجمان لمطرقة وخراطيم كخراطيم الفيلة لم يصل إلى بلد إلا افتتحها ولا راية إلا نكسها فلما وصل الكتاب إلى هولاء كوا أمر أن يترجم له فلما قرأه أمرهم بسهم الأمان وسلموا بسبب ذلك من القتل والنهب وباء ابن العلقمي بأثمه وأثم من ظلم بسببه وكان من أهل النار وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

قلت وأما هذه الكلمات فما عليها طلاوة كلام سيدنا علي رضي الله عنه ولا حلاوته وآثار الوضع ظاهرة عليها وكأنهم اخترعوه بعد وقوع الطامة وعند حصول هذه الفتنة العامة والا لا شهر ذلك قبل الوقوع وتناقلته الرواة في كل مجموع والله أعلم بالسرائر وما تجنه الأحشاء والضماير .

فصل ، كان بمن نجا من سيوف هولاء كوا من بني العباس أحمد وتلقب المستنصر ابن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي بالله العباسي فوصل إلى مصر وافداً على سلطانها إذ ذاك وهو الملك الظاهر سيف الدين بيبرس البندقداري في سنة ست وخمسين وتسعمائة فخرج السلطان بيبرس إلى تلقيه وأكرمه وأثبت نسبه في موكب عظيم فيه قضاة الشرع الشريف وأعانه الظاهر بجيش وتوجه إلى بغداد ووصل إلى القوات في ثالث ذي القعدة سنة تسع وخمسين وستمائة فقاتله فزت بغانائب هولاء كوا على بغداد فقتل المستنصر ومن معه ولم ينج منهم إلا القليل فلم

يتم له أمر ثم وصل بعد ذلك إلى مضر من بني العباس أبو العباس أحمد وتلقب الحاكم بأمر الله بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر بن المقتدر العباسي فأكرمه الملك الظاهر وأثبت نسبه قضاة الشرع بحضرة وبإيعه بالخلافة وأجرى عليه نفقته وسكن بمصر وليس لهم من الأمر شيء وإنما إسمه الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ليس لهم إلا اسم الخلافة ويأتون به إلى السلطان الذي يريدون توليته فيبايعه ويقول له وليتك السلطنة هكذا كانوا بألقاب الخلفاء واحد بعد واحد وكانوا سلاطين الأقاليم يتبركون بهم ويرسلون إليهم أحياناً يطلبون منهم تفويض السلطنة باللسان فيكتبون له تقليداً ويعهدون إليه بالسلطنة عهداً ويولونه سلطنة الجهة التي هو فيها فيتبرك بهذا التقليد ويتمنى به ولا يخفى أن هؤلاء ليس لهم من الخلافة والصورة كما كان للخلفاء العباسيين ببغداد المحجور عليهم من جهة أمرتهم إلا صورة الخلافة فقط وهؤلاء ليس لهم ولا تلك الصورة أيضاً وإنما لهم الإسم المجرد عن المعنى من كل وجه ولكن شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى عدم من جملة العباسيين وكتب تاريخاً للخلفاء ذكر هؤلاء من جماتهم وقام بشأنهم واعتبارهم وآخر من ذكر منهم في تاريخ الخلفاء .

المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب ، وأته بويح له في يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة بحضرة السلطان الأشرف قايتباي والقضاة والأعيان بالقلعة في مصر ثم ركب من القلعة إلى منزله وكان يوماً مشهوداً وبه ختم كتابه تاريخ الخلفاء .

ورأيت في تاريخ لطيف للحافظ السيوطي أيضاً أسماء الوفيات في الرقيات أن في سنة ثلاث وتسعمائة مات في المحرم منها الخليفة المتوكل على الله أبو العز العباسي المصري رحمه الله تعالى ( وعهد لابنه يعقوب ولم يلقب فلقبه الناس المستمسك بالله ) قلت واستمر يعقوب استمسك بالله خليفة إلى أن كبر سنه وكف نظره ودخلت أيام الدولة الشريفة العثمانية وافتتح السلطان الأعظم والحقان الأقرم الأسم السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان مصر القاهرة وقهرها وأزال عنها مظالم الجراكسة وعاد مع الفتح والبشرى إلى دار السلطنة الكبرى قسطنطينية العظمى فتوفي الخليفة

المذكور بمصر عشر بقين من ربيع الثاني سنة سبع وعشرين وتسعمائة أخذته  
سركنا إلى اصطنبول عوضاً عن والده يعقوب المستمسك بالله لكبر منه وذهاب  
نظره فلما توفي السلطان سليم رحمه الله عاد المتوكل على الله هذا إلى مصر وصار  
خليفة بها واستمر إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى لاثنتي عشرة ليلة مضت من شعبان  
سنة خمسين وتسعمائة في أيام المرحوم داود باشا الخادم صاحب مصر رحمه الله تعالى  
وموته انقطعت الخلافة العباسية الصورية بمصر أيضاً وكان المتوكل هذا فاضلاً أديباً  
له شعر فنه قوله :

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن      ولا كريم إليه مشتكى الحزن  
ولإنما ساد قوم غير ذى حسب      ما كنت أوثران يمتدبى زمنى  
ضمن قول الطغرائى من لامية العجم  
ما كنت أوثران يمتدبى زمنى      حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

وقد اجتمعت به وأخذت عنه في رحلتى إلى مصر لطلب العلم الشريف في سنة  
ثلاث وأربعين وتسعمائة وكانت مصر إذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوءة بالفضلاء  
الفخام ميمونة بيمن بركات المشايخ الكرام كأنها عروس تتهادى بين أفتار وشموس  
ثم انقضت تلك السنون وأهلها      فكانها وكانهم أحلام

## الباب السادس

في ذكر ملوك الجراكسة لأن بعضهم أو أكثرهم عمر في المسجد الحرام  
وسبق لهم فيه من الترميم والنظام لما صاروا من سلاطين الإسلام ،

اعلم أن الجراكسة جنس من الترك في جنوب الأرض لهم مدائن عامرة ولهم  
جبال ومزارع يرعون الغنم ويزرعون وهم تابعون السلطان خوارزم وملوك هذه  
الطوائف لملك سراي كالرعية يقاتلونهم ويسبون منهم النساء والأولاد ويجلبونهم  
إلى أطراف البلدان والأقاليم هكذا ذكرها المقریزی في عقوده قال واستكثر  
المنصور قلاوون صاحب مصر من ملوك الأتراك بعد الأيوبيه ملوك الأكراد  
أصحاب مصر من شر الممالیک الجراكسة وكذلك ولده وبنوه وأدخلوهم في الخدم  
الخاصة فصاروا ساجداریه وجامداریه وجاشکیریه وأمراء وكبروا عما تمهم وسلکوا  
طریق آسیادهم من ملوك الترك وداخلوا السلطنة وغلبوا علیها واستقلوا بها  
واستكثروا من جنسهم وعملوا لها قوانين وقواعد تنظم بها دولتهم وولى منهم ومن  
أولادهم السلطنة بمصر إثنان وعشرون ملكا وكانت مدة ملكهم مائة وثمان وعشرون  
سنة . ( وأولهم السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص العثماني  
الجراكسي ) كذا ذكره المقریزی في عقوده وخططه قال الجمال يوسف بن تغری  
بردی هو چركسی الأصل قام بدولة الجراكسة جلیه عثمان بن مسافر ولذلك يقال  
له برقوق العثماني فاشتراه الأتابک بلیغا وهو من صغار ممالیکه وإنما سمي برقوقا  
الشحوظ في عينيه وتنقلت به الأحوال إلى أن صار أمير مائة ألف مقدم وكان  
أتابکا للملك الصالح حاجی بن الأشرف شعبان بن الأجد حسین بن الناصر محمد بن  
قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الأتراك من ممالیک الأيوبيه الأكراد  
المتغلبين عليهم غير الجراكسة وكان سن الملك الصالح لما ولى السلطنة عشرة أعوام  
ليس له من السلطنة غير الإسم فالزم الأمير الأتابک برقوق أن يخلع الملك الصالح

ويتولى السلطنة بدله فخلعه بعد سنة ونصف سنة وذلك في يوم الأربعاء التاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ومن آثاره مدرسة أنشأها بمصر بين القصرين كان مشيد عمارتها جر كسى الخليلي فقبل له في ذلك شعر

قد أنشأ الملك السلطان مدرسة فافت على أرم مع سرعة العمل  
يكفى الخليلي إن جاءت لخدمته صم الجبال لها تمشي على عجل

وجهاز للحرم المكي مالا لعمارة ماتهدم من المسجد الحرام وسار الراكب الرجبي من مصر إلى مكة بعد طول انقطاعه واستكثر من الممالك الجراكسة فاستمروا متغلبين على ملك مصر إلى أن كثرت ظلمهم وزاد عسفهم وغشمهم فأزالهم الله تعالى بعد ذلك بالسيوف الصارمة العثمانية وتشرفت بدولتهم القاهرة مصر والتخوت اليوسفية السكنعانية ملكهم الله تعالى كافة البسيطة وجعل معدلتهم ورأفتهم عامة بسائر أهل الأرض محيطة .

ودخل الظاهر برقوق متمكناً جمع أموالاً وخزائن وأكثر من الممالك الجراكسة فتمكنوا من الملك وتلاعبت بعده الممالك الجراكسة بملك مصر وصاروا ملوكها وسلاطينها بالقوة والغلبة والاستيلاء وكانت تقع فتن وقاتل وجلاد وجدال وقتل نفوس وحرب البسوس وحزف وبوس إلى أن يستقر الأمر على واحد منهم فيركب في شعار السلطنة واصطلحوا على هيئة خاصة أخذوها عن الملوك الأيوبيين الأكراد وزادوا فيها ونقصوا وكان ذلك الوضع مقبولاً عندهم فإن العرف يحسن ويقبح وإن كان صورة مضحكة عندهم من لا يألفها ولكل إقليم وضع خاص لسلاطين ذلك الإقليم يكون مهيباً مهولاً في أعين أهل ذلك الإقليم لا يفهم بتلك الهيئة لسلاطينهم فكان من شعار سلاطين الجراكسة عمامة ملفوفة بصنائع مكلفة يجعلون في مقدمها ويمينا ويسارها شكل ستة قرون بارزة من نفس العمامة ملفوفة من نفس الشاش يلبسها السلطان في مواكبه وديوانه ويلبس قفطاناً من فاخر الثياب يكون على كتفه اليمين طراز مزر كس بالذهب وكذلك على كتفه اليسار إلا أن ذلك ليس مخصوصاً بالسلطان بل يلبس ذلك من أراد من الأمراء ومن دونهم ويخلع بهذا الثوب المطرز من أراد ويحمل على رأس السلطان قبة لطيفة وفي وسط ذلك صورة طير صغير



يظل السلطان بتلك القبة والذي يحملها على رأس السلطان أمير كبير وظيفته أن يصير سلطاناً بعد ذلك وأكبر أمراءه أربعة وعشرون كبيراً يلطخانه على باهم صباحاً وعصراً كل واحد منهم أمير مائة مقدم على ألف بمنزلة البكر بكية عندهم يلبس كل واحد منهم عمامة بأربعة قرون ودونهم أمير عشرة مقدم مائة بمنزلة السنجق يلبس كل واحد منهم عمامة بقرنين ودونهم الخاصكية يكون له فرس وخدام وعلى رأسه زنط عليه عمامة بعذبة يديرها من تحت حنكه ودونهم الجلبان وهم مشاة على رؤوسهم طواق من جوخ أحمر ضيق من موضع يدخل فيه رأسه وسيح من أعلاه لا يلبس برأسه وملبوس أكثرهم الملوطة البيضاء المصقولة يكون على كتفه طراز من مخمل أو أطلس أو مزركش وفي أوساطهم شدود بيض مصقولة يشدون بها أوساطهم ويسدلون طرفها إلى أنصاف سوقهم وكانت التجار تجلب المالك البيض من بلاد چرکس ويتغالون في أثمانهم إلى أن كثروا بمصر وبلغوا من عشرين ألف فارس.

وكانت لهم اصطلاحات في تربيتهم وكانت لهم أطباق يوظفون فيها المعلمين من حفظ القرآن وكان الجلب يدخله سيده أولاً إلى الطبقة فيتعلم الخط والاستخراج والصلاة والقراءة بحسب قابليته فقد يفوق في الخط ومعرفة القرآن والفقه وأمور دينه ثم يترقى إلى معرفة التفات والصراع ورمى السهام ثم يترقى إلى معرفة الفروسية إلى أن يتفرس في كل ذلك ثم يترقى إلى الخاصكية ثم إلى الدوادارية والمقدمية ثم إلى السلطنة فكان خيال السلطنة في دماغ كل واحد منهم من حين يجلب إلى السوق لبيع إلى أن واحداً من الجلبان جلب وهو حقير فاحش القرعة فاحش العرج فقال للدلال يبيعه هل ولي الأقرع الأعرج سلطاناً في مصر بالجمله فقد كانوا ظوائف سوارج لهم سماحة وحاسة وضداه لمن صادقوه وكانت أرزاق مصر بيديهم وكانت أهل مصر يتلاعب بهم فيما بيدهم من الأرزاق وكانوا يبدفهاهم ومباشرهم وكانوا يتخذون فيرتب لهم مباشر وهم المصريون مصارف فيسكون للجندى فقيه يعلمه القرآن وامام يصلى به ومكبر ومباشر يكتب دخله وخرجه وخزندهار وركاب دار وجامدار مهميار وسراج ومكالميس وحلاق وغير ذلك وحلوى وتفسكها وكانوا في رفاهة وكان أهل مصر يعيشون في ظلهم وغداً بحيث أن اسمطتهم كانت تكفي سائر جيرانهم

وكانت خدامهم تبع ما يفضل من طعامهم للناس من الدجاج والأوز وسائر  
النفائس وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من أطعمتهم وكانوا يتفاخرون ببناء  
البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والتراب وكانت لهم خيرات جارية ومبرات  
عالية إلى أن فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت منهم المصادرات وغلبت سيااتهم على  
حسناتهم وزادت مظالمهم على خيراتهم ومالوا إلى العوانية المفسدين وأخلوا بشعائر  
الشرع والدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار الظالم  
خراب ولو بعد حين والملك يدوم بالكفر ولا يدوم مع الظلم والله لا يحب الظالمين  
وإن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

( وكانت ) مدة سلطنتهم بمصر من سنة أربع وثمانين وسبعمائة إلى ثلاث  
وعشرين وتسعمائة .

وهذا كلام وقع في البين فلنرجع إلى أحوال الملك الظاهر برقوق فنقول بعد  
سلطنته استمر على حاله سلطانا إلى أن خلع فاحبس في مكرك ثم تسحب من  
الحبس وجمع الجيوش وقاتل وغلب على المملكة وأعيد إلى السلطنة وصار يتبع  
اعداءه ومن خرج عليه وخالفه إلى أن استصفاهم وما صفاله الزمان وظن أنه آمن  
وأين الأمان من يد الدهر الخوان ومالت شمس سلطنته إلى الزوال وانمحق بدر  
حياته ولا بد من المحاق بعد الكمال وبرق برق الزوال على برقوق وشاهد الانفصال .

( فعهد بالسلطنة إلى ولده السلطان فرج بن برقوق ) . وطلب الخليفة والقضاة  
والأمراء واشهد على نفسه أنه نزل عن السلطنة لولده فرج وسنة عشرة أعوام وعين  
الأتابك ايتمش البجاشي لتدبير المملكة وتوفى إلى رحمة الله في ليلة الجمعة وقت  
التسبيح منتصف شوال سنة احدى وثمانمائة وفي ذلك يقول أحمد المعري الشاعر

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك إلى ربه يرق إلى الخلد في الدرج

قالوا ستأتي شدة بعد موته كرمهم ربي وما جاسوى فرج

وخلف الظاهر برقوق من الذهب العين ألف ألف دينار ومن القماش والأثاث  
ما قيمته ألف ألف وأربعمائة ألف ومن الخيل المسومة والبغال الفارحة ستة آلاف

ومن الجمال البختية خمسة آلاف جبل وكان عليق دوابه في صكل شهر أحد عشر ألف اردب شعير وفول .

وفي أيام الناصر فرج بن برقوق وقع الحريق في المسجد الحرام في ليلة السبت لليائتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وثمانمائة .

وسبب ذلك ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد في الجانب الغربي منه ورامشت هو الشيخ أبو القاسم ابراهيم بن الحسين الفارسي وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية أصحاب المرقعات في سنة تسع وعشرين وخمسمائة فترك بعض سكان الخلاوي سراجا موقودا في خلوته وبرز عنها فسحبت الفأرة الفويسقة فتلة السراج منه الى خارجه فأحرقت في الخلوة واشتعل اللهب في سقف الخلوة وخرج من شباكه المشرف على الحرم الشريف واتصل بسقف المسجد الحرام والنهية وعجز الناس عن طفيه لعلوه وعدم وصول اليد اليه فعم الحريق الجانب الغربي من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل من السقف وتسير ولا يمكن الناس إطفائها لعدم الوصول إليها بوجه من الوجوه إلى أن وصل الحريق إلى الجانب الشامي واستمر يأكل من سقف الجانب الشمالي إلى أن انتهى إلى باب العجلة وكان هناك اسطوانتان هدمها السيل العظيم المهول الذي دخل المسجد الحرام في اليوم الثامن من جمادى الأولى من هذا العام يعني عام حريق المسجد الحرام وأخرب عمودين من أساطين الحرم الشريف عند باب العجلة بما عليهما من العقود والسقوف فكان ذلك سببا لوقوف الحريق وعدم تجاوزه عن ذلك المكان والا لعم المسجد الحرام جميعه من الجوانب الأربعة فاقصر الحريق إلى باب العجلة وسلم الله تعالى باقى المسجد الحرام .

وكم لله من لطف خفى يدق خفاه عن فهم الذكى

فصار ما احترق من المسجد الحرام أكواما عظاما تمنع من رؤية الكعبة الشريفة  
ومن الصلاة في ذلك الجانب من المسجد .

قال النجم بن فهد وتحدث أهل المعرفة بأن هذا منذر بحادث جليل يقع في

الناس وكان ذلك مقدم وقعة المحن العظيمة بقدم تملنك إلى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين وسبي ذراريهم ونهب أموالهم واحراق مساكنهم ودورهم كما هو مذکور في التواريخ المفصلة .

( قال الحافظ السخاوى ) في ذيله على دول الاسلام للذهبي رحمه الله تعالى وفي آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة وقع بالحرم المكي حريق عظيم أتى على نحو ثلث المسجد الحرام ولولا العمودان اللذان وقعا من السيل قبل ذلك لاحترق المسجد الحرام جميعه واحترق من العمود الرخام مائة وثلاثون عمود اصارت كلها كسا ولم يتفق فيما مضى مثله وكان وقوع السيل في جمادى الأولى من هذه السنة بعد مطر عظيم الانسكاب كأفواه القرب ثم هجم السيل فامتلا المسجد حتى بلغ القناديل ودخل الكعبة من شق الباب فهدم من الرواق الذي يلي باب العجلة عدة أساطين وخرب منازل كثيرة ومات في السيل جماعة رحمهم الله قال الفاسي رحمه الله تعالى ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الأمير يسق الظاهري وكان قدومه إلى مكة لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة وكان هو أمير الحاج المصري وتخلف بمكة بعد الحج لتعمير المسجد فلما رحل الحاج من مكة شرع في تنظيف الحرم الشريف من تلك الأكوام التراب وحفر الأرض وكشف عن أساس المسجد الشريف وعن أساس الاسطوانات في الجانب الغربي من الحرم الشريف المحترم وبعض الجانب الشامي منه إلى باب العجلة فظهر أساس الاسطوانات مثل تقطيع الصليب تحت كل اسطوانة فبناها وأحكم تلك الأساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الأرض وبنائها حتى رفعها إلى وجه الأرض على أشكال زوايا قديمة وقطع من جبل بالشبيكة على يمين الداخل إلى مكة أحجار صوان صلبة منحوتة على شكل نصف دائرة يصير على آخ منحوت مثله دائرة تامة في سمك ثلاث ذراع وصفقت على قاعدة مربعة منحوتة على محمل التقاطع الصليبي على وجه الأساس المرتفع على الأرض ووضع عليها دائرة أخرى مثل الأولى ووضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت له بين الحجرين المدورين وسبك على جميع ذلك بالرصاص إلى أن انتهى طوله إلى طول أساطين المسجد فيوضع حجر منحوت من المرمر هو قاعدة ذلك

العمودين من فوق طاق يعقد إلى العامود الأخرى بني ما بين ذلك بالأجر والجص إلى أن يصل إلى مسقف إلى أن تم الجانب الغربي من المسجد الحرام على هذا الحكم وبقيت القطعة التي من الجانب الشامي إلى باب العجلة فأكواها بالقطع من عمد الرخام الأبيض موصلة بالصفائح من الحد إلى أن لا قوابه العمدة التي بنوها من الحجر الصوان المنحوت لعدم القدرة على العمدة الرخام فصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام ثلاثة أروقة والجانب الغربي وحده بالحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد الرخام وكملت عمارة هذه العمدة في أواخر شعبان سنة أربع وثمانين ولم يبق غير عمل السقف وآخر عمله بعدم وجود خشب يصلح لذلك بمكة إذ لا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر وليس لذلك طول ولا قوة ويحتاج إلى خشب الساج ولا يجلب إلا من الهند أو خشب الصنوبر ولا يجلب إلا من الروم فلزم تأخيرا كماله إلى احضار القدر الذي يحتاج إليه من ذلك الخشب وشكر الناس الأمير يسبق على سرعة تمام هذا المقدار من العمل في هذه المدة اليسيرة ومبادرته إلى تنظيف المسجد إلى أن صلح للصلاة فيه وكان ذا همة عالية وحسن توجه وكان كثير الصدقة والاحسان وحج الأمير يسبق في ذلك العام وعاد إلى مصر لتجهيز ما يحتاج إليه من خشب سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام ووصل إلى مصر في أوائل سنة خمس وثمانمائة وكان صاحب مكة يومئذ جد ساداتنا أشرف مكة الآن السيد الشريف حسن بن عجلان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وكان ممن يحب الخير ويرغب فيه ويسابق إلى الفعل الجميل ويبادر إليه وهو الذي يقول فيه شمس الدين بن المقرئ الشافعي صاحب الإرشاد والرضوان وعنوان الشرف وغيرها من قصيدته بمدحه ويعرض بصاحب اليمن يومئذ .

أحسننت في تدبير ملكك يا حسن واجدت في تسكين خلاص الفتن

إلى أن قال

موسى هزبر لا يطاق نزاله في الحرب لسكن أين موسى من حسن  
 هناك في يمت وما سلبت له يمن ودا في الشام لم يدع اليمن  
 ومن جملة خيراته وآثاره أنه لما رأى رباط رامشت وما آل إليه أمره بعد

الحريق الى أن صار سياطه بذلك المحمل أمر باعادته رباط للفقراء كما كان وصرف من ماله عليه الى أن عاد أحسن من الأول وزالت السباطات من ذلك المكان وانصان الحرم الشريف وتضاعفت أدعية الناس له بسبب ذلك والله يجزي المتصدقين ويسمى الآن رباط الخاص لأنه رسمه وعمره بعد شهرته في أوائل القرن العاشر وهو من طائفة المباشرين في ديوان السلطنة بمصر في خدمة السلطان جقمق العلاني ومن بعده وكان من أهل الخير رحمه الله .

وفي سنة سبع وثمانمائة قدم الى مكة الأمير يسوق لعماره سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام وغيره مما تشعب من سقف المسجد الشريف من كل جانب متنهض إلى هذه الخدمة واحضر الأخشاب المناسبة لذلك وجلبها من بلاد الروم وهنأها لعمد السقف ونقشها بألوان وزمها واسعتان بكثير من خشب العرعر الذي يوتى به من جبال الحجاز من جهة الطائف لعدم وجود خشب الساج يومئذ في مكة وبذل همته واجتهاده إلى أن أسقف جميع الجانب الغربي من المسجد الحرام وأكمله بخشب العرعر المذكور وعمر معه بعض الجانب الشامي أيضا إلى باب العجلة فتم عمارة المسجد الشريف على تلك الاسطوانات المنحوتة من الحجر الصوان وعلق في تلك الأسقف سلاسل من نحاس وحديد لتعليق القناديل في الرواق الوسطاني من الأروقة الثلاثة على حكم سائر المسجد الحرام غير الجانب الشرقي واليماني وأكثر الشامي إلى باب العجلة كان في كل عقد من العقود التي تلو صحن المسجد الشريف ثلاث سلاسل أحدها في وسط كل عقد والثاني عن يمينه والثالث عن شماله لتعليق القناديل .

وأما هذا الجانب الغربي كانت فيه السلاسل على هذا الحكم فلما احترق هذا الجانب وأعيدت عقودها لم تترك فيها هذه السلاسل ولا أدري كانت هذه السلاسل التي هي خارج عن الأروقة تحت العقود البرانية منها يعلق فيها القناديل أحيانا أم كانت لمجرد الزينة ولم اطلع على ذكر قناديلها ولا كيف كانت ومتى بطلت وأكمل عمارة سقف الجانب الغربي وما احترق من الجانب الشامي إلى باب العجلة في سنة سبع وثمانمائة وعمر مع ذلك في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة

من سقفها كان قد انكسر أعوادها ومال بعضها وكان يسيل منها الماء إلى المسجد الشريف فأصلح الأمير يسق جميع ذلك بالطبواب والنورة في سطح الأسقف ودلكها وسواها وأتقن عملها وعمر ما في صحن المسجد من المقامات الأربعة على الهيئة القديمة وبذل في صرف ذلك الأموال العظيمة وشكره الناس على ذلك وكان ذلك في أيام للناصر زين الدين أبي السعادات فرج بن برقوق بن أنص الجركسي ثاني ملوك الجراكسة وكانت سلطنته بعهد من أبيه عند وفاته كما تقدم صبيحة يوم الجمعة في منتصف شوال سنة إحدى وثمانمائة وكان الأمير الأتابك ايتمش مدبر المملكة وكان الأمير شيبك حزنداره فوقع بينهما منافرة أدت إلى مشاجرة ثم إلى مقاتلة فانكسر ايتمش فهرب إلى نائب الشام الأمير تم الظاهري فجيوشا إلى مصر لقتال الناصر وشيبك فخرج الناصر لقتالهم فانهزموا منه واضطربت أحوال مصر لاختلاف الكلمة ثم وصل تمرلنك إلى بلاد الشام وأخذها من سدون الظاهري وأمره وقتله ونهب بلاد الشام وأخرب ديار الدوادار وخرج الناصر فرج بجيوشه من مصر لقتال تمرلنك فوجده قد نزل البلاد وتوجه إلى بلاد الروم فأعطى الشام لتغرى بردى وعاد إلى مصر وذلك في سنة ثلاث وثمانمائة ثم كثرت الفتن بمصر من الأمراء الظاهرية بمالك الظاهر برقوق واختلفت الأحوال بسبب هذه الفتن والاختلافات إلى أن ضجر فرج من ذلك وهرب من القلعة بعد العشاء ليلة الاثنين سادس ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة واختفى عند سعد الدين ابراهيم ابن عراب أحد رؤساء المباشرين فلما أصبح الأمراء وفقدوا السلطان أقاموا في السلطنة أخاه .

( الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق بن أنص الجركسي ) ثالث ملوك الجراكسة فتلاشت أمور المملكة في أيامه لصغر سنه واختلاف أمراء دولته وكيف يستقيم الملك مع الخلاف والحال أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وكان مدة ملك المنصور شهرين وعشرة أيام ثم ظهر الناصر فرج بعد هروبه واختفائه وركب معه أمراء من ممالك أبيه وأخذ القلعة بالحراب من أخيه الملك المنصور عبد العزيز وتسلطن ثانيا يوم الجمعة لأربع مضي من جمادى الآخر سنة ثمان

وثمانمائة ونفى أخاه الملك المنصور عبد العزيز وأخاله اسمه ابراهيم إلى الاسكندرية فتوفيا بها في ليلة الاثنين سابع ربيع الآخر سنة تسع وثمانمائة وأتهم الناصر بقتلهما والله أعلم .

ثم صار الملك الناصر فرج يتبع أعداءه من الأمراء فصار يقتلهم واحدا بعد واحد فتجمعوا عليه وخرجوا عن طاعته وقاتلوه فمزهم فخرجوا عنه إلى الشام فتبعهم فصاروا يمكرون به ويهربون عنه ويتبعونه في طلبهم مع غاية الاحتراز منه والحرب خداع ومخالفة الجمل الغفير والجمع الكثير لا استطاع إلى أن مل منه الخدم والاتباع وتفرقوا عنه وسئموا عن الاتباع وهو يتبعهم بالجد في الطلب إلى أن صادفوه في طلبهم بعد التعب والدأب وهو ومن معه اتعبوا خيولهم في طلب العدو من العشاء إلى الصباح وأشرفوا في الصباح على الأمراء العصاة عليه وهم بطول الليل في الراحة والارتياح فحمل السلطان الناصر فرج ومن معه وهم نفر قليلون حقيرون على أمرائه العاصين له وهم متوفرون كثيرون فمنعه أصحابه من هذه الحملة وسموا أنه هو ومن معه في غاية التعب والقله فلم يطعمهم وأطاع غروره وجهله واغتر بشجاعته وحوله ظن أنه لا يقابله أحد لعزته وطوله ولا يقاتله أحد لهيبته وزوله فدلاه خياله الفاسد بغرور وخاب ظنه كما يخيب ظن كل مغرور وخانه الزمان الجائر ودارت عليه الدوائر وخذله الدهر فما كان الناصر من قوة ولا ناصر وانقلب إليه بصره وهو حسير وظفر به عدوه الحقير وقيدته وهو أسير كبير وقتل وما للناصر نصير وما جاء للفرج فرج إلا ببشرى الشهادة وإلى الله المصير وطعنته المشاعلية بالسكاكين إلى أن انقطع منه الوتين وسكن منه الاتين فصار عبرة للناظرين وهو مقيد محبوس بأيدي القاتلين في ليلة السبت منتصف شهر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة والتي بعد هذه القتلة على سباطة مزبلة وهو عريان من اللباس يمر به الناس وينظرون إلى ذلك البدن الممتهن والجسد العمارى الممتحن وذلك من أعظم العبر وأكبر المحن إلى أن خلق الله عليه بعض الأنام بعد عدة أيام فحمله وغسله وأدرجه في كفن وواراه في التراب في مقبرة باب الفراديس ولعل الله سامحه وأسكنه الفراديس والرجاء من الله الكريم أن يكون الله غفر له فان السيف محاء الذنوب وأن الله علام الغيوب .



ومن العمائر الحرمية في أيامه تجديد عقد المرورة بعد سقوطه في سنة احد عشر وثمانمائة .

ومنها أن تاجر السبي الخواجا حسين احمد الشترواني أوصى في مرض موته أن يصرف على عمارة عين مكة من ماله عشرة آلاف درهم وأن يعمر الميضاة الصرغثشية بخمسة آلاف درهم فنفذت وصيته بعد ذلك في العام المذكور .

ووقع في أيام الناصر فرج أيضاً أن سلطان بنكاله من سلاطين أقصى الهند السلطان غياث الدين أعظم شاه بن اسكندر شاه أرسل إلى الحرمين الشريفين صدقة كبيرة مع خادمه ياقوت الغياث ليتصدق بها على أهل الحرمين ويعمر له بمكة مدرسة ورباطاً ويوقف على ذلك جهات يصرف ريعها على أفعال الخير كالتدريس ونحوه وكان ذلك بإشارة وزيره خان جهان فوصل ياقوت المذكور بأوراق سلطانية إلى مولانا السيد حسن بن عجلان شريف مكة يومئذ جد ساداتنا الأشراف الآن جل الله بوجودهم الزمان وكان وصول ياقوت الغياثي إلى مولانا السيد الشريف حسن بن عجلان رحمه الله مع هدايا جلية إليه فقبلها وأمره أن يفعل ما أمره به السلطان غياث الدين لكنه أخذ ثلث الصدقة على معتاده ومعتاداً بأنه ووزع الباقي على الفقهاء والفقراء بالحرمين الشريفين فعمتهم وتضاعف الدعاء له على الخير والعدل عليه كفاعله واشترى ياقوت الغياثي لعمارة المدرسة والرباط دارين متلاصقتين على باب أم هانئ. هدمها وبناهما في عامه رباطاً ومدرسة واشترى أصيلتين وأربع وجبات مافي الركابي وجعل لها أربعة مدرسين من أهل المذاهب الأربعة وستين طالبا ووقف عليهم ما ذكرناه واشترى داراً مقابلة للمدرسة المذكورة بخمسمائة مثقال ذهباً وقفها على مصالح الرباط وأخذ منه مولانا السيد حسن بن عجلان في الدارين اللتين بناهما رباطاً ومدرسة والأصيلتين والأربع الوجبات من قرار عين الركابي اثنا عشر ألف مثقال ذهباً وأخذ منه مبلغاً لا يعلم قدره كان جهزه معه سلطانه لتعمير عين عرفة فذكر مولانا السيد حسن أنه يصرفه على عمارته ويقال أن قدره ثلاثون ألف مثقال ذهباً وكان السيد حسن عين أحد قواده وهو الشهاب بركات المسكين لتفقد عين بازان وإصلاح البركتين بالمعلاة وكانتا معطلتين فأصلحهما إلى أن جرت عين بازان فيهما .

وكان خان جهان وزير السلطان غياث الدين أرسل مع ياقوت الغياثي خادما يسمى حاجي اقبال أرسله بصدقة أخرى من عنده لأهل المدينة المنورة وجهر معه مالا ليبنى له به مدرسة ورباطا وهدية إلى أمير المدينة يومئذ جمان الحسيني فانكسرت السفينة التي فيها هذه الأموال وغيرها بقرب جدة فأخذ مولانا السيد بن عجلان ربيع ما خرج من البحر على عادتهم إذا انكسرت سفينة عندهم وأخذ ما يتعلق بالسيد جمال الحسيني لأنه عصي وظهرت منه شنائع بالمدينة الشريفة من أخذ مفتاح خزانة النبي صلى الله عليه وسلم من قاضي المدينة جبرا بعد أن أهانه وهو القاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي وضرب شيخ الخدام وأخذ من خزانة النبي صلى الله عليه وسلم أحد عشر خوشخانه وصندوقين كبيرين وصندوقا صغيرا كلها بمهورة فيها ذهب مودع لملوك العراق وخمسة آلاف كفن وصادر الخدام وأراد أخذ قناديل الذهب من الحجر فمنعه الله تعالى ونهب العربان ما جمعه ومات لارحمه الله تعالى فأرسل مولانا السيد حسن بن عجلان إلى المدينة الشريفة عسكريا وصلوا إليها بعد خراب البصرة وولى عليها عجلان بن غير الحسيني وكل ذلك مئة أحد عشر وثمانمائة .

وفي سنة أربع عشر وثمانمائة وقع في أولهط رمضان إصلاح مواضع في سطح الكعبة الشريفة كان يكثُر وكف المطر منها إلى أسفلها ومنها مواضع عند الطابق التي على الدرجة التي يصعد منها إلى سطحها ومنها مواضع عند الميزاب وكان الفتح الذي في هذا الموضع متسعا مضرا يصل الماء منه في وسط الجدار وذلك بعد قطع اللوح الذي بين مجرى الماء وأعيد اللوح كما كان وموضع بقرب الروازن التي للقبور وكان إصلاح المواضع المذكورة بالجبس وكانت الأخشاب المطييفة بأعلى الروازن التي عليها البناء المرتفع في وسط البيت وقد تخرب فعوضت بخشب سوى ذلك وأعيد البناء الذي كان عليها كما كان إلا الروزن الذي يلي الكعبة فان خشبه لم يغير وكان الروزن الذي يلي الركن الغربي قد تخرب بعض الخشب الذي في جوفه مما يلي السقف والكسوة التي في جوف الكعبة وكانت الكسوة التي عليه قد زال تسليها فشمرت ركان الروزن الذي يلي الركن اليماني منكسرا فقلع وعوض بروزن جديد وجد في أسفل الكعبة .

قلت وهذه الروايات لا وجود لها الآن فانها مدت جميعها وأصلح في الدرجة  
أخشاب منكسرة وكان اصلاح ذلك عقيب مطر عظيم حصل بمكة في أوائل  
شهر رمضان .

ولما قتل الناصر فرج بن برقوق على الوجه الذي تقدم شرحه ما قدم أحد من  
أمراء الجراكسة على التلبس بالسلطنة خوفا من مخاصمة العسكر وجبنا أن يقدموا  
على قتله فاتوا الخليفة العباسي وأبرموا عليه وسلطنوه بالجبر وهو ( المستعين بالله  
أبو العباس بن محمد بن أبي بكر العباسي المصري ) بعد التمتع الشديد منه فولى السلطنة  
في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان القيام بتدبير المملكة الأمير شيخ  
المحمودى ثم خلع المستعين بالله وتسلمن مكانه .

وتلقب بالملك المؤيد شيخ في مستهل شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وهو  
الرابع من ملوك الجراكسة وكان أصله من ممالك الظاهر برقوق اشتراه من تاجر  
يسمى محمود البزدى وأعتقه وجعله أمير عشرة ثم صار صاحب طبلخانة ثم مقدم  
ألف ثم ولى نيابة طرابلس ثم أسره تيمورلنك لما أمر نواب البلاد الشامية ثم هرب  
منه ووقعت له أمور مع الناصر فرج من الخروج عليه وعصيانه إلى أن آل أمره  
إلى أن صار سلطانا وعصى عليه نواب البلاد الشامية وتوجه إلى قتالهم مرارا  
كثيرة وافتتح الشام وغيرها وعاد إلى مصر وكان يعتريه ألم المفاصل فصار يحمل  
على الأكتاف ويركب المحفة وكان شجاعا مقداما مهييا .

وكانت أسواق ذوى الفنون نافقة عنده لجودة فهمه وذوقه وكان يحب العلماء  
والفضلاء ويحل قدرهم .

وفي أيامه وقع الغلاء العظيم بمكة بحيث بيعت الفرارة الحنطة وهي حمل جمل  
معتدل بعشرين دينارا ذهباً وكان عاماً في جميع المأكولات بحيث بيعت البطيخة  
بدينار ذهب إلى أن رفع الله عن المسلمين تلك الشدة وكان في سنة خمس  
عشرة وثمانمائة .

ومن أعجب ما وقع في ذلك أن جملاً كان لجمال يقال له الفاروقى يحمله فوق طاقته

وفي جمادى الآخرة من تلك السنة فر من صاحبه ودخل المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون إمساكه فيعضهم ولا يمكن أحدا من نفسه إلى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء إلى الحجر الأسود فقبله ثم توجه إلى مقام الحنيفة ووقف هناك تجاه الميزاب فبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الأرض ومات فحمله الناس إلى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هناك .

وفي هذه السنة عمرت أماكن من سقف المسجد الحرام وعقد آن من جانب الركن اليماني المتصل بصحن المسجد .

وفي سنة ست عشرة وثمانمائة عمر شريف مكة يومئذ وهو الشريف حسن بن عجلان بن رميشة جد سيدنا ومولانا شريف مكة الآن حسن بن أبي نمي بن بركات بن حسن بن عجلان أدام الله تعالى دولته وسعادته بالجانب الشمالي من المسجد الحرام البيمارستان الذي كان وفقا للمستنصر العباسي فخر بن ودر فاستجره من قاضي مكة يومئذ القاضي جمال الدين الشافعي إجارة طويلة مائة عام بأربعين ألف درهم بوزن مصر وإذن القاضي جمال الدين للسيد حسن بن عجلان أن يصرف الأجرة المذكورة في عمارة ما نخر به منه البيمارستان المذكور وتمم ما يحتاج إلى الهدم ويرمم ما يحتاج إلى ترميمه وأن ينتفع به مدة إجارته فشرع السيد حسن في عمارة البيمارستان المذكور عمارة حسنة وجدد فيه ما يحصل به النفع للفقراء وجدد به إيوانا وصهريا ووقف جميع ذلك مما عمره وما يستحق الانتفاع به على الفقراء والمساكين والمرضى المنقطعين بأوون فيه علوا وسفلا وينتفعون بالإقامة به والسكنى فيه لا يزعمهم أحد ولا يخرجهم بل يستمرون إلى أن يحصل لهم الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم فاذا خلا البيمارستان عن المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة وجعل النظر على ذلك لولديه بركات وأحمد ثم بعدهما للأرشد فالأرشد من ذريته الذكور دون الإناث من ولد الظهر لا البطن ثبت ذلك وحكم بصحته القاضي السيد رضاه الدين أبو حامد محمد بن عبد الرحمن الفاسي الحسني المالكي في يوم الجمعة لعشر ماضين من صفر سنة عشرة وثمانمائة وإنما استحكم فيه المالكي لأن متأخرهم أجاز وقف المنافع وهو خلاف رأى أبي حنيفة والشافعي رضي الله

عنهما واستمر إلى أن خرب ودثر فاستبدل مرارا آخر ذلك في أواخر دولة المرحوم  
المقدس السلطان سليمان خان بن سليم خان سقى الله عهدده صوب الرحمة والرضوان  
واستبدل إلى جانبه رباط سلطان الهند أحمد شاه الكهراتى ورباط الخواجا بالظاهر  
واشترت دور أخرى وعمر في مكانها المدارس الأربعة ويبدو أنه مدرسة الحنفية  
منها جزى الله خيرا من كان سببا في انشائها وسيأتى بيان عمارتها ان شاء الله تعالى .  
وفي مستهل ذى الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة قدم إلى الحج أحد خواص  
مالك السلطان الملك المؤيد شيخ محمودى في يوم الاثنين لتسع خلون من المحرم  
سنة أربع وعشرين وثمانمائة وقد أناف على خمسين وكانت مدة ملكه ثمان سنين  
 وخمسة أشهر وتسلطن بعده ولده الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ  
بعهد منه في يوم الاثنين تاسع المحرم يوم وفاة والده وعمره إذ ذاك سنة وثمانية أشهر  
وسبعة أيام وهو الخامس من ملوك الجراكسة وصار يدبر مملكته الأمير ططر  
ومعه الملك المظفر أحمد طفلا وقتل كثير منهم إلى أن صفاه له الوقت فخلع  
الملك المظفر وتسلطن عوضه في يوم الجمعة الليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين  
وثمانمائة ورجع بالمظفر أحمد إلى مصر واستمر بالقاهرة إلى أن نقل إلى الاسكندرية  
مطعونا في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ونقلت جنازته من اسكندرية إلى مصر  
ودفن بالجامع المؤيد داخل زويله .

وتسلطن الملك الظاهر أبو الفتح سيف الدين ططر الظاهري في يوم الجمعة ليلة  
بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وهو السادس من ملوك الجراكسة  
وأولادهم بمصر وكان من ممالك الظاهر برقوق أعتقه وقدمه ولازال يتقدم إلى أن  
صار عند المؤيد رأس نوبة النوب ثم أمير مجلس ثم تسلطن كما ذكر وتلقب بالظاهر  
لقب أستاذه ومهد مملكة الشام وقتل نائبها وقبض على الأمراء المخالفين وقدم المخالفين  
وله آثار جميلة ومقاصد حسنة جليلة .

من أعظمها أنه قرر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ألف دينار ذهب  
تحمل له من خزينة مصر في كل عام وجعل ذلك له في مقابلة ترك المكس على الخضرة  
والفواكه والحبوب وغيرها بمكة وأمر ان يكتب عهدده واعترافه بذلك على سوارى

المسجد الحرام من ناحية باب السلام ومن ناحية باب الصفا باسقاط المكس الذي كان يؤخذ على الخضره والفواكه من المأكولات وأن لا يكاف شريف مكة على أخذ القرض منهم والسوارى المكتوبة بهذا العهد موجودة في المسجد الحرام إلى الآن .  
ثم لما سخر الله الملك الظاهر ططر مملكة لشام وحلب عاد إلى مصر فرض في أثناء الطريق وصار يتعامل في مصر ولزم الفراش ولم يتهن بالسلطنة ولا كمل فرجه بالملك وما أهله الدهر بل سلبه الملك وأسلمه الهلاك وتوفي يوم الأحد لأربع مئتين من ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة وكانت مدة ملكه أربعة وتسعين يوماً .

( وولى بعده في موته ولده الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر ) وعمره نحو العشر سنوات وهو السابع من ملوك الجراكسة وصار اتابك ومدبر مملكة الاتابك جاني بك الصوفى إلى أن تغلب على الاتابك برسباى الدقاقى فقبض عليه وأرسله إلى سجن اسكندرية وصار اتابك فى مكانه واستبد بأعور المملكة من غير مشارك فخلع الملك الصالح وتسلطن عوضه فى يوم الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وعمره نحو العشرين عاماً .

وكانت مدة سلطنة الملك ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً واستمر بعد الخلع عند والدته فى القلعة إلى أن توفي بالطاعون فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وعمر نحو ثلاثين عاماً .

( وولى برسباى السلطنة وتلقب الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقاقى ) وهو الثامن من ملوك الجراكسة بمصر أخذ من بلاد جركس وبيع فى بلاد قرم فاشتراه تاجر وجلبه إلى الشام وباعه فاشتراه الأمير دقاق الظاهرى نائب مالطية وقدمه إلى الظاهر برقوق فقربه وأعتقه فصار يترقى إلى أما ولاء الملك المؤيد مقدم ألف وجرت عليه نكباء وجيوش إلى أن ولى الظاهر ططر فقربه وأنعم عليه بتقدمه ألف ثم جعله داود أرا واستمر على ذلك إلى أن تسلطن على الوجه الذى قدمناه واستمر فى السلطنة مدة طالت وحسنت أيامه .

ومن جملة مناقبه أنه أخذ بلاد قبرس وأسر ملكها فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة وهو فى تحت ملكه بمصر لم يتحرك وكان عاقلاً مدبراً سيوساً ذا وقار وسكينة متجملاتى ملبسه وموكبه مجابج المال واشترى من ماله ثلاثة آلاف مملوك جركسى

وعمر بالقاهرة المدرسة الأشرفية وهي من محاسن مدارس مصر وقف عليها أوقافا كثيرة وعمر أيضا جامعا عظيما في سرياقوس ووقف عليه أيضا أوقافا كثيرة وفي أول سني سلطنته أرسل الأمير مقبل القديدي وأمره بعمارة أماكن متعددة من المسجد الحرام كان قد استولى عليها الخراب فأحسن بنائها وجدد كثيرا من أسقف المسجد الحرام كان قد تأكلت أخشابها وكذلك جدد سطح الكعبة الشريفة وكانت الأخشاب التي تربط فيها كسوة الكعبة قد تأكلت ودابت فقلعها ووضع عوضها أخشابا جديدة محكمة بمسامير كبار من الحديد وأحكم كل ذلك غاية الأحكام وأتقنه غاية الاتقان .

وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة أمر الأشرف برسباي أميره بمكة يقال له مقبل القديدي الأشرفي بقلع الرخام المفروش في باب الكعبة وجدرانها من داخل التخرية وتقلعه وأن يجده برخام جديد وأن يعيد ما كان صحيحا غير منكسر وكذلك يصلح الأساطين التي في جوف الكعبة الشريفة ويحكمها .  
وذكر شيخ الكعبة أنه سمع صريحا في سقف الكعبة الشريفة فتبعوا ذلك فوجدوا إحدى الأسطوانات التي تقابل باب البيت قد مال رأسها عن محله فأعادها إلى محلها وأحكمها وعمر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم ساطانه الأشرف برسباي في لوح رخام نقره ونقشه بالذهب وركبه في جدار البيت الشريف وهو باق إلى الآن وكان مسند العمارة هو الأمير مقبل القديدي الأشرفي والناظر عليها الخواجا على الكيلاني تاجر السلطان وحضر في العمارة شيخ الكعبة والقضاة الأربعة وناظر الحرم الشريف والمعمار جمال الدين يوسف المهندس وكان الفراغ من هذه العمارة في شهر صفر .

وفي أول هذا العام عمر الرخام الذي في أرض الحجر في باطنه وظاهره وأعله وأسفله على يد الأمير مقبل المذكور .

وفيها عمر باب الجنائز أحد أبواب المسجد الحرام الواقع أمام رباط سيدنا العباس رضي الله عنه أمام هذا الباب وإنما سمي باب الجنائز لأنه كان مخصوصا بدخول الجنائز منه إلى المسجد للصلاة عليها فيه وجرت عادة أهل الحرمين الشريفين بإدخال جنائزهم المسجد الحرام والصلاة عليها عند باب الكعبة الشريفة وكذلك أهل المدينة

يدخلون جنازتهم المسجد النبوي ويقفون بها أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم ويصلون عليها في الروضة الشريفة وهذا مذهب الإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم وأما الحنفية في الحرمين الشريفين فيقلدون أولئك الأئمة ليحوزوا هذا الفضل العظيم لأن مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه عدم جواز إدخال الميت المسجد وطال ما تصفحت كتب الفتاوى وتفحصت عن رواية أئمتنا بالجواز إلى أن ظفرت بعون الله تعالى في جواز ذلك وهي رواية عن أبي حنيفة رضي الله عنه فقرحت بها كثيرا كإني ظفرت بكنز عظيم فلا تغفل عنها فإنها من مهمات المسائل لا سيما لأهل الحرمين الشريفين فعرض عليها بالنواجذ واعتمد على ما أفتيت في هذه المسألة فقد ذكر علماءنا رضي الله عنهم أن كل قول قال به الإمام أبو يوسف والإمام محمد والإمام زفر فهو رواية عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وحيث تبنت هذه الرواية عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فهي قول له وأن كانت غير ظاهر الرواية فأخذنا بها تصحيحا للعمل جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم في الحرمين الشريفين من صدر الإسلام إلى هذا العصر ولا نقول بتأثير ما سلف مع وجود المسامح الصحيح وهو رواية عن المجتهد الذي نقله رضي الله عنه.

( وقد رفع إلى سؤال في ذلك صورته ) ما قولكم في مسألة الصلاة على الميت في المسجد الحرام المسمى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم في الروضة الشريفة هل يجوز للحنفي إدخال الميت إليهما والصلاة عليه فيهما كما هو محمل الحرمين قديما وحديثا وهو شأن السلف الصالح إلى الآن أم لا يجوز ذلك لأن الصحيح من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه كراهة الصلاة على الميت في المسجد وعلى هذا فهل يأثم فاعل ذلك وهل تؤثمون السلف الصالح على إدخال موتاهم إلى مقابلة وجه النبي صلى الله عليه وسلم طلباً لبركته ومرحمته ثم إدخاله إلى الروضة الشريفة التي هي بنص الحديث الشريف روضة من رياض الجنة فيحرم الميت من دخولها ولا يدخل إلى المسجد الحرام ولا يوضع على باب الكعبة منطرحا في باب مولاه الكريم تعالى ويحرم من هذه البركات كلها ويأثم من أدخله مواطن هذه الرحمة والخير ( فكتبت ما صورته اللهم وفقنا للصواب ) اعلم رحمنا الله وإياك أن شرف المسجد الحرام وروضة النبي



عليه أفضل الصلاة والسلام ونزول الرحمة فيهما على من دخل فيهما أمر واضح لا شك فيه ولا مرية تعتريه وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وقد تواطأ أهل الحرمين الشريفين وتطابقت آراؤهم إلى الآن على إدخال موتاهم إلى المسجد طلباً لمزيد التبرك والاسترحام ولم يعهد من علمائنا بالحرمين الشريفين التآني من ذلك أو الإنكار على فاعله مع أنه سائغ في مذهب غير الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه من الأئمة المجتهدين رضي الله عنهم فلا نقدم على تأييم السلف الصالح فيما فعلوه طلباً لمزيد الرحمة والبركة واختلاف الأئمة رضوان الله عليهم رحمة ويجوز للمقلد الأخذ بكلام مجتهد من المجتهدين في بعض المسائل وإن خالف أمامه رضي الله عنهم أجمعين ومع ذلك فقد وجدت نقلاً صريحاً للمحيط البرهاني عن الإمام الثاني ان في رواية عنه قوله مثل قول الإمام الشافعي رضي الله عنهما وصورة ما نقل وإنما تكره الصلاة على الجنائز في المسجد الجامع ومسجد الحى عندنا .

وقال الشافعي لا يكره وعن أبي يوسف روايتان في رواية كما قال الشافعي وفي رواية إذا كانت الجنائز خارج المسجد والامام والقوم في المسجد لا يكره انتهى فترجح عندي أن أفتى بالجواز من غير كراهة واعتمدت على هذه الرواية وحسنت الظن بالسلف الصالح وكفى بالامام أبي يوسف رضي الله عنه قدوة في هذه المسئلة فاعلم ذلك واحفظه فانه نفيس ولا تجمد مع الجامدين على أن الكراهة كراهة تنزيه نص عليه شرف الأئمة العقيلي كما نقله عنه الامام الزاهدي رحمهما الله تعالى قاله الفقير قطب الدين الحنفي غفر الله تعالى ذنوبه قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى في كتابه الوري بأخبار أم القرى في حوادث سنة ست وعشرين وثمانمائة وفيها عمر الأمير مقبل القديدي باب الجنائز على صفته الآن لأنه كان قد سقط ما فوق أحد البابين إلى منتهى المسجد الحرام المقابل لرباط المراغي وتخرب ما بين هذا الباب والباب الآخر وأزيل الحاجز الذي كان بينهما وأزيلت الاسطوانات الرخام اللتين تليان هذا الحاجز وعمر بحجارة منحوتة حتى ارتفع وعمر أما كن بهذا الموضع بين باب علي وباب العباس وموضع آخر يتصل بباب الأفضلية انتهى .

قلت رباط المراعي هو الآن محل رباط السلطان قايتباي الذي هو منزل أمير

الحاج المصرى فى هذا الزمان والمدرسة الأفضلية هى أوقاف الخواجا محمد ابن عباد الله وبينهما بابان للمسجد أصلهما باب واحد يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يدخل إلى المسجد من هذا الباب لأن دار السيدة خديجة رضى الله عنها فى هذا الباب يقال له باب الحريرين لأن الحرير يباع فى هذا الباب قلت وعادة الناس فى زماننا إدخال الجنائز من أبواب العباس وتخرج من باب السلام وأنا أرى أن تدخل الجنائز وتخرج من باب الحريرين ما بين مدرسة قايتباى ودار الخواجا ابن عباد الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل من هذا الباب إلى المسجد ويخرج منه ولا شك أنه أكثر بركة وخيراً من سائر أبواب المسجد الحرام وإنما يقال له باب القفص لأن الصياغ يصوغون الحلى فى أقفاص للبيع بقرب هذا الباب .

قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى وفيها عمر الأمير مقبل المذكور عدة عقود بالمسجد الحرام فى الجانب الشامى من الدكة المنسوبة إلى القاضى أبى السعود بن ظهيرة إلى باب العجلة خلف مقام الحنفية وزاد فى عرض العقود التى تلى الصحن من هذا الجانب ثلاثة عقود فى الصف الثالث وأحکم الأساطين التى عليها هذه العقود وهى سبعة أساطين فى الرواق الأول وثمانية فى الذى يليه وثلاثة فى الذى يليه وسبعة متصلة بجوار المسجد ووجدت من أبواب المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاثة أبواب وباب على وهو ثلاثة أبواب أيضاً والباب الأوسط من أبواب الصفا وهى خمسة وباب العجلة وهو باب واحد وأحد بابى الزيادة وهو الواقع فى الركن الغربى من الزيادة ورسم باقى أبواب المسجد ويبيض غالبه وأصلح سقفه وكل ذلك على يد الأمير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس رحمهم الله تعالى .

وفى هذه السنة جدد الأشرف برمباى الكسوة الحرام داخل الكعبة الشريفة وكساها من داخل وأزال الكسوة القديمة وكانت للناصر حسن بن قلاوون وجاءت الكسوة الجديدة على يد الزينى عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التى على باب العجلة عن يسار الداخل إلى المسجد الحرام وهى مدرسة وخلوى للفقراء فى غاية الأحكام والاتقان وللمدرسة شبائك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل

إلى جانب المدرسة باقية الآن بيد النجارين أئمة مقام الحنفي يسكنها الأعيان  
الواردون إلى الحج وكانت عليها أوقاف بمصر دثرت الآن وأبقى أيضاً عبد الباسط  
سبيلا وحفر بئرا في طريق العمرة على يسار الذهاب إلى العمرة وجودة إلى الآن  
بقرب الموضع الذي يقال فح بالفاء والخاء المعجمة فيه مدفون أبي عبد الله  
الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم  
أجمعين وكان أحد الأجواد في الإسلام وكان يقول ما أظن لي أجرا فيما أعطيه  
ف قيل له وكيف ذلك قال لأن الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون  
ووالله ما هذا عندي وهذا الحصا إلا بمنزلة واحدة وكان خرج على الهادي العباسي  
بمكة وقاتل خالدًا الزيدي ومن معه من جنوده العباسيين وهزمهم ثم وصل محمد بن  
سليمان بجنود أخرى من قبل الهادي ونزل الحسين بن علي بفح وقاتل قتالا  
شديدا إلى أن قتل هو وجماعة من شيعة أشرف بنى حسن رحمهم الله تعالى وحملت  
رؤسهم وهي مائة رأس يعدمها رأس الحسين بن علي إلى الهادي ويقال له الحسين  
ابن علي الفح النبوي .

وروى أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين إسناده إلى النبي صلى الله عليه  
وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فح فصلى بأصحابه صلاة الجنائز  
ثم قال يقتل هنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المسلمين ينزل لهم بأكفان وحنوط  
من الجنة تسبق أرواحهم إلى الجنة أجسادهم وعبد الباسط هذا هو بن خليل  
ابن إبراهيم الدمشقي ثم القاهري ناظر الجيش في أيام الظاهر ططر فمن بعده كان  
عزيزاً رئيساً كريماً نافذ الكلمة على الجاه واسع العطاء كبير الهمة له في كل واحد  
من هذه المساجد الثلاثة مدرسة وكذلك بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وبغزة  
وله على جميع هذه المدارس أوقاف كثيرة بمصر كانت تغل مغلا كبيرا استولى  
عليها الخراب الآن وكانت له سحابة للفقراء تنصب لهم في الطريق ليستظلوا تحتها  
وكانوا يحملون على جمال في شقائف أعدها لهم وكانوا يسقون الماء العذب كلما  
احتاجوا إليه ويطعمون الخبز الطري والبكسماط وكان يطبخ لهم في المناهل ويذبح  
لهم الغنم في الذهاب من مصر إلى مكة وفي مدة الإقامة بها والعودة منها إلى مصر مع

الاحسان إليهم وإلى غيرهم وأصلح كثيرا من درب الحجاز وكان متكلماً على أوقاف  
كسوة الكعبة بمصر فعمرها ونماها إلى أن فاضت وكثرت في زمانه .

وقد ذكر شيخ الإسلام قاضي القضاة بمصر الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني  
رحمه الله في كتابه فتح الباري أن الصالح بن الناصر بن قلاوون اشترى ثلثي قرية  
يقال لها بيسوس من وكيل بيت المال ثم وقفها في كسوة الكعبة الشريفة ولم تزل  
تلكس من ريع تلك القرية إلى أن فوض أمرها المؤيد شيخ إلى الزيني عبد الباسط  
ابن خليل ناظر الجيوش فتمت وكثر ريعها وبالغ في تحسينها بحيث يعجز الوصف  
عن وصف حسناتها جزاء الله على ذلك خير الجزاء اهـ وكفاه فخراً ذكر هذا الامام  
الجليل في مثل هذا التأليف العظيم .

ورأيت أيضاً في شرح إيضاح المناسك للسيد نور الدين علي السهمودي الحسني  
عالم المدينة رحمه الله تعالى ما لفظه وكسوة الكعبة الشريفة وكسوة الحجرة الشريفة  
النبوية في هذه الأعصر من وقف قرية يقال لها سند بيس في طرف القليوبية بما يلي  
القاهرة شراها السلطان الصالح اسماعيل بن السلطان محمد بن قلاوون من وكيل بيت  
المال ووقفها لأن تلكس منها الكعبة الشريفة كل سنة وتلكس الحجرة الشريفة  
النبوية في كل خمس سنين مرة على ما قاله الزيني المراغي وذلك في عشر الستين وسبعائة .

أقول هذه القرى موجودة الآن بمصر لكن ذكر لي من كتبة ديوان مصر  
الفاضل الكامل مولانا مصطفى جلبي بن مسيح زاده لما كان مقيماً بمكة المشرفة ناظراً  
على الحرم الشريف المسكى ذكره الله تعالى بالصالحات أن هذه الأوقاف ضعفت  
جداً وقل محصولها وصارت لا تفي لكسوة الكعبة الشريفة فعرض ذلك على  
أبواب المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أسكنه الله فسيح الجنان فأمر  
بالحاق قرى أخرى اشترى من بيت المال وأوقفها وألحقها بأوقاف كسوة الكعبة  
الشريفة وهي باقية إلى الآن ومنها كسوة الكعبة الشريفة في كل عام .

ولنعد إلى تكميل ترجمة القاضي عبد الباسط كانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء  
لأربع ليال مضين من شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة ونوفى السلطان الملك

الاشرف برسباي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة .

وفي يوم وفاته تولى بعده العزيز الملك جمال الدين يوسف وعمره يومئذ أربعة عشر عاما وهو التاسع من ملوك الجراكسة بمصر وصار مدبر مملكته الاتابك جقمق العلائي ولا زال يقوى أمره والاقدار تساعد به إلى أن خلع الملك العزيز يوسف بن برسباي بعد أن تسلطن نحو من خمسة أشهر لم يكن له فيها إلا مجرد الاسم .

وتسلطن مكانه في يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ولقبوه الملك الظاهر سيف الدين أبا سعيد جقمق العلائي الظاهري وجلس على سرير الملك وتم أمره وهو العاشر من ملوك الجراكسة وكان جلب من بلاد جركس إلى مصر فاشتره علاء الدين علي بن الاتابك انبال اليوسفي فنسب إليه فقيل له جقمق العلائي . ثم انتقل إلى الظاهر برقوق فقيل له الظاهري وكان عنده خاصكيا . ثم صار في دولة الناصر ساقيا عنده . ثم صار أمير عشيرة . ثم صار في دولة المؤيد خزندار . ثم صار من مقدمين الالوف . ثم في دولة الاشرفية صار حاجب الحجاب . ثم أمير أخور كبير . ثم أمير سلاح . ثم صار أتابك إلى أن تسلطن فخرج عن طاعته الامي قرقماس فقاتله ثم ظفر به وسجنه بالاسكندرية ثم قتله . ثم خرج عن طاعته نائب حلب تغرى برمش .

ثم انبال الحسكي نائب الشام فجهز عليهما العساكر فقاتلوا واحدا بعد واحد وظفر بهما وقلهما وبعد حول صفا والوقت فأخذوا أعطى وأقدم وسطا وكان متواضعا محبا للفقهاء والعلماء والصالحين يميل إلى تربية الأيتام ويحسن اليهم عفيفا عن المنكرات طاهر الفم والذيل لا يعلم من ملوك الجراسة قبله ولا بعده أعف منه وكان على قاعدة الأتراك الدعوى عنده لمن سبق يفاكر مسائل فقهية ويتعصب لمذهب أبي حنيفة رضى الله عنه وملك مصر نحو من خمسة عشر عاما إلى أن أورى الدهر له من زنده نارا واتخذ بدل عيشه الأخضر بالموت الأحمر ولم يجد له أنصارا واتخذ تحت

الأرض بعد تخت الملك قرارا وأصفرت الأرض منه في سابع صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة .

وكان الظاهر جقمق أول ما ولي التفت إلى مكة المشرفة وأرسل خلعا ومراسيم للسيد بركات بن حسن عجلان بولاية مكة وأرسل اليه سودون المحمدي ليكون أميراً على خمسين فارساً من الترك مقبلاً بمكة وشيد العائر بها .

وكان من عمارة الأمير سودون بالمسجد الحرام في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة أنه قلع الرخام الذي على سطح الكعبة الشريفة وكان الخشب الموضوع في السطح الشريف لأن يربط فيه جبال الكسوة الشريفة قد تأكل وتاكل خشب الروازن الأربعة التي كانت في سقف الكعبة التي كانت للضوء فغير ذلك جميعه وجرد الكعبة الشريفة واستمرت مجردة يومين وليلتين يشاهد الناس أحجارها إلى أن أكل ترميمها واصلاحها واعيدت الكسوة عليها في ضحى يوم الاثنين لثمان بقين من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وأصلح أيضاً رخام داخل الكعبة من الجدار المقابل للباب الشريف وأصلح أيضاً رخام الحجر ويبيض مأذنة باب السلام وأصلح مأذنة باب العمرة ويبيض مأذنة باب الحزورة ورم أسافل مأذنة باب علي وأصلح سقف المسجد الحرام من تلك الجهة لخرابه وأصلح الرفرف الدائر بالمسجد الحرام ويبيض علو مقام إبراهيم وعلو مقام الحنيفة وقبة باب إبراهيم والأميال التي تلتصق بدار العباس في المسعى والميل الذي في ركن المسجد بقرب باب بازان والذي يقابله التي هي علامة للمسعى بينهما وعين في كل ميل قنديلاً بالليل من قناديل الحرم الشريف في شهر رجب وشعبان وشهر رمضان تضيء للبعثرين وفي بعض ذى الحجة للاضائه على الحجاج إذا أرادوا السعى وجعل على الصفا قنديلاً وعلى المروة .

ثم عمر الأمير سودون المذكور ما بقى من المواضع الماثورة في منى وفي المشعر الحرام بمزدلفة ومسجد غرة بعرفة وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذي كان بين المسارين في طريق عرفة وكانت تمزق كسوة الشقادف والمحابر عند مزاحمة جمال الحاج في ذلك المحمل وكانت الحرامية تكمن تحن الأشجار وتنهب جميع ما تنظر به من الحجاج وتخطف منهم جميع ما تقدر عليه فقطع الأمير سودون جميع

تلك الأشجار وأزال الصخار الكبار ونظف الطريق ووسعها وشكره الحجاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تضر في طريق المسلمين والافشجر الحرم لا يعضد ولا يقطع فرحمه الله تعالى وأثابه الحسنى وكذلك الأمير خوش كدى نائب جدة في عصرنا في حدود سنة خمسين وتسعمائة قطع أشجار السلم ما بين المازمين وكسر الأحجار .

في سفتح الجبلين ومهد ووسع الطريق للحجاج ودفع بذلك عنهم شر السراق الذين كانوا يكمنون خلف تلك الأشجار والأحجار وشكره الناس أثابه الله تعالى وسيأتي شيء من عماراته فيما بعد ان شاء الله تعالى .

وفي موسم سنة ثمان وأربعين وثمانمائة وصل مع الركب المصرى رسول سلطان العجم شاه رخ ميرزا بكسوة للكعبة الشريفة وصدقة لأهل مكة فكسيت الكعبة من داخلها بتلك الكسوة من يوم عيد الأضحى وفرقت الصدقة على أهل الحرم .

وفي سنة خمسين وثمانمائة وصل بيرام خواجه ناظرا على المسجد الحرام وبنى بالمعلاة سيلا وحوضا ينتفع بهما الناس والبهائم على يمين المصاعد إلى المعلاة صار الآن في عصرنا بستانا عمره خوجا قينى مولانا محمد بن محمود أفندى قاضى مكة المشرقة في سنة سبع وستين وتسعمائة وقدمه لخاتم سلطان بنت الوزير الأعظم رستم باشا وأما والدة السلاطين خاصكى سلطان رحمهما الله وهو الآن في تصرف ناظر عمارتها بمكة المشرفة .

وفي موسم سنة خمسين وثمانمائة أيضاً حج وزير من وزراء السلطان مراد الثانى طيب الله ثراه جاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة حميلة لأهل الحرمين الشريفين ورمى في بركة قبة العباس بالحرم الشريف ثلاثمائة وستين رأس سكر وعدة قناطير من العسل وسقى الناس وملا القرب وخرج بها السقايون إلى المسعى يسقون الناس وصرف على الحجاج وأهل الحرمين أموالاً جزيلة تقبل الله منه صالح أعماله .

وفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة عمر ناظر الحرم بيرم خواجه فى الجانب الشرقى قطعة من جدار المسجد الحرام يلى رباط السدرة الذى هو الآن رباط الأشرف

قايتباى وعمر شباك حلوة منسوية للشيخ عفيف الدين بن عبد الله بن أسعد اليافعى وشباك خلوة منسوبة للشيخ جمال الدين محمد ابراهيم المرشدى وجدد فى الرواق القبلى من الجانب الشامى سبعة عقود وعمر أيضاً عين حسين وأصلح مجاريها ورمتها ترميها محكما ووصل فى ذلك العام كسوة الحجر اسماعيل مع كسوة البيت الشريف لأنه لم تجر بذلك عادة قبل هذا ووضعت فى البيت الشريف ثم كسى بها الحجر الشريف من داخله فى العشر الاخير من ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بعد أن حفظت فى جوف البيت الشريف سنة كاملة .

وعمر ناظر الحرم الشريف بيرم خوجا عدة برك فى عرفة كانت دائرة مملوءة بالتراب فأخرج ترابها وأصلحها وساق إليها الماء من الآبار التى بقربها يشرب الحجاج منها وعمر مسجد نمرة بعرفة وعمر الحيف بنى وصرف مالا عظيما فى جهات الخيرات رحمه الله تعالى .

ثم عزل ناظر الحرم المذكور بالتاجى الامير بردبك ووصل إلى مكة المشرفة ليلة الاحد السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وثمانمائة وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر ودخل صبح تلك الليلة من أعلا مكة ولاقاه أكابر مكة وأعيانها ولبس الخلعة السلطانية وقرأ مرسومه بالحطيم وهو مؤرخ بثنائى عشر جمادى الآخرة يتضمن أنه ولى نظر الحرم الشريف والربط والأوقاف والصدقات وأن يحاسب من كان قبله وأن يكون محتسبا بمكة فاستمر بهذه الوظائف وهو قائم الجاه نافذ الكلمة وباشرها مع التمكين وعمر فى أواخر السنة بعض سقوف المسجد الحرام . وفى هذه السنة أجز قاضى القضاء أبو السعادات بن ظهيرة الشافعى رباط رامشت لوكيل القاضى ناظر الخاص ثم وصلت فتاوى بعدم صحة اجارة الوقف اجارة طويلة فاستبدل له وحكم بصحة الاستبدال حاكم حنفى ثم أمر بعمارته أرباطا فعمره له ناظر الحرم الشريف التاجى بردبك وفتح فيه عدة شبابيك على الحرم الشريف على الوضع الذى هو باق عليه إلى الآن .

وفى سنة ست وخمسين وثمانمائة وصلت أحكام من الظاهر جقمق تتضمن الأمر باخراج ما على الكعبة الشريفة من داخلها من الكسوة المنسوبة إلى الأشراف



برسباى وأن تبقى كسوة الملك الأشرف الظاهر جقمق وحدها ففعلوا ذلك وفيها  
سافر أمير الترك الراكز بمكة الأمير جانبك النوروزى وولى عوضه فى منصبه ناظر  
الحرم التاجى بردبك .

وفى سنة سبع وخمسين وثمانمائة وردت القصاد من مصر تخبر بأن الملك الظاهر  
جقمق زاد به مرضه فخلع نفسه من السلطنة فى يوم الخميس لتسع بقين من محرم من  
السنة المذكورة لولده أبى السعادات فخر الدين عثمان .

ولقبه الملك المنصور وعقد له البيعة ورضى الناس به واطمأنوا وهو الحادى  
عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وسنه دون العشرين وركب بشعار السلطنة وحمل  
الاتابك أنبال العلائى أمير كبير القبة والطاير على رأسه وجلس على تخت الملك فى  
قلعة الجبل وباشر الأمور إلى أن توفى والده بعد سلطنة ولده باثنى عشر يوماً فوقعت  
فتنة بين الأمرام فخلع الملك العزيز عثمان .

وتسلطن الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر أنبال العلائى فى صبيحة يوم  
الاثنين لثمان مضي من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وهو الثانى  
عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وهو جركسى جلبه الخواجا علاء الدين إلى  
مصر فاشتراه الظاهر برقوق وأعتقه الناصر فرج بن برقوق وتنقل فى الدولة إلى  
أن صار فى أيام الأشرف برسباى أمير مائة ألف مقدم وولاه الظاهر جقمق  
الدوادرية الكبرى إلى أن جعله أتابكا واستمر إلى أن تسلطن وتم أمره فى الملك  
وطالت مدته وأيامه نحو ثمان سنين وشهرين وأياما وكان طويلا خفيف اللحية  
بحيث اشتهر بانبال الأجرد وكان قليل الظلم قليل سفك الدماء متجاوزاً عن الخطأ  
والتقصير إلا أن ممالিকে ساءت سيرتهم فى الناس وفى ابتداء سلطنته سافر إليه أمير  
الترك الراكز بمكة وناظر الحرم ومحتسب مكة الأمير بردبك التاجى وولى عوضه  
أمير الترك الراكز بمكة شريك الصوفى وطوغان شيخ الحرم ومحتسب وولى مشدأ  
أعلى جدة جاني بك وهو الذى بنى البستان الذى على يسار الذهاب من منى المعروف  
به الآن وحفر فيه عدة أبنار وغرس فيه ما قدر عليه من الأشجار حتى شجر  
المرهذى وأدر كناه فيه ووقف عليه مسقاف بمكة ولم يقع فى أيام الأشرف عمارة

للحرم الشريف واستمر سلطانا إلى أن خلع نفسه مدة السلطنة وعقد لها ولده.

( الملك المؤيد شهاب الدين أبو الفتح أحمد بن انيال )

في يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمس وستين  
وثمانمائة وتوفي والده بعد ذلك يوم واحد ثم خلعه أتابك حين قدم بعد خمسة أشهر  
وخمسة أيام وولى السلطنة عوضه .

( الملك الناصر سيف الدين بن سعيد خوشقدم الناصرى )

يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة .  
وهو رومى جلبه الخواجه ناصر الدين وبه عرف واشتراه المؤيد شيخ وأعتقه  
وصار خاصكيا عنده ثم تغلب في الدولة إلى أن جعله الأشرف أنيال أتابكاً ولده  
فخلعه وتسلطن مكانه وكان محباً للخير وكسى الكعبة الشريفة في أول ولايته على  
العادة ولكن كانت كسوة الشرقى والجانب الشامى بيضاء بجامات سود وفي الجامات  
التي بالجانب الشرقى بعض ذهب فأرسل في سنة ست وثمانين وثمانمائة منبراً وكان  
من خشب فركب في يوم الأربعاء والخميس وخطب عليه الخطيب في يوم الجمعة  
ثاني الحجة الحرام وكانت مدة سلطنته ست سنين ونصف تقريباً ومرض وطال  
مرضه وتوفي في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنين  
وسبعين وثمانمائة .

وتسلطن في ذلك اليوم خشتاشة الاتابك بلباي .

( وهو الملك الظاهر الناصر بلباي المؤيدى ) فخلع على الأمير تمر بغا الظاهرى  
بالآتابكية عوضاً عن نفسه وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وكان  
ضعيفاً عن تدبير الملك فخلعه الأمراء من السلطنة في يوم السبت لسبع مضين من  
جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين وثمانمائة فكانت مدة سلطنته شهرين إلا أربعة أيام  
وتسلطن بعد خلعه عوضاً عنه .

## ( الملك الظاهر أبو سعيد تمر بغا الظاهري )

وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر ولكن كان يقال أنه رومي الأصل من ماليك الظاهر جقمق أعتقه ورباه صغيراً إلى أن جعله خاصكياً ثم سلحداراً ثم خزنداراً كبيراً ثم دواداراً ثانياً ثم صار في دولة الملك المنصور دواداراً كبيراً ثم عاد إلى القاهرة في دولة الظاهر خوشقدم فصار مقدم ألف ثم صار في دولة الظاهر بلباي آتابك العساكر ثم تسلطن وكان له فضل وصلاح وتودد للناس وحذق ببعض الصنائع بحيث يعمل القسي الفاتقة بيده ويعمل السهام عملاً فائقاً فيها ويرمي أحسن رمي يفوق غيره فيها مع الفروسية التامة ومع ذلك ما صفا له الدهر يوماً ورماه عن كبد قوسه أبعد رمي وما زال به الأمر إلى أن خلعوه ونفوه إلى الاسكندرية وولى السلطنة آتابك العساكر يومئذ .

## ( السلطان الملك الأشرف قايتباي المحمودي الظاهري )

في ظهر يوم الاثنين وهو السادس من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر ومولده ببلاد جرکس تقريباً في بضع وعشرين وثمانمائة جلبه الخواجه محمود إلى مصر فنسب إليه واشتراه الأشرف برسباي وأعتقه الظاهر جقمق وإليه انتسب وتقل في المراتب إلى أن صار في دولة الظاهر خوشقدم أمير مائة ألف مقدم ثم في دولة الظاهر تمر بغا آتابكاً ثم صار بعد خلع سلطانه بعد تعزز منه وتمنع وحصلت له البشارة بالسلطنة من عدة أولياء الله الصالحين قبل أن يليها وكان محباً للخير معتقداً في الصلحاء .

ويحكى عنه أنه كان يحكى عن نفسه أنه لما جلب إلى مصر للبيع وهو غلام مراهق أو بالغ كان معه رفيقه أحد المماليك الجلب فتحدثوا مع الجمال في ليلة من ليالي شهر رمضان فقالوا لعل هذه ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بدعاء يحبه فقال قايتباي أما أنا فاطلب سلطنة مصر من الله تعالى فقال الثاني وأنا أطلب من الله أن أكون أميراً كبيراً والتفتا إلى الجمال وقال له أي شيء تطلبه فقال أنا أطلب من الله خاتمة الخير فصار قايتباي سلطاناً وصار صاحبه أميراً كبيراً

فكانا إذا اجتماعا يقولان فاز الجمال من بيننا رحمهم الله وكان ملكا جليلا وسلطانا  
 نبيلاً له اليد الطولى في الخيرات والطول الطائل في أسداء المبرات بنى بالمساجد الثلاثة  
 عدة ربط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار باهرة الأنوار ولهم بمصر والشام وغزة  
 آثار جلية وخيرات جميلة أكثرها باق إلى الآن وجميع عمائرهم يلوح عليها اللوامح  
 النورانية والآنس .

وفي أول ولايته أرسل إلى مكة بالمراسيم والخلع للسيد الشريف محمد بن بركات  
 بن حسن بن عجلان بولاية الحرمين الشريفين وإلى قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم  
 بن طهير الشافعي بقضاء مكة ومراسيم تتضمن الأمر بإبطال جميع المكوسات والمظالم  
 وأن ينقر ذلك على اسطوانة من أساطين الحرم الشريف في باب السلام وفي آخر  
 سنة أربع وسبعين وثمانمائة والتي قبلها بنى مسجد الخيف بناءً عظيماً محكماً وجعل  
 في وسط المسجد قبة عظيمة هي حد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيف  
 منى وبنيت جداراته المحيطة به وبنى أربع بوائك من جهة القبلة فصارت قبة عالية  
 فيها محراب النبي صلى الله عليه وسلم وبلصق القبة مأذنة التي على عقد باب المسجد  
 بثلاثة أدوار صنعة الاستاذين وبنى دار بلصق الباب وكانت مسكن أمراء الحاج وعلى  
 الباب في الدار المذكورة سبيل يملأ الصهريج كبير جعل في صحن المسجد يمتلأ من  
 المطر وجعل للمسجد باباً آخر إلى جهة عرفة وخوخة صغيرة إلى الجبل الذي في  
 سفحه غار المرسلات وهو الموضع الذي أنزلت فيه سورة المرسلات على النبي  
 صلى الله عليه وسلم وبالجملة فهذا المسجد أثر عظيم باق إلى الآن من آثار المرحوم  
 السلطان قايتباي وقد غلب عليه الدثور عمر الله من عمره أو تسبب في تعميره .

وعمر السلطان المذكور مسجد نمرة في عرفة وهو المسجد الذي يجمع فيه الإمام  
 بين الظهر والعصر جمع تقديم في يوم عرفة للحجاج المحرمين في ذلك الآن لا يجمع عند  
 أن حنيفة في غير ذلك الحال جمع تقديم إلا في ذلك المسجد ولا جمع تأخير إلا في  
 المزدلفة بين المغرب والعشاء للحجاج وجعل في صدر ذلك المسجد رواقان عظيمان  
 يتظلل بهما الحجاج وقت الصلاة عن الشمس وجدد العليين الموضوعين لحد عرفة  
 والعلين الموضوعين لحد الحرم وبيض المسجد الذي بمزدلفة على جبل قزح وهو  
 المشعر الحرام على رأي وجدد عين عرفات وابتدأ المعمار العمل فيها من سفح جبل

الرحمة إلى واد نعمان فوجد الماء بكثرة فاقصر على ذلك ولم يصل إلى أم العين وكانت قد انقطعت منذ مائة وخمسين سنة وكان الحجاج يقاسون في يوم عرفة من قلة الماء ما لا يصبر عليه ثم أصلح البركة وملاها بالماء ثم أصلح عين خليص وأجرأها وأصلح بركتها وبنى قبعتها وامتلات البرك وعم النفع بها وبعين عرفات وكان ذلك من أعظم الخيرات بالنسبة إلى الحجاج والزوار.

وفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة وصل منبر خشب للمسجد الحرام في الخامس والعشرين من ذي القعدة إلى مكة المشرفة في البر فركب في جهة باب السلام وجر إلى المطاف وخطب عليه الخطيب في أول ذي الحجة.

وفي سنة إحدى وثمانين أصلح خشب سقف المسجد بالرواق الشرقي وغير رخام الحجر الشريف من داخله وخارجه ورصصت الشقوق التي بين أحجار المطاف داخل البيت الشريف.

وفي سنة تسع واثنتين وثمانمائة أمر السلطان قايتباي وكيله وتاجره الخواجا شمس الدين محمد ابن عمر الشهير بابن الزمن وشاد عمائر الأمير سنقر الجمالي أن يحصل له موقعا مشرفا على الحرم الشريف لينى له مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب الأربعة ورباطا يسكنه الفقراء ويعمر له زبوعا مسقفات يحصل منها ريع كثير يصرف منه على المدرسين وعلى القراء وأن يقرأ له ربعة في كل يوم يحضرها القضاة الأربعة المتصوفون ويقرر لهم وظائف ويعمل مكتبا للايتام وغير ذلك من جهات الخير فاستبدل رباط السدرية ورباط المراغي وكانا متصلين وكان إلى جانب رباط المراغي دار للشريفة شمسية من شرائف بنى حسن اشتراها منها وهدم ذلك جميعه وجعل فيها اثنتين وسبعين خلوة ومجمعا كبيرا ومشرفا على الحرم الشريف وعلى المسعى الشريف ومكتبا ومأذنة وصير المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملون والسقف المذهب وقرر فيه أربعة مدرسين عن المذاهب الأربعة وأربعين طالبا وأرسل خزانة كتب وقفها على طلبه العلم وجعل مائة منها المدرسة المذكورة وجعل لها خازنا عين له مبلغا وقد استولت عليها أيدي المستعبرين وضيعوا منها جانبا كبيرا وبقي منها ثلثمائة مجلد وهو تحت تكلم مؤلف هذا الكتاب صنتها وكلمت بعض ما فات منها وجلدت منها ما يحتاج إلى التجليد واستخلصت بعض ما وجدته وأعدته إلى الوقف صانه الله وجعل

الواقف في ذلك المجمع للقضاة الأربعة حضروا بعد العصر مع جماعة من الفقهاء يقرأون له ثلاثين جزءاً من القرآن وجعل فقيها يعلم أربعين صياماً من الأيتام ورتب لكل واحد من الأيتام وأهل الخلاوي ما يكفيهم من القمح في كل سنة وللمدرسين والمؤذنين وقراء الأجزاء مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة وبنى عدة ربوع ودور تغل في كل عام نحو ألفي ذهب ووقف عليهم بمصر قرى وضياعاً كثيرة تغل حبواً كثيرة تحمل في كل عام إلى مكة وعمل من الخيرات العظيمة ما لا يعلم ذلك السلطان قبله وذلك باق إلى الآن إلا أن الأكلة قد استولت على تلك الأوقاف فضعفت جدا وهي آيلة إلى الخراب وصارت المدرسة سكناً للأمراء الحج أيام موسم الحج وسكناً للغيرهم من الأمراء إذا وصلوا إلى مكة في وسط سنة وصارت أوقافها مأكلة للنظار عمر الله من عمرها وأحياها من أحياها وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين أحدهما من ناحية باب السلام والثاني من ناحية باب الحريرين في سنة أربع وثمانين وثمانمائة على يد الأمير سنقر الجمالي رحمه الله تعالى.

وفي هذه السنوات وردت أحكام السلطان قايتباي إلى صاحب مكة يومئذ مولانا السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن بن عجلان رحمه الله تعالى يتضمن أنه رأى مناما وأن بعض المعبرين عيروه له ذلك المنام بغسل البيت الشريف من داخله وخارجه وغسل المطاف وأنه أمره أن يفعل ذلك فحضر مولانا السيد الشريف محمد بن بركات رحمه الله تعالى بنفسه وقاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن علي بن ظهيرة وباش الترك الراكز بمكة الأمير قايتباي اليوسفي والأمير سنقر الجمالي والدوادار الكبير الأمير جاني بك نائب جدة المعمورة وبقية القضاة والأعيان بمكة وفتح بيت الله الحرام عمر بن أبي راجح الشيبلي والشيدون والخدام وغسلوا الكعبة الشريفة من داخلها قدر قامه ومن خارجها قدر قامه وغسلوا أرض الكعبة ومسائر المطاف الشريف وطبواها بالطيب وكان ذلك في يوم الخميس لثمان بقين من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة.

(فصل) ومن أعظم ما وقع في أيام السلطان قايتباي من الأمور الهائلة حرق المسجد الشريف النبوي ذكرناه استطراداً لأنه أمر هائل عظيم.

تفصيل ذلك أن في ثلث الليل الأخير من ليلة الاثنين ثالث عشر شهر رمضان

سنة ست وثمانين وثمانمائة طلع رئيس المؤذنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب إلى الماذنة الشرقية اليمانية في ركن المسجد الشريف المعروف بالريسية وهو يذكر ويمجد وكانت السماء متراكمة الغيوم متوارية النجوم إذ سمع رعد هائل وسقطت صاعقة لها لب كالنار أصاب بعضها هلال الماذنة فانشق رأسها ومات الرئيس إلى رحمة الله تعالى وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند الماذنة فعلقت النار فيه ففتحت أبواب السماء ونودي بالحريق في المسجد فحضر أمير المؤمنين يومئذ السيد قسطل بن زهير الجمالي وشيخ الحرم والقضاة وسائر الناس وصعدت أهل النجدة والقوة إلى سطح المسجد بالمياه في القرب يسكبونها على النار لتطفي فالتهمت وأخذت في جهة الشمال والمغرب وعجزوا عن اطفائها فهربوا واستولت النار عليهم فمات منهم فوق عشرة أنفس وعظمت النار جدا وأحاطت بجميع سقف المسجد الشريف وأحرقت ما في المسجد من المصاحف وخزائن الكتب والربعات وكانت كتبا نفيسة ومصاحف عظيمة وصار المسجد كبحر لحي من نار يرمى بشرر كالقصر إلى أن استوعب الحريق جميع المسجد والقبّة العليا التي فوق قبّة النبي صلى الله عليه وسلم وذاب الرصاص ولم يصل أثر النار إلى جوف الحجرّة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لسلامة القبّة السفلى وعدم التأثير فيها مع ما سقط عليها مما هو أمثال الجبال وأحرقت حتى الحجارة الأساطين وسقط منها نحو مائة وعشرين اسطوانة واحترق المنبر الشريف النبوي والصندوق الذي في المصلى والمقصورة التي حول الحجرّة الشريفة وقد سلمت الأساطين الملاصقة للحجرّة الشريفة وسلم ما حول المسجد من البيوت وشوهد أشكال طيور بيض يحومون حول النار كأنها تكفها عن بيوت جيران النبي صلى الله عليه وسلم مع وقوع بعض شرر النار فيها وعدم تأثيره فيها.

قال مؤرخ المدينة وعالمها ومفتيها مولانا السيد نور علي بن عبد الله السهمودي رحمه الله بعد سوق هذه الحكاية بالسيط من هذا في كتابه خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي ذلك عبرة تامة وموعظة عامة أبرزها الله تعالى للانذار فخص بها حضرة النذير الأعظم صلى الله عليه وسلم وقد ثبت أن أعمال

أمته تعرض عليه فلما ساءت الأعمال المعروضة فاسب ذلك الانذار باظهار المجازى بها يوم العرض قال الله تعالى وما نرسل بالآيات إلا تخويفا وقال تعالى ذلك الذى يخوف الله به عباده يا عبادى فاتقون قال وشرعوا فى تنظيف المسجد ونقلوا نقضه من مقدم المسجد إلى مؤخره للصلاة فيه وعمل فى ذلك أمير المدينة وقضاتها وعامة أهلها حتى النساء والصبيان تقربا إلى الله تعالى وبأدروا بإرسال قاصد إلى مصر وعرضوا ذلك على السلطان قايتباى رحمه الله تعالى فت هول من هذا الحادث العظيم وتوجه إلى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله عليه لتأهيله لهذا الشرف العظيم ورسم بإبطال جميع العماز المسكية وغيرها وأن يتوجه شادها السيوفى سنقر الجمالى مبادرا إلى المدينة الشريفة وأرسل إليه نحواً من ثلاثمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من الحمير والجمال والبغال وسائر مؤنهم ومبلغا من الخزانة نحو مائة ألف دينار فأكثر وجهز المؤن الكثيرة إلى أن امتلأت البنادر بها كالطور والينبع ونقلت إلى المدينة الشريفة واستقبلوا العمارة بجد واجتهاد إلى أن كملت عمارة المسجد الشريف والقبة الشريفة والمواذن وفرغوا منها على هذا الوجه الذى هو عليه الآن فى هذا الزمان .

وذكر السيد السمهودى رحمه الله تعالى فى تفصيل كتابه خلاصة الوفا فرأجه ان أردت إحاطة العلم به وذكره بأبسط من ذلك فى تاريخه الكبير الذى سماه وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر السلطان قايتباى أن يبنى له رباطا ومدرسة ومأذنة حول المسجد الشريف فبنوا له مدرسة عظيمة ورباطا مشرفا على المسجد الشريف ما بين باب السلام وباب الرحمة وأرسل إلى المدرسة خزانة كتب جليلة جعل مقرها المدرسة موقوفة على طلبة العلم الشريف وأرسل مصاحف كثيرة وكتبا لخزنة المسجد الشريف عوض ما احترق منها ووقف قرى كثيرة بمصر تحمل غلاتها إلى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرق عليهم لكل شخص ما يكفيه من الحب بطول السنة فكان حصة كل نفر سبعة أرادب فى العام مسوى فى ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار إلى الآن وزاد عليه الآن سلاطين آل عثمان أكثر مما أوقفه السلطان قايتباى لمكة والمدينة جزى الله المحسنين خيرا وضاعف لهم ثوابا وأجرا .



## فصل

### في حج السلطان قايتباي

أعلم أن ملوك الجراكسة ما حج منهم أحد غير السلطان قايتباي لكثرة تمكنه في الملك وكثرة ما فعله من الآثار الجميلة في الحرمين الشريفين فأقام الأمير الكبير شيبك الدوادار نائباً عنه بمصر وخرج إلى الحج في سنة أربع وثمانين وثمانمائة قبل وقوع حريق المسجد الشريف النبوي بنحو عامين وكان أمير الحاج خوشقدم خرج بالمحمل الشريف وبركب الحاج المصري فخرج السلطان قايتباي بقصد الحج والزيارة بعد خروج ركب الحاج بثلاثة أيام ووصلت القصاد إلى شريف مكة يومئذ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي جمال الدين السيد محمد بن بركات بن حسن ابن عجلان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وكان من أخص المخصوصين به وصاحب الحل والعقد عنده قاضي القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضي برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة القاضي الشافعي يومئذ بمكة طيب الله ثراه فتبأ هو والسيد الشريف محمد بن بركات لملاقة السلطان فان القصاد أخبروا أنهم فارقوه من عقبه أيلة وهي نهاية الربع الأول من طريق الحج وأرسل مولانا السيد الشريف أحد قواده ليسبقه إلى ملاقة السلطان بسماط حلوى فوصل إلى الحوراء ولاقي السلطان ومد له السماط الحلوى هناك فجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر غاية اللطف والمجاهرة وأكل وقسم على أمراءه وعسكره وكان سماطاً كبيراً جميلاً .

ويحكى من لطافة السلطان قايتباي أنه لما جلس على السماط تناول شيئاً من الحلوى يقال له كل واشكروا كل منه وسأل من الذي جاءه بالسماط أيش اسم هذا عندكم فقال له القائد هذا اسمه كل واشكر فقال له سلم على سيدك وقل له أكلنا وشكرنا . ثم لما وصل السلطان إلى ينبع عدل منه إلى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه إليها وكان قد خرج إلى ملاقاته سيدنا ومولانا السيد الشريف محمد ابن بركات وولده السيد بن هيزع بن محمد ومولانا القاضي ابراهيم بن ظهيرة قاضي جدة فبلغهم في أثناء الطريق ان السلطان عدل إلى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوجهوا إلى منزل بدر وأقاموا به منتظرين عود السلطان من المدينة الشريفة .

قال السيد السهمودي في تاريخه الكبير حج السلطان قايتباي في سنة أربع وثمانين وثمانمائة وبدأ بالمدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام فلبس حولها حلل التواضع والخشوع وتحلى بما يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبة والخضوع فترجل عن فرسه عند باب سورها ومشى على أقدامه بين ربوعها ودورها حتى وقف بين يدي الجناب الرفيع الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم وناجاه بالتسليم وفاز من ذلك بالحظ الجسيم ثم تى بضجيعه رضى الله عنهما بعد أن صلى بالروضة الشريفة التحية وعفر جبهته في مساحتها السنية وعرض عليه الدخول إلى الحجرة الشريفة فتعاضم ذلك وقال لو أمكنني أن أقف أبعد من هذا الموقف وقفت فالجناب عظيم ومن ذا الذي يقوم بما يجب له من التعظيم .

ثم صلى الجمعة في الروضة الشريفة في الصف الأول بين فقراء الزوار وإلى جانبه إمامه الشيخ الامام العالم العلامة برهان الدين بن الكركي .

ثم توجه لزيارة حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله من الصحابة الذين استشهدوا يوم أحد رضوان الله عليهم أجمعين فمشى مترجلا حتى خرج من باب المدينة ولم يزل ذلك دأبه ولم يركب بالمدينة تأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاد من الزيارة وحضر لصلاة الجمعة قال السيد السهمودي رحمه الله تعالى فبدأني السلطان بالملاطفة وسألني عن بعض المباحث فرأيت من تواضعه وحله وثقوب فهمه ما يفوق وصف الواصف فأنشده بيتي التلخيص :

كانت مسألة الركبان تخبرني      عن أحمد بن سعيد طيب الخير  
حتى التقينا فلا والله ما سمعت      أذني بأطيب مما قد رأى بصرى

فطرب لهما جدا واجتمعت به قرب المغرب في الروضة ففاتحني بالكلام ورأى في المحراب النبوي مكتوبا قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فسألني عن هذه الآية هل نزلت قبل المعراج أم بعد وكيف كان الاستقبال قبل نزولها فشرعت له في الجواب فأقيمت الصلاة في أثناء ذلك فصلينا فلما فرغ من الصلاة صلى ست ركعات بسكون وتأدب

فلما انقضت الصلاة أقبل على طالبها للجواب فذكرت له أن نزولها بالمدينة وأن فرض الصلاة كان بمكة ليلة المعراج وذكرت ما حكى في تعدد نسخ القبلة وصلاته صلى الله عليه وسلم بين الركنين اليمانيين جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس إلى غير ذلك من الفوائد وهو مصغ إليها متلذذا سماعها واستمرينا على ذلك حتى أقيمت صلاة العشاء فصلينا ثم عرضت عليه رفع بعض البدع من المدينة فأمر برفعها وطلبت منه رفع المكوس من المدينة فأمر بإزالتها وجعل لأمير المدينة في مقابلة ذلك ألف أردب قررها له في كل عام وفرق بالمدينة على فقرائها وفقهائها وعلماؤها نحو ستة آلاف ذهب وحصل لي منه خيرا كثيرا وإحسان جزيل ثم برز في اليوم الثالث من المدينة الشريفة قاصدا حج بيت الله الحرام انتهى كلام السهمودي ملخصا قال العز ابن فهد فلما وصل الخبر إلى بدر بعود السلطان وبروزه من المدينة الشريفة إلى السيد الشريف محمد بن بركات ومن معه ركبوا من بدر لملاقات السلطان فاجتمعوا به في منزلة الصفراء وتلاقيا على ظهر الخيل وتصافحا ومشى السيد الشريف على يمين السلطان والقاضي برهان الدين بن ظهيرة عن يساره وباقى من معهما سلخوا على السلطان على بعد ومشوا أمامه وصار السلطان يلاطفهم ويسأل عن أحوالهم ويشكر مسعاهم ويظمن خواتمهم ويحاربهم بالمكاملة وينصت لهم إذا تكلموا واستمروا كذلك إلى أن وصل السلطان إلى أوطا فرجعوا عنه إلى مخيمهم ثم صاروا يسايرونه في الطريق ويظهر كمال النشاط ويبدى لهم وافر الانبساط والبسهم السلطان خلعا فاخرة مرارا عديدة وفارقوه من بدر وتقدموا على السلطان إلى وادي مر الظهران ورتبوا هناك سباطا حافلا جميلا للسلطان ولمن معه فلما كان صبح يوم الأحد مستهل ذي الحجة وصل السلطان مخيمه بالوادي ووجد السباط ممدودا فجلس السلطان ومن معه على السباط وأكل منه وأطعم وفرق على من معه من عسكره الخاص به وخلع على الخدام والأنفار الذين مدوا السباط خلعا فاخرة متعددة جميلة ووصل بقية القضاة والخطباء والأعيان من مكة للسلام على السلطان فسلموا عليه وانصرفوا أمامه وركب السلطان ومعه شيخ الإسلام القاضي إبراهيم بن ظهيرة وولده القاضي أبو السعود وأخوه القاضي أبو البركات وإمام السلطان الشيخ برهان الدين السكركي الحنفى واستمروا إلى أن دخلوا إلى مكة من أعلاها.

وكان القاضي إبراهيم هو الذي تقدم لتطويق السلطان وصار يلقنه الأدعية والتلبية إلى أن دخل السلطان من باب السلام البراني فطلع بفرسه منه فجفل به جواده فسقطت عمامته واستمر مكشوف الرأس إلى أن تقدم المهتار رمضان وتناول العمامة من الأرض ومسحها وناولها السلطان فلبسها ، وكان ذلك تأديبا له من الله تعالى حيث كان يتعين عليه أن يترجل ويدخل محرما مكشوف الرأس تواضعا لله تعالى .

ثم لما وصل إلى عتبه الداخلة من باب السلام ترجل ونزل وقرأ بين يديه الرئيس بصوت جمهوري قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرأيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعدوا بفعل من دون ذلك فتحا قريبا : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ثم إنه رفع يده للدعاء للسلطان وأمن من حوله من أهل الأصوات ودخل من باب السلام ومولانا القاضي إبراهيم يلقنه الدعاء إلى أن دخل الطواف وقبل الحجر الأسود وهو الذي يطوفه ويلقنه الأدعية والرئيس ينادى بالدعاء له من أعلا قبة زمزم والناس يحيطون به بالمطاف الشريف يشاهدونه ويدعون له إلى أن تم طوافه وصلى خلف مقام إبراهيم ثم خرج من باب الصفا إلى الصفا وسعى راكبا معه القاضي إبراهيم يلقنه الدعاء فلما فرغ من سعيه فعاد إلى الزاهد وبات في مخيمه وركب في الصبح في موكب ولاقاه مولانا السيد الشريف محمد ابن بركات وأولاده وقاضي القضاة البرهاني إبراهيم بن ظهيرة وابنه الجمالي أبو السعود وأخوه القاضي فخر الدين وابن عمه والخطباء وأعيان الناس وأكابر التجار فخلع السلطان قابتباي على الجميع ومشوا قدامه في موكب عظيم وأبهة عظيمة ولم يتخلف أحد بمكة من النسب والرجال حتى المخدرات ودخل بمكة بهذا العنوان إلى أن وصل إلى مدرسته فترجل الناس له وسلم عليهم ودخل إلى مدرسته ومد له بها السيد الشريف محمد بن بركات سماطا جليلا واستمر على ذلك يمد له صباحا وليلا الأسطة الجميلة ومد له في ثاني يوم قاضي القضاة البرهاني سماطا جميلا واستمر السلطان بمدرسته ما ظهر لأحد غير أنه يتصدق بالليل كثيرا وركب مرة لدرج اليمن يشاهد

ما قدم له مولانا السيد الشريف من الإبل والخيل وتشكر من فضل السيد الشريف واستمر بمدرسته إلى أن طلع إلى عرفات ومعه إمامه راكب إلى جانبه وهو شيخ البرهاني إبراهيم بن الكركي والأمير شيبك الجمالي وأولاد القاضي يحيى بن الجيعان كاتم السر وخصيصه القاضي أبو البقاع بن الجيعان ورمضان المهتار ووقف بجبل الرحمة متضرعا إلى الله تعالى سائلا من رحمته القبول وكانت الوقفة يوم الاثنين فأفاض مع الناس وأتم حجه وفرق الأضاحي غنما كثيرة وأهدى شيئا كثيرا وكان المناسب أن ينحر شيئا من البدن فما أشار عليه أحد بذلك وعاد بعد أيام التشريق إلى مكة وتوجه الركب المصري وتأخر هو بمكة أياما وقرر وظائف مدرسته لأهلها من المدرسين والطلبة وقراءة صحيح البخاري وقراءة الربعة وخادمها وخادم المصحف والفراشين والبوابين والوقادين والجباة والسقاين والسبيل والآيتام والعريف والفقهاء والمؤذنين وناظر المدرسة والوقف والجابي والصيرفي وأصحاب الخلاوي ونحو ذلك وجعل لكل واحد كفايته من القمح والدرهم والزيت وكتب بذلك وقفية أشهد على نفسه بذلك فيها وعمل من الخيرات ما لم يسبق إليه وحضر بنفسه يوم الجمعة لثلاث عشر ليلة خلت من ذي الحجة بطرف الإيوان وقدمه المصحف على كرسي وفرق على الحاضرين أجزاء الربعة الشريفة وتناول السلطان جزءا منها كأحد القراء وقرؤا إلى أن ختم القاضي إبراهيم ولم يأخذ من السلطان الجزء حتى وضعه بنفسه وجمعت الأجزاء في صندوق الربعة ودعا الداعي للسلطان ومد للحاضرين سماطا حلوى بدور المدرسة ونزل السلطان وجلس إلى جنب القاضي إبراهيم وأكلوا ثم سقاهم سكر أو سوية وفرق عليهم فتوحا وانصرفوا .

وكان بنى السلطان سبيله على يمين الداخل إلى خان البرازين بالمسعى يقال له العلقمية وكان أمامه إلى جهة القبلة بالمسعى سبيل قديم للقاضي شهاب الدين الطبري على يمين الذهاب إلى المروة فأشار الخواجا شمس الدين بن الزمن والمهندس أن يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان وسبيله فهدم وصار المسعى مكشورا وعمارة الخان والسبيل ظاهرا وسافر السلطان في ظهر يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بعد أن طاف للوداع والرئيس يدعو له على قبة زمزم ومشى القهقري

إلى أن خرج من باب الحزورة وركب معه السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضى القضاة إبراهيم بن ظهيرة إلى الزاهر ثم ردهم وودعهم وسار إلى مصر وعاد إلى مملكته ولم يمتل عليه شيء من أمر المملكة مع غيبته عن تحت مصر مدة سفره إلى الحج وعوده إليها وهي نحو ثلاثة أشهر وذلك لإتقانه أمر الملك وتدريبه فيه وضبطه رحمه الله تعالى .

وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأقربهم إلى قلوب الرعية في اللطف والمؤانسة وأجملهم جمالا وإجلالا وأحسنهم إحسانا وأفضلهم أفضالا وأكملهم عقلا ونيلا واعتدالا وأكثرهم في جهات الخير آثارا وأوفرهم عمائر وأوقافا وأدوارا وأطولهم طولا وزمانا وأكملهم ملكا وقوة وإمكانا وكانت أيامه كالطراز المذهب ودولته تنجلي كالعروس في حلل الجواهر والذهب وعاشت الرعية في أيامه عيشا رغدا وظهرت العلماء في أيامه وغوا فصاروا نجوم الهدى إلى أن انتبه له الزمان الجائر واستيقظت له صروف الليالي والجود العواثر ودارت عليه كما دارت على من قبله الدوائر وهذا شأن الدنيا الدنية في أبنائها الأصاغر والأكابر ودأبها في السلاطين والملوك الغواير والبقاء والدوام لله عز وجل القدير القاهر فقدم على قايتباي يريد أجله وما أغنى عنه ما جمعه من خيله وخوله فأقدم على ما قدم من صالح عمله وترك ما خوله من متاع الدنيا وراء ظهره وأدرج في أكفان أعماله بعد ما غسل بدموع فقره وأنزل من سرير الملك إلى التابوت إلى قبره وقدم على رب كريم ووقف بين يدي ملك الملوك الحكيم الحكيم .

إذا أمسى فراشى من تراب وصرت مجاور الرمس الرميم

فهنوني أصبحابي وقولوا لك البشرى قدمت على كريم

فكان انتقاله رحمه الله تعالى في أواخر يوم الأحد الثالث بقين من ذى القعدة الحرام سنة إحدى وتسعمائة وصلى عليه يوم الاثنين ودفن بترته بالصحرَاء التي بناها في حياته في غاية الحسن والزينة وبها مساكن للقراء وأوقاف داره عليهم إلى الآن ليس بمصر أحسن تربة منها وصلى عليه بعد ذلك صلاة الغائب بالمساجد الثلاثة وكان له مشهد عظيم لم يعهد الملك قبله وكانت مدة سلطنته ثلاثين سنة إلا ثمانية

أشهر ولم يملك أحد من ملوك الجراكسة قدر مدة ملكه رحمه الله تعالى (وولى بعده الملك ولده الملك الناصر أبو السعادات) وكان شاباً يغلب عليه الجنون والسفه وما كان له التفات إلى الملك وإلى السلطنة بل غلب عليه اللهو واللعب والحركات المستبشرة.

يحكى عنه أمور قبيحة.

منها أنه كان إذا سمع بامرأة حسناء هجم عليها وقطع دائرة فرجها ونظمه في خيط أعده لنظم فروج النساء.

ومنها أن والدته كانت من أعقل النساء وأجملهن هيات له جارية جميلة جداً وجمعتها به في بيت مزين أعدته لهما فدخل بها وغلق الباب على نفسه وعليها وربطها وشرع يسليخ جلدها عنها كالجلادين وهي حية فلما سمعوا صوتها وبكاءها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لأنه قفل الباب من داخل فاستمر كذلك إلى أن سلخها وحشى جلدها بالثياب وخرج يظهر لهم أستاذيته في السليخ وأن الجلادين عن كماله في صنعته.

ومنها أنه مر وهو في موكبه بدكان حلواني يبيع الحللوة وبسطه قدامه فأقامه من دكانه وجلس مكانه يبيع الحللوة ودار حوله أمراؤه يشترون منه وأخذ بيده الميزان وصار يزن لهم الحللوة إلى أن جبرت وكان له حركات من هذه الخرافات منها ما يضحك ومنها ما يبكي إلى أن سقط من أعين العسكر وسطوا عليه كما سطا بالحسام الأبر وسليخوه كما سليخ تلك الضعيفة بالحجر ومزقوه كل ممزق ولعذاب الآخرة أكبر من غروره أنه خرج مستخفياً منفرداً عن عبيده وخدمه متباعداً عن حوله وحشمه فتوجه يتمشى وحده إلى بر الجزيرة فأمكن له عشرة أنفس من ممالك أبيه في خيمة على ممره فلما وصل إليهم وكان وحده منفرداً خرجوا عليه من الخيمة ومسكوا بلجام فرسه وضربوه بالسيوف إلى أن قطعوه وجاؤا به مقتولا إلى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه سنة أربع وتسعمائة.

(ثم ولوا بعده خاله الظاهر قانصوه) وهو خال الناصر محمد بن قايتباي كان

مأذجا أميا لا يعرف إلا بلسان الجركس قريب العهد ببلده لأن السلطان قايتباي جلبه من بلاده وهو كبير وخطه الشيب و صار يرقيه بواسطة زوجته خوندادم الناصر فبذلت له الأموال والخزائن وأرادت إقامته مقام ولدها الناصر وأرادت تقويته وإقامته وإصلاحه ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر فما استكمل الجند للابالة وما أهلوه للسلطنة وكيف له بها وأتى له فخلعوه بعد أن سلمهم سنة وسبعة أشهر وأخرجوه من الملك في أواخر سنة خمس وتسعمائة .

( وولى بعده أمير كبير يسمى جان بلاط وتلقب الملك الأشرف جان بلاط )  
في أوائل سنة ست وتسعمائة وما نهى بالسلطنة ولا وافقه أحد عليها و خلع بعد ستة أشهر .

( وولى مكانه الملك العادل طومان باي ) وما استكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه فما قدم أحد على السلطنة وكانت الأمراء متوفرة وكلهم يشير بعضهم إلى بعض في الجلوس على تخت الملك فاتفقوا على أن يولوا قانصوه الغورى لأنهم رأوه لين العريكة سهل الازالة أى وقت أرادوا إزالته أزالوه لأنه كان أقلهم مالا وأضعفهم جاها وأوهنهم قوة فأشاروا عليه أن يتقدم فأبى فالزموه بذلك فقال أقبل ذلك منكم بشرط أن لا تقتلونى وإذا أردتم خلعي من السلطنة أخبرونى بما تريدون وأنا أوافقكم على ذلك واترك لكم الملك وأمضى حيث أريد فعاهدوه على ذلك فقبل منهم وولوه السلطنة ولقبوه .

( السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى ) في سنة ست وتسعمائة وفرح العسكر بولايته لأنهم ستموا تعدد السلاطين وسرعة تقضى ملكهم بل فرح العامة وأمنوا على أنفسهم وأموالهم في الجملة وكان قانصوه الغورى كثير الدهاء ذا رأى وفطنة وتيقظ إلا أنه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف بخيلا محبا للعبارة .

( ومن جملة عماراته الجامع والتربة ) بين القصرين بمصر وكان في نيته أن يدفن بها ووقف عليها أوقافا كثيرة وما قدر له دفنه فيها بل ذهب تحت سنابك الخيل وما عرف وما تدرى نفس باى أرض تموت .



وله آثار جميلة في طريق الحج في عقبة أيلة وما أثر بمكة المشرفة وغيرها وكان يحفظ حرمة على الأمراء بالدربة والتنزل من غير تشديد عليهم ولا إظهار عظمة أو نهى وذلك ابتداء أمره إلى أن تمكن من قوته وبأسه .

حكى شيخنا شهاب الدين أحمد بن موسى بن عبد الغفار المغربي الأصلي ثم المصري نزيل الحرمين الشريفين وهو بمن أخذنا عنه رحمه الله تعالى عن والده وكان من المباشرين أرباب الأقلام من ديوان السلطان قانصوه الغوري رحمه الله تعالى قال اشتم الغوري مبادئ فتنة أراد الأمراء أحداثها وأرادوا أن يجعلوها مقدمة لخلعه من السلطنة فلما استشعر الغوري ذلك منهم عمل ديوانا جمع فيه الأمراء والمقدمين وأمرهم بالجلوس وجلس بينهم كأخدم وكانت عادة الأمراء والمقدمين الوقوف بين يدي السلطان ولا يجلسون معه إلا على السباط في الأكل فقط فله أجلسهم وجلس بينهم استنكروا ذلك منه وصاروا يتفقدون عن سبب ذلك وكل مصغ إلى ما يقول متوجه للسلطان غاية التوجه فقال يا أغوات جمعتكم لآسألكم سؤالا خطري وأطلب جوابه على الوجه الذي ترونه صوابا فقالوا نعم فقال أسألكم عن جماعة جاءوا إلى رجل وناولوه صرة من الدراهم مربوطة محتومة وأودعوها عنده فقال إنما استودع منكم هذه الوديعة بشرط أن تأتوني وتطلبوا وديعتكم مني بلا نزاع ولا خصومة فأردو ديعتكم اليكم فقالوا له نعم قبلنا منك هذا الشرط وأودعوه ومضوا ثم عادوا إليه بعد مدة وقالوا نطلب الوديعة بنزاع شديد ومخاصمة ومضاربة فقال لهم هذه وديعتكم حاضرة خذوها بلا نزاع وضراب معي كما اشترطت عليكم فقالوا لا بد لنا معك من الخصام والنزاع فأبهم على الباطل وأبهم على الحق ففهموا مراده واستعفوا منه فقال لهم أنا ما جاست معكم ألا تعدوا أني كأخدمكم لا أمتاز عنكم بشيء وهذه السلطنة أسلمها لآبكم أراد ولا أناز عكم فيها ولا أخاصمكم عليها وإنما أنا واحد من الجند فقبل كل واحد منهم يده وأذعنوا له بالسلطنة وسألوه في استمراره سلطانا عليهم وسكنت الفتنة بهذا التدبير وغفلوا عنه مدة واشتغلوا عنه بضرورات أخرى وطال معه الحبل إلى أن صار يأخذهم واحداً بعد واحد ويتغافل ثم يجعل حيلة أخرى وعلة أخرى لأخدمهم فيأخذهم بها ويوقع بين الاثنين ويأخذ هذا بذاك ويأخذ ذلك بهذا ويدسس لهم

الدسائس من السم في الطعام ونحوه حتى أفنى قوا نصهم ودهاتهم وأعد عدداً وعدداً  
فصاروا يظلمون الناس ظلماً ويعاملون الخلق عسفاً وغشياً وصار يفضي عنهم ويتغاضى  
لهم فأظهروا الفساد وأهلكوا العباد وأكثروا العتاد وطغوا في البلاد وصار هو  
يصادر الناس ويأخذ أموالهم بالقهر والبأس وكثرت العوانية في أيامه لكثرة  
ما يصفى إليهم وصاروا إذا شاهدوا أحداً توسع في دنياه وأظهر التجمل في ملبسه  
أو مشواه ومشوا به إلى السلطان فيرسل إليه الأعوان ويطلبه بالقرض ويستصفي  
أمواله ويسلمه إلى المسويشي ليأخذ ماله ويهلك أهله وعياله ويعذبه بأنواع الأسجنة  
إلى أن يصير فقيراً بعد غناه وعد ما بعد ثروته واستغناه وجمع من هذا الباب أموالاً عظيمة  
وخزائن واسعة جسيمة ذهبت في آخر الأمر سدى وتفرقت بيد العدا وتمزقت بدداً  
وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الأسلوب ويجمع بهذا الطريق المنكوب لا ينفع من  
جمعه بل يضر صاحبه ويهلك ما معه وهيئات أن ينفع مال حصل بأعين كل حزين  
وسلب بالقهر والعسر من كل مظلوم مسكين وكيف ينفع سالبه وما نفع صاحبه  
وكيف يتنى به من اكتسبه على هذا الوجه وأبكى كاسبه .

إلا أن مالا كان من غير حله سيخرب يوماً أهله وأقاربه  
وأما الميراث فبطل في أيامه وصار إذا مات أحد يؤخذ ماله جميعه للسلطنة  
ويترك أولاده فقراء إلا أن أعنى به اعتناء كبيراً جعل له نزرأ يسيراً من مال  
أبيه وأخذ لنفسه باقيه واشتد طمعه وكثر ظله في آخر أيامه فاستجاب الله فيه دعاء  
المظلومين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

حكى لي والدي رحمه الله تعالى عن شخص مجاب الدعوة من أولياء الله تعالى  
رأى بمصر في أيام السلطان الغوري جندياً من الجراكسة الجلبان أخذ متاعاً من  
دلال ولم يرضه في قيمته فتبعه الدلال يطلب حقه منه وهو ممتنع منه فقال له الدلال  
بني وبينك شرع الله تعالى فضربه بالدبوس فشج رأسه وسقط الدلال مغشياً عليه  
ومضى الجندي بالمتاع وما قدر احد من المسلمين على منعه مما فعل قال الرجل فصعب  
على مشاهدة هذا الحال فرفعت يدي إلى الله تعالى ودعوت على الجندي المزبور  
وعلى سلطانه وعلى الظلمة من أعوانه فصادف ساعة الاجابة وبت تلك الليلة على

طهارة وأنا مفكر في أمر وأحدث نفسي بذلك وأقول كيف يزول ملك هذا  
السلطان العظيم وقد ملأت جنوده الأرض وأناى للمسلمين بسلطان آخر يرفق  
بالرعايا رطمئن في دولته البرايا وأخذنى النوم فرأيت فيما يرى النائم ملائكة نزلت  
من السماء وبأيديهم مكائس يكتسون الجراكسة من أرض مصر ويلقونهم في بحر  
النيل فاستيقظت من النوم وإذا بقارىء يقرأ القرآن فأنصت له فإذا هو يقرأ قوله  
تعالى فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآيتنا وكانوا عنها غافلين فعلمت  
أن الله يأخذهم أخذاً ويلا فما مضى قليل الأوبرز الغورى بجنوده وأمواله وخزائنه  
من مصر لقتال المرحوم المغفور له السلطان سليم خان إلى حلب فجاء الخبر بعد  
قليل إنه انكسر وقتل أكثر جنوده وفقد الملك تحت سنابك الخيل في مرج دابق  
وهرب بقية السيوف من الجراكسة وصير والد ويدار طومان باى سلطانا والسلطان  
سليم فى أثرهم يفتح البلاد ويضبطها إلى أن وصل إلى الريدانية خارج مصر فخرج  
إليه طومان باى ومن معه إلى قتاله فاحمل هو ومن معه الاساعة وانكسروا ودخل  
السلطان سليم خان إلى مصر وضرب وطاعة فى الجزيرة الخضراء على ساحل النيل  
وهرب طومان باى إلى البر ومسكه شيخ عرب وجاؤا به إلى أوطاق السلطان سليم  
خان فأمر بصلبه فى باب زويلة حتى يراه الناس ويصدقون بأنه مسك وصاروا  
يزعمون بأنه اختفى ليحصل له فرصة فيخرج وكثر كلام الناس وصار مظنة الفساد  
وكثرة القيل والقال فأمر السلطان سليم بصلبه تسكينا للفتنة وكان صلبه فى باب زويلة  
فى حادى عشر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وبصلبه انقطعت دولة  
الجراكسة كما انقطعت دولة غيرهم من أرباب الدول من الأتراك أو الأكراد  
والعبيدين وهكذا شأن الدنيا فى أبنائها تتقلب بهم وتتحول عنهم أى قلب وأى  
تحول كما قيل :

ما اختلف الليل والنهار وما دارت نجوم السماء فى الفلك

إلا لنقل السلطان من ملك فقد زال سلطانه إلى ملك

وملك ذى العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشترك

وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا أولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم  
طومان باى ومدة ملكهم مائة وثمانية وأربعون عاما وايس لظومان باى أنزل قصر

أيام سلطنته وللأشرف قانصوه مآثر جميلة وعمائر حسنة جليلة رحمه الله تعالى وسامحه. ومما عمره السلطان قانصوه الغوري بمكة المشرفة باب إبراهيم بعقد كبير جعل علوه قصرا وفي جانبه مسكنين لطيفين وبيوتا معدة للسكران. حول باب إبراهيم ووقف الجميع على جهات الخير ولا يصح وقف ذلك القصر لأنه في هواء المسجد وكذلك المكان لأن أكثرهما واقع في أرض المسجد وما أمكن العلماء أن ينكروا عليه ذلك في أيام سلطنته ودولته لعدم اصغاهه إلى كلام أهل الشرع والدين وعدم اقدماء العلماء على الملوك والسلاطين للطمع في الدنيا الدنية وللخوف على مناصبهم الاعتبارية فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبني أيضا ميضأة خارج باب إبراهيم على يمين الخارج من المسجد هي بطالة الآن لأن روائح عفونها قد تصل إلى المسجد فيتأذى به المصلون فأبطل وغلق قريبا في سنة ثمانين وتسعمائة بالأمر الشريف السلطاني.

ومن آثار الأشرف الغوري أيضا الترميم الواقع في حجر البيت الشريف عمل بأمره في أيامه واسمه مكتوب فيه وفرغ من عمله عام تسعة عشر وتسعمائة.

ومن آثاره بناء سور جديد فانها كانت غير مسورة وكانت العربان في أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبا وأسرت عربان زبيد في أيام الفتن الخواجه محمد القاري وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فهجموا إلى بيته وأنزلوه من السطح وأركبوه معهم على ظهر فرس ارتدفه وأحد من زبيد وأخذوه إلى أماكنهم وهو قرب عقبة السويق من درب المدينة الشريفة ومكث عندهم إلى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم فردوه إلى مكة بعد أن استوفوا هذا القدر منه ونهبت جدة مرارا في الفتن التي وقعت بأرض الحجاز بعد وفاة المرحوم المقدس الشريف محمد ابن بركات بين أولاده وجرت أحوال بطول شرحها فأرسل السلطان الغوري أحد أمرائه المقدمين وهو الأمير حسين الكردي وجيز معه عسكريا من الترك والمغاربة واللوند نحو خمسين ضرابا لدفع ضرر الغرقال في بحر الهند وكان مبادى ظهورهم وأمره بدفع الفتن الواقعة إذ ذاك في جدة وجعلها له أقطاعا.

لما وصل الأمير حسين الكردي إلى جدة بنى عليها سورا في سنة سبعة عشر

وتسعمائة وهو الباقي إلى الآن وكان ظلوماً غشوماً يسفك الدماء ولا يرحم في الأرض ليرحمه من في السماء فإذا خيم أو طاقه في سفر أو حضر رتب حوله أعوانه وجنوده ترتيباً خاصاً لإرهاب من حضر ونصب أعواداً للصلب والشق والشنكة وأقام جلادين للقتل والتوسيط والضرب والبهدة فأى مسكين وقع في يده قتله بأدنى سبب أو عذبه بالمقارع أو صلب أظهاراً للناموس الفرعوني المهيب وأخافه للخلق بالسياسة والترهيب كما يحكى أن الحجاج دخل بلدة فصادف انساناً عند دخوله فأمسكه وأمر بضربه فقال له بأى ذنب تضربني بسببه فقال أريد إرهاب أهل البلاد فجلتني بنفسك ساعة فضربه خمسمائة سوط ثم أطلقه .

وكانت للأمير حسين المذكور أسمطة ممدودة في سائر الأيام وكان أكو لا بدولا للطعام سمحاً في المواكلة والاطعام يستوفى الخروف وحده مع أرغفة عدة ونفائس له معدة وكان كريداد خيلاً في وظائف الجراكسة لا يملأ عينهم ولا يعتبرونه فيما بينهم فأراد السلطان الغوري أبعاده عنهم حماية منهم وكان مغتنياً به فأعطاه بندر جدة على وجه التبرار وجهز معه عمارة ليقاتل الفرنج الذين ظهروا في بنادر أرض الهند واستطرقوا إليها من بحر الظلمات من وراء جبل القمر التي هي منبع ماء النيل وعاثوا في أرض الهند ووصل أذاهم وإفسادهم إلى بلاد العرب وبلاد اليمن وقصد السلطان الغوري دفع أذاهم عن المسلمين بإرسال الأمير حسين السكردي إلى جدة فلما أتى جدة سورها وبني أبراجها وأحكامها وهدم كثيراً من بيوت الناس فيما يقارب موضع السور لوضع الأساس واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين وضيق على البنائين بحيث يحكى أن أحدهم تأخر قليلاً عن الحجى فلما جاء أمر أن يبني عليه فبنى عليه واستمر قبره جوف البناء إلى يوم الجزاء إلى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العتيد وبني السور جميعه في دون عام من شدته وغشمه وأقدامه وظلمه واستمر حاكماً بجدة إلى أن تقوى بالمال وتأثر فتوجه إلى الهند في حدود سنة إحدى وعشرين وتسعمائة ودخل واجتمع بسلاطان كجرات يومئذ وهو المرحوم المغفور له السلطان خليل شاه مظفر ابن السلطان محمود شاه الكجراتي فأكرمه وعظمه وأنعم عليه بنعم طائلة عظيمة جليلة ولما سمعوا الفرنج به

ارتفعوا عن بنادر كجرات إلى بنادر الدكن وتمحصنوا بقلعة متقنة محكمة لهم هناك هي تحت ملكهم إلى الآن يقال لها كوة بالكاف العجمية المضمومة والواو الشديدة المفتوحة بعدها هاء ساكنة يسر الله تعالى لاساطان الإسلام وقطع بسيفه دابر الفرنج اللثام وكافة عباد الصليب والأصنام وقد أحسن من قال :

أعباد المسيح يخاف صهي ونحن عبيد من خلق المسيح

ولم يستقر الأمير حسين في كجرات بل عاد إلى اليمن وافتتح في طريقه على عودة تملكة عين بنى طاهر ملوك اليمن ظلماً وعدواناً في سنة اثنين وعشرين وتسعمائة بعد أمور يطول شرحها وترك بها نائباً له في زبيد اسمه برسباي چركسى وترك السلطان عامر بن عبد الوهاب وكانوا ملوكاً من أهل السنة والجماعة ظاهرين في الاعتقاد ظاهرين على أهل البدع والالحاد رحمهم الله تعالى وانقرضت به بنى طاهر من اليمن وعاد الأمير حسين لمنيته وحتفه كالباحث عنها بظلفه وقدم إلى مكة وكانت دولة الجراكسة قد انقرضت بمصر وملكها السلطان سليم خان بن بايزيد خان بن محمد خان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وسقى عهده صوب الرضا والغفران .

وتوجه سيدنا ومولانا المقام الشريف الهالى سيد السادات الأشراف وتاج رؤس الشرفاء من بنى عبد مناف مولانا السيد الشريف جمال الدين محمد أبو نى بن بركات خلد الله سعاداته وأبد دولته وسيادته أرسله والده الشريف بركات ليدوس البساط السلطاني بمصر وعمره يومئذ اثنا عشر عاماً فجعل له بذلك غاية التعظيم والإكرام وبلغ بذلك جميع ما طلبه ورام وعاد إلى والده الشريف معززاً مكرماً ومعه أحكام شريفة بكل ما طلبه وأراده وأرسل حكم إلى السيد عزاز بن عجلان ابن السيد الشريف بركات رحمه الله بقتل الأمير حسين الكردي المذكور وهو الذى استخرج هذا الحكم لعداوة سابقة بينه وبين الأمير حسين المذكور فأخذ مقيداً إلى جدة وربط في رجله حجر كبير وغرق في بحر جدة في موضع يقال له ام السمك فأكلته الأسماك بعد أن كان يعد في الأملاك وكان طعاماً للحيتان بعد إطعامه الضيفان وغرق مقيداً في الأصفاد بعد أن قتل ماشاء الله من العباد وتفرق في البلاد جنوده وأعوانه بدداً ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً.

## الباب السابع

في ظهور آل عثمان خلد الله سلطنتهم القائم إلى آخر الزمان

وذكر نبذة من مناقب أسلافهم السلاطين العظام وذكر ما عمروه في بلد الله الحرام  
وفعلوا فيه من الخيرات الجسام وذكر بناء المسجد الحرام  
على الوضع الذي هو عليه الآن وفيه فصول

### الفصل الأول

في ذكر الفتح الخاقاني ودخول ممالك العرب والعجم في سلك العثماني ونبذة من  
ذكر أسلافهم الكبار بطريق الاختصار خلد الله ملكهم العثماني زمان وأبقى ملك  
الأرض فيهم وفي عقبهم إلى انتهاء الدوران .

لما أراد الله تعالى بأهل الأرض إحسانا وأفضالا وقدر ظهور العدل والفضل  
فيهم اكراما لهم وإجلالا وقضى باطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الفساد والمحن  
وتأييد دين الاسلام وتقوية أهل السنة المتمسكين بسنة محمد عليه أفضل الصلاة  
والسلام وإقامة الشرع الشريف على رغم الملاحدة اللثام اطلع في أفق الخلافة  
العظمى شمس الأباد العثمانية واسطع من أوج سماء السلطنة الكبرى بدور كمال  
المعدلة الخاقانية وأجلس على سرير الملك من ملكه الله أعظم بمالك الاسلام وفتح  
على يديه أكثر الأمصار والبلاد بالسيف الصارم الصمصام والحسام الحاسم مواد  
ظلم الظلم من كل ظالم أو ظلام ونشر به جناح الأيمن والأمان على أهل الايمان من  
الانام فأخذ أحسن محاسن هذا الربع المسكون وكان مظهر القول من يقول للشئ  
كن فيكون واقدم كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون  
واستولى بتأييد الله ونصره على شام البلاد ومصره وملا نطع الدنيا بدماء سيف

قهره كما ملأها بافاضة سيف عدله وبسبب لطفه وبره وتشرفت بذكره في الحرمين الشريفين صدور المنابر ورؤس المنازل وعمر مساجدها وتلا إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الملة الخنيفية واحي ما لها من مآثر الملك المالك الهمام والليث الباسل الضرغام السلطان الأعظم والحقان الأكرم الأفخم خير خلق خلفاء الرحمان شرف سلاطين آل عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان يلدرم بايزيد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان الغازي تغمدهم الله بالرحمة والرضوان وحفهم بروائح الروح والريحان وأبد لهم عما انتقلوا عنه من الملك الفاني بالملك الباقي في غرف الجنان وابقى السلطنة فيهم خالدة تالدة إلى يوم الحشر والميزان .

هم معشر كلهم غاز وكلهم خير الملوك صناديد الصناديد  
أوائك الناس ان عدوا وان ذكروا ومن سواهم فلعوا غير معدود  
لو خالد الدهر ذو عز لعزته كانوا أحق بتعمير وتخليد

وجده الأعلى السلطان عثمان الغازي رحمه الله تعالى أصله من الترا كمة الرحالة النزلة من طائفة التتار والسلطان عثمان أول من ولي منهم السلطنة في بلاد الروم في سنة تسع وتسعين وستمائة وهو ابن ارطغول ابن سليمان ويتصل نسبه إلى يافث ابن نوح عليه السلام وهو الجد الأربعون لحضرة السلطان سليم خان بن بايزيد خان رحمهم الله تعالى كانت أسماؤهم بلغة الترك القديم لم نذكرها لعسر ضبطها وهي المذكورة في التواريخ المذكورة وكان سليمان شاه سلطانا في الشرق في بلاد ماهان قرب بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوازم شاه وتفرقت بتلك الممالك وخرج سليمان شاه من بلاد ماهان بخمسين ألف بيت من التركان إلى أرض الروم ومر بحلب وعبر بحر الفرات فغرق بفرسه في الفرات وأخرج منه إلى بحر الرحمة في أعلى الجنان ودفن أمام قلعة جعبو وتفرق من معه من التركان في أطراف تلك البلدان وذراريهم موجودون رجالون نزالون إلى الآن .

وكان لسليمان شاه أربعة أولاد اثنان منهما توجهتا إلى بلاد المعجم وهما سنقندر ودبندار وتوجه إلى بلاد الروم اثنان وهما ارطغول ولوندو عدى وقدمتا على السلطان علاء الدين السلجوقي وكان سلطان بلاد قرامان وتخت ملكه قونية فاكرهما وأذن



لهما في الإقامة في أرضه واستأذنا منه في جهاد الكفار واجتمع عليهما طائفة من الغزاة وصار ذابهم الجهاد في سبيل الله وكان مقرهم ما بين قره حصار وبلجك في محل يقال له سكو تجمك صيروه قشلاقهم وجبل بيلا بيح جعلوه بيلاقهم فسكنوهما مع مواصلة الغزاة والجهاد وقع الكفرة حول تلك البلاد إلى أن توفي ارطغول في سنة تسع وثمانين وستمائة وخلف أولادا انجادا اجمادا أشدهم بأسا وأقوامهم جاشا وانماهم غرسا السلطان عثمان وكان مولده في سنة ست وخمسين وستمائة دأب في خدمة والده في الجهاد وتغرس في الغزاة في سبيل الله منذ نشأ مع الأولاد واستمر مع والده مع الكفار في القتال والجهاد فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده في الجهاد وعلم قابليته ونجابته في فتح أطراف تلك البلاد فأكرمه وأعزه وأمده بأنواع الإعانة والامداد وأرسل إليه الراية السلطانية والطبل والزمر ووسمه باسم السلطنة تقوية ليدته وشد العضد فلما وصل الطبل والزمر عملوا نوبة بين يديه فعند أول سماعه أول صوت الطبل والزمر قام على قدميه تعظيما لذلك فصار ذلك قانونا لآل عثمان باقيا مستمر إلى الآن فانهم يقومون على أقدامهم عند ضرب النوبة على أبوابهم وكان جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة في سنة تسع وتسعين وستمائة وافتتح فيها قرا حصار من الكفار وأمر بصلاة الجمعة وخطب باسمه فقيه كان من أهل العلم اسمه طور سن فقيه .

ثم افتتح قلعة حصار . ثم كوبرى حصار . ثم قلعة بلجك . ثم قلعة بن أدكي .  
 ثم قلعة يوند حصار . ثم قلعة ابنه كول . ثم قلعة يكي شهر .  
 ثم زوج ولده أورخان على نيلوفر خاتون بنت تكور صاحب يار حصار  
 فعمل أبوها سباطا عظيما فلما حضرت الغزاة انتهزوا فرصة وقتلوا تكور وافتتحوا  
 قلعة بار حصار فدخلها السلطان عثمان وصارت من جملة مملكته واستمر في الغزو  
 والجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار أهل العناد إلى أن دعاه الله إلى جنته وأبدله  
 سلطنة خيرا من سلطنته فأجاب داعي الحق لما دعاه وبادر إلى إجابته ولبي نداءه  
 فعاش سعيدا ومات شهيدا إلى رحمة الله تعالى عن ست وستين عاما في سنة خمس  
 وعشرين وسبعمائة وكانت مدة سلطنته سبعا وعشرين سنة

وكان لل سيف والضيف كثير الاطعام فانك الحسام كثير البذل واسع العطا  
شجاعا مقداما على الأعداء ما خلف نقدا ولا متاعا إلا درغا وسيفا يجاهد بها الكفار  
وبعض خيل وقطيعا من الغنم اتخذها للضيفان وإنساها إلى الآن ترى حول بلاد  
بورسا أبقوها بتمنا وتبركا .

ثم ولي بعده السلطان أورخان الغازي مولده سنة ثمان وسبعين ومستمائة وجلسه  
على تخت السلطنة بعد والده المرحوم في سنة ست وعشرين ومستمائة ومدة سلطنته  
خمس وثلاثون سنة وعمر ثلاثا وثمانين سنة وهو الذي افتتح بلاد بورسا وجعلها  
مقر سلطنته وفتح قلاعا كثيرة وله حروب مع الكفار يسمى نيلوفر صولى .  
وكان السلطان أورخان فاق والده في الجهاد وفتح البلاد ففتح بورسا في  
أيام والده .

ثم قبون حصار وقلعة أزيبي في سنة إحدى وثلاثين ومستمائة ثم قلعة كونيك  
وقلعة بالي كسرى ولاية قره وقلعة كوحاستى وقلعة الوباد في سنة خمس وثلاثين  
ومستمائة وقلعة قرلمه طوزله في سنة ست وثلاثين ومستمائة وفتح عدة قلاع وحصون  
واتسعت مملكته ونفذت كلمته .

واجتمعت ملوك النصارى وجميع الكفرة على قتال العساكر الاسلامية ودفع  
ضرر المسلمين عن بلادهم فاتفق قرال انكروس يعنى سلطانها وسلطان لان والسرنا  
واجتمعوا ان يتعدوا من بلاد روملى إلى بلاد اناطولى ويقااتلوا السلطان أورخان في  
محلّه وكان له ولد نجيب اسمه سليمان بك استأذن من والده أن يعدى إلى روملى  
ويقاتل الكفار الذين اجتمعوا لقتاله قبل أن يصلوا إلى اناطولى فأجازه والده  
لما رأى نجابته وشجاعته فتوجه مع خدامه فسمع به الغزاة فتبعه من الشجعان  
فوارس مخبورون وأبطال مشهورون فعدوا إلى روملى فصادفوا الكفار في غفلة  
وهم يريدو العبور إلى جهة اناطولى فوقع بينهم حرب عظيم قتل فيه من الكفار مالا  
يعد ولا يحصى وانهمز الباقون إلى القلاع والحصون وتبعهم المسلمون بأسرون منهم  
ويقتلون ونصر الله الاسلام وخذل النصارى اللثام وافتتح المسلمون عدة قلاع  
وحصون وآل الكفار إلى الدمار والبوار ثم إلى عذاب النار ورجع سليمان بك

إلى والده مظفرا منصورا مؤيدا مسرورا وكان السلطان أورخان كوالده كثير  
الجهاد ظاهر الاعتقاد سليم الفواد عدوا لأهل الكفر والالحاد عاش سعيد أو مات  
حميد في سنة إحدى وستين وسبعائة .

( ثم ولى بعده ولده السلطان مراد الغازي ) مولده سنة سبعة وعشرين وسبعائة  
وجلسه على التخت في بروسا سنة إحدى وستين وسبعائة ومدة سلطنته إحدى  
وثلاثون سنة وعمر خمس وستين سنة وولى السلطنة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح  
كثيرا البلاد منها أردنه في سنة إحدى وستين وسبعائة وهو أول من اتخذ الممالك  
وسماهم ينكزية يعنى للعسكر الجديد وألبسهم اللباد المثني إلى خلف وسماهم بركا بضم  
الموحدة وسكون الراء آخره كاف وكانت له صولة عظيمة على الكفار واجتمعت  
النصارى على سلطان اسبوت فقتلهم السلطان مراد قتالا عظيما فقتل سلطان الكفر  
وانهزم الكفار فأظهر واحد من ملوكهم الاطاعة اسمه بلواش وتقدم ليقبل يد  
السلطان مراد خان فلما قرب منه أخرج خنجرا كان أعده في كفه فضرب بها السلطان  
مراد فاستشهد إلى رحمة الله تعالى في سنة اثنين وتسعين وسبعائة فصار القانون أن  
لا يدخل على السلطان أيلجى أو غيره بسلاح وأن يفتش ثيابه وأن يدخل  
على السلطان بين رجلين يكتفانه .

( وولى السلطنة بعده ولده يلدرم بايزيد خان ) مولده سنة ثمان وخمسين  
وسبعائة وولى السلطنة وعمره اثنان وأربعون عاما ومدة سلطنته سنة عشر عاما ولما  
تولى استولى على كثير من قلاع النصارى وبلادهم وأراضهم وصارت النصارى  
تنمى إلى بعض ملوك الطوائف في بلاد الروم فلزم أن يستولى السلطان يلدرم بايزيد  
خان على متوك الطوائف فضيق على جماعة منهم مثل ابن كريان أخذه وحبسه مع  
بعض وزرائه فهرب مع وزيره من الحبس ومضى إلى تيمور لنك وهرب أيضا  
ابن مقتشا منه وحلق لحيته وحواجه وصار في صورة فلندرى وذهب إلى تيمور  
وكذلك ابن ايدى هرب في صورة سقطى يباع الخرزات وكذلك ابن اسفنديار  
وغيرهم من أمراء تلك الديار وماوكها وصلوا إلى تمرلنك وشكوا من السلطان  
بايزيد خان وحسنوا له أن يصل إلى بلاد الروم فوصل إلى البلاد الشامية والحلبية  
وقتل فيها وقتك وسفك الدماء وعات فيها وأخذ تلك البلاد وأسرها ونهب المسلمين

وشرح ما فعله في بلاد الإسلام بطول جدا وذلك مذكور في تاريخ الإسلام للذهبي وغيره واستمر تيمور يفسد في الأرض ويقتل ويسفك الدماء إلى أن وصل إلى أذربيجان وخرج السلطان بايزيد لقتاله وجمع عسكر الروم ولما التقى الفئتان هرب من عساكر منتشا وعسكر كرمان وتركوا السلطان بايزيد خان وذهبوا إلى تيمور ووقع الحرب الشديد وقتل من أولاد السلطان بايزيد السلطان مصطفى فشرع عسكره في الانهزام وثبت هو وقليل من معه واستمر يقاتل إلى أن وصل إلى تيمور بسيفه المشهور يقاتل بنفسه إلى أن وصل إلى تيمور وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا وأمسكوه وحبسوه فحصل له حمى عصبية فتوفي إلى رحمة الله تعالى في سنة خمس وثمانمائة .

وتسلطن بعده أولاده وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنتي عشرة عشرة سنة إلى أن استقل بالسلطنة .

( السلطان محمد خان ابن السلطان يلدرم بايزيد خان )

وفي سنة ستة عشر وثمانمائة ومولده في سنة سبع وسبعين وسبعائة واستقل بالسلطنة وعمره تسع وثلاثون سنة ومدته سلطنته تسع سنين وعاش ثمانية وخمسين عاما وكان شجاعا مقداما مجاهدا في سبيل الله افتتح عدة قلاع وبلاد وبذل نفسه في الغزو والجهاد ومهد لها أعظم مهاد وما افتتحتها قلعة قسطنطينية وقلعة أمسك وقلعة صامسون وقلعة آق شهر وغيرها وظهر في أيامه بدر الدين بن سماونة وأدعى السلطنة وجمع جمعا من مرتديه فأرسل السلطان محمد خان عسكر القتاله فقتل من مرديه نحو ثلاثة آلاف نفر ومسك بدر الدين بن سماوته وكان يرمى بسوء الاعتقاد وله وسائل في شيء من ذلك وقد جمع بين الأصول الاشتروشية والفصول العبادية جمعا ضيق فيه العبارة وأخفى الإشارة وهو متداخل بين العلماء لا يؤخذ إلا بأصله وأما هو فلا يوثق بنقله لما يحكى عنه من انحلال العقيدة ان صح ذلك عنه وله في النفقة متن سماه لطائف الاشارات وشرحه سماه التسهيل وله في التصوف رسالة الواردات ورسالة مسرة القلوب ولما مسك قتل بافتاء مولانا حيدر العجمي في سنة ثمان عشرة وثمانمائة وصلب وسكنت الفتنة .

ثم خرج عليه محمد بن قرمان وأحرق بورسافجاء السلطان محمد خان من بلاد روملى ووصل قوينة ووقع بينه وبين محمد بك قرمان حرب عظيم مشهور اهزم فيه عسكر بن قرمان ومسك محمد بن قرمان وولده مصطفى وأتى بهما أسيرين إلى السلطان محمد خان فعاتبهما وعفا عنهما وتصدق عليهما بمملكتيهما والسلطان محمد مدارس وعمائر وأفعال خير وهو أول من عمل الصر لأهل الحرمين الشريفين من آل عثمان رحمهم الله تعالى فلما تم أجله في أم الكتاب أراد الله نقله إلى جنة المسآب ودعاء من ملك الفناء إلى البقاء المستطاب فعاش سعيداً ومضى حميداً ونحول من دار الفناء إلى دار البقاء وإن إلى ربك الرجعى وكانت وفاته بمرض الإسهال فتكون مرتبة الشهادة أيضاً وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة رحمه الله تعالى .

( وولى بعده السلطان مرادخان بن محمد خان بن يلدزم بايزيدخان ) . مولده في سنة ست وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ثمانية عشر عاماً ومدة سلطنته إحدى وثلاثون سنة وعمره تسع وخمسون سنة وكان ملكاً مطاعاً مقداماً فاتكاً شجاعاً بذولاً واسع العطاء عين للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته في كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهب الشرفاء السادات من خزينته في كل عام مثل فتح الفتوحات وإين الجموحات ومهد الممالك وأمن المسالك وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين وأعز الإسلام والمسلمين .

ومن جملة ما افتتحه بلاد سمندره وقلعة مورده وقاتل كراى أنكروس وكسرهم وأسروهم خلقاً كثيراً واستمر يجاهد الكفار ويفتح الديار إلى أن انتشله ولده السلطان محمد فرأى نجابته ولمح في غرته سعادته وعرف إقباله وشهامته وأجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ في مغنيسا بحسن رضاه .

( فتولى السلطان محمد بن مرادخان في سنة ست وخمسين وثمانمائة )

مولده في سنة ست وثلاثين وثمانمائة وجلس على التخت وقد استكمل عشرين سنة وكانت مدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة وكان من أعظم سلاطين آل عثمان وهو الملك الضليل الفاضل النبيل العظيم الجميل أعظم الملوك جهاداً وأقواماً أقداماً واجتهاداً وأثبتهم جاشاً وأقواماً فؤاداً وأكثرهم توكلأ على الله واعتقاداً وهو

الذي أسس ملك بني عثمان وقن لهم قوانين صارت كالأطواق في أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار لا تمحوها تعاقب السنين والأعوام وغزوات كسر بها أضلاب الصلبان والأصنام (ومن أعظمها أنه (وافتح القسطنطينية الكبرى وساق لها السفن تجرى رخاء برأ وبجرأ

وهجم عليها بجنوده وأبطاله وأقدم عليها بخيوله ورجاله وحاصرها خمسين يوماً أشد الحصار وضيق على من فيها من الكفار والفجار وسل على من فيها سيف الله المسلول وتدرع بدرع الله الحصين المسبول ودق باب النصر والتأييد ولج ومن قرع باباً ولج ولج وثبت على متن الصبر إلى أن آتاه الله بالفرج ونزلت عليه ملائكة الله القريب الرقيب بالنصر العزيز من الله تعالى والفتح القريب ففتح اسطنبول في اليوم الحادى والخمسين من أيام محاصرته وهو يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى في أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهي أيا صوفية وهي قبة تسمى قبة السماء وتماكى في الاستحكام قباب الأهرام وما وهت ولا وهنت كبراً ولا هرماً كأن أبراجها أبراج الأفلاك ومسامير أبوابها نجوم السماء مزق منها جلايب الصلبان والأصنام وخلع عليها خلع المساجد الإسلام وأيد لها الله تعالى عن الطلبات نوراً وكساها بنور الإسلام شرفاً وعزاً وحبوراً لازالت محلاً للصلاة والعبادة والاعتكاف مقر الاستقرار لقلوب العلماء والأصفياء والزهاد فيها والعرف مستقر السلاطين آل عثمان أهل المعدلة والإنصاف أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وقد أسس المرحوم المقدس في اسطنبول للعلم أساساً راسخاً لا يخشى على شمسهِ الاقول وبني بها مدارس كالجنان لها ثمانية أبواب سهلة الدخول وقن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول وترغب في طلب العلم الشريف وتكسوا الطالبين حلق القبول بعد الخول فجزاء الله خيراً عن الطلاب ومنحه بها أجراً وأكثر ثواب فإنه جعل لهم في أيام الطلب ما يسد به فاقتهم وجعل لهم بعد ذلك مراتب يترقون إليها ويصعدون بالتكسب والاعتقاد عليها إلى أن يصلوا إلى سعادة الدنيا ويتوصلون بها أيضاً إلى سعادة العقبى وأنه رحمه الله استجلب العلماء الكبار من أقاصى الديار وأنعم عليهم وعطف بإحسانه العام إليهم كمولانا على القوشجى والفاضل الطوسى والعالم

الكوراني وغيرهم من علماء الإسلام وفضلاء الأنام فصارت اصطنبول بهم أم الدنيا ومعدن الفخار والعليا واجتمع فيها أهل السكمال من كل فن فعلمواؤها إلى الآن أعظم علماء الإسلام وأهل حرفها أدق الفطناء في الأنام وأرباب دولتها هم أهل السعادة العظام لاسيما العلماء الأكرمين قلدها في أجيادهم هي باقية إلى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه وعددت مآثره لشحنت بها مجلدات أسكنه الله فسيح الجنات وأنزل على قبره شأيب الرحمة والبركات وكانت وفاته سنة ست وثمانين وثمانمائة .

( ثم ولي الملك السعيد السلطان بايزيد خان الغازي ) ومولده سنة ست وخمسين وثمانمائة وجلس على تخت الملك في ثامن عشر ربيع الأول سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره إذ ذاك ثلاثون عاما وعمر اثنين وستين عاما وهو من أعيان السلاطين العظام تفرع من شجرة زكية طيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء وتصدر من سلالة الملوك الأكار وورث سرير السلطنة كبرا عن كابر وتزينت باسمه رؤس المنائر وترشحت بذكره صدور المنابر وامتلات بمدائح أوصافه بطون الصحف والدفاتر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله أعظم الغزوات .

فما افتتحه قلعة ملوان وقلعة كوكاك وقلعة آق كرمان في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وقاتله أخوه السلطان جم فبرز السلطان بايزيد لقتاله وتقاتلا فانهمزم السلطان جم وفر إلى مصر وحج في زمن السلطان قايتباي وعاد وأكرمه السلطان قايتباي إكراما زائدا فذهب إلى ورسق وجمع طائفة من الغواة ونازع أخاه على الملك فقاتله السلطان بايزيد فانكسر السلطان جم ثانيا وفر إلى بلاد النصارى في سنة سبع وثمانين وثمانمائة فأرسل إليه السلطان بايزيد أحد عبيده في صورة حلاق مجهول فلما رآه السلطان جم تأتس به وسأله عن صنعته فقال حلاق فاستخدمه وأمره أن يحلق رأسه فحلق رأسه بمومي مسموم وهرب في الحال وأثر السم في رأسه وسرى إلى بدنه فمات إلى رحمة الله تعالى وله أشعار لطيفة بلسان التركي .

ومما افتتحه السلطان بايزيد من القلاع العظيمة والحصون المحكمة القديمة قلعة منون وقلعة قرون وغير ذلك من القلاع والحصون وظهر في أيامه في بلاد العجم شاه اسماعيل ابن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد الصوفي في سنة خمس وتسعمائة وكان الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد الصوفي له ظهور مجيب واستيلاء على ملوك العجم يعد من

الاعاجيب فتك في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض والالحاد وغير  
اعتقاد أهل العجم إلى الانحلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأخرب بلاد العجم  
وأزال من أهلها حسن الاعتقاد والله يفعل في ملكه ما أراد وتلك الفتنة باقية في  
تلك البلاد وشرح ذلك يحتاج إلى تاريخ مستقل ولا أعلم أحدا تعرض له من العلماء  
الأمجاد .

وظهر من اتباع شاه اسماعيل المذكور في بلاد الروم شخص ملحد زنديق يقال  
له شيطان قولى أهلك الحرث والنسل وعم بالفساد والقتل وتبعه غواة لا تحصى  
وقويت شوكته وعظمت به في ذلك القطر الفتنة فأرسل السلطان بايزيد وزيره  
الاعظم على باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغي وأيده بجيش عظيم لقطع جادة هذا  
الطاغي فاستشهد على باشا في ذلك القتال وانكسر شيطان قولى المفسد التبعيس وعسكره  
من جنود ابليس وقتل مع طائفه من أعوان الأباليس وأسكن الله تلك الفتنة بعد  
ما طمت وكفى الله شر أولئك الأشرار بعد ما عظمت فتنهم وعمت وذلك في سنة  
خمس عشرة وتسعمائة .

وكان السلطان بايزيد رحمه الله وجعل الجنة مشواه من المجاهدين في سبيل الله  
الذين لا يزالون على الحق ظاهرين على من ناوأهم منصورين على من شق عليهم العصا  
وعاداهم يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فأزال  
غازيا في سبيل الله مظفراً منصوراً على أعداء الله إلى أن صارت بيضة الإسلام  
بسيوفه محمية محفوظة وحركاته وسكناته بعين عناية الله وإعانتة منظورة ملحوظة  
فكانت أيامه من أحسن الأيام وأكثرها أمناً وراحة وجمع قلب للانام وكانت  
به كلمة الإسلام مجموعة وكلمة أهل الضلال خاسئة مقموعة وتولى الله على يديه أعزاز  
دينه وإذلال طواغيت الشرك وشياطينه وكان مع ذلك محبا لفعل الخيرات مثابراً على  
بذل الاطعام والصدقات دخل الخلوة فأجلس أربعين وار تاضر مثل الصالحاء السالكين  
ودخل معه الخلوة مولانا والد أبي السعود أفندي المفتي المفسر رحمه الله تعالى وبني  
الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكايب والزوايا والخاناقاهات ودار  
الشفاء للرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتي الأعظم ومن في رتبته من العلماء



العظام في زمنه كل عام عشرة آلاف عثمانى ولكل واحد من مدرسي اليمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد خان في كل عام سبعة آلاف عثمانى ولكل واحد من مدرسي شرح التحرير ألفي عثمانى وكذلك رتب لمشايخ أهل الطريق من الله ومريديهم وأهل الزوايا لكل واحد على قدر مرتبته وصار قانونا جاريا بعده مستمرا وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن إليهم إحسانا كبيرا ورتب لهم الصر في كل عام وكان يجهز لقراء الحرمين الشريفين في كل سنة أربعة عشرة ألف دينار ذهبا بصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها على المدينة وكانوا يستعينون بها ويرفقون بها ويدعون له وإذا ورد عليه من أهل الحرمين الشريفين أحدي نعم عليه ويحسن إليه ويرجع من عنده بصلاة عظيمة ومواهب جلية ومن ورد عليه في شبابه خطيب مكة المرحوم الشيخ محي الدين بن عبد القادر بن عبد الرحمن العراقي والشيخ شهاب الدين بن الحسين العليّ شاعر البطحاء وفاضلها ونالا منه خيرا كثيرا وصنف العليّ تاريخا سماه الدر المنظوم في مناقب السلطان بايزيد خان ملك الروم لا يخلو من فوائد لطيفة .

وما نظمه الشهاب العليّ في مدحه رحمهما الله تعالى من قصيدة رائية طنانة مطلعها :

خذوا من ثناني موجب الحمد والشكر ومن در لفظي طيب النظم والنثر  
(ومنها)

فبارا كبا يسرى على ظهر ضامر إلى الروم يهدي نحوها طيب البشر  
لك الخيران وافيت برصى فسر بها رويداً لاصطنبول سامية الذكر  
له املك لا يبلغ الوصف كنهه شريف المساعي نافذ النهي والأمر  
إلى بايزيد الخير والملك الذي حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر  
وجرد للدين الخيفي صارما أباد به جمع الطواغيت والكفر  
وجاهدم في الله حق جهاده رجاء لما يبغى من الفوز بالأجر  
له هية تملأ الصدور وصولة مقسمة بين الخفاة والذعر  
أطاع له ما بين روم وفارس ودان له ما بين برصى إلى مصر

(م - ١٥)

هو البحر إلا أنه دائم العطا  
هو البدر إلا أنه كامل الضيا  
هو الغيث إلا أن للغيث مسكة  
هو السيف إلا أن للسيف نبوة  
سليل بنى عثمان والسادة الأولى  
ملوك كرام الأصل طابت فروعهم  
محو أثر الكفار بالسيف فاغتدت  
فيا ملكا فاق الملوك مكارما  
لئن فقتهم في رتبة الملك والعلا  
فدتك ملوك الأرض طرا لأنها  
تعاليت عنهم رفعة ومكانة  
لك الغرة القعساء والرتبة التي  
سموت علوا إذ دنوت تواضعا  
غدت بك أهل الروم تزهو ملاحه  
ألسن ابن عثمان الذي سار ذكره  
يمينك تروى عن يسار ونائل  
وإني لصوان لدر قلاندي  
فقابل رعاك الله شكري بمثله  
فلا زلت محروس الجناب مؤيدا

ويحكى أن القصيدة لما وصلت إليه فرح بها كثيرا وأمر لصاحبها أحمد العليف  
بألف دينار ذهبا جائزة ورتب له في دفتر الصرف في كل عام مائة دينار ذهبا تصل  
إليه في كل عام وصارت بعده إلى أولاده.

وكان للمرحوم السلطان عمدة أولاد صاروا ملوكا وصار لأولادهم أولاد  
فمنهم السلطان جهان شاه والسلطان أحمد والسلطان قورقند والسلطان سليم والسلطان  
محمود والسلطان عبد الله والسلطان علم شاه وكان أنجبهم وأجدهم وأعزهم وأسعدهم

وأكلهم وأرشدهم السلطان سليم شاه وكلهم أعلام الهدى ومصايح الدجا ونجوم  
لرجوم شياطين العدا نشأوا في مهد السلطنة وحجرها ونموا ما بين سحرها ونحرها  
من شجرة طاب عودها واعتدل عمودها ولا غرو أن يجود الجواد كأصله وتلوح  
مخايل الليث على شبلة والولد سر أبيه في فضله ونبله وكل شيء في الحقيقة يرجع  
إلى أصله .

ملوك بني عثمان من كان أصلهم كرام لهم في المكرمات مفاخر  
إذا ولد المولود منهم تهلت له الأرض واهتزت إليه المنابر  
ولما ترعرعوا وبرعوا أخرجهم والدهم إلى السناجق العالية في بلاد الروم  
وأنعم عليهم بالولايات العظام وحفظ بهم ملك الإسلام وقلدهم الأمور الجسام  
فجعل لا كبر أولاده السلطان أحمد بمملكة أماسيه وما والاها وكان يتوقع منه أن  
يكون ولي عهده ويأبى الله إلا ما أراد أنعم على السلطان جهان شاه بمملكة قرمان  
وأعمالها وولى السلطان قورقند بمملكة منتشا وتوابعها وجعل للسلطان سليم بمملكة  
طوايزون وهو الذي جرى حلبة السعادة فسبق وسبق في علم الله تعالى سلطنته فكان  
أولى من الجميع وأحق وأعطى السلطان محمد بمملكة الكفار وما يليه من بلاد التتار  
وكلهم ملوك أبرار وسلاطين كبار .

من تلق منهم فقل لا قيت سيدهم مثل النجوم الذي يهدى بها السارى  
وأسعد الله جهان شاه ومحمد وأحمد بالوفاء في حياة والدهم وكفاهم الله تعالى  
القتل والقتال وصار حال ما عد السلطان سليم إلى ما حال رحم الله تعالى جميع أولئك  
الأبطال وعوضهم عن سلطنة هذه الدار جنات تجري من تحتها الأنهار .

وكان والده السلطان بايزيد خان استولى عليه مرض النقرس وهو أكثر  
مرض آل عثمان رحمهم الله تعالى فضعف عن الحركة وترك السفر سنين متعددة  
فصار المسكر لبطهم وكثرة راحتهم وسكونهم يطلبون سلطانا شابا قوى الحركة  
كثير الأسفار ليجاهد بهم في سبيل الله تعالى ويغنون من الكفار غنائم وراو  
أن السلطان سليم خان أجلد من سائر إخوانه وأقوى على ذلك لقوة جنانه وعلو

شأنه فالوا إليه ومال إليهم وتوجه بالعطف والحنو عليهم وخرج على والده محاربا وركب عليه مقاتلا ومغاضبا فقاتله أبوه فهزمت وولى هاربا ثم عطف على والده ثانيا لما رأى ميل العسكر إليه واختيارهم له على والده واجتماعهم عليه ورأى السلطان بايزيد توجه أركان الدولة والعسكر إلى السلطان سليم وأشار عليه وزرائه أن يفرغ عن السلطنة للسلطان سليم بقلب سليم ويختار التقاعد في أدرنه في عز وتعظيم وأبرموا عليه في ذلك فما رأى بدا في اجابتهم إلى ما سألوا وموافقهم إلى ما طلبوا وأملوا فطلبوه إلى حضوره وعهد إليه السلطان بالسلطنة وسلم إليه التخت وتوجه مع خدامه الخواص إلى أدرنة فلما وصل إلى قرية جورلوانكسر زجاج مزاجه وعجز الأطباء في علاجه وسقاه ساقى الحمام كأس أجله المحتوم فسلم إلى قابض الأرواح روحه المرحوم وأقدم على الله تعالى الحى القيوم ورزق مرتبة الشهادة ونال بها أعلى درجات العادة وانتقل من الملك الزائل الفانى إلى الملك الدائم الباقي وكان ذلك في سنة ثمان عشرة وتسعمائة .

وولى موضعه السلطان الأعظم السلطان سليم خان كاسر سلطان العجم وفاتح إقليم مصر وسائر ممالك العرب طيب الله ثراه وجعل الفردوس الأعلى محله ومأواه . مولده في أماسيه سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمر ست وأربعون سنة وكانت مدة سلطنته تسع سنين وكان عمره جميعا أربعاً وخمسين سنة لم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل مدة سلطنته لأنه كان كثير القتل وهذه عادة الله في السلاطين والأمراء والحكام إذا أكثروا سفك الدماء وكان سلطاناً قهاراً ملكاً جباراً كثير السفك قوى البطش عظيم الفتك كثير الفحص عن أخبار الناس شديد التوجه إلى أهل النجدة والناس عظيم التجسس عن أخبار الممالك عارفاً بمسارب الطرق والمسالك وكان يغيرزيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الأخبار ويستكشف الأسرار وله عدة مصاحبين يدورون حول القلعه وفي الأسواق وفي الجمعيات والمحافل وهمما سمعوا به ذكروا له في مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ما يسمع بعد الوثوق منهم وقد أدركت جماعة منهم من مصاحبة المذكورين وسمعت حسن مصاحبة السلطان سليم المرحوم معهم ولطف معاشرته لهم وشدة تيقظه ودقة

فهمه ونحفظه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه في اللغة الفارسية وحسن نظمه  
 بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فصحاء الطائفتين ورأيت بيتين بالعربي بخطه  
 الشريف كتبهما في علو المقياس في الكوشك الذي أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن  
 الروضة قد انمى لطول الزمان مداده ومال إلى لون البياض مواده وكان هذا  
 الكوشك محترما مقفلا لا يصل إليه أحد لعظمة بانيه ولا يتبدل بالدخول إليه  
 لعظمة راعيه فدخلت إلى مصر في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر  
 النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك ليكرمي مصر يومئذ خسرو باشا وكنت  
 مصاحبا لمعلم مولانا عبد الكريم العجمي فطلع وأطلعني معه في صحبته خسرو باشا  
 المذكور فرأيت على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بتأمل  
 هذين البيتين :

الملك لله من يظفر بنيل مني يردده قسرا ويضمن بعده الدرا  
 لو كان لي أو لغيري قدر أملة فوق التراب لكان الأمر مشتركا  
 وكتبه سليم بذلك الخط والقلم ولعمري ان كان هذان البيتان من نظم  
 المرحوم فهما غاية في البراعة ونهاية في النكتة من الصناعة فيدل على تمكنه رحمه  
 الله في اللسان العربي أيضا لأنها من أعلى طبقات الشعر العربي البليغ المنسجم وإن  
 كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه أيضا مرتبة عالية في حسن التمثيل وحسن  
 الاستحضار وفهم الأشعار العربية وذوقه لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم  
 وعلماء العجم المكين على علوم العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط  
 الممالك وفتحها والفائقون في ذوق الشعر العربي وحسن آدابه من العلماء والموالي  
 في غاية القلة معدودين منهم ولا يعد هذا نقصا فيهم لأن فهم الشعر العربي على  
 وجهه كما ينبغي قليل أيضا في علماء العرب إلا من توغل منهم في علم الأدب وتعب  
 في تحصيله ودأب .

وقد كانوا إذا عدوا قليلا وقد صاروا أقل من القليل

(ثم لما استولى) السلطان سليم خان على سرير السلطنة وفرغ من دفن والده  
 وتوجه إلى قتال أخيه السلطان أحمد ففر لهية السلطان سليم عسكر أحمد وبقي في عدد

قليل فأخذ أسيرا وأتى به إلى السلطان سليم فأمر بخنقه فخنق بوتر في تاسع صفر سنة تسع عشرة وتسعمائة .

ثم فر السلطان قورقند إلى كهف جبل وأراد التسحب منه إلى مكان سحيق فعرف مكانه فمسك وجىء به إليه فخنق وكذلك بالسلطان محمد بن السلطان شهنشاه والسلطان عثمان بن السلطان علم شاه والسلطان مصطفى والسلطان أورخان والسلطان سليمان أولاد السلطان محمود وسبعة أولاد كلهم رضع في المهد خنقهم في ليلة واحدة في بورسا فكانت ليلة ملئت بالبلاء بكاء وعويلا وصراخا أعظم من صراخ الشكلى ومأتما طويلا بكت فيها حتى الحجارة تتفجر منها مدامع الأنهار وتشقق ثيابها حتى كئتم الأزهار ولطم الخدود حتى انشقت ألوان أحمر ثم أسود ولبس حتى الليل ثياب الحداد وتعمم بالأسود وكان أمر الله قدرا مقدورا وسيف القنايد القضاء ماضيا مشهورا .

فلا المعزى يباق بعد ميته ولا المعزى ولو عاشا إلى حين

( فلما استقر ) للسلطان سليم الملك وهيئات أين الاستقرار وثبت على تخت السلطنة وانى له بالثبات والقرار شرع في قهر الملوك وأخذ الممالك والاستيلاء على الأقاليم والبلدان والمسالك فبدأ بقتال شاه اسماعيل ابن الشيخ حيدر الصوفى كما سنذكره مجملا من ذلك في هذا الفصل الثانى فانى ماظفرت بكتاب فيه تفصيل ذلك وإنما تلقيته من أفواه الرجال وأخبرنى ثقة من أعيان كتبة الديوان الشريف على أن السلطان بايزيد رحمه الله تعالى حذره منجم حاذق من أهل عصره وان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما ولد له عدة أولاد وكان تحذيره له قبل أن يولد السلطان سليم فطلب امرأة معتمدة عنده بيدها جواريه الموطوات وهى قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات الخيرات الدينيات فقال لها إذا وضعت إحدى الجوارى بعد الآن صبيا فاقتليه ولا تبقيه حيا وإذا وضعت أنثى اتركها تعيش مع بناتى وأكد عليها فى ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك إلى أن ولدت السلطان سليم والدته فرأته صبيا فحزنت عليه وتناولته القابلة لتخنقه فرأت صورة جميله فرقت وقالت بأى وجه ألقى الله تعالى فى قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أقدم

على قتله وقالت بايزيد قد حصل له بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبر بذلك سهاها  
 سليمة واستمر على ذلك والحال مكتوم لا يعلم غير الله تعالى والقابلة والام وصار  
 كلما ظهر وانتشأ ظهر عليه سها العلبة والقهر وإذا اجتمعت البنات وجلس بينهن  
 لطم من إلى جانبه وضرب ونهب ما وجد بأيديهن من ملعوبات الاطفال وكانوا  
 يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد في يوم عيد إلى داخل السرايا وأمر بالمسكان  
 سليم فزين واستدعى كل واحدة ممن أنواع الحلوى والفواكه وأحضر بينهن  
 السلطان واسمه سليمة فشرع في مداعبته على عادته وخطف ما بين أيديهن من  
 الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يدي نفسه والكل خائفات منه هائبات  
 له فتعجب بايزيد لذلك وصار يتأمله جدا وفي أثناء ذلك دار حولهم يعسوب  
 كبير أراد وأمسكه فعجزوا عنه وهو يلسع من يريد مسكه فيهربون  
 منه فد السلطان سليم يده اليه وهو طائر حوله فصاده بكفه ومرسه وخبصه  
 ورماه من يده فتعجب السلطان بايزيد منه وقال للنساء الواقفات هذا لا يكون بنتا  
 اكشفوا لي عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هذا صبي وليس بنت فقال لها وكيف  
 بخالفتي أمرى وما قتلته فقالت خفت من الله رب العالمين وخلصت ذمتك وذمتي  
 من قتل معصوم لا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدر الله فهو كائن لا مفر عنه  
 وأمر بالسكف عنه وتريبته إلى أن كان ما كان بتقدير الله تعالى .

## الفصل الثاني

### في قتال شاه اسماعيل وانهزامة

هو شاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ ابراهيم خواجه علي  
 ابن الشيخ صدر الدين موسى بن الشيخ صفي الدين بن اسحق الاردبيلي واليه تنسب  
 الأولاد فيقال لهم الصوفيون وكان الشيخ صفي الدين صاحب زاوية في أردبيل  
 وله سلسلة في المشايخ أخذ عن الشيخ زاهد الكيلاني وتنتهي بوسائط إلى الامام

أحمد الغزالي وتوفي الشيخ صفي الدين في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وهو أول من ظهر منهم بطريق المشيخة والتصوف وأول من اختار مسكن اردبيل وبعدهم من جلس في مكانه الشيخ صدر الدين موسى وكانت السلاطين تعتقد فيه وتزوره ويمن زاره والنس بركته تيمور لما عاد من الروم وسأله أن يطلب منه شيئاً فقال أطلب منك أن تطلق كل من أخذته من بلاد الروم سركننا فأجابته إلى سؤاله وأطلق السركن جميعهم فصار أهل الروم يعتقدون الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الاردبيليين من ذريته إلى الآن وحج والده السلطان خواجه علي وزار النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه إلى زيارة بيت المقدس وتوفي هناك وقبره معروف في بيت المقدس .

وكان مما يعتقد ميرزا شاه رخ بن تيمور ويعظمه فلما جلس الشيخ جنيد مكان والده في الزاوية بأردبيل كثر مریدوه واتباعه في أردبيل فتوم منه صاحب اذربيجان يومئذ وهو السلطان جهان شاه قرا يوسف التركاني من طائفة قراقونيلو فأخرجهم من أردبيل فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مریديه إلى ديار بكر وتفرق عنه الباقيون وكان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بك بن علي بك من طائفة آق قونيلو جد أوزن حسن بك البانيدري وهو أول من تسلطن من طائفة آق قونيلو وجد أوزن حسن بك وولي سنة وأخذوا ملك فارس من طائفة قراقونيلو وآخر سلاطينهم قرا يوسف بن قرا محمد التركاني ومدة سظنتهم ثلاث وستون سنة وانقرض ملكهم علي يد أوزن حسن بك المذكور في شوال سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة .

وكان أوزون حسن بك ملكا شجاعا مقداما مطاعا مظفرا في حروبه ميمونا في نزوله وركوبه إلا أنه وقع بينه وبين السلطان محمد بن السلطان مراد خان حرب عظيم في بابرت فانكسر أوزن حسن بك وقتل ولده زينل بك وهرب هو وسلم من القتل وعاد إلى أذربيجان وملك فارس العراقيين ولما التجأ الشيخ جنيد إلى طائفة آق قونيلو صاهره أوزن حسن بك وزوجه بنته خديجة بيكم فولدت له الشيخ جنيد ولما استولى أوزن حسن على البلاد وطرد عنها ملوك قوقونيلو وأضعفهم عاد الشيخ



جنيد مع ولده الشيخ حيدر إلى أردبيل وكثر مريدوه وأتباعه وتقوى بأوزن حسن بك لأنه صهره فلما توفى حسن بك ولى موضعه السلطان خليل ستة أشهر ثم ولده الثانى السلطان يعقوب فزوج بنته حليلة بيكم من الشيخ حيدر فولدت له شاه إسماعيل فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وكان على يديه هلاك ملوك العجم طائفة آق قو نيلو وقراقو نيلوا وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور .

وكان الشيخ جنيد جمع طائفة من مريديه وقصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين فى سبيل الله فتوهم منه سلطان سرنىوان فخرج إلى قتاله فانكسر الشيخ جنيد وقتل وتفرق مريدوه ثم اجتمعوا بعد مدة على الشيخ حيدرو حسنواله الجهاد والغزاة فى حدود كرجستان وجعلوا لهم رماحا من أعواد الشجر وركبوا فى كل عود سنانا من حديد وتسلاحوا بذلك وألبسهم الشيخ حيدر تاجا أحمر من الجوخ فسماهم الناس قزلباش وهو أول من ألبس الناس التاج الأحمر لأتباعه واجتمع عليها خلق كثير فأرسل شروان شاه إلى السلطان يعقوب بن أوزن حسن بخوفه من خروج حيدر على هذه الصفة فأرسل أمير من أمراءه اسمه سليمان بأربعة آلاف نفر من العسكر وأمره أن يمنعهم من هذه الجمعية فما أطاعه فاتفق مع شروان شاه فقتلاه ومن معه فقتل الشيخ حيدر وأسروا ولده شاه إسماعيل وهو طفل وأسر معه إخوته وجماعته وجاء بهم سليمان بك السلطان يعقوب فأرسل بهم إلى قاسم بك الفرناك وكان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب وأمره أن يحبسهم فى قلعة اصطخر فحبسهم بها واستمروا إلى أن توفى السلطان يعقوب فى سنة ست وسبعين وثمانمائة .

( وولى بعده السلطان رستم ) ونازعه فى السلطنة اخوته وتفرقت المملكة واستقل فى كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب ثم توفى السلطان رستم .

( وولى مكانه السلطان مراد بن يعقوب ) والوند بك بن عمه وكان شاه إسماعيل فى لاهجان فى بيت صائع فى بيت يقال له نجم زركر وبلاد لاهجان فيها كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحرورية والمزيدية وغيرهم فتعلم منهم شاه إسماعيل فى صغره مذهب الرفض فان أباه كان شعارهم مذهب السنة السنية وكانوا مطيعين

منقادين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظهر الرفض غير شاه إسماعيل وتطلبه من أمراء الوند بيك جماعة وطلبوه من سلطان لاهجان فأبى أن يسلمه لهم وأنكر وحلف لهم أنه ما هو عندي وورى في يمينه وكان مختفيا في بيت نجم زركر وكان يأتيه مر يدور ووالده خفية ويعتقدون فيه ويطوفون بالبیت الذي هو ساكن فيه إلى أن أراد الله بما أراد وكثرت داعية الفساد واختلت أحوال البلاد باختلاف السلاطين وكثرة المضاد بين العباد لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وحينئذ كثر اتباع شاه إسماعيل فخرج هو ومن معه من لاهجان وأظهر الخروج لثأر والده وجده في أواخر سنة خمس وتسعمائة وعمره يومئذ ثلاثة عشر سنة وقصد مملكة سروان لقتال سروان شاه قاتل أبيه وجده وكلها سار منزلا كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه عسكر كثير إلى أن وصل إلى بلاد سروان فخرج لمقاتلته فانكسر عسكره وأتوا به شاه إسماعيل أسير فأمر أن يضعوه في قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا كما أمروا وأكلوه .

وكان ذلك أول فتوحاته ثم توجه إلى قتال الوند بيك فقاتله وانهمز منه واستولى على خزائنه وقسمها في عسكره وصار يقتل مني ظفر به قتلا ذريعا ولا يمك شيئا من الخزان بل يفرقها في الحال ثم قاتل مراد بك ابن السلطان يعقوب فهزموه وأخذ خزائنه وفرقها على عسكره ثم صار لا يتوجه إلى بلاد إلا يفتتحها ويقتل جميع من فيها وينهب جميع أموالهم ويفرقها إلى أن ملك تبريز واذريجان وبغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان وكاد أن يدعى الربوبية وكان له عسكر يأمرون بأمره وقتل خلقا لا يحصون ينوف على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الإسلام ولا في الجاهلية ولا في الأمم السابقة من قتل من النفوس ماقتله إسماعيل شاه وقتل عدة من أعظم العلماء بحيث لم يبق أحدا من أهل العلم في بلاد العجم وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لأنها ومصاحف أهل السنة وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها وإذا قتل أميرا من الأمراء أباح زوجته وأمواله لشخص آخر .  
(ومن جملة مضحكاته) أنه جعل كلبا من كلاب الصيد أميرا ورتب له ترتيب الأمراء من الخدم والسكواخي والسماط والكيلاز والأوطاق الفرش الخريز ونحو

ذلك وجعل له سلاسل الذهب ومرتبة ومسندا يجلس عليه كالأمراء وسقط مندبل من  
يده إلى البحر وكان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فرمى نفسه خلف  
المندبل من عسكره فوق ألف نفس تحطموا وتكسروا وتفرقوا وكانوا يعتقدون  
فيه الألوهية وأنه لا ينكسر ولا ينهزم إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة .  
فلما وصلت أخباره إلى السلطان سليم خان تحركت فيه قوة العصية الغضبية  
وأقدم على نصر السنة الشريفة السنية وعد هذا القتال من أعظم الجهاد وقصد أن  
يمحو من العالم هذه الفتنة وهذا الفساد وينصر مذهب أهل السنة الحنيفة على  
مذهب أهل البدع والالحاد ويأبى الله إلا ما ارادته السلطان بخيله ورجله وعساكره  
المنصورة ورحله وتها لقتاله وأقدم على جلاؤه وجداله وهو يجر بخميس العرمم  
ويصول بسيف عزمه ويقدم ويتقدم إلى أن تلاقى العسكران في قرب ورتب  
السلطان عسكره ونزل من عند الله النصر القريب والفتح العزيز فتجالد الفريقان  
وتطارد الفرسان وتعانق الشجعان يهدرون كالبنحاتي الفوالج فوق البحور  
الموائج وتصادمت فرسان الزحف والصيل وتصادم أطواد الجبال وصارت  
نجوم الأبطال رجوم البطش والقتال فزلزلت الأرض زلزالها وأخرجت  
الأرض أثقالها وخيلت المعركة سماء غامها القسطل وصواعقها بروق البيض من  
بريق الصيقل ورعودها صليل السيوف في أعناق الجحفل وغيوثها صيب الدم من  
أوداج رؤس تمز وتفصل وأحجار المدافع كجلود صخر حطه السيل من عل إلى  
أن طارت قلوب الأعداء هوا وذهبت قواهم هبا وولوا على أدبارهم أدبار وانهمز  
شاه إسماعيل وولى فرار ولم يجد من دون الله أنصارا وضائق الأرض حتى أن هاربهم  
إذا رأى غير شيء ظنه رجلا وقتل فالب جنوده وأمراته وسائق العساكر المنصورة  
العثمانية من ورائه وكادوا أن يقبضوا عليه ففر من بين أيديهم وهم ينظرون إليه  
وترك ما تخوله في مخيمه من أثاث نجلاته وكان لا نظير له فاغتنمه عسكر السلطان  
سليم ووطئت حوافر خيله أرض تبريز فنهى فيها وأمر وقتل من أراد وأسر  
وأعطى الرعية تمام الأمن والأمان ونشر فيها أعلام أهل الأيمان وأخذ من أراد  
منها من الأفاضل المتميزين في الصنائع والفضائل والشعراء الأماثل وساقهم سر كنا

إلى اصطنبول على القانون وأراد أن يقيم في تبريز للاستيلاء على إقليم العجم والتي يمكن من تلك البلاد على الوجه الأتم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط واستيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقة بمائتي درهم وسبب ذلك أن القوافل التي كان أعدها السلطان سليم تتبعه بالميرة والعليق والمؤن تخلفت عنه في محل الاحتياج إليها وما وجدوا في تبريز شيئاً من الماء كولات والحبوب لأن شاه إسماعيل أمر بإحراق أجران الحب والشعير وغير ذلك واضطر السلطان سليم إلى العود من تبريز إلى بلاد الروم وتركها خالية خاوية على عروشها ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه فأخبر أن سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغوري فإنه كان بينه وبين شاه إسماعيل محبة ومودة ومراسلات بحيث أنه كان السلطان الغوري يتهم بالرفض في عقيدته بسبب ذلك فلما ظهر للسلطان سليم خان أن الغوري هو الذي أمر بقطع القوافل عنه صم على قتال السلطان الغوري أولاً وبعد الاستيلاء عليه وعلى بلاده يتوجه إلى قتال شاه إسماعيل ثانياً.

فلما استقر عليه ركاب السلطنة الشريفة العثمانية في تحت ملكها الشريف تيباً لأخذ مصر وإزالة دولة الجراكسة وتوجه بعسكره الجرار إلى ناحية حلب في سنة اثنين وعشرين وتسعمائة وخرج إلى قتال قانصوه الغوري بجميع عساكره من الجراكسة وغيرهم وتلاقى العسكران بقرب حلب في مرج دابوم.

وكان الغوري يتوهم ويخاف على نفسه من ملك الأمراء حيز بك ومن جان بردى بك الغزالي وكانا يكرهانه في الباطن ويكرههما كذلك فأمرهما أن يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما حجاباً أمامه ووقف الغوري بخواص عسكره الذي يعتمد عليه من الجلبان الذين أراد أن يقدمهم خلف حيز بك والغزالي وقصد بذلك أن يقتلا بالبندق والضبزن في أول مرة ثم يسلم هو ومن معه وتفطن حيز بك والغزالي لذلك وكانا أرسلوا إلى السلطان سليم وطلبا منه الأمان وتوثقا منه أن لا يقتلها بل يكرهما وينعم عليهما فأرسل السلطان سليم لها بالأمان وعهد لهما بما يطيب من خاطرهما وأن يوليها مملكته مصر والشام فقبلا ووافقاه على ذلك قبل القتال فلما تلاقى العسكران واضطربت نيرات البنادق في مرج دابق فرحيز بك

بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة وبقى السلطان الغوري بمن معه من خواصه وجلبانه في القلب فأطلقت البنادق والضربونات فملك من هلك وهرب من هرب لا يدري أية طريق سلك وانقلب النهار ليلا مظلم بالمدخان وامتلا وجه الأرض لشعب النفط والنيران وعاد الغوري تحت سنابك الخيل ومحا نور العدل ظلام الظلم كما يمحو النهار الليل وذهبت ظلمات الجرا كسة كأنهم كانوا هباء منشورا وأكلت أشلاء قتلام الوحوش والطيور كان لم يكونوا شيئا مذكورا وأقبلت رايات اقبال السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء وقد احمرت من أسالة الدماء فطلب أهلها منه الأمان والتسليم فأجابهم إلى القبول لطفًا وكرما فخرجوا إلى لقائه بالمصاحف والأعلام وهم يجرون بالتسبيح والتسكير ويقرؤن وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فقابلهم بالإجلال والاكرام وأفرغ على كواهلهم خلع اللطف والأنعام وتصدق بأنواع الصدقات الجزيلة على الخاص والعام وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعاه ولآبائه وأسلافه وبالغ في المدح والتعريف .

وما زاده الألقاب فخرا وسوددا بأطناب ذى مدح وأكثر مادح  
وعند ما سمع السلطان سليم الخطيب يقول في تعريفه خادم الحرمين الشريفين  
سجد الله شكرا وقال الحمد لله الذى يسرلى أن صرت خادم الحرمين الشريفين  
وأضمر خيرا جميلا وإحسانا جميلا لأهل الحرمين الشريفين وأظهر الفرح والسرور  
بتلقبه بخادم الحرمين المنيفين وخلع على الخطيب خلعاً متعدداً وهو على المنبر وأحسن  
إليه إحسانا كثيرا بعد ذلك وأقام بحلب أياما يسيرة وهو يمدد الملك ويمجى أحكام  
المعدلة والسياسة ويحسن إلى العرب ثم ارتحل بالجيش المنصور إلى الشام فخرج  
أهل الشام إلى لقائه وطلبوا منه الأمان والأمان واللطف والرأفة والاطمئنان فأجابهم  
إلى ما سألوه وبسط لهم ما طلبوه وأملوه فقبلوا الأرض بين يديه وبالغوا في الدعاء  
بدوام دولته والثناء عليه فخلع على كل ما يستحق التشريف خلع الرضا والإكرام  
والبسهم التشاريف الفاخرة كلا بحسب حاله واستحقاقه للأنعام ودخل التشريف  
إلى الشام بموكبه الشريف الكريم وأقام به لتمهيد المملكة برأيه القويم وخطب له  
الخطباء فخلع عليهم وأكرمهم وأحسن إليهم وقابل الناس بسن ضاحك ووجهه يتهلل

سرورا وجبين أغر يملأ الأرجاء ضياء ونورا وأمر بعمارة تربة الشيخ محيي الدين ابن العربي رضى الله عنه ورتب عليه أوقافا كثيرة وعمل له مطبخا يطبخ الطعام فيه لفقراء الشيخ المرحوم وجعل عليها متوليا وناظرا يجمع الربيع ويصرفه في جهات الخير ونظره أعظم الأنظار في بلاد الشام إلى الآن وما أسرى الله تعالى مثل هذا الخير العظيم على يد أحد من الجراكسة ولا من كان قبلهم ولا شك أن روحانية الشيخ رضى الله عنه هي التي جلبت السلطان سليم طيب الله ثراه إلى سلطنة بلاد الغرب وحصل له الإمداد العظيم بالبركة والنصر والتأييد في حصول ما أمله وطلب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ويؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

واستمر السلطان سليم خان بأرض الشام إلى أن مهد أمورها وضبط حصونها وقصورها ثم توجه إلى افتتاح إقليم مصر ورفع البؤس عنها والأمر ولما وصل إلى خان بونس قتل فيه الوزير المعظم حسام باشا وكان من أهل الخير وله عمارة في آق شهر يخرج منها الطعام للمسافرين دائما رحمه الله تعالى واستمر السلطان سليم متوجها إلى مصر فوصل إلى بلاد غزة ثم عدل منها بمفرده إلى زيارة القدس والخليل في نفر قليل بقصد الزيارة فأحسن إلى أهل القدس وإلى أهل خليل الرحمن وعاد إلى معسكره وصار كلما مر ببلد أو قرية أو قسبة في طريقة أحسن إلى الرعايا ونظر بعين المعدلة والإحسان إلى البرايا وأزال عن الضعفاء ظلم الظالمين ونشر العدل في العالمين وفر بقية السيوف من الجراكسة إلى مصر وولوا عليهم الدوادار وجندوا الجنود وعقدوا الألوية والبنود وخرجوا إلى الريدانية بظاهر مصر ونصبوا المدافع الكبار وملؤها بالبارود والأحجار وهيؤها ليطلقونها إذا أقبلت العساكر العثمانية فلما أخبرهم الجواسيس بذلك عدلوا إلى غير ناحية وجاءوا من خلف جبل المقطم من معسكر الجراكسة ورموا بالمدافع المسكاحل والضربانات على العجل واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن يأتي من أمام الريدانية بلا نفع ولا دفع وقاتل السلطان طومان باي ومن ثبت معه من أمراء الجراكسة قتالا قويا وأظهر طومان باي شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص في العسكر ويحمل ويعود

ويكرويفر وقتل من وزراء السلطان سليم في ذلك اليوم سنان باشا وأسف السلطان سليم على شهادته .

ومن جملة نكته أنه قال عندما أخبر بهروب عساكر الأعداء وقتل سنان باشا أي فائدة في مصر بلا يوسف ووجه النكته أن يوسف يلقب بسنان في عرفهم وبعد أن ثبتوا ساعة انكسروا فهربوا وتمزقوا وتشتتوا وتفرقوا وهرب طومان باي إلى البرونزل على شيخ عربان بنى حرام عبد الدايم بن بقر ودخل السلطان سليم إلى مصر ونزل في ساحلها في الجزيرة الوسطانية وطاف عسكره بالبلد وأمنوا الناس وأزالو عنهم الخوف والبأس ماعدا الجراكسة فإنهم إذا ظفروا بهم أتواهم إلى السلطان سليم خان فيأمر بضرب رقابهم وترى جثثهم في بحر النيل وتجمع رؤسهم فانتقل السلطان سليم إلى المقياس وأمر أن يبني له في محلوه كوشكا عالياً سكنه مدة مقامه بمصر هرباً من عفونات اشلاء القتلى .

ثم أن شيخ العرب عبد الدايم تغرب إلى خاطر السلطان سليم خان وسلم إليه السلطان طومان باي أسيراً وأنعم السلطان سليم على شيخ العرب بالخلع والتشريف والانعامة السلطانية وحبس طومان باي عنده وأراد أن يكرمه ويجعله نائباً عنه بمصر إذا برز عنها إلى الروم وصار يحضره في مجلس الضحية ويستخبره عن الأمور والأحوال فأرجف أهل مصر عن طومان باي أنه لم يقع في الأسر وأنه اختفى وأنه يجمع عسكراً ويتنزه الفرصة وأنه شجاع لا يطاق ولا يقدر على مسكه أحد فبلغ السلطان سليم خان أراجيف الناس ورأى أن الفتنة لا تسكن مادام طومان باي محبوساً فأمر أن يركب على بغلة ويحف بعسكر الينكجيرية ويمضى إلى باب زويلة ويصلب فيه ليراه الناس ويصدقوا بأنه مسك فصلب على باب زويلة لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم ولي القضاة الأربعة على المذاهب الأربعة بمصر وهم قاضي القضاة كمال الدين الطويل ولاء قضاء الشافعية وقاضي القضاة نور الدين علي بن يس الطرابلسي الحنفي قاضي الحنفية وقاضي القضاة الدميري المالكي قاضي المالكية وقاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن النجار الحنبلي قاضي الحنابلة وولي ملك الأمراء حيزبك مصر وولي جان بردى الغزالي الشام كما وعدهما بذلك ومهد الأمور وسار إلى الاسكندرية وعاد إلى مصر

ثم إلى تخت مملكته القسطنطينية العظمى في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وأخذ معه كثيراً من أعيان مصر سركنا إلى الروم كما هو قانونهم ووصل إلى تخت مملكته ومقر سلطنته مظفراً منصوراً وشكر الله وحمده على نصرته وتأيدته وكان عبداً شكوراً وافتقد خزائنه فوجدها قد انصرف غالبها فإنه كان قد أصرف في هذين السفرين وهما السفر إلى بلاد قزلباش والسفر إلى إقليم مصر خزائن عظيمة مما جمعها آباؤه وأسلافه فلما أراد سفراً ثالثاً إلى بلاد العجم لقطع جادة طائفة القزلباش رأى أن ما بقي من خزائنه لا يفي بتلك المصارف فتأخر ليجتمع في خزائنه ما يجمع له من خراج البلاد قدر بني بالمراد ويأبى الله إلا ما أراد :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن

فظهر في أثناء ظهره جراحة منعتة الراحة وحرمت عليه الاستراحة وعجزت في علاجه حذاق الأطباء وتحيرت في دائه العقول الألباء وعظم الجرح وكبر الفرح واتسع الخرق والنهب الحرق وكانت توضع الدجاجة في جرحه فتذوب بجمه وشوهدت معاليق أكباده في جوفه من خلف ظهره وأنهبت المنية أظفارها فيه فما نفعه التمام والرقا وفدى بالأموال والأرواح فما قبل الغد . وقال :

ولو قبل الفداء لكان يفداً وان جل المصاب عن التفادي  
ولكن المنون لها عيون تكثر لحاظها في الانتقاد  
فقل للدهر أنت أصبت فألبس برغم بليك أبواب الحداد

فقضى نحبه ولقي ربه ومضى سليم بقلب سليم قادمًا على الله الكريم الغفور الرحيم وتبوا مقعده من سرير الملك نجله الوارث السعيد كذلك يؤتى الله الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو الفعال لما يريد .

وكان وفاته رحمة الله تعالى وأسكنه غرف الجنان وأنزل عليه شآبيب المغفرة والرضوان في سنة ست وعشرين وتسعمائة .



### الفصل الثالث

فيما عمره المرحوم السلطان سليم خان في الحرم الشريف

وبعض إحسانه إلى أهل الحرمين الشريفين في أيام سلطنته

كان رحمه الله تعالى كوالده المرحوم كثير المحبة لأهل الحرمين الشريفين حسن الالتفات إليهم كثير الاحسان والعطف عليهم وضاعف الصدقة الرومية التي كان يجهز لهم والده المرحوم ويكرم من قدم عليه منهم أتم اكرام ويحسن إليه أجل إحسان وإنعام فوصلت صدقاته الرومية ووصل معها دفتر الصرة على حكم ماقرره والده المرحوم لأهل الحرمين في أول سلطنته عام تسعة عشر وتسعمائة وضاغف له الدعاء بالحرمين الشريفين وسافر له جماعة من أهل مكة منهم الخطيب محي الدين العراقي فحصل له منه انعام جزيل وخير جميل ورتب له في دفتر الصر مائة دينار ذهبا وفرح بمن قدم عليه من الحجازيين وأنعم على كل بحسبه وكان يرسل الصدقات الرومية في كل سنة فلما افتتح مصر وجد بها من قضاة مكة قاضي القضاة صلاح الدين محمد بن أبي السعود بن ابراهيم بن ظهيرة وكان السلطان الغوري حبسه بمصر من غير ذنب بل للطمع ولما خرج بعساكره من مصر إلى مرج دابق أخرج كل من في حبسه من أرباب الجرائم إلا القاضي صلاح الدين فانه أبقاه في الحبس فلما انكسر وقتل في مرج دابق أخرجه السلطان طومان باي من الحبس فلما دخل السلطان سليم إلى مصر جاء إليه القاضي صلاح الدين فأكرمه وعظمه وخلع عليه وأحسن إليه وجهزه إلى مكة معززا مكرما وكان بمصر جماعة من الحجازيين أحسن إليهم كلهم وأكرمهم .

وولى أمانة جدة لتاجر اسمه الخواجه قاسم السرواني وكان مقبلا بمكة ثم سافر إلى مصر فصادف دخول السلطان سليم إلى مصر فخدمه وتقرب إلى خاطره الشريف فأرسله إلى مكة أمينا في بندر جدة أميرا عليها وتمكن من البندر وأرسل السلطان سليم من أمراته إلى مكة الأمير مصلح الدين بك بالصدقات الرومية وبكسوة الكعبة

الشريفة وبمحمل الشريف رومي فوصل في صحبته أمير الحاج المصري المقر العلاني  
 بالمحمل الشريف المصري على المعتاد وبرز شريف مكة يومئذ السيد بركات لملاقاة  
 المحملين الى سبيل الحوخي هو وولده سيدنا ومولانا السيد الشريف جمال الدين محمد  
 أبو نبي أطال الله تعالى عمره الشريف ولبس الخلعة الشريفة السلطانية وصار أمام  
 المحملين المصري والرومي بأعلامهما وطبولهما واستمرا في هذا الموكب إلى أن فارقا  
 المحملين وأمير الحاج والأمير مصلح الدين من عند باب السلام وأدخل المحملان  
 الى الحرم الشريف ووضعوا عن يمين مدبسة الأشرف قايتباي ونزل أمير الحاج  
 المصري في مجمع البرقية على يمين الخارج من باب الصفا وهو رباط صاحب بلدة  
 كبرى من ملوك الركن وقد هدمت الآن في ذلك الجانب من البيوت والمدارس  
 الملاصقة بجدر الحرم الشريف توسيعا لطريق السبيل ودفعه لضرر دخوله الى المسجد  
 الحرام من ذلك الجانب اذا تراكم السيل وكان هدمها بالأمر الشريف السلطاني في  
 سنة أربع وثمانين وتسعمائة وفرقت الصدقة الرومية في يوم الجمعة لأربع مئتين من  
 ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة في الحرم الشريف على الفقهاء وقرر لجماعة  
 من المجاورين لكل واحد مائة ذهب منهم مولانا نور الدين حمزة ابن القاضي مصطفى  
 القرمانى وقرر باسم مولانا السيد الشريف أبي نبي أطال الله تعالى عمره الشريف  
 خمسمائة دينار ذهبا في أول دفتر الصدقات باقية الى الآن باسم الشريف تقبض له  
 في كل عام وفرقت بعد هذا الذخيرة وهي صدقة كانت تجهز من خزينة مصر من  
 قبل ملوك الجراكسة أبقاها السلطان سليم على حالها وأجراها في كل عام من خزينة  
 مصر تفرق على فقراء الحرمين الشريفين وعلى مشايخ العرب أو باب الدرك في  
 طويق الحج وهي باقية الى الآن وفرقت الصدقات المصرية التي تجمع من أوقاف  
 الحرمين بمصر وتجهز الى الحرمين الشريفين ويقال لها الصر الحكمي وهو باق الى  
 الآن وان تقهقر وضعف وصار يصرف على حكم الربع والخمس لضعف الأوقاف  
 المصرية واستيلاء الأكلة عليها ودخول الظلمة فيها أحيا الله من أحيائها وأنى حياة  
 من عمرها ونماها وبعد الفراغ من توزيع الصدقات قرأت ختمة شريفه في الخطيم  
 الشريف حضرها الامراء والقضاة والفقهاء والأعيان باسم السلطان سليم وأهدى

إلى صحائفه الشريفة ثوابها وقرر الأمير مصلح الدين ثلاثين نفر يقرأ كل واحد منهم جزءاً شريفاً قرآنياً في كل يوم فتكمل بهم ختمة كاملة في كل يوم يهدي ثواب ذلك لى السلطان سليم خان وقرر لهم مفرقا للأجزاء وداعياً وحافظاً للأجزاء وجعل لكل واحد منهم اثني عشر ديناراً ذهباً في دفتر الصدقات الرومية تصل إليهم في كل عام ثم جمع طائفة من الفقراء أعطى لكل نفر ثلاثة دنانير ذهباً سماها المنفردة وكتب أسماءهم في الدفتر ثم كتب بيوت فقهاء مكة المشرفة وكتب أسماء من في ذلك البيت وعين لكل نفر منهم ثلاثة دنانير ذهباً وألحق ذلك في دفتر الرومية وسماها البيوت وهي باقية إلى الآن ثم كثر عليه الفقهاء فجمعهم في حوش كبير وأعطى لكل واحد دينارين ذهباً وسماهم العامة وكتب أسمائهم وألحقهم بالدفتر وهذا الترتيب كله باق إلى الآن وثوابه لمن أسس فعل الخيرات جار في صحائف حسناته إلى يوم القيامة .

ثم خطب الخطيب شرف الدين يحيى النوبري خطبة التروية في سابع ذي الحجة وفي ظهر اليوم الثامن توجه الناس إلى عرفات وتوجه الأمير مصلح الدين بالمحمل الرومي وتوجه المقر بالمحمل المصري إلى عرفات وصلوا في يوم التاسع صلاة الظهر والعصر جمعا بينهما بعد الزوال بعد أن خطب الخطيب في مسجد نمرة .

ثم شرعوا في الوقوف في ذيل جبل الرحمة وخطب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهيرة أمام الموقف الشريف خطبة عرفة ووقف بين يديه الأمير مصلح الدين بالمحمل الرومي وأمير الحاج المصري بالمحمل المصري ولم يصل في ذلك العام المحمل الشامي ودعا الخطيب للسلطان سليم خان وكذلك سائر الحجاج وأفاض الناس حين أفاض الامام وكانت الوقفة الشريفة يوم الأربعاء المبارك وباتوا بالمزدلفة ثم أفاضوا بعد فجر يوم النحر إلى منى ونزل شيخ الكعبة من منى في يوم النحر ونزل معه الأمير مصلح الدين لاتمام بعض الأوامر السلطانية وإنفاذها وإيصال الخير والاحسان إلى الفقراء واستجلاب الدعاء من الصلحاء بنصرة السلطان سليم خان ودوام سلطنته وفي ليلة الجمعة في أواخر شهر ذي الحجة الحرام طلب بعض الأولياء الصالحين والعلماء العاملين منهم مولانا الشيخ عبد الكبير بن الشيخ يس الحضرمي

والشيخ عبد الله بن ناكير الحضرمي وشيخنا الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخطاب المالكي وولده شيخنا الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب المالكي والشيخ أيوب الأزهرى وجماعة من العلماء وأحضر لهم دواب يركبونها إلى التنعيم عند مساجد السيدة عائشة رضى الله عنها وركب معهم وأشار عليهم أن يعتمرو عن والده السلطان سليم خان فأحرم كل واحد منهم بالعمرة عن المرحومة ولبي عنها وعادوا إلى الكعبة الشريفة فطافوا ثم سعوا وحلقوا وأهدوا ثواب تلك العمرة إلى صحابئها ثم أحسن إليهم ورتب لهم الصرف في دفتر الصدقات فدعوا له وللرحومة ولولدها السلطان سليم خان رحمهم الله تعالى .

ثم وصل من بندر السويس إلى بندر جدة بحرا سفان مسارية فيها حبوب الصدقات السلطانية لأهل الحرمين الشريفين جهزها ملك الأمراء خير بك نائب السلطنة الشريفة بمصر بأمر السلطان سليم وهي سبعة آلاف أردب جاء منها ألفا أردب لأهل المدينة وخمسة آلاف أردب لأهل مكة ووصل الأمر الشريف السلطاني أن يوزع ذلك الأمير مصلح الدين فجلس في الحرم وطلب قاضى القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضى صلاح الدين بن ظهيرة الشافعى والقضاة الثلاثة الحنفى والمالكي والحنبلى ونائب جده الأمير قاسم الشروانى وبقية الفقراء والأعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطان واستشارهم في توزيع ذلك فذكروا له أنه لا بد من عرض ذلك على شريف مكة سيدنا ومولانا الشريف بركات وأخذ رأيه في ذلك فأرسل إليه ساعيا وكتبوا له صورة الأمر الشريف السلطاني واستدعوا رأيه العالى في ذلك فكتب إليهم الجواب بالمبادرة إلى امتثال الأمر الشريف وتوزيع ما وصل من حب الصدقة الشريفة على المستحقين بحسب اتفاق الأمراء من أعيان أهل المجلس فاجتمعوا ثانيا بعد وصول الجواب واتفق رأيهم على بيع بعض ذلك الحب ليصرف في نقله من جدة إلى مكة وأن يكتب أسامى الناس على العموم ويصرف إلى كل واحد ما يخصه من الحب وما يخصه من ثمن ما باعوه بعد استيفاء المصارف وأمر شيخ الاسلام الصلاحى أن يباشر كتابة دفتر ذلك ورقم أسامى الناس الشيخ رضى الدين الحناوى الشاهد العدل كبير الشهود العدول في باب السلام المكى

فكتب بيوت كل محلة وكتب ما فى كل بيت من أعداد الأنفار رجالا ونساء وأطفالا وخداما ماعدا التجار والسوقة والعسكر فكانوا اثني عشر ألف نفر فنخص كل نفر رباعى بكيل الربع الكبير الذى هو أربع كيل عن أربعة وعشرين قدحا بالكيل المصرى المستمر الآن وأن يدفع مع ذلك لكل نفر دينار ذهب فوزع ذلك جميعه على هذا الوجه ثم جعل لكل واحد من القضاة الأربع ثلاث أرباب وزيد فى أسماء بعض البيوت بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت وهذا أول صدقات الحب الشريف السلطانى واستمر إلى الآن وزيد على ما كان بحيث صار فقهاء مكة المجاورون يتعشون بوصول هذا الحب إليهم أما فى جميع السنة وأكثرها فلو فقدوا ذلك والعباد بالله هلكوا وكذلك يرتزقون بالصدقات الرومية وغيرها بما كان سبب الانعام بها عليهم سلاطين آل عثمان نصرهم الله تعالى وخلد ملكهم السعيد وطوق بقلائد احسانهم خدام الدعاء لهم من الأحرار والعبيد .

أقامت فى الرقاب لهم ايام هم الأطواق والناس الحمام

فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله سلطنتهم مد الزمان فان دولتهم الشريفة هى عماد الاسلام واحسانهم متواصل إلى كافة الأنام سيما جيران بلد الله الحرام وجيران نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فانهم فازوا بالانعامات الوافرة فى أيام هذه الدولة لزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة فى نوبة هذه السلطنة القاهرة ما لم يتصوره من الدول الماضية الغابرة فالله تعالى يديم علينا سلطانهم كما دام علينا برهم واحسانهم .  
( وما جدده الأمير مصلح الدين ) المذكور بناء مقام الحنفية فانه كان مسقفا على أربعة أعمدة فى صدره محراب عمل سنة إحدى وثمانمائة فأراد أن يوسعه ويجعله قبة فأمر بعقد مجلس حضر فيه القضاة الأربعة والأئمة والعلماء والأعيان وقال لهم ان الامام الاعظم أبا حنيفة رويح الله تعالى روحه الشريف بروائح الروح والريحان والرحمة والرأفة والرضوان جدير بأن يكون له فى هذا المسجد الحرام مقام يجتمع فيه أهل مذهبه ومقلدوه يكون أوسع من هذا المقام فذكر بعض العلماء انه لاشك فى عظم كل واحد من الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين غير أن تعدد المقامات

في مسجد واحد لاستقلال كل مذهب بامام ما أجازه كثير من العلماء وان تعدد هذه المقامات في وقت حدوثه أنكره العلماء غاية الإنكار في ذلك العهد ولهم في ذلك العصر رسالات متعددة باقية بأيدي الناس إلى الآن وأن علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك وخطأوا من قال بجوازه ثم انفض المجلس على غير اتفاق .

ثم ذكر القاضي بديع الزمان ابن الضياء الحنفي ان جده القاضي أبا البقاء ابن الضياء أفتى بجواز ذلك فشرع الأمير مصلح الدين في إتمام ما قصده وهدم تلك السقيفة ووسع المكان وعمل فيه قبة عالية من الحجر الأصفر والأحمر الشمسي وأصرف على ذلك ذهباً كثيراً واستمر مقاماً يصلي فيه أمام الحنفية بالحنفيين إلى أن غيره الأمير خوش كلدي أمير بندر جدة وهدم القبة وبني المقام مربعاً ذا طبقتين جعل الطبقة العليا للكبيرين لتصل أصواتهم إلى سائر المسجد الحرام لارتفاع مكانهم وهو باق إلى الآن على هذا الحكم .

ثم بعد فراغ الأمير مصلح الدين من بناء القبة توجه إلى المدينة الشريفة بمامعه من الصدقات الرومية وتصدق بها على جيران النبي صلى الله عليه وسلم وكتب دفتر لأساميهم وأحسن إليهم إحساناً وافراً واستجلب الدعاء منهم للرحوم السلطان سليم خان ثم توجه إلى ينبع وركب البحر إلى مصر ثم إلى الروم وأبقى له ذكراً جميلاً وحصل ثواباً جزيلاً رحمه الله .

## الباب الثامن

في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان سليمان خان

وبعض ما فعله من المآثر الحسان والصدقات الجارية

والخيرات الباقية على صفحات الزمان

سقى الله عهده سحاب الرضا والغفران

كان سلطانا سعيدا ، ملكا أيده الله لنصرة الاسلام تأييدا ( وولى السلطنة )  
بعد وفاة والده المرحوم السلطان سليم خان في سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس  
على تخت السلطنة وما دى أنف واحد ولا أريق في ذلك محجمة دم .

ومولده الشريف سنة تسعمائة كذا ذكره مولانا محمد بن خطيب قاسم الرومي  
في حاشية كتاب له مختصر من ربيع الأبرار للزمخشري سماه الروضة ورأيت ذلك  
بخط طائفة من الفضلاء المعتمدين فيكون سنه الشريف حين ولى السلطنة ستا  
وعشرين سنة واستمر في السلطنة تسعا وأربعين سنة وكان عمره أربعاً وسبعين  
سنة وشهرين وهو سلطان غاز في سبيل الله مجاهداً لنصرة دين الله مرغم أنوف  
عداه بلسان سيفه ولسان قنايه كان مريداً في حروبه ومغازيه مسدداً في أرائه  
ومغازيه مسعوداً في معانيه ومغازيه مشهوداً في وقائعه ومراميه ، أبان ملك ملك ، وأنى  
توجه فتح وقتك ، وأين سافر سفر وسفك ، وصلت سراياها إلى أقصى الشرق والغرب  
وافتح البلاد الواسعة الشاسعة بالقهر والحرب ، وأخذ الكفار والملاحدة بقوة  
الطعن والضرب وأيد الدين الحنيفة بحدود سيفه الباتر وأقام الملة الحنيفة وأحيا  
مالها من مآثر ونصر مذهب أهل السنة السنية وأظهر شعائر الشرائع وردع أهل  
الالحاد وقمعهم فما لهم من ناصر وكان مجدد دين هذه الأمة المحمدية في هذا القرن  
العاشر مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والأدب الغض الذي يقصر عن شأوه كل

أديب وشاعر ان نظم نضدد عقود الجواهر أو نثر أثر منشور الأزاهر أو نطق  
 قلد الأعناق الدر الفاخر له ديوان فائق بالتركي وآخر عديم النظر بالفارسي  
 يتداولهما بلغاء الزمان وتعجز أن تنسج على منواله فضلاء الدوران تتناقله الركبان  
 بكل لسان وتستلذ بمعانيه العقول والأذهان وكان رؤفا شفوفا صادقا صدوقا إذا  
 قال صدق وإذا قيل له صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى عن سوء الطباع  
 ولا يعرف المكر والنفاق ولا يألف مساوي الأخلاق بل هو صافي الفؤاد صادق  
 الاعتقاد منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب في كمال  
 دياته ولا يشك في ولايته .

وما تناهيت في بني محاسنه الا وأكثر مما قلته ادع

وقد أهلى الله لأن قبلت يده الشريفة وتشرفت برؤية طلعت المنورة اللطيفة  
 وشاهدت ذاته العلية المنيفة فرأيت نورا يتلألأ وهيبه ألبسها الله مهابة واجلالاً  
 وجبيناً يتضوع ضياء وجمالاً وألبسني تشريفة التشريف الشريف وشملني باحسانه  
 الوافر الوريث فها أنا إلى الآن أتقلب في جزيل انعامه وأعيش إلى الآن في فائض  
 تفضلاته وإكرامه وأنرحم على ذاته الطاهرة الجميلة كلما تذكرت إحسانه وجميله  
 وأخلد ذكره الحسن في أوراق الليل والنهار وأرقه في صفحات دقاز الأيام حيث  
 لا يمحوه كروور الدهور والأعصار ولا تزيد الأيام إلا جدة ونضاره ولا يزال  
 غصنا طريا جديد البراعة والعبارة .

## فصل

في ذكر أولاده الكرام وأحفاده النجباء العظام

كان أكرمهم وأنجهم وأجدهم وأسدهم وأرشدتهم وخلاصة عنصره وريب  
 حجره ومهده مشيد أركان الملك العثماني السلطان سليم الثاني أجلسه الله على سرير  
 القرب والتدائن وعوضه ملك الفردوس الباقي عن الملك الفاني مولده سنة تسع  
 وعشرين وتسعمائة كما يأتي في محله .



ومنهم السلطان الشهيد السلطان مصطفى وهو أكبر أولاده ومولده سنة إحدى وعشرين وتسعمائة استدعاه والده من المحل الذي ولاه وهو مغنيا إلى اركلي وهو متوجه إلى تبريز لأخذ بلاد العجم فوصل إليه ممثلا أمره بأذلا نفسه وكان والده يتوهم منه خروجه عليه فلما حضر بين يديه أمر طائفة من السكان بخنقه فخنق صبورا وقتل قهراً في آخر شوال سنة ستين وتسعمائة وألطف ما قيل في تاريخه ظلم بحدود آخر شوال .

ثم أرسل ابراهيم باشا الخادم إلى بورسا لقتل ولد طفل له اسمه مراد فمضى إليه وخنقه وبوالده الحقه رحمهما الله تعالى ولم يرتكب السلطان سليمان هذا الأمر الفظيع الذي قطع القلوب أي تقطيع الألتسكين الفتن واطفاء نائرة المحن ما ظهر منها وما بطن صونا لدماء المسلمين وحفظها بنظام التأمين والتطمين .  
ومن أولاده السعداء السلطان محمد مولده سنة ثمان وعشرين وتوفي على فراشه بأجله في سنة خمسين وتسعمائة .

ومنهم السلطان السعيد الشهيد الغريب الشريد بايزيد مولده سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة اجتمعت به مجلسا واحدا في رحلتى الثانية إلى الروم في سنة خمس وستين وتسعمائة وقد استدعاني وأنا مار عليه بقرب كوتاويه يقال لها قرابوك وكان الأمر منسجما بعد بينه وبين والده المرحوم قعدت إليه وحضرت بين يديه فأقبل على بكليته وأقبلت عليه وعظمتي وعظم أمرى وأكرمنى فوق قدرى وباسطنى وخاطبني بدون واسطة وقربنى وأخلى مجلسه لى وحدى ولم يترك فرعا من الفروع الذى أراد كشفها وتحقيقها الاسألنى عنها بلطف وتؤده وأجبتة عنها بأدب ومكون وملاحظة وأدرجت مع ذلك نصائح تصلح للبلوك وهو يصغى إليها ويحسن فى الاصغاء إلى استماعها ويتفكه ويتلذذ بسماعها وسألنى فى الإقامة عند ما صاحبتة فاعتذرت إليه وكرر ذلك فأبيت عليه وكان الخير فى ذلك وكلما طال المجلس استأذنت للقيام فإب ويقول ما أسرع ماملك حديثنا ونحن نستطيب حديثك وكان أولى المجلس من صلاة الظهر واستمر إلى بعد صلاة العصر فألبسنى تشريفة وأحسن إلى بأثواب صوف ودرام لها صورة وفارقتة ودخلت اصطنبول وتوفيت والدته السلطانة أم السلاطين

الخاصكية بعد دخولي وحضرت جنازتها وما أجرى من الصدقات عليها وكانت هي كالطامع للسلطان بايزيد فلما توفيت حصل الشنآن بينه وبين أخيه السلطان سليم خان أدى إلى فتن عظيمة ومحاربات قتل فيها نحو خمسين ألف نفس فصاعدا .

ثم لما عجز عن مقاومة والده وأخيه هرب إلى شاه طهماسب ففرح به وأقام ناموسه وعجز عن حفظه فشرع طهماسب في المكر والخداع وتفريق عسكره والاعتذار بضعف بلاده عن أن تسعهم ففرقهم ثم استولى عليه وحبسه هو وأولاده وقتل عسكره واحداً بعد واحد واغتم منهم مالا كثيراً وترددت الرسل بينه وبين السلطان سليمان في تسليمه لوالده فلما تأكد طلبه من طهماسب ذكر أنه أصرف عليه خزينة مال وأنه لا يسلمه إلا بأن تعطى له فستل عن قدر ذلك فذكر مقدراً عظيماً يكون مثل خراج مصر سنة فأمر السلطان سليمان بدفع ذلك القدر إليه فلما تسلمه أحضر السلطان بايزيد وأولاده الأربعة وكل واحد كالبدر الطالع والنجم الساطع فخنقوا مع والدهم بإدارة الرهق حتى لم يبق فيهم رهق وأخذوا أنفاسهم بالأوتار وأطفأوا تلك الأنوار ورزقوا سعادة الشهادة بالاضطرار وهم السلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان أورخان والسلطان عثمان وحملت أجسادهم في توأبيت من قزوين إلى سيواس ودفنوا في سيواس وأسكن الله الفتنة والوسواس وذلك في سنة سبعين وتسعمائة .

وكان للسلطان بايزيد طفل في بورسا فأمر بخنقه أيضاً فخنق والله تعالى يبل مضاجعهم بأقطار أمطار الرحمة والرضوان ويعوضهم عن شبابهم الجنة ويروح أرواحهم في غرف الجنان بالروح والريحان والخور والولدان والخيرات الحسان .

ومنهم الشهزاده جهان كيرخان مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وكان أحذب ظريفاً ضعيف الروح لطيفاً يحبه والده ولم يفارقه إلى أن توفي بأجله في حلب بمرض الخناق في سنة ستين وتسعمائة ونقل إلى اصطنبول ودفن في تربة أخيه محمد الشهزاده .

ومنهم الشهزاده السلطان مراد توفي بأجله في سنة سبع وعشرين وتسعمائة .  
ومنهم الشهزاده السلطان محمود توفي بأجله سنة ثمان وعشرين وهذا والذي قبله مدفونان في تربة السلطان سليم جدتهما رحمهم الله تعالى .

ومنهم الشهزاده السلطان عبد الله توفي بأجله في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وتوفيت والدة السلطان سليمان خان في سنة أربعين وكانت سالحة زاهدة محبة لفعل الخيرات كثيرة الصدقات أسكنها الله أعلى غرف الجنات .

( فصل في وزرائه العظام ) كان أول وزرائه آصف زمانه بدر جهر أوانه معدن الرأي والدهما موضع العقل والنهى محمد الجمالى الصديق المعروف .

( ميرى باشا صلافة ) وزير أبوالده فابقاه على وزرائه مدة وكان السلطان سليم تتبع في أول سلطنته طوائف العلماء المتميزين بكمال العقل والرأى فلم يجدوا كمل عقلا منه وكان قاضيا في بعض القصبات فقر به وولاه وزارته العظمى واستمر في مدة سلطنته وزيرا عنده لم يغير وسلم من قتله لسكالم ذريته مع كثرة من قتل من الوزراء وكان فاضلا كاملا متين الرأى عاقلا يضرب المثل بفراسته وعلمه وعقله وحلمه فلما وزر السلطان سليمان رأى في خدمته من شباب مماليك من هو على الوزارة طائرا إليها بجناحيه ورأى سلطانه بأيميل إلى أقرانه وذوى أسنانه وهو بينهم اشيوخ وخته وكبر سنه لا يناسبهم فاستعفى عن الوزارة فأجيب إلى سؤاله فانجمع للنظر في حاله وماله ورأى لعين كماله عدم ثبات الدهر في أحواله وأخذ في زار ترحاله وقدم من الخيرات ما يكون ذخيرة لآخرته من الباقيات الصالحات .

فمن آثار عمارته في أدرنه في رربند وكان محل قطاع الطريق ينهب فيه قوافل المسلمين فعمل هناك تكية عظيمة ومحلا لنزول المسافرين فيه طعام يطبخ لهم ويقدم لهم ومسجدا جامعاً ورتب لذلك كل ما يحتاج إليه ووقف أوقافا عظيمة عليه فصار أثرها باقيا على صفحات الزمان وجميلا يذكر به ويدعى إلى انقضاء الدوران وله خيرات أخرى غير ذلك يلوح عليها علامات القبول عند الله تعالى :

وكان عزله في سنة تسع وعشرين وتسعمائة وولى مكانه في وزارته العظمى من الممالك الذين عنده داخل السرايا أوده باشا حرمة الخاص .

( إبراهيم باشا ) وكان شابا قد امتلأ غصن نضارته بماء الشباب ولازمته السعادة والعزة والعظمة والدولة من جملة خدام الركاب وكان أقدم منه في الخدمة أحمد باشا وظن أن الوزارة لا تعدو إلى غيره لأنه من خواص مماليك والده إبراهيم باشا من

بمالك السلطان سليمان نفسه فزاحمه في صدر دست الوزارة وجلس بقوة إدلاله  
 بخدم السلطنة الشريفة في محل الصدارة فشكاه إبراهيم باشا إلى السلطان فدبر في إزالته  
 من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له إيالة مصر وأعطاهما تيمارا له وأقطعا  
 يستجاب به خاطره فمضى إلى مصر واليا عليها وصار يتقصد إبراهيم باشا للعداوة  
 السابقة ويرميه بما يوجب قتله فبرز الأمر لجماعة من الأمرام المستحفظين بمصر أن  
 يجتمعوا عنده ويقتلوه في محله بالأمر الشريف السلطاني ويولى أحدهم مكانه إلى  
 أن يرد الأمر الشريف بإقامة بكر بكى بمصر وأرسلت هذه الأحكام إلى الأمرام  
 المذكورين فوعدت تلك الأحكام في يد أحمد باشا قبل أن يصل إلى الأمرام المذكورين  
 فجمعهم في ديوانه وذكر لهم أن الأمر الشريف السلطاني ورد إليه بقتلهم فأذعنوا  
 للأمر الشريف فقتلهم ثم سوات له نفسه العصيان وظن أن يأوى إلى جبل يعصمه  
 من السلطان وأنه يقابل ويقابل بجيش يلفقه من مصر فاشتد الطغيان وادعى السلطنة  
 لنفسه على المنائر وأمر أن يدعى لنفسه على المنابر في أيام الجمع ورتب عسكريا من  
 العوانية وجمع وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال  
 الكثير وعصى عليه أهل قلعة الجبل فجمع عليها الشطار وأخذها بالحيل وقتل من  
 فيها من عسكر السلطان وأوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة  
 جانم الحزاوى ومحمد بك وأراد قتلها وقد أخرجها فسمعا أنه دخل الحمام  
 فكسرت الحبس وخرجا ونصبا سنجقا سلطانيا وناديا من أطاع السلطان فليقف  
 تحت لوائه فاجتمع تحت السنجق خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم محمد بك  
 وجانم الحزاوى بمثابة الوزير وتوجهوا بالعسكر إلى الحمام فكسبا أحمد باشا وقد  
 حلق نصف رأسه وأعجله النصف الثاني هجوم العسكر السلطاني فهرب إلى السطوح  
 وتسلق من مكان إلى مكان وخلص إلى البر والتجأ إلى شيخ عرب الشرقية عبد الله  
 الدائم بن بقر وقوى العسكر السلطاني ونهبوا ما جمعه من الأموال بالظلم والمصادرة  
 وخرجوا منه يطلبونه وخوفوا عبد الدائم وحذروه من عصيان السلطنة فأتاهم به  
 مسوكا فقطعوه رأسه وطافوا به في مصر وعلقوه في باب زويلة ثم جهزوه إلى الأعتاب  
 السلطانية وذلك في سنة ثلاثين وتسعمائة وضيبط محمد بك وجانم الحزاوى بمصر إلى

أن ورد مصطفى باشا و ضبط مصر بكر بكيوا واستمر ابراهيم باشا في وزارته العظمى  
معظما عند السلطان نافذ الامر واسع العطاء كريما بذولا منفردا بالامر والنهي إلى  
أن أفرط بالدلال وزال في الأذلال واستبد بالأمور واستقل بمصالح الجمهور  
فأنفت الغيرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحملت زيادة عجبه وادلاله فطلبه  
السلطان في ليلة من أواخر رمضان إلى عنده وأنعم عليه على جاري عادته بنفائس  
الانعام ووهب له جميع ما في مجلسه من أواني الذهب المرصعة بالجواهر الغالية  
وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغالية وأمره أن يبيت عنده في مجلس خاص  
به كان عادته أن يبيت فيه وصبر عليه إلى أن غلب سلطان الكرا على مقلته وأماقيه  
وأمر بذبحه وأخطأ الذابح نحره فصاح مستجيها والسلطان قريب منه وقد صمم فيه  
أمره فأمر أن يكمل ذبحه فقطع رأسه وأطفأ نبراسه وأخمدت أنفاسه وما كانت  
نار الغضب على ابراهيم بردا وسلاما بل زادته حرا واضطراما ولعل كثرة احسانه  
إلى الناس ونشر مكارمه التي زادت على الحد والقياس نفعته عند الله في الدار  
الأخرى ولعله صدقت نيته في بعضها فصادت قبولا وكان عند الله الكريم ذخرا  
فكم من عمل صالح يكون سبباً للنجاة من النار ويدخل به صاحبه الجنة مع  
الشهداء والابرار وما ربك بظلام للعبيد وكان قتله في الليلة السادسة والعشرين من  
رمضان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ثم ولي الوزارة الوزير الثاني وكان من الارتوت  
من مماليك المرحوم السلطان سليم خان وكان محبا للصالحاء معتقدا في طائفة العلماء معتدلا  
في أحواله صادقا في أقواله قظوفا في آرائه وأفعاله اجتمعت به في أول رحلة إلى  
اصطنبول سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يكاتب والدي ويلتمس دعاه فأكرمني  
وأقبل على وأحسن إلى ورباني عند السلطان وأخبره عن والدي وكبر سنه وانفراده  
بعلم الحديث وعلو السند في عصره فحصل لي إحسان كثير وانعام كبير جزاه الله  
عني أحسن الجزاء ورحمه وأسكنه جناب العلي واستمر وزيراً إلى أن توفي مطعوناً  
في سنة ؟ وأربعين وتسعمائة .

ثم ولي بعده الوزارة العظمى لطنى باشا و جنسه من الارتوت وهو من مماليك  
المرحوم السلطان سليم وكان له فضل واحتفال ومشاركة في بعض الفضائل وله

رسالة بالتركية شرح فيها الفقه الأكبر لإمامنا الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وله آثار حسنة في وزارته منها أبطال الأولاق فانه كثر في تلك الأيام وعم أذاهم للمسافرين وكانت الطرقات لا تخلوا منهم فباتى أحد الأولاقية إلى المسافر ويرميه عن دابته ويركبها إلى أن تنقطع فيرميها ويأخذ دابة مسافر آخر وهلم جرا ولا يسلم منهم أحد فلما ولي الوزارة بطل كثرتهم وعين أن لا يرسل الأولاق إلا في المهمات العظيمة السلطانية المتعلقة بظهور عدو على المملكة يخشى عليها منه وأمثال ذلك من الأمور العظيمة جدا فقل ضررهم بعد ذلك على المسافرين وصارت الناس تدعو له بسبب إزالة هذه المظلمة وكانت الخلفاء تعد خيلا تربط لهم في كل بلاد وقرية تحت حكومتهم وكانت تسمى خيل البريد فيركبها إلى أن يصل إلى قرية أخرى فيجد فيها أيضا خيل البريد فيركبها ويترك الأول وهكذا إلى أن يصل إلى بغداد ويرجع عنها بالأمر الذي يؤمر به وكان لهم خدام لمثل هذه الخيول بعلاقات ومراتب رحمهم الله تعالى ورحم من أزال بقية ظلم الأولاق ورفع عن المسلمين بالكلية وعين لهذه المهمات خيل البريد كما كان يفعل الخلفاء رحمهم الله تعالى واستمر لطفى باشا إلى أن وقع بينه وبين زوجته مشاحنة وهي أخت حضرة السلطان سليمان .

وسببها كثرة ميوله إلى الجوارى فشكته إلى أخيها فطلبه عنده وضربه بالقوس على رأسه وأمر بمفارقتها ففارقها مكرها وطلب الاذن في الحج فاذن له فحج في سنة تسع وأربعين وتسعمائة فاجتمعت به وأراني تأليفه وأمرني بتعريبه فعربته ثم أمرني أن أترجمه بالفارسية فترجمته له حسب ما أراد واحسن إلى بسبب ذلك ثم عاد من الحج إلى الباب واستأذن أن يكون في قرية له من اقطاعه فأذن له واستمر فيها إلى أن توفي رحمه الله في سنة ست وخمسين وتسعمائة وكان عزله في سنة سبع وأربعين وتسعمائة .

( وولى مكانه الوزارة العظمى سليمان باشا الخادم ) هو من الأرتوت من ممالك السلطان سليمان وكان قد ولي ايلالة مصر قريبا من عشرة أعوام ثم عزل عنها ثم أعيد إليها وجعل سر دار العسكر المجهز إلى الهند لدفع ضرر الغرقال اللعين

عن المسلمين واستيلائهم على بنادر الهند ثم كثرت إذاهم لبنادر اليمن ووصولهم إلى بندر جدة وإلى بنادر السريس على مرحلتين وعانوا في البحر وأخذوا سفائن الحجاج والتجار غصبا ونهبوا أموال المسلمين وأنفسهم قتلا وأسرا وفتكوا بسلاطين كجرات السعيد السلطان بهادر شاه وقتلوه غدرا فتحركت الحمية السلطانية واضطربت نار العصبية الإسلامية السلجمانية فأمر سليمان باشا أن يعود إلى مصر وأن يعمر سفائن يركبها مع عسكر جرار إلى أرض الهند ويقطع دابر الكفار وينظف تلك الأقطار من الكفرة الفجار فعمل نحو سبعين غرابا وسفائن مسماة كبار لحل الأثقال ورتب العسكر وقتل عند سفره جماعة لا ذنب لهم غير صدق خدمتهم وحسن الوفاء بعهدهم حسدا لهم على ما آتاهم الله من فضله منهم الأمير جانم الحزاوي وولده الأمير يوسف وكانا من الساقق العظيمة السلطانية ختم الله لهما بالشهادة وقتل أيضاً الأمير داود بن عمر أمير الصعيد وكان كريما بذولا حافظا لبلاد الصعيد بغير ذنب آتاه .

ثم توجه إلى الهند وصلب صاحب عدن في طريقة مع أنه فتح له باب عدن وزين الأسواق بوصول العسكر المنصور السلطاني فبمجرد وصوله إليه صلب على صاري السفينة وجعل سنجقا في عدن وتوجه إلى الهند وعاد منها إلى اليمن من غير أن ينال كفارا الفرنج منه ضرر .

وكان الأمير أحمد صاحب زبيدا إذ ذاك من جملة اللوئد الذين استولوا على تلك الديار فأعطاه الأمان وطلبه إلى عنده وقتله وولى بعده أميرا ممن كان معه وعاد إلى مصر ثم إلى الباب العالي وأسفرت سفرته على أخذ ربيد وعدن وكان ظالما غاشما كثير سفك الدماء لا يعتمد له على عهد ولا يوثق له بأمان لم يعهد منه شجاعة ولا اقدام وإنما يفتك بمن يقع في يده مأسوا معلولا ودعاه المرحوم السلطان سليمان خدمته لوالده السلطان سليم وصدقه في الخدمة فولاه الوزارة العظمى عوضا عن لطفى باشا لما عزله واستمر وزيرا أعظم مدة يسيرة إلى أن عزله .

وولى مكانه الوزارة العظمى رستم باشا في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة وكان السلطان قد زوجه كريمته صاحبة الخيرات خاتم سلطان بنت السلطان سليم خان

فلا عين الوزارة زين صدر الصدارة وهو من جنس الأرتوث من عماليك السلطان سليم خان رحمه الله تعالى وكان ذكياً لمعياً حاذقان فطنا ذكياً ذابال وسيع وفكر دقيق بديع جيد الحافظة حسن القريحة ثاقب الرأي حليماً صبوراً رزيناً وقوراً كامل العقل كثير الأدب اجتمع فيه من صفات الكمال ما لم يجتمع في غيره من الرجال ولم تكن فيه خصلة تشينه غير افراط حب الدنيا والميل الشديد إلى جمعها بكثرة وعشياً وتلك خصلة عمت أكثر الطباع والشيم وغلبت على أكثر أغالي المهمم ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب واستمر في الوزارة العظمى إلى أن قتل المرحوم السلطان مصطفى وكان ذلك مما يقال بتأسيسه ونحيله وتدسيسه حتى أن بعض الظرفاء جعل تاريخ ذلك ما زعم أنه أهم به وهو (مكررستم) وتوهم من العسكر الاقدام عليه بالقتل فعزله السلطان صوناً له وخوفاً عليه من العسكر .

( وولى مكانه الوزارة العظمى أحمد باشا ) الذي كان وزيراً ثانياً وكانت وزارته تحلة القسم ونقلة لما أضمره السلطان في خاطره الأشم إلى أن قدر الله ما قدره في الأزل ودنا منه وقت حلول الأجل فعند بروزه من عرض الأمور عليه وانصرافه من بين يديه أمر بقتله عند الباب الداخل من المرايا فقتل هناك وأخرج ملفوفاً في بساط وتفرقت عنه الأتباع والأسباط ومضى إلى الله الكريم وأقدم على الغفور الرحيم .

( وأعيد عوضه رستم باشا ) واستمر وزيراً كبيراً معتبراً اعتباراً كثيراً يعمل بأرائه وينفرد بانفاذ الأمر وإمضائه لا يعارضه أحد من الأركان يطيعونه ويدعون له غاية الأذعان وصار لا يتصرف قضاء العسكر والدفتري دارية والبيكار بكية وسائر الحكام والنظار في منصب جليل أو حقير صغير أو كبير إلا بأمره وإشارته وإرادته بحيث لم يعهد لوزير قبله أحاط بالأمور كاحاطته وحفظ جزئيات المناصب وكلياتها وتيقظ كحفظه ويقظته وكان لا يخلو من الصدقات والإحسان والميل إلى العلماء والصلحاء واستمر على عظمته وجلالته لم يختل منها شيء إلا في فتنة السلطان بايزيد ونزلت بسبب ذلك مرتبته عنده باليون البعيد ولسكنها كانت تهمة واهية لا أصل لها وكان خائفاً من ذلك أشد الخوف ولم يشاوره السلطان في شيء من أحوال بايزيد



وكان يشاور على باشا فأدى الحال إلى ما أدى ولو استشار رسم باشا وأطاعه في رأيه لم يتفاقم أمره إلى ما آل إليه لحسن سياسته ودقة تدبيره والأمر إلى الله من قبل ومن بعد وما قدر الله فهو كائن والأقدار تدور حول أولى الأخطار وكم أريق في هذه الفتنة دم لا ذنب لصاحبه وكم قتلت بالتوهم نفوس مظلومة لا جرم لهم في هذه البلاد ونوائبه .

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

واستمر رسم خائفاً يترقب إلى أن مرضه الوهم وأنحله فصار في فراشه يتقلب إلى أن وافاه أجله المحتوم فمات وأقدم على الله الحى القيوم وهو عليم بما تخفى الصدور وهو الرحيم الرؤوف الغفور وكان وفاته في سنة ثمان وستين وتسعمائة ودفن في تربة في قرب تربة الشيزاده السلطان محمد رحمهما الله تعالى ( وولى بعده الوزارة العظمى على باشا ) وكان من جنس البوسنة وكان جسيماً طويلاً فهما فطنا نبيلاً على خلاف ما يترامى من عظيم هيكله وسمن بدنه فانها مظنة البلادة في الأكثر فإذا أخطأ فيه مقتضاه زادت الفطنة غاية كما تنقل هذه الهيئة عن الامام محمد صاحب أبي حنيفة رضى الله عنه فإنه كان في غاية الفطنة والذكاء يضرب به المثل في ذلك وكان على باشا له فضيلة في الإنشاء ونظر في التاريخ اجتمعت به في رحلتى إلى اصطنبول في سنة خمس وستين وتسعمائة فرأيت له لطيف المحاورة حسن المفاكحة لذيد المصاحبة ذكر لى بعض غزواته الدالة على قوة شجاعته وإنه باشر قتال الكفار بنفسه وإنه افتتح قلعة عظيمة اقتلعها منهم فقلت له إن لم يقيد ما ذكرته بالتدوين يذهب من الخواطر ولا يعلم تفصيله بعد سنوات قليلة وإذا فنى من كان حاضراً في هذه الغزاة فنى خبره أيضاً ولم يذكره أحد بعد ذلك مطلقاً وينمى عليه من صفحات الوجود بعد قليل وذكرت له اعتناء علماء العرب بعلم التاريخ وأنه من جملة كتب التاريخ اللطيفة الروضتين في أخبار الدولتين لابن أبى شامة ذكر فيها دولة السلطان نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين بن أيوب وغزواتهما مع الفرنج وافتتاح البلاد ومداومتها على الجهاد وهو كتاب في غاية اللطف وحسن الوضع باق على صفحات الزمان معلوم عند القاضى وإذا أن مغلد فيه ذكرهما مؤيد في أطباق أوراق الدهر

أثرهما وهما في الحقيقة أميران من أمرائكم أحدهما بكر بكى مصر والثاني بكر بكى الشام فلا تى معنى لا تكون أخباركم وآثاركم مداولة في الكتب مخلدة في صفحات الأعصار والحقب فأعجبه كلامى كثيراً وأمر فاضل ذلك الوقت في الإنشاء العربى صاحبنا المرحوم المقدس مولانا على چلبى الحميدى المعروف بقنا لوزاده أفندى أحد أفراد الدهر علماً وفضلاً وواحد علماء العصر كمالاً ونبلاً طيب الله ثراه وجعل الفردوس الأعلى مثواه أن يكتب شيئاً في ذلك فشرع وأنا بعد هناك في شىء من هذا المعنى فائق في بابه لطافة وحسنأ ثم تقلبت الليالى والأيام ومنعت الموانع من حصول ذلك المرام .

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

واستمر على باشا على وزارته العظمى في صدر صدارته الأجل الأسماء نافذاً لأمر على القدر صاحب الصدر إلى أن نقله الدهر عن صدارته ورماه الزمان عن قوس وزارته ودعاه داعى الفنا إلى حفرة فعاش سعيداً ومضى إلى لحدده وحيداً فريداً وانتقل من دار الفنا إلى دار البقا حميداً وما صحبه مما تخوله غير ما تقدم من أعماله وقدم على الله الكريم بما كسب من أفعاله وهو أرحم الراحمين بعباده في كرمه وأفضاله ( ثم ولى مكانه الوزارة العظمى ) في ذلك المقام الأرفع الأسماء آصف الوزراء العظام أسعد السعداء الكرام ( حضرة محمد باشا ) أبقاه الله تعالى في صدر الصدارة على الثبات والدوام وصانته عن آفات الدهر وحرصه عن نوائب الأيام وناهيك به عقلاً وحزماً وصرامة وعزماً وأقداماً وجزماً ودقة وفهماً وفكرًا ثاقباً ورأياً صائباً وحذقاً وفضلاً وصدقاً وأمانه وكمالاً وجمالاً ومهابة واجلالاً وسعادة وإقبالاً ونظراً في عواقب الأمور وإعانة لمصالح الجمهور ومحبة للعلم والعلماء واعتقاداً في الصلحاء والأولياء وأحصاناً إلى الفقراء والضعفاء وقال فيه .

وما بلغت كنف أمره متناولاً من المجد الا والذي نال

وما بلغ المهدون للناس مدحة وان أطنبوا الا الذى فيه أكل

وكان على وزارته وعظمتها وصدارته إلى أن أظهر إليه البيضاء وكال التدبير والمضاء بحيث تحير العقلاء في ثبات جاشه وعدم نفرتة واستيحاشه وضبط الجيش

الأعظم وحفظ الخميس العرمرم وهم في أرض العدو في حومة القتال وقوة الحرب والصيال وشدة الجلاذ والجدال وقد توفي السلطان سليمان في ذلك الحال فلم يقع شيء من الاختلال وانتظمت الأحوال وأخذت قلعة سكتوار من القزاق وهي محشوة بالعدد والعدد من الفرنج الأبطال والسلطان في السكرات والغمرات وكنتم ذلك عن جميع خدامه ومن حوله من الأغوات وأرسل إلى ولده السلطان سليم من مسافة ستين يوماً وأجلسه على التخت وما وضعت الحرب أوزارها بل أضمرت المجاهدون نارها وغنمت المسلمون وخذلت النصارى بأنصارها ثم عاد العسكر وقد انتصر الإسلام وانهد ركن الأصنام وخذل الله في هذا الحال طوائف الكفار اللثام وكان ذلك الاحتيال والترتيب بتدبير هذا الوزير الحاذق اللبيب ورأيه المنير الثاقب المصيب وتداركه لما يجب تداركه بالقلب الرحيب وكل ذلك بالالهام والامداد من الله القريب الرقيب مع كثرة احسانه وتواتر انعامه وتأنس الطافه واسعافه واكرامه سيما أهل الحرمين الشريفين من إجراه عيون وحفر آبار وأبنية للفقراء وغير ذلك من المآثر الجميلة والخيرات الوافرة الجزيلة التي يجمل أن تفرد بالتآلف وتورد في تصنيف جليل لطيف وله مآثر في أكثر بلاد الإسلام وقد أجرى عين الزرقاء بالمدينة الشريفة بعد ضعفها وأضاف إليها آباراً منها بئر ادريس وهي بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء المثناة التحتية واهمال آخره معروفة بقباء من أعذب آبار المدينة ذكر المجدد الفيروز آبادي أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها ووقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو جالس على حافة البئر فأنزل فيها رجلاً ليخرجوه فلم يظفروا به وركب عليها اثنا عشر ناضحاً لينزحها فغلبهم الماء ولم يوجد الخاتم وكان أول الفتن التي أدت إلى شهادته واختلاف الناس على سيدنا علي رضي الله عنه وبسند هذه الفتن إلى ذهاب خاتم النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم إن في عصرنا جعل حضرة الوزير الأعظم دبلاً من مائها إلى مصب عين الزرقاء وأضرف على ذلك أموالاً عظيمة فقويت العين وأضاف إليها مياه آبار أخرى حلوة قوى بها جريان عين الزرقاء إلى أن أجرى دبلاً منها إلى باب الرحمة

وجعل فيه موضع يتوضأ فيه الناس لدخول المسجد الشريف وأجرى دبلا منها إلى حمام عظيم مكلف بناء في المدينة الشريفة انتفع به أهل المدينة والوارد ودعوا له بالخير وصار ثوابا جاريا .

ومن خبراته أنه أوسع بئر ذى الخليفة ويقال لها بئر على رضى الله عنه وهو ميقات أهل المدينة وأهل الشام للاحرام لدخول مكة فحفرها ونزل في الأرض إلى أن جعل وجه الماء عشرا في عشر لثلاثين بوقوع النجاسة فيها وجعل أحد جوانبها الأربع درجا ينزل من أعلاه إلى أسفله حيث كان محل الماء فصار كل أحد يرد إليه بسهولة بلا تكليف ولا احتياج إلى دلو وحبل ونحو ذلك وهذا خير عظيم جزيل .

ومنها أنه أمر أن يبني له مكة المشرفة بقرب الحرم الشريف موضع يكون مأوى للفقراء صونا للمسجد الحرام عنهم وأن يبني فيه مساطب ومبسط تصلح للرضى فتكون دار الشفاء لهم . وأن يبني من خارجه دكاكين وبيوت تكري وتصرف في مصالح هذا المسكان وأمر ببناء حمام في وسط البلد عظيم البنيان طيب الماء والهواء وله رباط أيضا وخيرات أخرى كلها مشوبات عظمى .

ووردت صدقاته في سنة أربع وثمانين وتسعمائة مضاعفة ففرقت في الحرم الشريف على الفقراء والضعفاء وتضاعف الدعاء منهم لحضرته الشريفة وانجله السعيد بلغه الله تعالى مراتب السكال ورزقه السعادة والاقبال والله تعالى يطيل بقاءه ويديم عزه وعلاه ويثبت وزارته العليا ويبقيه في صدر الصدارة الكبرى ما دامت الدنيا محفوظا بالملائكة الكرام محروسا بيمين الله الحى الذى لا ينام مصونا من نوائب الليالى اولآيام بجاه سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام .

وهذا دعاء شامل النفع للورى فيارب قابل بالقبول دعائى

## فصل

في ذكر غزوات السلطان سليمان عليه الرحمة الرضوان

كان السلطان المرحوم المغفور له محبا للجهاد في سبيل الله باذلا نفسه وخزائنه باعلاء كلمة الله يؤثر التعب في ذلك على الراحة ويحب الغزو ويرغب إليه عن الاستراحة بحيث لم ترتفع راية الاسلام على رأس أحد من السلاطين العظام أكثر جهادا ونصرة للدين وأكمل عدة وآلة لقطع دابر المشركين وأكبر ملكا وسلطانا وأكثر جيوشا وأعوانا وأقطع سيفا وسنانا وأحمى للاسلام وذويه وانقى للشرك ومنتحليه وأعدى الأفرنج الملاءين وأقع للكفرة والملحدن وأقوى نصرا للاسلام والمسلمين وأشد عضدا لأهل الايمان وأنصر لأهل السنة في هذا الزمان من السلطان سليمان خان فكم دوخ بلاد الكفر واستباحها ودمر أرض أعداء الله بحافر فرسه واجتاحها وجاس خلال معانيها ورباعها وافتتح صياصيبها وقلاعها وأخرب معاهد الأصنام وبنى مساجد الاسلام فلو نشرت صحائف الدول لكانت دولته غرة تلك الدول ولو عدت فتوحات السلاطين لكانت مساعيه طراز تلك الحلال وان غزواته يجب أفرادها بالتأليف لتبقى في صفحات الدهر ذكره الشريف وأما هذا التصنيف اللطيف فلا يسع منها إلا الطفيف فنذكرها اجمالا في هذته العجالة وتعدد أسماءها في غصون هذه الرسالة فان فسح الله في الأجل وساعد العمر على ذلك الأمل حررنا لآل عثمان تأليفا جليلا وكتابا حافلا طويلا ليستفيد منه علماء العرب والعجم مالا يجدونه في كتب تواريخ الأمم إن شاء الله تعالى .

نقول أول غزواته عند ماولى السلطنة غزوة انكروس برز إليها من القسطنطينية العظمى لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وتسعمائة بعسكر جرار وجيش كرار عظيم المقدار يدك الأرض دكا ويصك الجبال الرسيات صكافدا وصلوا إلى ديار الكفار جاسوا خلالها ونازلوا أبطالها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها ونهبوا متاعها وأموالها وفتحوا حصونها وقلاعها وملكوا أرضها وبقاعها .

وأعظم ما افتتح قلعة بلفراط وهي قلعة منيعة محكمة باقية إلى الآن بيد المسلمين وأخذوا غيرها من بلاد المشركين وغنموا الغنائم الكثيرة وآثروا الآثار الأثيرة. وعاد السلطان إلى دار ملكة منالما غانما مظفرا منصورا مؤيدا بنصر الله ظافرا مسرورا وزينت البلاد لانتصاره وكان الله من أنصاره وذلك أهل فتوحاته وغرة أسفاره وغزواته وكان عوده إلى سرير ملكه في شهرى ذى القعدة الحرام سنة تسع وعشرين وتسعمائة وفي هذا العام عصى جان برى العزالي الجركسى أمير الأمراء بالشام وجمع طائفة من عصاة العرب وبعض أشقياء الجراكسة وأدعى السلطنة وخطب لنفسه فجهز عليه فرهاد باشا فقاتله بقرب الصالحية وأمسكه وقطع رأسه وأزال عن المسلمين ضرره وبأسه وأرسله إلى الباب العالي وكفاه الله أمره ودرأ عن المسلمين فتنته وشره وذلك لسبع مئتين من شهر صفر الحسير سنة سبع وعشرين وتسعمائة .

الغزوة الثانية غزوة رودس هي جزيرة في وسط البحر ما بين اصطنبول ومصر وبنى بها الكفار حصنا حصينا وحصارا في غاية الاستحكام مكينا اتخذ الكفار مكننا لأخذ المسلمين وأتقنوه غاية الاتقان والتأمين بحيث رسخ أساسه إلى تخوم الأرضين وارتفع رأسه إلى نجوم الشرطين والبطين ينظرون إلى السفين التي تمر في البحر من مسافة بعيدة فيتهيئون للتحصن ان كان ذلك عسكريا من المسلمين ويأخذونهم إن كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبدا يجهزون أموالهم إليه ويصرف في استحكام بنائه واتقانه وجعلوا من أعلاه إلى أسفله من جميع جوانبه ثقوبا وضعوا فيها المدافع الكثيرة الكبيرة ترمى على من يقصدها من الخارج فتصيب كل من قصدها من جهة من الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول إلى الباب ويهيئون أغربة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة إذا أحسوا بسفينة في البحر من الحجاج والتجار أخرجوا إليها تلك الأغربة ونهبوا ما فيها من الأموال وأسروا المسلمين فيقطعون الطريق على هذا الأسلوب ويجمعون الأموال ويصرفونها على مقاتليهم وكان هذا رأيهم وعجزت ملوك المسلمين عن دفع ضررهم وعم أذاهم المسلمين فجهز السلطان سليمان خان بعسكره المنصور

إلى أخذ هذه الجزيرة وكان مسيره إليها ونزول مخيمه الشريف في اسكودر متوجها إلى هذا الغزو لعشر بقين من رجب المرجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة .

وكان وصوله إلى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المذكورة فأحاط بها برا وبحرا وما أمكن منه في البر أن يتقدم من حصار رودس للخنديق العظيم الذي حولها مع صونه بالمدافع العظيمة من أعلا الحصار ولا أمكن من في البحر للقرب منها للسلسلة الممدودة من الحديد في البحر والرمي على من يقربها بالمدافع الكبار فصاروا يصيبون المسلمين بالمدافع ولا تصيبهم مدافع المسلمين لمئاته عرض الحصار وعدم تأثير المدافع فيه فتأخرت عساكر البر قليلا وأمروا بسوق الرمال والتراب أمثال الجبال وتترسوا بها وصاروا يقدمونها قليلا قليلا إلى أن وصل التراب إلى الخندق وامتلا به وقرب منه جدار الحصار وارتفع عليه وصار انفجار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون ورموا عليهم النار وأحرقوهم بنار الدنيا قبل الآخرة إلى أن عجزوا ووهنوا وتحققوا أنهم مأخوذون فطلبوا من السلطان سليمان خان الأمان وشرطوا أن يحملوا نساءهم وأطفالهم وأولادهم ونقودهم ويعزموا ان أرادوا فأجابهم السلطان إلى ذلك بعد أن نهاه الوزراء عن أمانهم فانهم لم يبق لهم منعه ولا قوة وان الأموال التي أرادوا حملها خريئة كبيرة وان هؤلاء الكفار إذا نجوا بهذه الخريئة أمكنهم التقوى بها وجمع العسكر من النصارى والعود إلى أذى المسلمين فلم يطع السلطان إلى عزلهم ومنعهم وأعطاهم الأمان وخرجوا بجميع أموالهم وما يعز عليهم وأخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا إلى بلاد الغرب وعملوا قلعة في مملكة أسبانيا من جزيرة الأندلس في غاية الحصار والمئاته ويقال لها مالطه وصاروا يؤذون المسلمين ويقطعون الطريق على الحجاج والسفار وهم الآن وان بعدوا عن المسلمين إلا أن أذاهم كثير وافسادهم عظيم وقد ندم السلطان سليمان خان على اعطاء الأمان لهم وأرسل إليهم عمارة عظيمة بعسكر عظيم لأخذهم آخر عمره وجعل عليهم مصطفى باشا الوزير الاسفنديارى مردار فوق وقع بينه وبين القابودان فتنة أدت إلى انكسار المسلمين وكان في ضمير المرحوم تدارك هذا الأمر وإرسال عسكر آخر لأخذ مالطه وقهرها فما أمهله العمر رحمه الله تعالى .

وكان فتح رودس لست مضي من شهر صفر الخير سنة تسع وعشرين وتسعمائة  
وحصل لأهل الاسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك  
تورايج لطيفة أطفها ( يفرح المؤمنون بنصر الله ) وفتحت أيضاً عدة قلاع  
في ذلك العام .

منها استانا انكوس وقلعة يودرم وقلعة أيدوس وغير ذلك من القلاع أخذت  
من الكفار الفجار وصارت في ضبط العساكر السلمانية وأرسل السلطان سليمان  
من وزرائه فرهاد باشا مع عسكر إلى علي بك بن شاه سوار أمير أمراء دلفار فانه  
كان يظهر الطاعة ويبطن العصيان فاستدعاه الوزير إلى عنده وأظهر أنه وصلت  
إليه خلع شريفة سلطانية وتشاريف فاخرة خاقانية له ولأولاده فوصل إليه علي بك  
ابن شهوار مع أولاده الخمسة فأدخلهم فرهاد باشا إلى محل خلوته وأمر بقتلهم  
فقطعت رؤسهم وجمزت إلى الديوان الشريف وضبطت بلاده وكفى الله تعالى  
شره وذهب فسادهم ثم عاد السلطان من منفرة إلى تخت ملكه الشريف اصطنبول  
دار الاسلام لازالت معمورة إلى يوم القيام ووصل إليها في آخر ربيع الآخر سنة  
تسع وعشرين وتسعمائة .

وفي هذا العام خرج معه كاشف الشرقية الأمير جانم الجركسي عن الطاعة  
وخرج معه كاشف البحيرة انيال بك واجتمع عليهما طائفة من الجراكسة المناحسة  
وجماعة من عصاة العربان الأبالسة وأظهروا الطغيان فأرسل اليهم بكر بكى مصر  
يومئذ مصطفى باشا عسكراً فقاتلوا فقتلوا وقطع رأساهما وعلقا بياب زويلة ثم أرسلوا  
إلى الباب العالي وكانت فتنة درأ الله شرها وكفى المسلمين أمرها وذلك في محرم  
سنة تسع وعشرين وتسعمائة .

### الغزوة الثالثة

عود السلطان سليمان خان إلى كفار انكروس ثانياً

فان ملك انكروس المسمى قرال ظهر منه الخلاف والجدال فتوجه إليه لقطع



جادرته ومحو أثره وعاديته السلطان المرحوم بالجيش الأعظم والخميس العرمم  
وضرب أوطاقه للظفر في حاقة لوبكار لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب المرجب  
سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة .

ثم رحل بالعساكر المنصورة إلى أن وصل نهر طراوه وبني عليه جسرا من  
السفان وعدى بعسكره المنصور على الجسر واستمر إلى أن وصل بودون وقاتل  
الغزالي الملعون لعشر بقين من ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وتسعمائة وفي ذلك  
الحرب الشديد انكسر قزال الكافر العنيد وانتصرت جيوش الاسلام وتمزقت  
عباد الصايب والأصنام وافتتحت في هذه الغزوة عدة من القلاع المشهورة والحصون  
الشديدة المعمورة وصارت من جملتها القلعة أونيك وقلعة تبروان وقلعة ابوق  
وقلعة راحمة وقلعة برقاص وقلعة بوكاي وقلعة واتوار وغيرها من قلاع الكفار  
وحصون أولئك الفجار وأعظمها قلعة بودون محل تخت انكروس الملعون فانها  
قلعة راسخة البناء عالية الفضاء سامية إلى عنان السماء تناطح الثريا وتسامى السها  
وتطاول الجوزاء في غاية الثبات والاتقان واستحكام الوضع والبنيان وهو تخت  
سلاطين انكروس ومقر سلطنة ملكهم المنحوس وعندما أحاط بهم حضرة  
السلطان وجنود أهل الايمان علم من كان فيها من جنود الشيطان فخرجوا منها  
وهربوا وطلبت الرعايا الأمان فأمنهم حضرة السلطان وضبط البلاد وجعل فيها  
عساكر تحفظها من أهل العدوان وغنم كثيراً من الأموال والأنفس والأرواح  
وفتك بأعداء الاسلام وسفك دمهم المطلول المباح وعاد إلى مقر سلطته ودار  
ملكته سعيداً مظفراً منصوراً حميداً فوصل إلى سرير السعادة وتخت الملك والسيادة  
في أواخر شهر ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة .

### الغزوة الرابعة

#### غزوة بيج

اجتمعت كفار ألمان ونمجة قزال وقردنوس وأغار وأعلى قلعة بدوس  
وأخذوها من المسلمين على غره فتوجه السلطان إلى دفعهم وقلعهم وقمعهم وبرز

من اصطنبول إلى حلقة لوبكار لليلتين مضتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر راحلا إلى أن وصلت إلى المخيم العالي امرأة من ملوك انكروس اسمها اردل مانو اوداست البساط الشريف السلطاني والتزمت بأداء خراج بلاد انكروس كل عام فقبولت من الحضرة السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها الأحكام الشريفة بالأمان وعادت إلى بلادها في أواسط ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر الوطاق الشريف السلطاني إلى أن وصل العسكر المنصور الخاقاني إلى قلعة بودون وأحاطوا بها إحاطة الأطواق بالأعناق وبياض العين بسواد الأحداق في أواسط ذى الحجة من السنة المذكورة إلى أن فتح الله بدون وسائر البلاد وخذل أهل الكفر والعناد وولوا هارين مأسورين ومقتولين بعد الحرب الشديد لأربع مضي من محرم الحرام سنة ست وثلاثين وتسعمائة .

ثم فتحت قلعة بتاق حصارى ثم توجه العسكر المنصور إلى قلعة بيج وهي محل تحت نمجه الغزال الخائب الآمال وأحاط بها مخيم سرادقات الفتح والنصر القريب بالعسكر المنصور المظفر من عند الله القريب المحيب وهرب منها نمجه قزال وهو مدبر مكسور وطلب أهل القلعة الأمان وأتوا بمفاتيحها إلى حضرة السلطان فأعطاهم الأمان وأخذ قلعة بيج وهي من أعظم قلاع الكفار المحكمة الراسخة القرار الرفيعة المنار وذلك لليلتين بقيتا من محرم سنة ست وثلاثين وتسعمائة ولما كانت القلعة المذكورة بعيدة عن حدود ممالك الاسلام غير مأمونة من هجوم الكفار اللثام أمرت الحضرة السلطانية بهدمها فهدمت وأخربت ونهب أطراف تلك القلعة وسبيت أولاد النصارى ونساؤهم وتركت خرابا وعادت الحضرة السلطانية إلى تحت الملك بالنصر والتأييد والعز المشيد والفرج الجديد فوصل إلى اصطنبول في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسعمائة .

(الغزوة الخامسة غزوة ألمان) لما وصلت الأخبار إلى الأبواب السلطانية أن نمجه قزال جمع طائفة من كفار ألمان وأراد الفساد والطغيان وتوجه السلطان سليمان خان الغازي في سبيل الله إلى قتال هذا الكافر اللعين وبرز من دار الاسلام

اصطنبول إلى حلقة لوبكا لعشر بقين من شهر رمضان المبارك عام ثمان وثلاثين وتسعمائة وأرسل في البحر لحفظ وجه البحر من النهاري وضبط الأسافل والسواحل أمير الأمراء الكرام أحمد باشا القبودان بثمانين غرابا مشحونة بالأبطال أهل الصفاح والكفاح وتطير إليهم بأجنحة الرياح من غير جناح إلى أوائل شعبان المكرم من السنة المذكورة وافتتح عدة قلاع من بلاد الأفرنج الفجار وأرعبوا الكفار واستعجلوا بهم إلى عذاب النار ووصل المخيم الشريف السلطاني مع الجيش المنصور الخاقاني إلى مملكة المان وحزوان وسبوا من ذراري الكفار أولادا كالنجوم الذراري ومن البنات والنساء خرائد كالكنس الجوارى ونهبوا الأموال وقتلوا الأبطال ودهكوا الرجال وهرب ملوكهم وتركوا رعيتهم وصعلوكهم وبذلوا ما بقى معهم من الأموال والذخائر على بذل الأمان لهم ثلاثة أعوام فأحببوا من جانب السلطنة الشريفة إلى سؤلهم وكتب لهم بذلك توقيع الأمان لترقيع حالهم وعادت الحضرة الشريفة السلمانية إلى دار ملكها المسعود مظفر الجنود سعيد الجدود في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة .

( الغزوة السادسة سفر العجم ) أرسل قبل سفره الميمون الوزير الأعظم ابراهيم باشا بعسكر معظم وجيش كالبجر الفطمطم وفئة كبيرة كالخندس العرمم لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وتسعمائة ووصل إلى حلب وشتى بها هو ومن معه من العساكر المنصورة السلمانية والجيوس المؤيدة الخاقانية وبرز عقبه الوطاق الشريف السلطاني والمخيم المكرم الخاقاني العثماني إلى اسكودر آخر شهر ذي القعدة الحرام سنة إحدى وأربعين وتسعمائة واستمر متوجها لنصرة السنة الشريفة السنية وقطع طوائف الرفضة البذية إلى أن وصل مخيمه الشريف العالي إلى ميلاق أوجان قريب تبريز وجاء إلى استقباله المعظم ابراهيم باشا بمن معه من العسكر المنصور وتوجها بجميع العساكر المنصورة إلى أخذ سلطانه من مملكة العجم فلما وصل الركاب الشريف السلطاني إلى قصبة أبهر هرب من طائفة القزلباش محمد خان ذو الفادر ووصل إلى لثم البساط الشريف العثماني فحصل له التشريف الشريف والانعام وقوبل بالتكريم والاحترام وصار

من جملة عبيد الباب واستولى البرد الشديد على العسكر المنصور وزل الثلج كأنه الجبال وهرب العدو ولم يقابل وصار يخادع ويقابل فلزم التوجه إلى بغداد لصون الرجال والأبطال فلما سمع بوصول العسكر السلطاني حافظ بغداد من جانب قزلباش محمد خان هرب وترك بغداد ومن بها من الرعية فجاؤا بمذاتيجها إلى الأوطاق السلطاني فنزل بمسكوه المنصور في بغداد وأعطى الأمان لأهلها واستكنوا في كنها وصارت من مضافات الممالك الشريفة العثمانية وكذلك ما حولها من جميع البلاد والبقاع ومسائر الحصون والقلاع وكذلك المشعشع والجزائر وواسط وأمرت الحضرة السلطانية بتحسين قلعة بغداد وحفظها وصونها من أهل الإلحاد وزار مشهد سيدنا الامام الحسين وسيدنا الامام موسى الكاظم رضى الله عنهما ونور مرقدهما ونفع ببركتهما وبركات أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بتعميرهما وتكريم مزارهما الشريف وزار الامام الأعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه وبنى على قبره الشريف قبة وعمارة ومدرسة .

وصلب في بغداد دفتر داره المرحوم المغفور له الشهيد السعيد اسكندر جلبي بتهمة الخيانة في المال السلطاني برمي أعدائه ومحساده وبرائه من ذلك عند الله وعند الناس وكان كريما بذولا حسن الخلق محسنا ما خاب من قصده ولا حرم من أمه مع الفضل التمام والكرم العام رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى وبؤاه من الجنات الدرجات العلى ويثم الوزير ابراهيم باشا برمي به وما حال عليه الحول حتى ألحق به واجتمعا في دار الحق بين يدي الحكم العدل اللطيف الخبير .

ثم توجه ركاب الشريف السلطاني بعد مضي شدة الشتاء لليلتين مضتا من شهر رمضان المبارك إلى ناحية تبريز لأنه بلغه أن الشاه شتى في تبريز وأنه مقيم بها فقصده للقتال ومحو أثره من صحائف الأيام والليالي فلما وصل إلى منزل صار وقامش وصل من الشاه ومن باج لو نخانم ايليجيا يطلب الصلح فلم يقابل بالقبول وتوجه إلى تبريز فخرج الشاه وطائفة القزلباش من تبريز إلى الأطراف والجهات وتركوا شهر تبريز خالية وخاية على عروشها وتبعهم العسكر المنصور فماظفروا بهم وصار الشاه يتنقل من مكان إلى مكان وتكررت رسله إلى الأبواب العالية يطرق باب الصلح

وتحقق حضرة السلطان الأعظم أن الصلح خير فقبل الصلح وكتبت الأجوبة يقول ما طلبه وانطوى بساط الحرب وتوجه المخيم الشريف السلطاني إلى العود من بلاد العجم وغنم السلطان في تلك السفرة وأخذ البلاد وفتح عراق العرب وألطف تاريخ قيل فيه .

( فتحنا العراق ) وكان وصول الركاب الشريف السلطاني مع العسكر المظفر العثماني إلى محل التخت الشريف السليماني مع النصر والتأييد الرباني والفتح العظيم السبحاني لأربع عشر ليلة مضت من شهر رجب سنة احدى وأربعين وتسعمائة .

### ( الغزوة السابعة غزوة ألونية المعروفة بكورفس )

وهي بلاد الكفار الفجار من أتباع اسبانيا الغدار توجه إليها في البر بركابه الشريف العالي وأرسل في البحر لطفى باشا والقابودات خير الدين باشا بنحو خمسمائة غراب مشحونة بعساكر البحر إلى أن نزل بمخيمة المنصور على أولونيه في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فاستباحها قتلا وأسرا ونهبها وافتتحت في جزائر ذلك البحر أربعة وثلاثون حصنا حصينا هدمت إلى الأساس وقتل من فيها من الناس وغنمت جيوش المسلمين من طائفة الكفار المشركين مالا يحصى من الأموال والسبايا وعاد السلطان مع سائر عساكره المجهزة برأ وبجها إلى تخت الملك الشريف سالمين غانمين والحمد لله رب العالمين .

### ( الغزوة الثامنة غزوة قرا بغداد )

توجه بنفسه النفيسة لافتتاح تلك البلدان وبرز بعسكره الجرار لقتل الكفار الفجار بالسيف والنار ووصل ركابه الشريف إلى تلك البلاد وقتل فيها أوفئك وأسال الدماء وسفك وافتتح القلاع وأخذ الرقاع والبقاع وغنم أموالا ومغانم كثيرة وأسرى نفوسا عديدة غير محصورة وعاد إلى تخت ملكه الشريف مؤيدا من عند الله تعالى بالنصر والتأييد والفتح الجديد فوصل إلى دار الاسلام القسطنطينية الكبرى لست ليال بقين من ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وتسعمائة ،

( الغزوة التاسعة غزوة اسطوبور من بلاد انكروس )

وذلك أن السلطان رحمه الله كان أنعم على ازدلبالو بتلك البلاد وبلغه أنها توفيت وإن نمجه قزال ومن معه من الكفار والفجار أرادوا الاستيلاء على بلادها بعد موتها فتوجه السلطان رحمه الله إلى دفع أولئك الفجار سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وصمم على قتال نمجه قزال لأنه أراد أخذ بودون ووسوست له نفسه ما يتخيله المفسدون فلما أحس بوصول العسكر المنصور السلطاني فر هاربا إلى الجبال وتقهقر عن القتال فتبعه الأبطال ففر منهم في أطراف تلك المجال فجالت العساكر المنصورة السلطانية في تلك البلاد وقتلوا أهل البنى والعدوان والفساد وفتكوا بجيوش الكفر والطغيان وسبوا الأولاد والأطفال والنساء وتركوا ديار الكفر قاعا صفا وغنموا مغنم كثيرة وذخائر تكثر وتصطفى وفتحت قلعة اسطوبور بقرب بودون بعد الحرب الشديد وأضيفت إلى الممالك السلطانية وضبطت وحفظت .

وفتحت أيضاً قلعة وشره وقتل من الكفار ما لا يعد ولا يحصى وعادت الحضرة السلطانية بمن في ركابها الشريف من العساكر المنصورة العثمانية إلى مقر تحتها الشريف منصورين مؤيدين لتأييدهم الدين الحنيف .

( الغزوة العاشرة غزوة بيج راسترغون )

توجه الركاب الشريف السلطاني والمخيم المنصور السليمانى إلى افتتاح عدة قلاع في بلاد بيج لتنظيف أطراف البلاد من طوائف الكفار أهل العناد من قطع دابر أولئك الفجار بالغزو والجهاد في سنة خمسين وتسعمائة وبرز من دار الملك اسطبول بالجيش المتواتر الموصول والجند الأعظم المهول إلى أن أحاط بقلعة ويوه وقلعة شقلاوش وهما من أحكم القلاع السامية وأعظم الحصون المرتفعة العالية تناطح النطح وتسامك السماء وتوازن الميزان فافتحنا في غرة ربيع الأول من ذلك العام وصارت من مضافات ممالك الإسلام .

ثم فتحت قلعة استرغون وهي قلعة في غاية الاتقان والاستحكام أشد في أحكام

البيان من الإهرام كان قنديل رأسها نجوم الثريا وحارس بابها الكوكب العواء ونطاق منطقتها وشاح الجوزاء مشحونة بالأموال والذخائر مملوءة بالعدد والعدد الوافر ألقى الله تعالى في قلوب أهلها رعب عساكر الإسلام وخذلهم الله تعالى فامنعهم ذلك المنيع وما وجدوا الاعتصام فأخذوا أخذاً ويلاً وأسروا وقتلوا تقتيلاً ونهبت الأموال وسبيت النساء والأولاد والأطفال وأخذوا ماحولها من البلاد والبقاع وافتتح ما بقربها من الحصون والقلاع وكذلك فتحت قلعة استولين ببلغراد وهي قلعة سامية العماد راسخة الأوتاد لم يخلق مثلها في البلاد كأنها من بناء شداد أخذت وضبطت وعين لها ولغيرها من القلاع الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لسكل منها دزدان وحصارية وقاضيا يجرى الأحكام الشرعية ومنجقاً للاستحفاظ وصارت من مصافات الممالك المحروسة السلطانية وصارت الكنائس مساجد للصلاة والعبادات والبيع مشاهد للخيرات والطاعات وعاد الركاب الشريف السلطاني إلى سرير ملكه وتخته الخاقاني مظفراً منصوراً سالماً غانماً مسروراً .

#### (الغزوة الحادية عشر سفر القاس)

وهي تحتل تفسير أطويلاً لا تحتمله هذه العجالة فنعدل عن الاسهاب والاطالة .  
 وبجملها أن القاس أخو الشاه لأبيه وكان والياً على شروان ف وقعت بينهما مشاحنة في الباطن أدت إلى توجه القاس إلى الأبواب الشريفة السلطانية وقبل اليد الكريمة الخاقانية السليمانية فحصل له من الحضرة السلطانية إقبال عظيم ومرتبة عالية وأنعم عليه بالانعامات الجليلة السنية ووعدته بأن ينصره على أخيه ويؤيده ويعلي كفته ويواليه وأمر الوزراء العظام وأركان دولة الإسلام أن يقدموا له الهدايا الجزيلة والتحف الوافرة الجميلة ففعلوا ذلك وجابروه وعظموه وناصروه وكان ذلك في سنة أربع وأربعين وتسعمائة واستمر ملتجياً إلى الظل الشريف الوريث الممدود على القوى والضعيف وصار السلطان سليمان خان يصاحبه ويلطفه ويقربه ويستدنيه ويوالفه إلى أن صمم العزم الجزم وشد نطاق الصرامة والحزم وبرز بعسكره المظفر ونصب أوطاقه في اسكودار لثمان ليال مضين من شهر صفر الخير سنة خمس وخمسين وتسعمائة ومع القاس ميرزا مكرما تكريماً ومعزراً تعزيراً وتوجهت الحضرة الشريفة السلطانية إلى أخذ تبريز وأمر القاس ميرزا أن يشتهي في

بغداد إلى أن يمضي زمان الشتاء فيهجم بالعسكر المنصورة في بلاد العجم فاستمر  
الركاب الشريف السلطاني سائراً بالعون السبحاني والنصر والفتح الرباني إلى أخذ  
قلعة وأن بعساكر أهل الإيمان وجعل فيها بكرىكا وعسكراً قويا فيها قفل ديار  
العجم وحصنها بآلات الحصار والخدم واستمر القاس ميرزا متوجهاً إلى بغداد ثم  
يبعض العساكر السلطانية إلى دركرين ووصل إلى همدان وتعدى منها إلى أذربيجان  
ونهب تلك البلدان واستلب أوطاق أخيه ميرزا وعاد إلى المخيم الشريف السلطاني  
والوطاق المحفوظ الخاقاني بما نهبه من الأموال وحصل له غاية الاعتبار والإقبال  
وغلب برد الشتاء فشتى حضرة السلطان بالمخيم الشريف السلطاني في حلب وجهاز  
جيشاً كثيفاً مع أحمد باشا لحفظ حدود البلاد غزا طائفة الكرج واغتم منهم  
غنائم وعاد إلى الأوطاق الشريف السلطاني بغنائمه .

وأما القاس ميرزا فناهذ بعض الوزراء وخرج من بغداد مغاضباً وأظهر النفور  
من جانب السلطنة الشريفة لم يراع الأيادي الجميلة السابقة واللاحقة وعزم إلى أمير  
من أمراء الأكراد فعلم أخوبه فأرسل إليه وخادعه واستدعاه إلى عنده ودلاه  
في بئر وطم أثره وعي ذكره فرزق الشهادة والحق بالشهداء وإلى الله المصير .

ولما وصل علم ذلك إلى الحضرة الشريفة السلطانية تأسف على ذهابه وعزل ذلك  
عزلاً مؤبداً وعادت العساكر المنصورة السلطانية في ركاب الحضرة السليمانية إلى دار  
ملكها السعيد بالنصر والتأييد والسعد الجديد والعز المشيد في أواخر سنة خمس  
وخمسين وتسعمائة .

### ( الغزوة الثانية عشرة سفره إلى الشرق )

لما بلغ الحضرة الشريفة السلطانية تحرك طائفة القزلباش على بعض الحدود  
السلطانية من جانب الشرق بادرت الحضرة السليمانية بجيوشها المنصورة العثمانية إلى  
أن تشتت في مدينة حلب وبعد انقضاء الشتاء يتوجه إلى أخذ قزلباش فبرز الوطاق  
الشريف السلطاني من دار الإسلام القسطنطينية العظمى إلى اسكودار في أوائل  
شهر رمضان عام ستين وتسعمائة واستمر إلى أن وصل إلى اركلي يقطع المراحل  
والمنازل فاستقر أوطاقه الشريف العالي خارج اركلي واستدعى ولده السلطان مصطفى



فامتثل أمره الشريف ووصل إليه ودخل إلى جركاه العالی فما برز إلا في تابوت حمل على الأعناق إلى بورسا واتبع به ولده ودفن معه في بورسا أيضاً عليهما الرحمة والرضوان وروائح الروح والروحان وقع ذلك في أواخر شوال سنة ستين وتسعمائة وقد قدمنا شرح ذلك وتوجهت الركائب الشريفة السلطانية إلى بلاد حلب واستمر بها أيام الشتاء وتوفي بها السلطان جهانكير قرّة عين السلطنة الشريفة وثمره فؤادها لعشر ليال بقين من ذى الحجة الحرام سنة ستين وتسعمائة وجمرت تابوته إلى اصطنبول في ذى الحجة سنة ستين وتسعمائة .

ولما انقضى الشتاء توجه الركاب الشريف السلطاني إلى الحجران من بلاد العجم فأخلاها الشاه وتركها خالية ومضى إلى الأطراف والجوانب ولم يقاتل ولم يحارب ولم يقابل فعادت الحضرة السلطانية إلى أماسيه وأقام ليكر على بلاد العجم ثانياً فجاءت رسل الشاه وطرق باب الصلح فرأت الآراء الشريفة السلطانية إجابة الشاه إلى سؤاله ترويحاً للمسكر السلطانية ووصونا لدماء الرعية فأنعمت على الشاه بقبول ما يتمناه وأمرت بإرسال أجوبة حسب مراده ومناه وعادت حضرتها الشريفة إلى تخت ملكها الشريف بمدوداً ظل سلطانها الوريث واستقرت ذاتها العلية قريرة العين بالسعادة الباهرة السنية على تخت الخلافة البهية بدار الإسلام قسطنطينية لازالت بسيوف السلطنة العثمانية محروسة محمية أمين وذلك في سنة إحدى وستين وتسعمائة .

( الغزوة الثالثة عشر غزوة سكتوار وهي آخر غزواته الكبار )

لما كان دأب هذا السلطان الأعظم المجاهد في سبيل الله ونصرة دين الإسلام كدأب آبائه وأسلافه العظام ولكل امرء من دهره ما تعود وعادة الجهاد في سبيل الله أعظم ذخراً عند الله وأعود تافت نفسه النفيسة إلى الجهاد واشتاقت إلى قتال الكفار الفجار وصممت على السفر إلى بييج ودمشوار وكان مزاجه الشريف متوعكاً باستيلاء مرض النقرس عليه ويتألم ألماً شديداً ويتصبر صبر الرجال ويظهر غاية التجلد والاختمال فمنه عن السفر رئيس الأطباء صاحبنا المرحوم الشيخ بدر الدين محمد بن محمد القوصوتى المصرى وكان من أحذق الحذاق وأفضل الفضلاء في سائر العلوم على الإطلاق أديباً أريباً كاملاً لبيبا طبيبا حيبياً بينى وبينه ملاطفات ومراسلات

أدبية ومطارحات تجتني ثمار الأدب الغض من رياضها وتقتطف أزهار المفاكم من  
أكام أغصان حياضها برد الله مضجعة وأنزل عليه من زلال رحمته سلسيلا وسقاه  
من الجنة كأسا كان مزاجها زنجيلا فلم يتمتع السلطان المرحوم عن السفر ولم يطع  
الطبيب فيما ذكر وقال له أريد أموت غازيا وأبذل روحي في سبيل الله مجتهداً ساعياً  
فبرز بجيوشه المنصورة وجنوده وراياته المقرونة بالنصر وبنوده والظفر يقدمه  
والسعد يخدمه وأنقض كالشهاب الثاقب والحسام القاطع القاضب حتى طرق الكفار  
كالأحلام والطوارق وخفت أعلامه كالرياح الخوافق واختطف أبصارهم بيوارق  
الأسياف والصواعق .

وكان بروزه من القسطنطينية المحمية في يوم الاثنين المبارك لتسع مضي من  
شوال المقرون بالظفر والسعادة والاقبال سنة أربع وسبعين وتسعمائة واستمر  
يموج بجيوشه كالبحر المواج ويفيض إحسانه على فقير محتاج كالغيث الثجاج وهو  
يقطع المراحل والمنازل ويسلك فجاج المسالك والمناهل إلى قطع الأنهار الغزار  
والمياه العظيمة الكبار بجسور محكمة بنيت عليها وسفان كالأطواد غرقت فيها لتدغم  
الجسور إليها إلى أن أمكن تعديده ذلك بالخييس العرهم ومرور ذلك الجيش الأكبر  
والسواد الأعظم ونزلوا بعد الحط والترحال ومعانات الأهوال على قلعة سكتوار  
من أعظم قلاع الكفار وهي أعظم قلاع دمشق فأحاطوا بها كاحاطة الطوق  
بالعنق وداروا حولها وعليها دوران الافلاك على الأفق وهي مدينة حصينة واسعة  
شاسعة مكينه راسخة البناء في حضيض الماء شائخة الهواء إلى عنان السماء في غاية  
العلو والتحصين وإعلاء درجات الاستحكام والتكين وأقوى ما بيد الكفار من  
المكان الحصين كأنها في الارتفاع والشموق تناطح الناطح وتعاوق العيوق وكان  
بريق نيرانها المعان البروق عند الخفوق مشحونة بآلات الحرب والمدافع ملووة  
بالمكاحل الكبيرة والمقامع موسوقة بجيوش النصارى وأبطالهم موسومة بفتياتهم  
الشجعان من رجالهم فخفرهم عسكر الإسلام وحاصروهم وضيقوا عليهم مسالكهم  
وصابروهم وناوبوهم وصالوا عليهم وحاشوهم فتحصن الكفار في قلعة سكتوار  
ورموا على المسلمين بمقامع النار فترس المسلمون بالمتاريس وهجموا على الكفرة

المناحيس وحى الوطيس وتخمس الخيس وأقدم من الأبطال المشهورين والفرسان  
 والشجعان المخبورين من أظهر بشجاعته يده البيضاء آية للناظرين وطلب الله النصر  
 وهو خير الناصرين وعند اشتداد الحرب والقتال وتصادم الأبطال تصادم أطواد  
 الجبال إذ غلب على السلطان تو عكه وسقمه واشتد عليه مرضه وألمه وغمرته غمرات  
 الموت ولاحت أمارات الفوت وهو يلهج إلى الله المجيب ويتضرع إلى جنابه الرحيب  
 يطلب الفتح القريب فاستجاب الله الكريم دعاه وحقق بحصول المراد رجاء  
 واضطربت النار في خزينة بارود الكفار وهي مخزونة بقلعة سكتوار وكانوا  
 أعدوها لقتال المسلمين وأكثروا منها لتكون موفرة عندهم فأصابها شرر من النار  
 بتقدير القدير القهار فأخذت جانباً كبيراً من القلعة رفعت إلى عنان السماء وزلزلات  
 الأرض زلزلة هائلة إلى تخوم الماء وتطايرت جلايد الصخار إلى الهواء ورمت شرراً  
 ولها ودخاناً إلى أن امتلأ الفضاء فضعت بذلك طائفة الكفار وعذبهم الله بالنار  
 قبل عذاب النار وتزاحم المجاهدون في سبيل الله معتمدين على نصر الله بآلات  
 الحرب والجهاد وصدق النية والاعتقاد واشتد القتال والجلاد ورمى الكفار بمدافع  
 أقوى من الصواعق واخطف الأسماع والأبصار من الرعود والبوارق وثبت  
 المسلمون وأقدموا على النيران وهم كالأطواد الراسخة بقوة الجنان لم يتأوه أحدهم  
 والنار تحطمه وتدفعه ولم يبال على أى جنب في الله مصرعه وتقدم الجيش المنصور  
 وطبول الحرب ومزاميرها كنفخ الصور يوم النشور والمدافع تتهدى كما تتهدى  
 الشهب وتترامى بالأحجار كما تترامى بوارق السحب وتوجهت المسلمون توجهاً  
 خالصاً لوجه الله وحملت على الكفار حملة واحدة بعناية التيقظ والانتباه غير مبالين  
 بموت ولا حياه موقنين بأن لا مفر مما قدره الله وتعلقوا بطراف القلعة واقتلعوها  
 من أيدي الكفار وهجموا عليها ودخلوها من فوق الأسوار وقتل منهم من قتل  
 ونجا من نجا بمساعدة الأقدار وافتتحت قلعة سكتوار ورفعت الرايات السلطانية على  
 أعلا منار ووضععت السيوف السليمانية في جميع الفجار وقتلواهم وساقوهم إلى جهنم  
 وبس القرار وعند وصول خبر الفتح إلى السلطان سليمان فرح وحمد الله تعالى على  
 هذه النعمة والإحسان واستسلم لربه وقال طاب الموت الآن وانتقل من سرير الدنيا

إلى سرر مرفوعة في أعلا الجنان وأخفى حضرة الوزير الأعظم محمد باشا وفاة السلطان وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والانعامات وأعطى الأمرام والبكر بكى الترقيات وأمر بإرسال البشائر والوسائر الأطراف والجهات وأرسل سرا يستدعى السلطان سليم خان الثانى ويستعجله فى سرعة الوصول إلى التخت الشريف العثمانى وكتب ذلك عن جميع الخواص والخدام وعن جميع العسكر والأمرام والوزراء وسائر الأنام وأحسن التدبير فى هذا الكتم وهو من اللازم الختم فى الأمور العظام واستمرت أمور المملكة فى غاية الانتظام وأحوال العسكر المنصور السلطانى فى درجات النظام وهم فى ديار الكفر بعيدون عن ديار الإسلام وذلك من كمال العقد التام والرأى الثاقب الصائب التمام إلى أن وصل حضرة السلطان سليم إلى مقر تخته الكريم وأذن للعساكر المنصورة بالرجوع إلى أوطانها وعاد مع أركان دولته وزراء سلطنته وبقية عساكر بابه إلى القسطنطينية العظمى كما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى وغسل المرحوم السلطان سليمان وحنط وكفن وأنشد لسان الاعتبار يقول فيه .

أنظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

ووضع فى تابوت وحمل على الأعناق وقد قلدها فى حياته قلائد نعم حلب محل  
الأطواق وهو بمن يلىق أن ينشد فيه :

كم قلت للرجل المولى غسله هلا أطاع وكنت فى نصائح

وأزل أفأويه الخنوط ونحها عنه وحنطه بطيب ثنائه

ومر الملائكة الكرام بحمله فاطال ما حملن من نعمائه

وامتد محمولا إلى أن أتى به إلى اصطنبول وخرج لاستقباله جميع العلماء والموالى العظام والمشايخ الأتقياء الكرام وسائر أصناف الأنام وبكوا عليه بكاء طويلا وأكثروا نحيا وعويلا وصلوا عليه وأمههم فى صلاة الجنازة المفتى الأعظم مولانا أبو السعود أفندى عالم بلاد الإسلام ودفن فى تربة أعدها لنفسه رحمه الله تعالى ورثاه الشعراء بكل لسان بقصائد طنانة سارت به الركبان أعظمها وأحسنها قصيدة المفتى المذكور وهى طويلة حسنة حذفنا بعضها روما للاختصار وذلك قوله رحمه الله تعالى :

أصوت صاعقة أم نفخة الصور  
أصاب منها الورى دمياء دمية  
تهدمت بقعة الدنيا لرقعتها  
أسمى معالمها يتما مقفرة  
أصعدت قلل الأطواد وارتعد  
واغبر ناصية الخضراء وانكد  
فن كذب وملهوف ومن دنف  
فياله من حديث موحش نكر  
تاهت عقول الورى من هول وحش  
تقطعت قطعاً منه القلوب فلا  
أجفانهم سفن مشحونة بدم  
أتى بوجه نهار لاضياء له  
أم ذاك نعى سليمان الزمان ومن  
ومن ومن ملأ الدنيا مهابته  
مدار سلطنة ومركزها  
معلى معالم دين الله مظهرها  
وحسن رأى إلى الخيرات منصرف  
بآية العدل والاحسان تمتل  
مجاهد في سبيل الله مجتهد  
بلهدى إلى الأعداء منعطف  
وراية رفعت للجد خافقة  
وعسكر ملأ الآفاق محتشد  
له وقائع في الآفاق شائعة  
يا نفس مالك في الدنيا مخلقة  
وكيف تمشين فوق الأرض غافلة  
حق على كل نفس أن تموت أسمى

فالأرض قد مائت من نقر ناقور  
وذاق منها البرايا صعقة الطور  
وانهدما كان من دور ومن سور  
ما في المنازل من رار وديور  
ت كأنها قلب مرعوب ومذعور  
رت وكاد يمتلىء الغبراء بالمور  
عان بسلسلة الأحزان مأسور  
يعافه السمع مكروه ومنقور  
ته فأصبحو مثل مجنون ومسحور  
يكاد يوجد قلب غير مكسور  
تجرى ببحر من العبرات مسجور  
كأنها غارة شنت بديجور  
مضت أوامره في كل مأمور  
وسحرت كل جبار وتهور  
خليفة الله في الآفاق مذكور  
في العالمين بسعى منه مشكور  
وصدق عزم على الإلطف مقصور  
بغاية القسط والانصاف موفور  
مؤيد من جناب القدس منصور  
ومشرفى على الكفار مشهور  
تحوى على علم بالنصر مشهور  
من كل قطر من الأقطار مشهور  
أخبارها زمرت في كل طامور  
من بعد رحلته من هذه الدور  
أليس جسمانه فيها بمقبور  
اسكن ذلك أمر غير مقدور

فللمنايا مواقيت مقدرة  
 وليس في شأنها للناس من أثر  
 يانفس فاتتدى لاتهلكي أسفا  
 إذ لست مأمورة بالمستحيل ولا  
 ولا تظنينه قد مات بل هو ذا  
 له نعيم وأرزاق مقدره  
 ان المنايا وإن عمت محرمة  
 مرابط في سبيل الله مفتحهم  
 مامات بل نال عيشا باقيا أبدا  
 اتباع سلطنة العقبى بسلطنة  
 بل حار كليهما إذ حل منزلة  
 أما ترى ملكه المحمي آل إلى  
 ولي سلطنة الآفاق مالكتها  
 ظل الاله ملاذ الخلق قاطبة  
 فانه عينه في كل مأثرة  
 ولا امتياز ولا فرقان بينهما  
 سميدع ماجد زادت مهابة  
 جد الجديدان في أيام دولته  
 أضحي بقبضته الدنيا برمتها  
 بدا بطلعته والناس في كرب  
 فأصبحت صفحات الأرض مشرقة  
 سبحان من ملك جات مفاخره  
 مكانها وبراع الواصفين لها  
 لازالت أحكامه بالعدل جارية

تأتي على قدر في اللوح مسطور  
 ومدخل ما بتقديم وتأخير  
 فأنت منظومة في سلك مقدر  
 بما سوى بذل مجهود وميسور  
 حتى بنص من القرآن مزبور  
 تجرى عليه بوجه غير مشهور  
 على شهيد جميل الخيال مبرور  
 معارك الخنف بالرضوان ماجور  
 عن عيش فان بكل الشر مغفور  
 الدنيا فأعظم برح غير محصور  
 من لم يغيره في أمر ومأمور  
 سرسرى له في الدهر مشهور  
 برا وبحرا بعين اللطف منظور  
 وملتحى كل مشهور ومدهور  
 وكل أمر عظيم الشأن مأثور  
 وهل يميز بين الشمس والنور  
 تحت الخلافة في عز ومنصور  
 صارا كأنهما مسك وكافور  
 ما كان من مجهل منها ومعمور  
 وسوء حال من الأحوال منكور  
 وعاد أكنافها نورا على نور  
 عن البيان بمنظوم ومشور  
 بحمر خميس إلى منقار عصفور  
 بين البرية حتى نفخة الصور

( فصل في بعض مآثر المرحوم السلطان سليمان خان وخيراته وصدقاته الجارية الحسان في جميع البلدان سيما في بلد الله الحرام وبلد خاتم الأنبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ) . اعلم ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقاهات واجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من أنواع الخيرات في كل الجهات التي أنشأها المرحوم السلطان سليمان خان رحمه الله تعالى كثيرة جدا لا يمكن حصرها ولا تدخل تحت حيطه البيان ذكرها ولا يسعها هذا الكتاب لكننا نذكر جملا من ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ونذكر خيراته في الحرمين الشريفين ونحيل ماعداها إلى السماع والمشاهدة برأى العين فمن ذلك الصدقة الرومية التي هي الآن مادة حياة أهل الحرمين الشريفين وبها معاشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددوم فانها وان كانت قديمة متواصلة من زمن آبائه السلاطين العظام وأجداده الملوك الفخام إلا أن المرحوم السلطان سليمان خان هو الذي زادها وضاعفها وأنماها وكثرها وقررها وأضاف إليها من خزائنه الخاصة مبلغا كبيرا فهي ترد والله الحمد في كل عام بدفتر محفوظ مضبوط وأمين وكاتب تقسم في الحرمين الشريفين تجاه بيت الله المطهر المنيف وتقرأ الفوائح بالاخلاص ويكثر الضجيج من الفقراء والفقهاء والعلماء والصلحاء والدعاء بدوام سلطنة سلطان الزمان والرحمة والرضوان على آبائه وأجداده من آل عثمان وتفرق عليهم حسب الدفتر الشريف السلطاني الموسوم بالشأن الشريف العثماني فيصرفون ذلك في قضاء ديونهم فان فضل فضلة صرفوها في حجهم وكساويهم وأنفقوها على عيالهم وأولادهم ولم يقع الاحسان على هذه الصورة لأحد من السلاطين والخلفاء والملوك وغيرهم ولكن ليست بهذا الضبط والاستمرار والوصول في محلها وتعميم الناس بها وكانت للخلفاء العباسيين وغيرهم صدقات كثيرة واسعة إلا أنها كانت ترد مرة في العمر أو عند وصول خليفة منهم إلى الحج ماتحققنا مواظبة وصولها على هذا الوجه الذي شرحناه لأحد غير ملوك آل عثمان خلد الله سلطنتهم وهذه بركة جليلة ونعمة كبيرة جزيلة يتميزون بها على غيرهم فالله تعالى يديم ذلك على جيران بيته الحرام وجيران نبيه أفضل الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام سلطنة آل عثمان الملوك العظام المخلد ذكر جميلهم في صفحات الأيام أبقاهم الله تعالى يوم القيامة .

ومنها صدقة الحب وقد تقدم أن المرحوم سليم خان الأول أول من تصدق  
 برسالة صدقة الحب إلى أهل الحرمين الشريفين عند افتتاحه بلاد العرب وأخذه  
 لاقليم مصر والشام وحلب واستمرت متواصلة إلى زمن المرحوم السلطان سليمان  
 خان وكانت ترسل من انبار الخاص السلطان وأفردها السلطان سليمان قرى بمصر  
 اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل غلتها وربيعها لأهل الحرمين الشريفين  
 وكتب لذلك كتاب وقف حكم بصحته قضاء العسكر بالديوان الشريف العالي  
 وجعل من ربيعها ألفا وخمسمائة أردب لأهل المدينة المنورة يجهزها في كل عام الناظر  
 المولى على ذلك تم ضاعفها وجعل في كل عام لأهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف أردب  
 ولأهل المدينة المنورة ألفي أردب واستمرت ترد كل عام وتوزع على أهل الحرمين  
 حسب دفتر مقيد بأحكام شريفة سلطانية وتذاكر باشوية وتقريرات من القضاة  
 ونظار الحرم الشريف واستقر الحال على ذلك واستمر إلى أو اننا هذا إلى ما بعد  
 إن شاء الله تعالى وهذا أيضا احسان عظيم وخير جميل عميم صار سببا لمعاش أهل  
 الحرمين الشريفين وتقوتهم ومادة لحياتهم ومعيشتهم وأودهم وقوتهم فلو عدموه  
 والعياذ بالله هللكوا والدعاء من صميم قلوبهم مبذول في الحرمين الشريفين بدوام  
 دولة سلطان الزمان والترحم على آباءه الكرام وأسلافه العظام وهذا الاحسان  
 لم يعهد في زمن السلاطين السابقة ولا أيام الخلفاء السابقة بل هو مخصوص بسلاطين  
 آل عثمان إلا ما فعله السلطان قايتباي رحمه الله تعالى بعد ما حج بيت الله الحرام  
 وزار المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فانه وقف على أهل المدينة  
 ضياعا وقرى يصل ربيعها إلى الآن إلى الحرمين الشريفين وللسلطان جقمق أيضا  
 أوقاف يصل منها شيء دون ذلك إلى الحرمين الشريفين وقد آلت أوقافها إلى الخراب  
 وضعف ربيعها جدا وأما الأوقاف الشريفة العثمانية فعامة أهلة يفيض منها الزوائد  
 ويحصل منها المموم عليها مدار معيشة أهل الحرمين الشريفين عمرها الله تعالى وأنماها  
 وعمر عمر من عمرها ويزكي من زكاتها .

ومنها صدقات الجوالي وهي جمع جالية ومعناه ما يؤخذ من أهل الذمة في مقابلة  
 استمرارهم في بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلائهم عنها وهي من أجل الأموال



أن أخذت على وجهها المشروع ولأجل جلاها جعلت وظائف العلماء والمتقاعدين من الكبراء وكان يخرج منها شيء قليل في أيام الجراكسه لبعض المشايخ فلما كانت سلطنة المرحوم السلطان سليمان خان نور الله تعالى مرقدته وحقه بالرحمة والرضوان أخرجها من خزائنه العامرة بالتدريج إلى العلماء والمشايخ من أهل الحرمين الشريفين ومن أهل مصر ومن المتقاعدين بمصر وبالحرمين الشريفين إلى أن استوعب صرفها جميعها وزاد عليها قدرا أخرجته من خزائنه الشريفة وذلك من حوالى مصر وحدها غير حوالى الشام وحب وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية وغير ما يصرف على الفقراء والعلماء والمشايخ من محصول المملوكة فى سائر ممالكهم المحروسة وغير ما يصرف ملوك بنى عثمان من ريع أوقافهم وزوائدها وغير ما يخرجون من خزائهم العامرة فى وجوه الخيرات واستمرار هذه الإدارات لأحد من السلاطين والخلفاء والملوك العظام الكرام الخلفاء فى زمن من الألمان فى دولة ملك أودور سلطان فالله تعالى يبقى هذه الدولة الشريفة الباهرة والسلطنة القاهرة الفاخرة الزاهرة إلى أن تنقضى الدنيا وتقوم الآخرة .

ومن خيراته الدارة إجراء العيون ومن أعظمها إجراء عين عرفات إلى مكة المشرفة وسبب ذلك أن العين التى كانت جارية بمكة هى عين حنين وهى من عمل أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجه هارون الرشيد واسمها أمة العزيز وكان جدها المنصور يرقصها وهى طويلة ويقول أنت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من أهل الخيرات ولها مآثر عظيمة إلى الآن .

ومنها إجراء عين حنين إلى مكة المشرفة وأصرفت عليها خزائر أموال إلى أن جرت إلى مكة المشرفة وهى واد قليل الأمطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات وصفها الله تعالى بأنها واد غير ذى زرع فنقبت أم جعفر زبيدة الجبال إلى أن سلك الماء من أرض الحل إلى أرض الحرم واتفقت على عملها ألف ألف وسبعائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون وأعمال لديها وأخرجوا دقترهم لاخراج حساب ما أصرفوه ليخرجوا من عمدة ما تسلبوه من خزائن الأموال وكانت فى قصر عال مطل على الدجلة فأخذت الدفاتر ورمتها

في بحر الفرات وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقي له شيء عندنا أعطيناها وألبستهم الخلع والتشاريف فخرجوا من عندها حامدين شاكرين وبقي لها هذا الأثر العظيم في العالمين رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس في أعلا عليين .

وكانت هذه العين ترد إلى مكة وينتفع بها الناس ومنبع هذه العين في ذيل جبل شامخ يقال له طاد بالطاء المهملة والألف بعدها دال مهملة من جبال النية من طريق الطائف وكان يجرى الماء إلى أرض يقال لها حنين ليسقى به نخيل ومزارع مملوكة للناس وإليها ينتهي جريان هذا الماء وكان يسمى حائط حنين يعني بساتين حنين وهو موضع غزا فيه النبي صلى الله عليه وسلم المشركين ويقال لملك الغزوة غزوة حنين وخبرها مذكور في كتب سير النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت زبيدة هذا الحائط وأبطلت تلك المزارع والنخيل وشقت له القناة في الجبال وجعلت له الشحايد في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الأمطار وجعلت فيه قناة متصلة إلى مجرى هذا العين في محاذاتها يحصل منه المدد لهذه العين فصار كل شحاد عينا يساعد عين حنين منها عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين البرود وعين الطارقي وعين تقبة والجربيات وكل مياه هذه العيون تنصب في ديل عين حنين بعضها ويزيد بعضها وينقص بحسب الأمطار الواقعة على أم إحدى هذه العيون أو على جميعها إلى أن وصلت على هذه الصورة إلى مكة المشرفة .

ثم أنها أمرت بأجراء عين وادي نعمان إلى عرفة وهو عين منبعها ذيل جبل كرا وهو جبل شامخ عالي جدا أعلاه أرض الطائف مسير نصف نهار من أسفله إلى أعلاه من صعد فيه أو نزل منه مرة لا يعود إليه لو عورة مرقاه وصعوبته وينصب من ذيل جبل كرا في قناة إلى موضع يقال له الأوجر من وادي نعمان ويجرى منه إلى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات فيها ولشعراء العرب تشوقات وتغزلات في وادي نعمان وفيه يقول القائل :

أيا جبلي نعمان بالله خليا      نسيم الصبا يخاص إلى نسيمها  
(وبعده) فان الصبا ريح إذا ماتت سميت      على كبد حر تجلت همومها

فعملت القنوات إلى أن جرى ماء عين نعمان إلى أرض عرفة ثم أديرت القناة بجبل الرحمة محل الوقوف الشريف الأعظم في الحج وجعل منها الطرق إلى البرك التي في أرض عرفات فتمتلى ما يشرب منه الحجاج في يوم عرفة ثم استمر عمل القناة إلى أن أخرجت من أرض عرفات إلى خلف جبل من وراء المازمين على يسار العابر من عرفات ويقال له طريق ضباب بالضاد المعجمة المفتوحة والالف بعدها باء موحد مشددة وتسمى الآن عند أهل مكة المظلة بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة ثم ميم مفتوحة ثم هاء التانيث .

ثم تصل منها إلى مزدلفة ثم تصل إلى جبل خلف منى في قبليها ثم تنصب إلى بئر عظيمة مطوية بأحجار كبيرة جدا تسمى بئر زبيدة إليها ينتهى عمل هذه القناة وهي من الأبنية المهولة مما يتوهم أنه من بناء الجن .

ثم صارت عين حنين وعين عرفات تنقطع لقلة الأمطار وتهدم قنواتها وتخربها السيول بطول الأيام وكانت الخلفاء والسلاطين إذا بلغهم ذلك أرسخوا وعمروها عند انتظام سلطتهم على هذا المنوال فن عمرها صاحب أربل وهو الملك الجليل مظفر الدين كجك كوكيودي بن ملي في سنة أربع وتسعين وخمسمائة وكوكيودي معناه بالتركي الذئب الأزرق وكان كثير الخير والاحسان وله ترجمة واسعة في وفيات الأعيان لقاضي القضاة أحمد بن خلكان رحمهما الله تعالى ذكر له أوصافا كريمة ومكارم عظيمة ذكر منها عمارة عين عرفات وغيرها من جزيل الخيرات ثم عمرها صاحب أربل مظفر الدين المذكور في سنة خمس وستمائة .

ثم عمرها بعد ذلك أمير المؤمنين المستنصر بالله العباسي في سنة خمس وعشرين وستمائة ثم في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ثم في سنة أربع وثلاثين وستمائة كما وجدت ذلك مكتوبا في نصب حجارة مبنية في قرب الموقف الشريف بعرفات .

ثم بعد مائة عام تقريبا عمر عين حنين الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراقين في أيام السلطان أبو سعيد خدا بنده في سنة ست وعشرين وتسعمائة فأجرى عين حنين إلى مكة وعم نفعها لأهل مكة فانهم كانوا في جهد عظيم لقلة الماء فرحمهم الله بذلك رحم الله تعالى أهل الخير ،

ثم عمرها شريف مكة يومئذ السيد الشريف حسن جد سادتنا أشرف مكة  
الآل أبقاهم الله تعالى وأدام عزمهم وسعاتهم مد الزمان وكان من أهل الخير والاحسان  
أجزل الله ثوابه في الجنان .

وكان تعميره لها في سنة احدى عشرة وثمانمائة فجرت وانفجرت ونفعت  
وأبلجت وكثر الدعاء له من أهل البلاد والحجاج والعباد تقبل الله منهم صالح أعمالهم  
ثم انقطعت ولقى الناس لذلك شدة شديدة إلى أن عمرها صاحب مصر من  
ملوك الجراكسة الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى في سنة احدى وعشرين  
وثمانمائة هكذا ذكره النسفى القاضى رحمه الله تعالى .

ثم عمرها وعمر عين عرفات أيضا بعد ذلك من ملوك الجراكسة السلطان  
الملك الأشرف قايتباى رحمه الله تعالى عمر عين عرفات وأجراها إلى أرض عرفات  
وأجراها إلى أرض عرفات وعمر عين حنين إلى أن جرت إلى مكة وعمر عين  
خليص وحصل بها الرفق للحجاج وأهل البلاد ودعوا له وأثنوا عليه بذلك وبإحساناته  
وكثرة خيراته ضاعف الله تعالى آخره ومثوياته وذلك بمباشرة الأمير يوسف  
الجمالى وأخيه الأمير سنقر الجمالى رحمهما الله تعالى في سنة خمس وسبعين وثمانمائة .

ثم عمر عين حنين آخر ملوك الجراكسة السلطان قانصوه الغورى رحمه الله  
تعالى في عام ست عشرة وتسعمائة على يد الأمير خير بك العمار رحمه الله تعالى  
إلى أن جرت وملأت بركا للحجاج والمعلاه ثم جرت إلى باران ثم إلى بركة ماجن  
في درب اليمن من أسفل وانفق الناس بذلك ثم انقطعت في أوائل الدولة العثمانية  
بهذه الأقطار الحجازية وبطلت العيون وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن  
مكة المشرقة وصار أهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة من آبار يقال لها  
العسيلات في علو مكة قريب من المنحنا ومن آبار في أسفل مكة من مكان يقال له  
المواهد ويسمى الآن الجونخى في طريق التنعيم وكان الماء غاليا قليل الوجود وكذلك  
انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها وكان الحجاج يحملون الماء إلى عرفات من  
الأمكنة البعيدة وصار فقراء الحجاج يوم عرفة لا يطلبون شيئا غير الماء لعزته ولا  
يطلبون الزادور بما جلبه بعض الأقوياء من الأماكن البعيدة للبيع فيحصلون أموالا

من تلك الأماكن البعيدة أيضا فارتفع سعر الماء جدا في يوم عرفه وكنت يومئذ مراهقا في خدمة والدي رحمه الله تعالى وفرغ الماء الذي كنا حملناه من مكة الى عرفات وعطش أهلنا فتطلبت قليلا من الماء للشرب فاشتريت قربة صغيرة جدا يحملها الانسان باصبعه بدينار ذهب والفقراء يصيحون من العطش يطلبون من الماء ما يبيل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف فشرب أهلنا بعض تلك القربة وتصدقوا بالباقي على بعض من كان مضطرا من الفقراء وعطشنا عقيبها وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاش يلهثون فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم وحصل البكاء الشديد والضحج الكثير من الحجاج في تحت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه بهم واحسانه اليهم وتكرمه عليهم ولا يزال أتذكر تلك الساعة وما حصل بها من اللطف العظيم من كرم الله العميم وأرجو به كرم الكرم وأتيقن أنه الغفور الرحيم الذي أنزل على عباده الرحمة من بعد ما قنطوا وبرزن الأوامر الشريفة السلطانية السلمانية باصلاح عين حنين وإصلاح عين عرفات وعين لها ناظر اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة فبذل جهده في عمارتها وأصلح قناتها إلى أن جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها من بركة ما حن وأصلح عين عرفات وأجراها إلى أن صارت تملأ البرك بعرفات وذلك في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وصار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب الفرات بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات ويدعون لمن كان سببا لاجراء هذه الخيرات .

ثم اشترى ناظر العين عبيد سودا من مال السلطنة وجعل لهم جرايات وعلوفات من خزائن السلطنة الشريفة برمم خدمة العين ولاخراج أتربتها من الديول والقنوان وهذه خدمتهم دائما وصاروا يتوالدون وهم بانفون إلى الآن طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة .

ثم توجه مصطفى ناظر العين إلى الأبواب السلطانية السلمانية وعرض في أمر العين أحوالا يجب عرضها فأجاب في كل ما سئل فيه وعاد مجبورا إلى مصر ثم

ركب من بندر السويس إلى مكة ففرق بحر القلزم شهيدا وما غرق إلا في رحمة الله تعالى وما مات بل هو حي عند الله تعالى .

وكانت وفاته إلى رحمة الله تعالى في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة واستمرت عين حنين جارية إلى مكة لكنها تقل تارة وتكثر أخرى بحسب قلة الأمطار وكثرتها وعين عرفات تجرى من نعمان إلى عرفات إلى أن صارت عرفات بساتين وغرس بها الغروس وصارت مرحلة خضراء تتجلى كالغروس إلى أن قلت الأمطار ويبست العيون ونزحت الآبار في سنين متعددة من سنة خمس وستين وتسعمائة وما بعدها وكانت سنوات تقارب سني يوسف شدادا عجافا وانقطعت العيون إلا عين عرفات فانها لم تنقطع إلا أنها قل جريانها في تلك السنوات .

ولما عرضت أحوال العيون إلى الأبواب الشريفة السلطانية السلجمانية التفت الخاطر السلجمانية العاطر السلطاني وتوجه العطف الشريف السلجاني إلى تدارك ذلك بأي وجه يكون وأمر بالفحص عسر أحوال العيون وكيف يمكن جريانها إلى بلد الله الأمين المأمون فاجتمع المرحوم عبد الباقي بن علي المغربي قاضي مكة يومئذ والأمير خير الدين خضر سنجق جدة المعمورة حينئذ وغيرهما من الأعيان وتفحصوا وداروا وتأملوا واستشاروا فأجمع رأيهم على أن أقوى العيون عين عرفات وطريقها ظاهرة ودبولها من بئر زبيدة إلى مكة مبنية أيضا وأنها مخفية تحت الأرض وأنها تحتاج إلى الكشف عنها والحفر إلى أن تظهر لأن زبيدة لما بنيت الدبول من عرفة إلى بئر المشهور خلف منى الذي جميعها ظاهر على وجه الأرض فالباقي أيضا من ذلك المحل إلى مكة مبنية أيضا إلا أنه خاف تحت الأرض واستغنى عنها بعين حنين وتركت هذه ونبشت وطمت وغفل عنها هكذا ظنوا وخبثوا ثم انهم تتبعوا عين عرفات من أولها من الأوجر إلى نعمان ثم إلى عرفة ثم إلى المزدلفة ثم إلى بئر زبيدة وأصلحوا هذه الدبول الظاهرة وكشفوا عن الباقي وبنوا ما وجدوا منها منهدما ورعموا الباقي احتاجوا إلى ثلاثين ألف دينار ذهباً وذراعوه وقاسوه فكان من الأوجر إلى بطن مكة خمسا وأربعين ألف ذراع. بذراع البناء الآن وهو أكبر من الذراع الشرعي بقدر ربعه وهذا الذي تخيلوه من وجود بقية الدبل

تحت الأرض لم يوجد في كتب التاريخ وإنما أداهم إلى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن وعرضوا ذلك إلى الباب الشريف في أوائل سنة تسع وستين وتسعمائة . فلما وصل علم ذلك إلى المسامع الشريفة السلطانية السليمانية التمسست صاحبة الخيرات الكلية المخدرات تاج المحصنات ملكة الملكات قدسية الملكات عليه الذات صفية الصفات ذات العلا والسعادت ( حضرة خاتم سلطان ) كريمة حضرة السلطان الأعظم سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أن يأذن لها في عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة هذا الخير أولاد أم جعفر زبيدة العباسية فناسب أن تكون هي صاحبة هذا الخير فأذن لها في ذلك فاستشارت الحضرة السلطانية وزراء ديوانها الشريف العالي فيمن يصلح لهذه الخدمة فاتفقت آراءهم الشريفة أن هذه الخدمة لا يقوم بها إلا دفتر دار ديوان مصر الأمير الكبير المعظم فائض الجود والفضل والكرم صاحب السيف والقلم والعلم والعلم ( الأمير ابراهيم بن تغرى بردى ) المهتمدار ثم دفتر دار بمصر بواه الله جنات تجرى من تحتها الأنهار وسقاه من حوض السكوثر زلالا باردا يطفيء كل أرام وأوار وكان يومئذ قد عزل من منصب الدفتردارية وأمر بالتفتيش عليه عن أيام دفترداريته فعفى من التفتيش وأعطته السلطنة خمسين ألف دينار ذهب على ما خمنوه ليصرفها في عمل هذه العين فتوجه من البحر إلى مكة المشرفة بتجمل عظيم وبرق كثير وترتيب يعجز عنه كبار البكربكية وكان ذا همة عالية وأقدام عظيم واهتمام تام وبكرم نفس وشهامة وحسن تدبير ومعرفة وحنافة وفطنة وكان بيني وبينه سابقا اجتماع وما رأيت أحدا من الأمراء والوزراء والبكربكية مع كثرة من اجتمعت به منهم أجمل نظاما ولا أحسن ترتيبا وانتظاما ولا أدق فكرا ولا أعلى همة ولا أصدق وفاء منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة وبواء الفردوس الأعلى وأرضى عنه خصما . يوم القيامة وكان وصوله إلى بندر جدة في يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة الحرام سنة تسع وستين وتسعمائة فتوجهت إلى ملاقائه لسابق إحسانه إلى فرايته نزل بوظافة من خارج جدة من الجهة الشامية فقابلي بالاجلال والاكرام وركب من جدة إلى سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي نجم الدين محمد أبي نبي خلد الله سعاده وأيد دولته وسيادته وكان يومئذ نازلا في مر الظهران فقابله بالاجلال

والنعظيم والترحيب والتكريم ومد له سماطا عظيما ولاطفه وواكاه وأكرمه وباسطه وجابره فعرض على حضرته الشريفة ماجاء بصنوده فقبول بامتثال الأمر الشريف السلطاني وبذل الهمة والجهد في اتمام المهم المنيف الخاقاني وأنه يقوم بذلك بنفسه وولده واتباعه وخدمه ثم ركب من عند دخوله إلى مكة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أبو نبي صاحب مكة أدام الله عزه وسعادته وضاعف نصره وتأيدته وسيادته وأبدله الاجلال والاكرام وقابله الترحيب والاحترام وجابره ولاطفه وباسطه ووالفه وأقبل كل منهما على الآخر كمال الاقبال وتحاديا بغاية الأدب والاحلال واستمر معه إلى أن فارقه من باب السلام فدخل المسجد الحرام فطاف طواف القدوم وكان محرما بالحج وسعى بين الصفا والمروة وعاد إلى مجمع قايتباي وهو المحل الذي عين لتزوله ومد له من قبل السيد حسن مد الله تعالى طلال سعادته سماط عظيم جليل كبير فجلس عليه وأكل منه هو وخواصه وأذن لأهل الرباط والفقراء والفقهاء وعامة الناس فأكلوا وحملوا وفضل شيء أمر بتفريقه على الفقراء وألبس الذي مد السماط قفطانا من السراسر العال وأعطاه ذهبا كثيرا .

ثم جاء للسلام عليه سيدنا ومولانا رئيس الحرمين الشريفين وكبير البلدين المنيفين شيخ الاسلام مرجع العلماء الأعلام سيد السادات بيلد الله الحرام بدر الدنيا والدين مولانا السيد القاضي حسين الحسنى أدام الله عزه واقباله وخذ سعادته ودولته واجلاله ففرح به الأمير ابراهيم وقابله بالاجلال والتعظيم فعرض عليه أموره وأحواله واستشاره في سائر ما بدا له من أحواله فأشار عليه بالآراء الصائبة واعلمه بما ينبغي رعايته ومرعى جانبه وما يجب عليه ملاحظته من الأمور اللازمة الواجبة .

( وأول ما بدأ به الأمير ابراهيم ) تنظيف بعض الآبار التي يستقي الناس منها وأخرج ترايبها وزيادة حفرها لكثرة ماؤها وحصل للناس بذلك رفق كثير وشرع في جمع ما يحتاج إليه في عمله وتوجه للكشف عنه إلى أعلا عرفات وكثر ترده إليها وتفطنه لمجاريها ومثاقبها ومشاربها ومساربها والفحص عن أحوالها إلى أن



وصل الركب والمصري كان أمير الحاج يومئذ افتخار الأمراء الكرام عثمان بك  
ابن بكر بكى الين بكر بكى الحبشة ازدمر باشا وصار بعد ذلك عثمان بكر بكى  
الحبشة بعد وفاة والده وصار بكر بكى الين وأظهر اليد البيضاء في افتتاح  
مدينة تفر .

ثم صار بكر بكى الحسا ثم البصرة ثم قره آمد هو من البكر بكى الكرما  
الغضاء المتجملين المشهورين بالكرم والشجاعة ابقاه الله تعالى وصل إلى مكة قاضيا  
في ذلك الموسم مع الركب الشامي هو أعلم العلماء الموالى أفضل الفضلاء الأهل  
مولانا فضيل أفندي ابن مولانا علي جلي المفتى الجمالى هو من أجلاء العلماء العظام  
له التصانيف الحسنة المقبولة هو الآن أو تراق في الباب العالى مد الله تعالى ظلال  
أفضاله أفاض على الطلاب سحاب فضله وكاله حج الناصر حجة هنيئة وحج  
الأمير ابراهيم فرض حجه وعاد الحجاج إلى أوطانهم فائزين بالغفران والقبول  
حائزين لكل مطلب مأمول .

شرع الأمير ابراهيم فى الكشف عن دبول عين عرفات وضرب أوطاقه  
فى الأوجر من ادات نعمان فى علو عرفات وشرع فى حفر قعرها وتنظيف دبولها  
بهمة عالية جدا وكانت بمالكة القائمين فى خدمته نحو أربعمئة مملوك فى غاية  
الجمال والرشاقة والحداقة واللباقة وأقامهم فى هذا العمل من الأوجر إلى مزلفة وكتب  
نحو ألف نفس من العمال والبنائين والمهندسين والحفارين وجلب من مصر وبلاد  
الصعيد ومن الشام وحلب واصطنبول ومن بلاد الين طوائف بعد طوائف من  
المهندسين وخدام العيون والآبار والحدادين والبنائين والحجارين والقطاعين والنجارين  
وغيرها ممن يحتاج إليهم وأنى بآلات العمارة وصحبها معه من مصر من مكاتل ومساحي  
ومجاريف وحديد وبولاد ونحاس ورصاص وغير ذلك من الهمة القوية والأقدام  
الغمام والاهتمام وعين لكل طائفة قطعة من الأرض لحفرها وتنظيف ما فيها عن  
الدبول ليظهر فيها سعيه واجتهاده وكان يظن أنه يفرغ من هذا العمل الذى جاء  
بصدده فيما دون العام ويرجع إلى الأبواب السلطانية لينال المناصب العالية ويظفر  
بالمراتب السامية ويأبى الله إلا ما أراد وما كل ما يتمنى المرء يدركه من المراد

والسنة الأقدار تناديه من وراء الحجاب كيف الخلاص وإلى أين الذهاب واستمر على هذا الجهد والاجتهاد إلى أن اتصل عمله بعمل زبيدة إلى البئر الذي انتهى عملها إليها ولم يوجد بعده دبل ولا آثار عمل وضاق ذرعه بذلك وعلم أن الحطب كبير والعمل كثير وتحقق أن القدر الباقي من هذا العمل إنما تركته زبيدة اضطراراً بغير اختيار وعدلت عنه إلى عين حنين وتركت العمل من عند البئر لصلابة الحجر وصعوبة إمكان قطعة وطول مسافة ما يجب قطعه فإنه يحتاج من بئر زبيدة إلى دبل منقور تحت الأرض في الحجر الصوان طوله ألفا ذراع بذراع البنائين حتى يتصل بدبل عين حنين وينصب فيه ويصل إلى مكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الحجر فإنه يحتاج في النزول إلى خمسين ذراعاً في العمق وصار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع فيه حفظاً لناموس السلطنة الشريفة فما وجد الأمير إبراهيم حيلة غير أن يحفر وجه الأرض إلى أن يصل إلى الحجر الصوان ثم يوقد عليه بالنار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة في مقدار سبعة أذرع في عرض خمسة أذرع من وجه الأرض والنار لا تعمل إلا في العلو لكونها تعمل عملاً يسيراً من جانب السفلى مقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطاً من ذراع فيكسر بالحديد إلى أن يوصل إلى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة أخرى إلى أن ينزل في ذلك الحجر مقدار خمسين في العمق في عرض خمسة أذرع إلى أن يستوفي ألفي ذراع على هذا الحكم وذلك يحتاج إلى عمر نوح ومال قارون وصبر أيوب وما رأى عن ذلك محيصاً فأقدم عليه إلى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يجلب من المسافات البعيدة وغلا سعره وضاق الناس بذلك وتعب الأمير إبراهيم لذلك ووهبت أمواله وخدامه وأولاده وماليكه على ذلك إلى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل وصار كلما فرغ المصروف أرسل وطلب مصروفاً آخر إلى أن أصرف أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهباً من الخزانة العامة السلطانية وغرق له مركب كان فيه باقي تجملاته وخزائنه ونقوده وفيه جملة من عبيده وأسيابه وكان ينوف على مائة ألف ذهب في ابتداء أمره ثم مات له ولد طفل نجيب كان كان خلفه بمصر احترق عليه كثيراً ومات له ولدان مراهقان نجيبان فاضلان أخذ

بمجامع قلبه وفتنا كبده ثم مات كتنخدها وكان بمنزلة أمراء السناجق ثم مات أكثر مما ليك وهو يتجلد لتلك المصائب العظيمة ويتصبر عليها ويظهر الجلد فيها إلى أن ذهبت قواه وما بقي ريقه ولا دماؤه ونزفه الإسهال وورمته الأهوال وجاءه الأجل الذي لا يتقدم وأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر فمات غريباً شهيداً ومضى إلى ربه وحيداً فريداً في ليلة الاثنين ثاني رجب المرجب سنة أربع وسبعين وتسعمائة وصلى عليه عند باب الكعبة وكانت جنازته حافلة جداً وأسف الناس على فقده لكثرة إحسانه ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد إلى الأبطح في تربة كان أعدها لنفسه ودفن بها ولديه وخلف طفلاً وحملًا وبناتاً من أهل الخير كثيرة الصلاح والعبادة.

كان ذكر لي أن مولده سنة اثنين وعشرين وتسعمائة رضى الله تعالى عنه وأرضى عنه خصماه وأمنه يوم الفزع الأكبر وسقاه من حوض الكوثر.

ثم أقيم بعده في هذه الخدمة سنجق جده الأمير قاسم بك بإقامة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن صاحب مكة أدام الله تعالى دولته وسعادته وأمره بمباشرة العمل وعرض ذلك على الأبواب الشريفة السلجمانية فبرز الأمر الشريف السلطاني باستمرار قاسم بك المذكور في خدمة العين أميناً على مصارفها وأن يكون سيدنا ومولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام بدر الدنيا والدين السيد القاضي حسين المحسنى خلد الله تعالى ظلال سيادته وأبد قيام سعادته ناظراً على ما بقي من عمل عين عرفات إلى أن تصل إلى مكة المشرفة فاستمر الأمير قاسم مباشراً لتعاطي هذه الخدمة وكان لا يخلو من قصور الفهم وحب الاستقبال وبعض عناد وما أراد مولانا شيخ الإسلام معارضته فتركه على رأيه وما أراد الله أن يتم العمل الشريف على يد قاسم بك فكان ثالث الأمرين السابقين فطره الأجل وأدركه الحين وفاز بمرتبة الشهادة وصار من شهداء العين وانتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية قرير العين من ليلة خلت من رجب المرجب الفرد الأصعب سنة ست وسبعين وتسعمائة وصلى عليه عند باب الكعبة الشريفة ودفن بالمعلاة إلى جانب الأمير محمد بك الدفتر دار المتوفى قبله أمين العين

المزبورة واستوفت العين به ثلاثة من الأمراء السناجق سقام الله تعالى شرباً طهوراً  
وكان بهم برأ رحياً غفوراً .

ثم توجه سيدنا ومولانا شيخ الإسلام السيد القاضي حسين الحسنى مد الله تعالى  
ظلال أفضاله وأقام خيام عزه وعظمته واجلاله توجهها تاماً إلى تكميل ما بقى من  
عمل عين عرفات باعتبار ما بيده من النظر عليها حسب الأحكام الشريفة السلطانية  
النافذة في الأقطار والجهات وجد في الاهتمام وعرض على الأبواب الشريفة  
السلطانية السليمية بأن يكمل ذلك العمل سيدنا ومولانا شيخ الإسلام القاضي حسين  
المشار إلى خدمته آنفاً فأقدم بهمة العلية أتم أقدام إلى إكمال هذا العمل الشريف  
بالاهتمام فساعدته السعادة والإقبال على الاتمام والاكمال فأكمل العمل المبارك فيما  
دون خمسة أشهر بعد أن عجز عن إتمامه الأمراء المذكورون قريبا من عشرة أعوام  
وهلكت نفوسهم وأموالهم وخدامهم وما ظفروا بهذا المرام وذلك فضل الله يؤتيه  
من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فجرت عين عرفات وانفجرت بنايعها الجاريات ووصل الماء وهو يجري في  
في تلك الدبول والقنوات إلى أن دخل مكة لعشر بقين من ذى القعدة الحرام سنة  
تسع وسبعين وتسعمائة .

وكان ذلك اليوم عيداً أكبر عند الناس وزال بوصول ذلك الماء إلى البلد كل هم  
وبأس وعمل في ذلك اليوم سيدنا ومولانا المشار إليه اسمطة عظيمة في الأبطح بيستانه  
العظيم الأفيح وجمع بين الأكارب والأعيان في ذلك المكان ونصب لهم السرادقات والصبوان  
وذبح أكثر من مائة من الغنم ونحر هدة من الأبل والنعم وقدم للناس على طبقاتهم  
أنواع الموائد والنعيم وخلع على أكثر من عشرة أنفس من المعلين والبنائين  
والمهندسين خلعا فاخرة وأحسن إلى باقيهم بالانعامات الوافرة وتصدق على الفقراء  
والمساكين وأنعم على الكبراء والأساطين شكراً لهذه النعمة الجزيلة وحدا على  
هذه المنة الجميلة حيث أنعم الله بها على عباده وأحيا وأخصب منها خير بلاده وكان  
يوماً مشهوداً وساعة سعيدة وزماناً مسعوداً .

ثم جهز أخبار هذه البشارة العظمى وحصول هذه النعم الجزيلة الكبرى إلى  
الباب الشريف العالى السلطاني الأعظم والحقان الأكرم الأفخم السلطان سليم خان

سماه الله كؤوس الرحمة والرضوان من حوض السكوثر في أعلى غرفات الجنان إلى سرادقات ذات الحجاب الرفيع والستر السابغ المسبول المنيع صاحبة الخيرات ملكة المليكات بلقيس الزمان .

( حضرة خانم سلطان ) أدام الله تعالى ظلال عفتها وعصمتها وأسبغ أستار رفعتها وعظمتها فأنعمت الصدقات الشريفة السلطانية بالانعامات الجزيلة والترقيات الكثيرة الجميلة على سائر المباشرين والمتعاطين بهذه الخدمة الشريفة الجليلة وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار إلى حضرته الشريفه ترقيات عظيمة فصارت مدرسة السلطانية السليمانية بمائة عثمانى وما عهد ذلك لأحد من الموالي العظام في مدارسهم وجهزت إليه أنواعا من الخلع الشريفة الفاخرة وخوطب من قبل السلطنة الشريفة الخاقانية بالخطابات العالية الوفية السامية المتضمنة للشكر الجميل منه وأنه دخل في جملة خواص السلطنة الشريفة المشمولين بنظر عواطفها المنيفة وإنعاماتها الجزيلة الوريفة وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالي والأيام والأعمال الصالحات الباقيات التي لا يفنيها تكرر السنين والأعوام وما عند الله من تضاعيف الأجر والثواب فهو خير وأبقى عند أولى الألباب .

( ومن آثار المرحوم السلطان سليمان خان بمكة المشرفة المدارس الأربعة السليمانية ) وسبب ذلك أن الأمير إبراهيم أمير اجراء عين عرفات أسكنه الله من الجنة الغرفات عرض على الأبواب الشريفة السلطانية السليمانية وأنهى إلى الاعتبار العلية الخاقانية أن المناسب للشأن الشريف السلطاني وقدره العلي السامي السليمانى أن يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة أربع مدارس على المذاهب الأربعة يدرس فيها علماء مكة المشرفة علم الفقه ليكون سببا لاشتغالهم بعلم الشرع والدين ويرتفقون بوظائفها ويكون سببا لأحياء علم الشريعة ويسطر ثواب ذلك في صحائف السلطنة الشريفة فأجاب السلطان سليمان المرحوم إلى ذلك وبرزت الأوامر الشريفة السلطانية بعمل ذلك وعين لهذه الخدمة الأمير قاسم أمير جدة المذكورة آنفا وأن يبادر إلى عمل ذلك في أحسن الأماكن اللائقة لبناء هذه المدارس الجانب الجنوبي من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الشريف إلى باب الزيادة وكان به

البيمارستان المنصوري ومدرسة لصاحب كيانة السلطان أحمد شاه سلطان كجرات من أقاليم الهند وكان من أصحاب الخير الكثير شديد المحبة للعلماء كثير البر والصدقات وكانت المدرسة بيد مؤلف هذا التاريخ والبيمارستان المنصوري وأوقاف المؤيد للسلطان الملك المؤيد شيخ سلطان مصر من ملوك الجراكسة وعدة دور تتعلق بسيدنا ومولانا المقام الشريف العالي السيد حسن صاحب مكة المشرفة أدام الله عزه وإقباله ورباطا يقال له رباط الظاهر فاستبدل البيمارستان واستبدلت المدرسة برباط كان بناء الخواجه نجشى القرمانى ولم تثبت وقفيته فباعه ورثته فاشتري لجهة السلطنة الشريفه وجعل بدلا عن مدرسة السكينانية واستبدل رباط الظاهر برباط آخر في سويقة أحسن وأمكن فيه ووقف موضعه بدلا عنه .

( وأما الدول التي لسيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أدام الله تعالى عزه ودولته فقدمها جميعها للسلطنة الشريفه واستبدلت أوقاف المؤيد بضياح قرى في الشام اختارها ذرية المؤيد الموقوف عليهم وكتب مستنداتنا وحججها وشرع الأمير قاسم في هدمها وطلب العلماء والصلحاء والاشراف ووضعوا الأساس فتقدم قاضي مكة المشرفة يومئذ قدوة العلماء الأمانى وصفوة العلماء الموالى مولانا شمس الملة والدين أحمد بن أحمد بن محمد بك النشائجى عظم الله تعالى شأنه ورفع قدره ومكانه ووضع بيده الشريفه الأساس وتبعه من حضر من العلماء والسادات وأعيان الناس ووضع كل واحد منهم حجرا في ذلك الأساس وكان يوما مشهودا مباركا مسعودا وذلك لليلتين خلتا من رجب المرجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وكان عمق الأساس عشرة أذرع وعرضه أربعة أذرع بذراع العمل ووضع فيه صغار كبار جدا وأحكموا الأساس أحكاما قويا واستمر قاسم بك في بذل الجهد والإجتهد مشدود الوسط كأنه بعض العمال يجرى بعصاه من أول العمل إلى آخره بقوة وجلادة من غير دقة فهم ولا لطف طبع مع الجلالة والغلط والاستبداد بالرأى وعدم المشاورة وعدم الاصغاء إلى رأى أحد فاتم بناء المدارس الأربع في غاية الأحكام في بعض الجدارات من غير تنسيق وعمل بها مأذنة عالية أحسن فيها ووقف لسقوف المدرسة ولدور ايوانها خشبات عتيقات

واهيات تكسرت وسقطت بعد وفاته وجددها مولانا شيخ الاسلام على وجه الاتقان والإحكام وكتب قاسم بك بعض طرازها بخط ردى منحط وبعضه بخط رائق فائق لكونه أميالا يعرف الكتابة ولا يصغى إلى كلام أحد وصارت الأحكام تتوارد إليه بالاستعجال والاهتمام وهو يستعجل في الإتمام وعين المرحوم سليمان عليه الرحمة والرضوان وظائف المدرسين والطلبة وغير ذلك من أوقافه بالشام وعين لكل مدرسة خمسين عثمانيا في كل يوم وعين للمعيد أربعة عثمانية في كل يوم ولكل مدرس خمسة عشر طالبا لكل طالب عثمانين وللفراش وكذلك وللواب نصف ذلك يجهزها في كل عام ناظر الأوقاف السلمانية بالشام مع الراكب الشامى إلى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين ولم تكمل المدارس الأربعة إلا في دولة السلطان الأعظم مالك المالك الترك والروم والعرب والعجم السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والرضوان فأنعم بالمدرسة المالكية السلمانية وهي رأس المدارس الأربعة على سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء والموالى العظام قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضى حسين الحسنى أدام الله فوائده على الدوام بخمسين عثمانيا ثم رقاها إلى أن صارت مدرسة بمائة عثمانى. وأنعم بالمدرسة الحنفية السلمانية على مؤلف هذا الكتاب بخمسين عثمانيا في أواسط جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة فقرأت فيها قطعة من الكشاف والهداية وقطعة من تفسير المفتى الأعظم مولانا أبى السعود العمادى بواه الله غرفات الجنان وأنزل عليه شآبيب المغفرة والرحمة والرضوان وقرأت فيها درسا في الطب ودرسا في الحديث وأصوله وإنى أدرس الآن تكميل شرح الهداية للعلامة الكمال ابن الهمام الذى كمله لأن علامة علماء الاعلام فهامة فضلاء الموالى العظام مالك ناصية العلوم وفارس ميدانه وحاز قصبات السبق في جلبة رهانها فريد دهره في التحقق والاثقان ووحيد عصره في التدقيق والايقان صاحب التصانيف الفائقة التى سارت بها الركبان وتداولتها العلماء في سائر البلدان الكريمة المحسن إلى محبيه غاية الاحسان مولانا شمس الملة والدين أحمد المعروف بقاضى زاده أفندى قاضى العسكر بولاية أناظولى أظهر الله على قلبه ما خفى ودق عن الافهام وأفاض من زلال الفاظه العذبة ما يروى أكباد العلماء الاعلام ذكر فيه من التحقيقات ما فات ابن

الهمام وقلد أعناق مذهب النعمان قلاند در منسق النظام ومد لطلاب العلم الشريف  
موائد فوائد وضعها لهم على طرف الشامم وأورد فيه من خاصة طبعة الشريف  
ثلاثة آلاف تصرف من بنات أفكاره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل  
العظيم ولا شك أن ذلك فيض من الله الكريم أفاض به من خزائن جوده العجيم  
فشكر الله صنيعه الجميل وأثابه على ذلك مزيد الأجر والثواب الجزيل ونفع بتأليفه  
سائر طلبة العلم الشريف وأبقى في صفحات العالم كتابه المقيد اللطيف إلى أن يرث  
الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ولقد أحسن إلى في أيام صدارته ورباني  
لدى الحضرة السلطانية فرقاني السلطان الأعظم والخاقان الأكرم السلطان مرادخان  
خلد الله سلطنته مدا الزمان فصارت مدرستي بهمه بستين عثمانيا جزاء الله تعالى عنى  
أفضل الجزاء وأوسع عليه من خزائن فضله وكرمه واسع الخير والعطاء .  
وأنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لأقراء مذهب  
الشافعية بمكة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانيا فدرس فيها كتب فقه  
الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وأحيا فقه الشافعية بها كما شرطه  
السلطان سليمان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وغمره في الرحمه والاحسان .  
وأما المدرسة الرابعة السلطانية السليمانية فقد جعلها المرحوم الواقف لأحياء  
مذهب الامام أحمد بن حنبل فعُدل عنه إلى علم الحديث الشريف وجعلت تلك  
المدرسة دار الحديث بخمسين عثمانيا يقرأ فيها الصحاح الستة فرحم الله السلطان  
سليمان وأثابه على مقاصده الجميلة من اسداء الخيرات واقتناء الثوبات بأحياء  
العلوم الشريفة المطهرة وسائر الباقيات الصالحات أعلا غرفات الجنات والنظر إلى  
وجهه الكريم في أعلا مراتب السعادات الآخروية الباقيات وهذا الذي ذكرناه  
بعض ما فعله من الحسنات ولو أردنا استيفاء ما فعله من الخيرات لاحتجنا إلى عدة  
مجلدات فعدلنا إلى ما ثبتناه في هذه الورقات ووكنا ما عداه إلى المشاهدات فليس  
الخبر كالمعاينات (١) .

(١) ومن آثار السلطان سليمان بن سليم خان رحمهما الله تعالى أنه أمر بعمل منبر من  
الرخام الجميل يصنع على شكل لطيف بديع للمسجد الحرام وبمد عمله وإكاله بعث به إلى مكة  
للمشرفة فوضع بجوار مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمام الكعبة المعظمة وذلك سنة ست  
وستين وتسعمائة هجرية وهو المنبر الموجود في عصرنا الحاضر الذي لا يزال قائماً كالعروس  
وقد مر عليه أكثر من أربعمائة سنة وهو يعد آية من آيات الفنون الجميلة التركية وهذه صورته





صورة منبر المسجد الحرام

## الباب الثاني

في دواة السلطان الأعظم الخاقان الملك الأكرم

الأخيم العثماني صاحب الخيرات الجارية والجوامع والمباني السلطان سليم خان

تعمده الله بالرحمة والرضوان وسقى ضربحه زلال الكرم والعفو والغفران

وحفه بروائح الروح والريحان

كان مولده الشريف في سنة تسع وعشرين وتسعمائة وجلوسه الكريم على تخت ما-كه الشريف بالقسطنطينية العظمى في يوم الاثنين لتسع مضمين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة ومدة سلطنته الشريفة تسع سنين وسنة حين تسلطن ست وأربعون سنة وعمره كاه ثلاث وخمسون سنة وبعد ثلاثة أيام من جلوسه على التخت الشريف إلى سكتوار لحفظ العساكر الإسلامية المجاهدين في سبيل الله في حلق بلاد الكفر مشغولين بفريضة الجهاد بغاية الجد والاجتهاد وسار سيرا حثيثا إلى أن وصل ركابه الشريف السلطاني إلى سردخد يقال له سرم فلاقتهم عروض الوزير الأعظم آصف الزمان ( محمد باشا أنعش الله بوجوده الوجود انعاشا ) وتتضمن هجوم الشتاء وتيسر فتح قلعة سكتوار وفتح مردة الكفرة للفجار والنمس الاذن الشريف للمسكر المنصور الخاقاني بالعود إلى الأوطان واستمر الركاب الشريف السلطاني بذلك المكان إلى أن وصل مع بقية الوزراء وأركان الدولة إلى اثم الركاب الشريف السلطاني والاكتحال بتراب الباب الشريف الخاقاني وبعد ذلك يعودون في الخدمة الشريفة الخاقانية إلى مقر التخت الشريف السلطاني بالقسطنطينية العظمى فأجيب حضرة الوزير الأعظم إلى ما أشار إليه واستقر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل والقرار عليه إلى أن ورد حضرة الوزير الأعظم المشار إلى حضرته عليه وباقي الوزراء من أركان الدولة الشريفة السلطانية وقبلوا الركاب

السلطاني وهنوه بالملك الشريف الخاقاني وعادوا في خدمة السلطنة الشريفة إلى اصطنبول بغاية الأمن واليمن والبشر والقبول عند الوصول وعند الوصول إلى باب السرايا السلطاني حصل من رعا عسكر وغوغام سوء مدافعة وممانعة عن الدخول إلى السرايا الشريفة وطلبوا عادتهم عند تجرد السلطان أدت إلى سوء أدب من بعض جهالمهم فجاء المرحوم المفتي الأعظم رئيس العلماء الأعلام وكبير كبراء الموالي العظام مولانا أبو السعود أفندي العمادى ثبت الله تعالى خطاه في الجنة وأفاض عليه سبحانه الأجر والثواب والفضل والمنة فوعظ العسكر وألان لهم الكلام والتزم لهم عوائدهم وتراقباتهم وعطاياهم العظام فلانوا بعد القسوة واستغفروا من تلك الهفوة وصحوا من سكر الجهالة واهتدوا بعد الضلالة ودخل حضرة السلطان الأعظم إلى سراية الشريف وجلس على تخته العالى المنيف ووفقا للعسكر بما التزم لهم به حضرة الفقيه الأعظم وأفاض إحسانه عليهم وانعم وانصرف في ذلك خزان عظيمة لا تحصى ووزع عليهم من المسجد والورق مالا يحصى ولا يستقصى وأمر بقتل بعض من كان سببا لهذه الغوغاء من السفهاء وسكنت الفتنة والله الحمد على جزيل النعماء وله الشكر على جميع الآلاء وله الحمد في الآخرة والأولى ودخل عليه العلماء العظام للتهنئة بالملك والتحية والسلام ثم أركان الدولة على قوائينهم وحصل لهم بحسب مراتبهم والاجلال والاكرام وقرت عيون الأنام بكمال الأمن والاطمئنان وتمام حسن النظام .

ثم جهزت البشائر السلطانية إلى الممالك الشريفة العثمانية بالخلع الشريفة الخاقانية فحصل لنواب السلطنة الشريفة كمال الفرح والسرور وتمام البشر والخبور بانتظام الأمور ووصلت التهنئة من ملوك الأطراف بالتحف والهدايا اللطيفة الظراف وقرت العيون وزالت الغبون واستقرت الخواطر والظنون وكان سلطانا كريما ورفا بالرعية رحيم عفا عن الجرائم حليما محبا للعلماء والصلحاء محسنا إلى المشايخ والفقراء كان إحسانه يصل إلى فقراء الحرمين وهو شاه زاده وتصل تشاريفه وكساويه في كل عام إلى العلماء والفقهاء وكان يصل إلى إحسانه وكسوته في كل سنة وبعد أن ولي السلطنة الشريفة لم يقطع عادة إحسانه واستمر يصل إليهم ذلك في كل عام بحيث أضيف ذلك إلى دفتر الصرة الرومية ويقسم كل سنة على حكمه

السابق إلى الآن فهو الملك الهام المحسن المنعم الفائض الاحسان والانعام طال ما طافت بكعبته الآمال وصدع بأوامره الليالي والأيام قاتمرت وغرس في رياض السعادة غروس أشجار السيادة فبسقت وأثمرت وعمر بحسن نظره أرجاء البلاد فتحدثت بعد الخراب وعمرت ودمر بسياسة أركان الظلم فخربت ديار الظالمين ودمرت كم أظهرت لسواد الكفر يد صارمه البيضاء آية للناظرين وكم جهزت جيوشاً للجهاد في سبيل الله فقطع دابر القوم الكافرين .

فمن أكبر غزواته فتح جزيرة قبرص بسيف الجهاد . ومنها فتح تونس الغرب وحق الواد . ومنها فتح بمالك اليمن واسترجاعها من العصاة البغاة أهل الاحاد .

ومن خيراته تضييف صدقة الحب وإرساله مدة سلطنته إلى الحرمين الشريفين ومنها الأمر ببناء المسجد الحرام زاده الله شرفاً وتعظيماً وكل ذلك من الآثار العظيمة والمزايا الفاضلة الكريمة فانذكرها بطريق الاجمال لضيق المجال .

( فأما قبرس ) فانها بالسين لا بالصاد كما يغلط فيه العوام جزيرة في البحر قال الفقيه العدل المفتي أبو عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري في كتابه الروض المعطار في أخبار الأقطار قبرس جزيرة على البحر الشامي كبيرة القطر مقدارها مسيرة ستة عشر يوماً وبها قرى ومزارع وأشجار وزروع ومواشي وبها معدن اليرمع القبرسي ومنها يجلب إلى سائر الأقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس إلى طرابلس الشام يومان في البحر وقبرس على عم الأيام رخاها شامل وخيرها كامل وكان معاوية غزاها وصالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنقضوا العهد عليه فغزاها ثانية فقتل وسبي شيئاً كثيراً :

وروى أنه لما افتتحت قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبي فيما بينهم بكى أبو الدرداء وتنحى عنهم ثم اختبى بحمال سيفه ودموعه تجري على خديه فقيل له أتبكي في يوم أعز الله فيه الاملام وأهله وأذل الكفر وأهله فغضب على منكبيه وقال ويحك ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره فبينما هي قوة ظاهرة وقدرة قاهرة على الناس إذا تركوا أمره فصار حالهم على ماترى من السبي والاهانة وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة أيام وبينها وبين جزيرة رودس مسافة يوم واحد

وانما سميت جزيرة قبرس بوثن كان هناك يسمى قابوس كان يعظمه الكفار ويعظمون  
 لأجله جزيرة قبرس وأهل مدينة قبرس موصوفون بالغنى واليسار وبها معادن  
 الصفر ويجمع في اللادن الحسن الرائحة الذى يغلب العود فى طيبه وهو الذى يجمع  
 منه على الشجر خاصة وكان يحمل إلى ملك القسطنطينية لأنه أفضله وما يجمع منه  
 مما يتساقط على وجه الأرض يبيعونه للناس وكانت أم حرام بنت ملحان الصحابية  
 رضى الله عنها شهدت غزو قبرس فتوفيت بها وأهل قبرس يتبركون بقبرها ويقولون  
 هو قبر المرأة الصالحة وكانت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو لها الله  
 عز وجل أن يجعلها من الذين يركبون ثبج البحر فى سبيل الله ففعل وهو حديث  
 معروف وكان الاوزاعى يقول أنا نرى هؤلاء يعنى أهل قبرس أهل عهد وأن  
 صلحهم وقع على شىء فيه شرط لهم وشرط عليهم وأنه لا يسعهم نقضه الا بأمر  
 يعرف به غدرهم ورأى عبد الملك بن الصلاح فى حدث أحدثوه ان ذلك نقض  
 لهم فكتب إلى عدة من الفقهاء يشاورهم فى أمره منهم الليث بن سعد وسفيان  
 ابن عيينة وأبو اسحق الفزارى ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه وأجاب كل واحد  
 بما ظهر له قالوا وانتهى خراج قبرس الذى يؤدونه إلى المسلمين بعد المائتين من  
 الهجرة إلى أربعة آلاف وسبعمائة ألف وسبعة وأربعين ألفا انتهى ما ذكره  
 صاحب الروض المعطار .

قلت وقد تقدم ما نقلناه انها افتتحت فى أيام دولة الجراكسية فى سلطنة الملك  
 الأشرف برسباى الدقماقى وأسر ملكها فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة فكان أهل  
 قبرس فى أيام الدولة الشريفة العثمانية مهادين يدفعون إلى الخزانة العامرة السلطانية  
 ما كان مقررا عليهم غير أنهم أخذوا فى المكر والخداع وإظهار الاطاعة والوفاق  
 واخفاء الغدر والشقاق فصاروا يقطعون الطريق فى البحر على المسلمين وإذا أخذوا  
 سفينة من سفائن المسلمين قتلوا جميع من ظفروا به فى تلك السفينة لاخفاء ما فعلوه  
 وصاروا يؤون قطاع الطريق من النصارى ويساعدونهم على المسلمين إلى أن كثر  
 أذاهم وعم ضررهم فاستفتى المرحوم السلطان سليم خان من المرحوم مفتى الاسلام  
 مولانا أبى السعود أفندى العمادى رحمهما الله تعالى فأفتاه بأنهم غدروا ونقضوا  
 العهد وأن قتالهم جائز بسبب ما ارتكبوه من الغدر والخيانة فجهز عليهم حضرة

السلطان سليم جيشا كثيفا وعسكراً منصوراً منيفاً أرسلهم من البر وعمارة عامرة من جانب البحر وجعل سردار الجميع حضرة الوزير المعظم والمشير المفخم نظام العالم مدبر مصالح جماهير الأمم قائد جيوش الموحدين قاهر جيوش الكفار والملحدّين اعتضاد الملوك والسلاطين المنصوص بعناية رب العالمين ، حضرة مصطفى باشا اللالا ، زاده الله عزاء وإجلالا وسعادة وسيادة وإقبالا وأيده النصر المبين والفتح القريب إسعاداً وإجلالا فامثل الأمر الشريف السلطاني وبرز محفوقاً بالنصر الصمداني والعمون الرباني ومعه عسكر جرار من كل بطل مغوار ملأوا وجه الأرض برأ وبجراً كأنهم قطعة نار مضطربة أو شد حرا ايان سلكوا ادهكوا وملكوا وايا صدقوا من الاعداء سفكوا وفتكوا وضربت طبول النصر فكانت كنفخ الصور وانتشرت العساكر المنصورة فشاهد يوم الحشر والبعث والنشور وتوجه حضرة الوزير مظفراً مؤيداً منصوراً وسعى إلى جهاد الكفار وكان سعيه مشكوراً وطوى المراحل والمنازل وهو يطوى الأرض طيا ويغزي بسيف عزمه أديم المهامة والمناهل فربا إلى أن وصل ركابه العالی ومن معه من الجيش المنصور المتوالى إلى جزيرة قبرس فأحاط بقلاعها أحاطة الخاتم بالأصبع وفرق الجنود على حصونها فكانت من كل حصن أحكم وأمنع وقد تحصن بها الكفار واعتصموا بقللها وأحكموا خنادقها وأرعدوا مسالكها سهلها وجبلها فارتجت بوصول تلك العساكر المنصورة حصون تلك الجزيرة وقلاعها وتزلزت جبالها ورمالها وأصقالها وبقاعها .

وكان من أحكم الحصون المشيدة ثلاث قلاع في غاية العلو والارتفاع ونهاية القوة والمنعة والامتناع شائخة البنيان راسخة الأركان .

وأقواها قلعة ماغوسالا يحلق عليها من الطيور إلا النسران ولا يوازن أبراجها من بروج السماء إلا الميزان تلامس في العلو الشهوق نجوم الثريا والعيوق وتوازي بناء الأهرام في الاتقان والأحكام بل تزيد عليها وتفوق لا تبالى بضرب المكاحل والمدافع ولا يوهنها قرع المقارع والمقامع مشحونة بآلات الحرب من جميع الأنواع علوة بالمقاتلة وأهل القراع محشوة بأجلاف النصارى الأبطال أهل الصياد والصراع وفيهم من الرماة من يرمى على الحدق ويحرر فلا يخطئ من الدرع الحلق

وعندهم المياه والفواكه والأقوات والزرع والسباتين ومن دونهم خنادق عريضة نازلة إلى تخوم الأرضين محمية بالمدافع الكبار ترمى من أعلى القلاع إلى من يقرب منها بالليل والنهار فأحاطت العساكر المنصورة السليمانية بتلك البقاع والحصون وناوشوهم القتالي وأذاقوهم كؤوس ريب المنون وقائلهم المسلمون بالليل والنهار وقابلهم الموحدون برمي المدافع الكبار بالأصائل والاسحار فيكاد النهار أن ينقلب ليلا بدخان البارود البارق والليل أن ينقلب نهاراً بيوارق قناديل البنادق الصواعق فحاصروهم المجاهدون في سبيل الله وضيق عليهم جنود الاسلام الغزاة ورموا بالمدافع الكبار السلطانية عليهم فخطمت دورهم وهدمت قصورهم فصارت بيوتهم قبورهم وحكسرت ظهورهم فافتتحت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم قلعتان وبقيت القلعة وهي ماغوسا وفيها سلطانهم محصور وكل محصور مأخوذ مأسور فثبت وأظهر الجلد وكابد في محاصرته أنواع الكمد إلى أن وهنت قواه وذابت كبده وحشاه واضطر إلى طلب الأمان والتذلل لحضرة الوزير الرفيع الشأن المعظم المسكين وأعطاه الأمان وشرط عليه أن يفلت من عنده من أسارى المسلمين ويدوس البساط السلطاني لئتم له التأمين ويحصل له التطمين قوافق على ذلك وأطلق الأسرى وحضر ليقابل حضرة الوزير المعظم جبراً وقسراً فأخبر بعض الأسرى أنه خان بعد انعقاد الأمان وقتل جماعة من المسلمين وفعل هذه الخيانة سرا فلما علم حضرة الوزير المعظم أن ملكهم قد خان طلبه إلى بين يديه وأهانته غاية الهوان وركب وحمل غاشية السرج وأمره أن يمشى قدماه كسائر الغلمان ثم ضرب عنقه لخيانته ونقض عهده وأخذ أمواله وذخائره وقتل من أراد واستأسر واسترق من أراد وصارت قبرس دار السلام وأضيفت إلى سائر الممالك الإسلامية العثمانية باجتهاد هذا الوزير المعظم وأصابة رأيه وتديره الصائب الاتم وما بلغنى تفصيل ما وقع في هذه الغزوة وما أمكنني تحقيقها وأردت كثير أفرادها بالتأليف وذكر ما وقع فيها فلم أظفر بذلك فان أظفر لي الله تعالى بالاطلاع على أكثر مما ذكرته ههنا أجعل له تاريخاً مستقلاً واسع المجال لطيف المفاهمة بليغ المقال إن شاء الله تعالى .

(وأما فتح بلاد اليمن) فان إقليم اليمن من صنعاء إلى عدن كانت داخلة في الممالك السلطانية العثمانية في أيام دولة المرحوم السلطان الاعظم سليمان خان

أسكنه الله تعالى فردوس الجنان وحف روضته الطيبة الطاهرة بالروح والريحان وكان أول فتحها الخاقاني على يد الوزير المعظم سليمان باشا الخادم بكر بكى مصر لما توجه إلى الهند لغزو الفرنج الغرتقال في سنة خمس وأربعين وتسعمائة وأقام بكر بكيا واستمر كذلك في تصرف البكر بكى الذى يولى من الباب الشريف السلطاني يتولاها واحدا بعد واحد إلى أن صارت مملكة اليمن واسعة يمكن أن يولى في أعلاها في الجبال من أعلاها إلى تغربكر بكى ويولى في التمام وهي زيد وسائر السواحل والبنادر بكر بكى آخر وكان هذا عين الخطأ فإن ذلك مظنة الاختلاف والجدال كما قال الله الكبير المتعال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فقبل عرضه في الباب العالى قصدا إلى تكثير المناصب وتعيد البكر بكية فولى على اليمن وجبالها المرحوم مراد باشا وكان يقال له كورمراد لخلل كان يأخذ عينيه وكان خرج من السراى السلطاني وكان من أمراء السناجق وصار أمير الحاج الشامى ثم ولى سنجق غزة ثم أعطى نصف مملكة اليمن .

وولى جهة التمام لحسن باشا وهو أيضا من المماليك السلطانية برز من السراى السلطاني فانقسمت عساكرها وأموالها ومحصولها إلى نصفين وضعف أمر كل واحد وكان مطهر بن شرف الدين يحيى الزيدى يعقله وسولت له نفسه العصيان وكانت داعية العصيان مضمرة في خاطره فصادف القسام المملكة وصول وفاة المرحوم السلطان سليمان خان فأظهر العصيان هو ولقيفه من العربان وجهز أميرا من أمرائه يقال له على بن شويح وجمع عليه العربان فقطعوا الطريق على مراد باشا في محطة دمار وهو غافل عن عصيانهم وكان قاصدا من تغر إلى صنعاء وهي محصورة بالعربان الزيديين فعدموا عليق الخيل وخلوا من الطعام بالسكية وكلما أرسل من طائفته من يأتيه بالغلال والميرة قطعوا عليه الطريق وقتلوه فلما زاد به هذا الأمر فطن بعصيان العربان رجع مراد باشا إلى تغر وسلك وادى خيان وهو محل وعربين جبلين عالين في غاية الوعورة والصعوبة عسر المسلك كثير المهلك فلما توسطوا بين هذين الجبلين وقد امتلأت قللها كالجراد المنتشر ورموم بالأحجار والاصحار الكباز والصغار وأطلقوا عليهم المياه فصار مراد باشا وعسكره يخوضون في ذلك الماء وقد ازدحموا



على محل الخروج وهو مكان ضيق سدته الجمال والأجمال وليس لهم منعة ولا لهم  
نجده ولا خيلهم قوة ولا قدرة على الجولان فاستسلموا للقتل وقتل منهم من دنا  
أجله وخرج مراد باشا ومعه عشرون سنجقا سلبتهم العربان وتركوا كل واحد منهم  
عربانا في لباس وسائر بدنه مكشوف فأووا إلى مسجد يقال له مضرخ وعيون المنايا  
تسرح إليهم وتطمخ فوصل إليهم شيخ مضرخ وكان له ثار قديم عند الأروام كان  
سليمان باشا صلب إياه لما افتتح عدن فصاخ وأثاراه وقتل مراد باشا وأرسل رأسه  
إلى مطهر وقيد الأمراء وقدمهم إلى مطهر فلم يقتلهم بل حبسهم في مطامين تحت الأرض  
ومات بعضهم من الضيق والضعف وخلص من له بقية عمر بعد ذلك واستمر أمراء  
مطهر يأخذون جبال الين إلى أن أخذوا صنعاء وتغر وحصن حب وعدن وعجزوا  
عن أخذ زبيد صانها الله بالأولياء والصلحاء وبها شرذمة قليلة من الأروام مع  
حسن باشا مع ظله وغشمه لأهل زبيد ومصادرته لكل زبيد ووصل لأخذها  
علي بن شويح ومعه فوق خمسين ألف مقاتل وحط خارج زبيد فخرج إليه بقية  
العسكر السلطاني وهم نحو مائتي فارس وبرزوا القتال هذا الجمع الغفير وكم من فئة  
قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين وحملوا على علي بن شويح وقد  
ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة فزلت أقدامه وفر هاربا وسقط من فرسه في هزوبه ولحقه  
جماعة من الأسباهية أرادوا قتله فلحقه عبد من عبيده بفرس فركب وهرب ونجا  
بنفسه لاتجاه الله وسمع من مقابر زبيد أصوات مدافع ترمي عليهم من غير أن يرى  
شخص فنصر الله المؤمنين على أولئك الملحدين في الدين وقتل منهم ما لا يعلم عدده  
إلا الله تعالى وغنمت العساكر وطاقهم وأمحاهم وأثقالهم وولوا على أدبارهم أجمعين  
ولم يقدموا بعد ذلك عن زبيد كأنها عليها حصن من حديد من عند الله العزيز الحميد  
فلما أحاطت العلوم السلطانية بما وقع من هذا الاختلال في الين برزت الأوامر  
السلطانية الشريفة إلى بكربكي مصر يومئذ الوزير المفخم نظام العالم صاحب السيف  
والقلم مدير مصالح جماهير الأمم فاتح ممالك الين الأيمن من كوكبان إلى عدن وقالع  
قلاع حلق الواد وأخذ بلاد تونس الغرب ودافع الكفر عنها والمحن ليث عربن  
الوطيس افتراسا وأشدم بأسا وجاشا الوزير المعظم سنان باشا أنعش الله به الوجود

والدين الحنيفي انعاشا وأيد بنصره أهل السنة السنية وفرش الارض بمعدته فراشاً  
فانه أسد ضرعام وإيث ققام وحسام صمصام وكريم محسن فائض الجود والاكرام  
جواد بذول لم ينحن الهلال ألا ليكون هلالاً في حافر جواده ولا مدت الثريا  
كف الخصب إلا للتمسك بذيل أفضاله وأمداده ولا فتحت الروى أفواها إلا  
لتنطق بمدحه السنة الأقلام ولا حبر الحبر بياض الطروس إلا ليشير أن الليالي  
والايام له من جملة الخدام طال ما طوق الاعناق أطواقاً من الافضال والانعام كأنها  
أطواق الحمام وكثيراً ما أحسن إلى العلماء والصلحاء من جيران بلد الله الحرام  
وجيران سيد الانبياء والرسول الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وكنت  
من شملتي بره وإنعامه ووصل إلى في أكثر الأيام إحسانه وإكرامه فخلدت ذكر  
محاسنه في صفحات الكتب ورقمت كرائم صفاته في صفحات الاوراق لا يخلقها  
الجديدان ولا يبليها الدهر الغابر وكتبت باسم الشريف تاريخاً حافلاً سميته البرق  
اليماني ذكرت فيه أحوال اليمن من سنة تسعمائة واستيلاء حسين الكردي وظائفة  
الچراكسة .

ثم اللوند إلى زمن الفتح العثماني على أبو زيد سليمان باشا ثم استيلاء الزيديين  
جيوش مطهر بن شرف الدين ثم الفتح العثماني ثانياً على يد الوزير المعظم سنان باشا  
أدام الله نصره وجلاله وخلص سعادته وإقباله على سبيل التفصيل وكنت صدرت  
ذلك التاريخ بقصيدة طنانة من نظمي الطنان سارت بها الركبان وتلقتها بالقبول  
أدباء علماء البلدان أجبت إيرادها ههنا لبلاغتها عند علماء البيان وفصحاء اللسان  
تسابق ألقاؤها ومعانيها إلى الآذان والأذهان تسابق أفراس الرهان بعد كل ميت  
منها بديوان وتسحب كل كلمة منها إذبال البلاغة على سحبان وهي هذه :

|                                  |                                |
|----------------------------------|--------------------------------|
| لك الحمد يا مولاي في السر والجهر | على عزة الاسلام والفتح والنصر  |
| كذا فليكن فتح البلاد إذا سعت     | به الهمم العليا إلى شرف الذكر  |
| جنود رمت في كوكبان خيامها        | وأخرها بالنبل من شاطئ مصر      |
| يجر من الابطال كل غضنفر          | بصارمه يسطو على مفرق الدهو     |
| عساكر سلطان الزمان مليكننا       | خليفة هذا العصر في البر والبحر |

وبيض المواضى والمثقفة السمر  
 تلقاء عن أسلافه السادة الغر  
 أولو العزم فى أزمانهم وأولو الامر  
 من الكفر منهم يستمد ضياء البدر  
 فقرت عيون العالمين من البشر  
 وسلطاننا فى الملك واسطة الدر  
 سليم كريم أصله طيب الفخر  
 وسيد منبع الأنام من الكفر  
 من بين الأقصى أصر على القهر  
 يدك جبال الأرض فى السهل والورع  
 طوال الرماح السمرية والبشر  
 يجهز فى أن جيوشا من الفكر  
 يسد جيوش الدين بالأيدي والأزر  
 ولكنها بالجود جابرة الكسر  
 وأضحى الدين منشرح الصدر  
 ألم تره فى مصر أحكامه تجرى  
 ومهد ملكا قد تمزق بالمشر  
 مثال قرود فى الجبال من الدهر  
 لهم باطن السرحان والطير كالقبر  
 بدا من صنيع الملاحدين من السحر  
 ولا برحوا فى الدل بالقتل والأسر  
 وناهيك من ملك قديم ومن فخر  
 بنو طاهر أهل الشهامة والذكر  
 ويأخذه من آل عثمان بالمكر  
 وسر أمير المؤمنين أبى بكر

حتى حوزة الدين الحنيفى بالقنا  
 له فى سرير الملك أصل مؤئل  
 ملوك تساموا للعلا وخلائف  
 شمس يفيض النور تمحو غياها  
 هم ملؤا عين الزمان وقلبه  
 هم العقد من أغلا اللالى منظر  
 شهشهاه سلطان الملوك جميعهم  
 عماد يلوذ المسلمون بظله  
 وحين أتاه ان قد اختل جانب  
 وساق لها جيشاً خيسا عرمرما  
 لهم أسد شاكى السلاح عرينه  
 وزير عظيم الشأن ثاقب رأيه  
 يقوم بأعباء الوزارة قومه  
 أياد له بالناس كاسرة العدا  
 به أمن الله البلاد وطمن العباد  
 سنان عزيز القدر يوسف عصره  
 تدلى إلى أقصى البلاد بجيشه  
 وشتت شمل الملاحدين وردم  
 وقطع رؤسا من كبار رؤسهم  
 وكان عصى موسى تلقف كلبا  
 ولا زال فيهم عامل الرمح عاملا  
 وما يمن إلا ممالك تبع  
 وقد ملكتها آل عثمان إذ مضت  
 فهل يطمع الزيدى فى ملك تبع  
 أبى الله والاسلام والسيف والقنا

(ولما تم الفتح الخاقاني العثماني) في القطر اليانعي عاد الوزير المعظم إلى بلد الله المكرم وحج حجة الاسلام وزار المزارات العظام وصادق الحج الأكبر وكانت الوقفة الشريفة يوم الجمعة أفضل الأيام وأثر ببلد الحرام أنواع الخيرات والانعام وأحسن إلى أهل الحرمين الشريفين ومن حضر فيها من حجاج الأنام وقابل شرفاء مكة أدام الله عزتهم وسعادتهم بالاعزاز والاحترام فمن آثاره الخاصة به في المسجد الحرام :

تعمير حاشية المطاف وكانت من بعد أساطين المطاف الشريف دائرة حول المطاف مفروشة بالحصى يدور بها دور حجارة منحوتة مبنية حول الحاشية بالحجر الصوان المنحوت فقرشت به في أيام الموسم وصار محلا لطيفا دائرا بالمطاف من بعد أساطين المطاف وصار ما بعد ذلك مفروشا بالحصى الصغار كسائر المسجد خاص به ذكره الله بالصالحات وأدام الله العز والسعادات .

ومنها تعمير سبيل في التنعيم أنشأها وأمر باحراء الماء إليها من بئر بعيدة عنها يجرى الماء منها إلى السبيل في ساقية مبنية فيما بينهما بالجص والنورة وعين لها خادما يسقى من البئر ويصب في الساقية فيصل الماء إلى السبيل يشرب منه ويتوضأ به المعتمرون والواردون والصادررون ويدعون له بالنصر والتأييد وعين مصاريف ذلك من ريع أوقاف له بمصر .

ومنها آبار أمر بحفرها بقرب المدينة الشريفة لقوافل الزوار في وادي مفرح وغيرها كثيرة النفع جدا .

ومنها قراءة ختمة شريفة كل يوم يقرؤها ثلاثون نفرا بمكة وأخرى بالمدينة الشريفة وعين مصارف ذلك جميعه من أوقافه التي من محروسة مصر عمرها الله تعالى وجعل ناظرها والمتكلم عليها وعلى سائر ما عينه من الخيرات سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام سلالة آل النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بدر الملة والدين السيد القاضي حسين الحسيني أدام الله عزه وإقباله وضاعف سعادته وإجلاله وكل هذه الخيرات باقية جارية إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى . وأما حلق الود وبلاد تونس الغرب فهي من أجل الغزوات العثمانية وأعظم

فتوحاتهم الكبيرة العلية الواقعة في أيام السلطان الأعظم العثماني السلطان سليم خان الثاني رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة وتمع به بالنظر إلى وجهه الكريم ومنحه لذات جنة النعيم .

وبيان ذلك أن سلاطين تونس الغرب من آل حفص لما ضعفوا ووهنوا ووقع بينهم الاختلاف صار بعضهم يلتجئ إلى نصارى الافرنج ويأتي بجنود الكفرة يستعين بهم على أخذ تونس وصار الافرنج يقاتلون من في تونس من المسلمين ويقتلونهم ويسبون أولادهم ونساءهم ويبينون القلاع في تلك البقاع ويواصلون بجنود النصارى إلى بلاد المسلمين ويولون من تحت أيديهم سلطانا من ذوى حفص سلاطين تونس قديما على بلاد تونس ومن بها من المسلمين إلى أن صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم أذاهم على المسلمين وانفردوا عنهم وبنوا قلعة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب تونس في موضع يقال له حلق الواد كأنه بناء شداد أو وضع العادين من قبائل عاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد بآلات الحرب والقتال وصارت النصارى تكمن فيها للمسلمين ويرسلون منها المراكب والأغربة في البحر على بلدان المؤمنين الموحدين ويقطعون الطريق قتلا وأسرا ونهباً وسلباً إلى أن تعدى ضررهم على طوائف أهل الاسلام وزاد فساد أهل الصليب على ضعفاء المسلمين من الأنام .

وكبير النصارى الآن صاحب اشبيلية من جزيرة الأندلس أعادها الله تعالى دار الاسلام ببركة النبي سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ويسمونه العوام أصبانية تحريفا للكلمة أشبيلية جهز جيشا كشيفا لأخذ تونس ووالس على ذلك سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصى قابله الله على سوء فعله بما يستحقه فأخذ النصارى مملكة تونس ووضعوا السيوف في أهلها فقتلوا الرجال وسبوا الأولاد والنساء والأطفال وباء أحمد المذكور بأثمه واسود في صحائف اللبالي والأيام ديباجة وجهه واسمه وانقلب خاسئا مدحورا وانخلع على ريقة لدين وازداد خيبة وكفورا ونفرت قلوب المسلمين منه وزادت نفورا وكيف لا يكون كذلك وقد استعان بملة الكفر على الاسلام واستدعى عبدة الصليب والأصنام ينتصر بهم على أهل ملة محمد

عليه أفضل الصلاة والسلام وامتحن دار الاسلام تونس باقدام أولئك الكفرة اللثام والاعتصام بالله الكبير المتعال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فانتشرت هذه الأخبار المدهنة والأنباء المظلمة الموحشة إلى أن وصلت أبواب سلطان سلاطين الاسلام ظل الله الممدود على مفارق الأنام مالك صهوة الملك من الذرة إلى الغارب ملك الملوك من مشارق الأرضى والمغرب واسطة عند ملوك آل عثمان المشمول بشمول الرحمة والمكرمة والغفران من الله الكريم المنان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وأبقى السلطنة فى عقبه إلى انتهاء الزمان فلما طرقت سمعه الشريف هذا الحادث الرجيف وعلم ماصاب أهل الاسلام من هذه المصائب العظام والامتهان الذى قسم الظهر وأوهن العظام استشاط سخطا غضبا واضطربت نار حميته وتأججت لها وتحركت العصية الاسلامية والتهمت نيران الحمية العثمانية وقام وقعد وأرغى وأزبد وأبرق وأرعد وهدد وأوعد وخاطب الوزراء العظام والبكركبكية الكبراء الفخام وقال من يقدم منكم على نصرة الاسلام واذلال عبدة الأصنام ويستنقذ من اسراء المسلمين بيد أولئك النصارى الطعام ويخرج من عهدة الكفار الفجرة اللثام فبادر الوزير المعظم والليث الغشمشم صاحب السيف والقلم فاتح ممالك اليمن الايمن المكرم أبو الفتوحات المفخم لا زالت ألوية نصره منشورة الذوائب مشرفة كالشمس يغشى ضوءها المشارق والمغرب صاعدة إلى أفق السماء حتى تراحم مناكب الكواكب وقال أنا لسد الخلة أنا لها أفرج كربتها وافتح مقفلها وأصلح حللها وأزيل علقها ولم تدخرنا السلطنة الشريفة الخاقانية وما رتبنا العواطف الكريمة العثمانية إلا لبذل أرواحنا وأموالنا فى مثل هذه الحوادث وندفع عن المسلمين ما يصابون به من المصائب الكوارث فقابله السلطان الأعظم بالشكر منه والثناء عليه وشرفه بالالتفات الشريف السلطاني اليه وجعله سر دار العساكر المنصورة وأمره أن يتوجه إلى قهر النصارى المقهورة وأمر أن يتوجه معه لمساعدته ومعاونته ودفع ملالته وسأتمته وضبط العساكر البحرية وترتيب السفن الحربية قابودان الباب العالى فارس ميدان البحر السابق إلى قلة أبراج المعالى الأسد الضرغام والليث القمقام والصارم الصمصام أمير الأمراء العظام حضرة قلع على قابودان باشا يسر الله له من الفتوحات ما يشاء فشرعا فى أخذ

أسباب السفر وأخذنا معهما من أمراء السناجق وأمراء العساكر كل أسد عضنفر وكل باسل معقود بناصيته أسباب النصر والظفر ومن له في حرب البحر اليد البيضاء والمعرفة التي ينصرف بها في الماء والهواء وشحنوا مائتين غراب تطير بأجنحة القلاع وتهدم بما فيها من المدافع محكمات الحصون والقلاع وعدة من الموانئ الكبار لحمل الأثقال ودفع الأحمال الثقال وشيل مكاحل النحاس لحطم الثغور وهدم السور والجور وإلى الأساس وكثرة التخويف والترهيب وشدة القوة والبأس . وكان بروز العسكر المنصور من القسطنطينية العظمى يوماً عظيماً مشهوراً وساعة مباركة أظهرت يمناً وبركة وسعوداً وذلك غرة ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وتسعمائة وركب الوزير المعظم سردار العسكر حضرة سنان باشا والقبودان والعساكر المنصورة بنصر الله الملك الديان ثبج البحر كأنهم طوفان فوق طوفان وطار بهم الأغرابة على وجه البحر أقوى طيران وتلت السنة القراء وقال أركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها حتى وصلوا إلى مالوكايسا من مملكة البندقية ووصلوا في يوم الخميس لخمس ماضين من شهر ربيع الأول .

كيان انجبر واستقروا بها ليلة الجمعة وأصبحوا متوجهين والسعد يخدمهم والنصر والظفر يرافقهم ويقدمهم وقد عبروا بسفائهم أبا العمان وما أمكن لغيرهم من العساكر عبور العمان بهذه السفائن الكثيرة خوفاً من تصادمها عند شدة تواج البحر ولكن الله يسلم من أراد لا دافع لمراده ولا راد وهو على كل شيء قدير فساروا تارة بالقلوع وتارة بالكورك على وجه ذلك البحر الواسع إلى أن ظهرت لهم في اليوم الثامن جبال قلاورية واستمروا كذلك إلى أن وصلوا وقت الظهر من اليوم التاسع طبرق حصارى وهو حصار منيع للكفار على ساحل البحر فلما وصلت العساكر المنصورة الإسلامية إلى ذلك المكان حاربهم الكفار الملاحين فدهكهم العسكر المنصور دهكاً ودكوا من تحت أرجلهم الأرض دكا فهربت الكفار إلى قلعة حصينة تسمى نجبة ووقع قتال عظيم استشهدوا فيه من رزق الشهادة وأعطاه الله في جهاده الحسنى وزيادة منهم حضرة كتحداى القابودان سنجق قره جه ايلي محمد بك نزل من سفينته مشتاقاً إلى الجهاد في سبيل الله فأصابته بندقية في خده نفذت من الجانب الآخر واستمر

صاحب فراش خمسة أيام وتلت عليه الملائكة ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموالا بل أحياء عند ربهم يرزقون فانتقل إلى رحمة الله تعالى شهيدا ثم رمى وقت المغرب مدفع لأعلام الغزاة بالعود إلى سفاتهم للسير فحضروا وركبوا ورفعت القلاع وصاروا يسرون تارة برفع القلع وتارة بالكورك إلى أن وصلوا في اليوم الرابع عشر إلى جزيرة مسينة استقر بها عسكر المسلمين ثم ساروا فلما وصلوا إلى محاذة حصار سراقول حصلت فرتونة في البحر تفرقت بسببها السفائن من الضحى إلى آخر النهار ثم اجتمعت وقت العشاء في محل يقال له كير ثم مروا بقل أبان فحوصرت وهدمت قلعتها وقتل من بها من النصارى ثم ساروا فلاحت قلعة ولا ووصل إليها بعض العسكر المنصور ونهبوا ما وجدوا بها من الذخائر وقتلوا من ظفروا به من النصارى وعادوا إلى سفاتهم وصاروا ينزلون كل يوم لأجل السقية إلى جانب من ساحل صجلمية وكلما وصلت يدهم إليه من نهب وغارة وقتل وأسر لطائفة الكفار بادروا إليه وأخربوا قراهم ودورهم وبساتينهم وعادوا إلى سفاتهم فاجتمع كل من في ذلك الساحل من النصارى من فارس وراجل فصاروا عسكرا وأقدموا على قتال من ينزل من المسلمين فخرج إليهم من السفائن بعض البحارين والكورجية وبعض من في نيته الجهاد في سبيل الله فقاتلوا الكفار وهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وفرّ الباقي ولم يعهد للملاعين مثل هذه الهزيمة والخسران وذهب أرواحهم وأموالهم وأسر أولادهم ونسائهم قبل الآن ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم أطلق المسلمون النار في تلك السواحل وأحرقوا أشجارها ودورها وقصورها وعجلوا بأهلها إلى نار جهنم وساءت مصيراه .

وفي اليوم السادس عشر من شهر ربيع الأول ظفر عسكر الاسلام بسفينة للنصارى مشحونة بالقمح كانت متوجهة إلى بعض قلاعهم فاغتم المسلمون ذلك وكان أخذها فألا حسنا للمسلمين .

وفي اليوم الثامن عشر من الشهر المذكور وصلوا جهودا وأسى وطاب الريح للمسلمين فوصلوا إلى قلعة خراب في قرب تونس قريبا من قالية بورني وهي على ثمانية عشر ميلا من مدينة تونس فزينت السفائن والأغربة بالرايات المصبوغة ألوانا



إظهارا لهيبة الاسلام وعنوانا للعساكر المنصورة وارسوا في اليوم الرابع والعشرين في جزيرة حلق الواد ونزلت العساكر المنصورة السلطانية ونصب وطاق حضرة الوزير المعظم والقابودان المكرم على مسافة لا يصل إليها المدافع ونزلوا المدافع الكبار الذي إذا رمى بها تزلزلت الجبال وتهدمها وتخرب الأطواد الكبار وتحطمها وشرعوا يتقربون قليلا قليلا إلى القلعة ويبنون لهم متاريس يترسون بها ويسقون الأتربة أمامهم ويتشترتون خلفها ويحفرون خنادق فيها كيلا تصيبهم المدافع ويتقدمون ويدنون من القلعة على هذا الأسلوب إلى أن أحاطت العساكر المنصورة بقلعة المنجنيقات والمدافع ووجهت إلى صوب الكفرة أفواه المكاحل الكبار والمصانع وبرز حضرة الوزير المعظم سنان باشا محفوقا بنصر الله بخوض حول الموت وهو يراه محتسبا نفسه في سبيل الله معتمدا على عون معين نصير تسجد لعظمته الجباه وأقدمت العساكر المنصورة بصدق اعتقادها وثبتت النصارى بغاظ أكابرها من أشد الصواعق واخطف الأبصار والاسماع من الرعود والبوارق تخطف ما صدفت من النفوس والأرواح وتمزق ما صدمت من الهياكل والأشباح وتفك اللحم من العظم ونذيب الشحم وتسيل الدم والعساكر المنصورة مقومون على هذه الأحوال ثابتون ثبات الأطواد والجبال على الحرب والقتال إذ وصل الخبر بوصول بكربكي تونس المولى عليها من قبل السلطنة الشريفة العثمانية السليمية أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام والمجاهدين العظام حيدر باشا وكذلك بكربكي طرابلس الغرب أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء المجاهدين العظام ذو القدر والعظة والاحتشام مصطفى باشا أيدهما الله تعالى بالنصر والتأييد وظفرهما على كل كافر عنيد وكانا وصلا قبل وصول العمارة السلطانية من البر إلى مقدار نصف يوم عن تونس بقصد محاصرتها وأخذها فلما علم البكار بكيان بوصول العمارة السلطانية إلى حلق الواد واشتغال العسكر المنصور السلطاني بالجهاد وصلا ليلا بالخفية مع قليل من الغلمان إلى وطاق سردار العمارة المنصورة الوزير المعظم الباشا سنان واجتمعا به وفرح كل منهما كمال الفرح وحصل له الاطمئنان وطلبا منه الامداد والاعانة على أخذ تونس وما أمكن الوزير المعظم سنان باشا أن يتوجه معهما بنفسه فأمر طائفة من أمرائه وعين نحو

ألف نفر مع التفكجية وبعض المدافع الكبار والضر بنات أن يتوجهوا مع البكر بكين من السناجق نخر الأمراء العظام ابراهيم بك من سناجق محروسة وسناجق قرستي محمود بك وسناجق قره حصار باك بك ومقدار ألفى نفر من طائفة كوكلوا مع أغام حبيب بك فتوجهوا في الحال مع حيدر باشا ومصطفى باشا وأحاطوا بتونس وكان سلطانها الموالس مع النصارى أحمد الحفصى ومن معه من النصارى ورأوا أنهم عاجزون عن حفظ تونس لسهتها ورأوا أن قلعها أيضاً خيراً بامتددة لا تصونهم فخرجوا من تونس إلى مرحلة بقربها يقال لها قوملودكر يعنى بحر الرمل وعملوا بها حصاراً من الخشب حشوه بالتراب وتحصنوا فيه وكانوا نحو سبعة آلاف مقاتل ما بين كفار ومرتدين ومردة من النصارى المخذولين وشحنوا هذا الحصار بآلات الحرب والمدافع والذخيرة ونحو ذلك فلما خلت تونس من أعداء الدين فتحها عساكر المسلمين وضبطوها وحصنوها ثم برزوا إلى قتال أولئك الملاحين وحاصروهم في قلعته التي أحدثوها وأحكموها بالأخشاب والألواح والطين وأرسلوا خبر ذلك إلى سردار عسكر المسلمين الوزير المعظم سنان باشا فأرسل لنصرتهم وامدادهم واعانتهم القابودان المعظم والبكر بكى المفخم قلعج على فتوجه بطائفة من المسلمين من العساكر المنصورة السلطانية إلى إعادة بكار بكى تونس حبيب باشا وبكر بكى طرابلس الغرب مصطفى باشا ومن جهز معهم من العساكر سابقاً وهم محيطون بالقلعة التي تحصنوا بها الكفار الأشقياء والعربان المرتدين فرأى قلعج على باشا صعوبة أخذ القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة وطلب عسكراً آخر وعدة ومدافع أخرى من الوزير المعظم سنان باشا فأرسل له ألف ينكجى وصمصولجى اشى ومن سلحدارية الباب العالى على أغا و جهز معهم ثمانية مدافع وستة ضربزن ولحقوا بالقابودان قلعج على باشا وأحاطوا بقلعة الكفار وبنوا المتاريس من كل جانب ومع ذلك كانت الكفرة والملاحين ومن ارتد منهم من عربان تونس في غاية الكثرة والقوة ومعهم الخيول فخرجوا من القلعة مراراً وهجموا على عساكر المسلمين عند المتاريس في جهة من جهات القلعة وقتلوا المسلمين قتالاً شديداً وعادوا إلى قلعتهم واستشهد في ذلك كثير من المسلمين وانتقلوا إلى رحمة الله تعالى في أعلى عليين فلما بلغ حضرة

الوزير المعظم ما فيه عساكر المسلمين من الشدة وجاء بنفسه إليهم فان المسافة قريبة وعساكر السلطنة محيطة بقلعة حلق الواد والحرب قائم على حالة فتوجه حضرة الوزير إلى تلك القلعة المحصورة بقرب تونس وشاهدها ووزع على جوانبها عساكر المسلمين المسلمين وقوى جاشهم وعين في كل موضع طائفة وأشار على القبودان والبكر بكية بما رأى فيه الصواب وطمئنتهم وشد قلوبهم وعاد من يومه إلى حلق الواد لا احتياج عساكر المسلمين إليه في هذه الجهة أيضا واستمر كل من الفريقين على مجاهدة الكفار وهم على الثبات والقرار لا يسأمون من مصادفة النار ولا يخافون من الموت لأنهم مقدمون على جنة الخلد وملك لا يبلى طالبون درجة الشهادة من الله العلي الأعلى ووصل في هذه الأثناء بكر بكى الجزائر سابقا أمير الأمراء معظام أحمد باشا لا عانة عسكر الاسلام وأقبل على حضرة الوزير المعظم واستأمر لما يأمره به فأعطاه عدة من المدافع وعين له جهة الجنوب من حلق الواد فتوجه إليه وبنى المتاريس عليها وجاهد في الله حق جهاده وأقدم على قتال الكفار وأتى إلى الحرب مقاتل قياده فوصل العسكر المنصور إلى حافة خندق الكفار بعد أربعة عشر يوما وبنوا على حافته المتاريس وكان الكفار قد نقبوا تحت الأرض نقبا طويلا وصلوا به إلى موضع كان كرك خانه وفيه قلة برج يصلح للتحصين فوصلوا إليه من تحت الأرض وملاؤه من الرجال وآلات الحرب فقطن المسلمون لذلك وكان قريبا من الجانب الذي فيه حضرة الوزير فتوجه إليه بنفسه النفيسة وقع فيه حرب شديد وأخذت القلعة وقتل من فيها من النصارى المخدولين وأرسل حضرة الوزير بالليل من يقبس عمق الخندق الذي وصل إليه العسكر المنصور فكان عمقه ستين ذراعا بذراع العمل وقعره متصل بالبحر مملوء بماء البحر فتشاور الوزير مع الأمراء وأصحاب الرأي في ذلك فوجدوا لذلك حيلة غير ان يملأ الخندق بالتراب من خلف المتاريس فأمر الوزير المذكور سائر العسكر بذلك فشرعوا في نقل التراب من خلف المتاريس وتبني عليه وباشر حضرة الوزير المشار إليه وذلك ونقل بيده الشريفة التراب ابتغاء مرضاة الله العزيز الوهاب ونصرة لدين الإسلام وتأيد ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ورأى الأمراء ذلك فبادروا بأنفسهم إلى نقل التراب ورأى العسكر المنصور ذلك فهموا غاية الاهتمام وأقدموا نهاية الأقدام وحملوا التراب كأمثال القباب ورموا بها في

الخندق إلى أن امتلاً فارتفع وزاد في الارتفاع فبنوا المتاريس فوق ذلك إلى أن  
اعتلوا على الحصار وذلك لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثاني سنة إحدى وثمانين  
وتسعمائة فصارت مدافع المسلمين تصل إلى وسط قلعة الكفار وتقتلهم وتحرقهم  
بالنار وتسوقهم إلى جهنم وبئس القرار .

ووصل رمضان باشا ومعه ثلاثة آلاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير المعظم  
وطلب معه خدمة يؤديها فأرسله بمن معه من عسكر الاسلام إلى إعانة المسلمين الذين  
حصروا الكفار بالقلعة التي بقرب تونس فتوجه إليها ونزل في جهة من جهاتها وحط  
عليها مع من هناك من البكر بكية والأمراء والغزاة والمجاهدين والكبراء واستمر  
حضرة الوزير في محاصرة حلق الواد والاستيلاء على من فيها من أهل الكفر والعناد  
وأقدم المسلمون على الدخول على الحصار لما شاهدوا وهن الكفار وحمل الوزير  
المعظم بمن معه من الأبطال حملة تزلزل الجبال وحمل من الجهات الثلاث من العسكر  
والأمراء والرجال فدخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال لست مضين من  
من جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ووضعوا السيف فيمن وجدوا بها  
من الكفار وساقوهم بالنار إلى عذاب النار جهنم وبئس القرار وغير ذلك واستوسر  
صاحب القلعة كبير النصارى المخذولين وكذلك أسر سلطان تونس أحمد بن حسن  
الحفصي وقيدهما وحبسهما حضرة الوزير وأمر بقتل مائتين من وجد من النصارى  
والعرب المرتدين وفرج بفتح هذا الحصن كافة أهل الاسلام والمؤمنين وامتبشر  
بهذا النصر والفتح المبين فانه يعد من أجل فتوحات الاسلام وأعظم التأييدات لدين  
محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وكانت هذه القلعة من أحكم القلاع التي أحكمها  
اللتام وأقواها في المكنة والاستحكام وأشدّها ضرراً على أهل الاسلام .

ومن عجيب الاتفاق إن هذه القلعة المنكوبة بنتها النصارى في سنة ست وثلاثين  
وتسعمائة وكمّلوا استحكامها في ثلاث وأربعين سنة وافتتحها حضرة الوزير المعظم  
سنان باشا في ثلاث وأربعين يوماً من محاصرتها بعدد السنين التي أحكم فيها بناؤها  
كل يوم بسنة .

ولما تم هذا الفتح المبارك رأى حضرة الوزير أن ترميمها وإعادتها وحفظها  
بالعسكر يحتاج إلى مؤنة كبيرة وخزائن من الأموال كثيرة مع قلة جدواها ولبعدها

عن الباب العالي وطول مداها ورأى أن الأولى هدمها وتخريبها فهدموها حجرا حجرا وتركوها خيرا لا أثرا وأعملت المعاول في رأسها إلا أن وصلوا إلى أساسها فصارت ظللا من الأطلال ودمنة يلعب فيها هبوب الصبا الشمال ولا يسمع فيها نداء أو صدا الا صباح يوم أو صدا ولم يبق بها أنيس إلا اليعافير ولا العيس وأرسل حضرة الوزير المعظم بشائر النصر والفتح المتوالى إلى جهة الباب الشريف العالي وإلى سائر بلاد الاسلام ليأخذ المسلمون حظهم من هذا البشر متام والفرح الشامل العام ويفرح المؤمنون بنصر الله والملائكة الكرام ويدعوا بدوام هذا السلطان الأعظم نصره الله وخلا ما كره على الدوام .

وهذا دعاء لا يرد لأنه يزان به كل الوري والممالك

تراه بلا شك أجيب لأنه إذا ما دعونا أمنت الملائك

وتوجه البشير كأنه الصبح الصادق ينشر على الخافقين رايات النصر الخوافق ويملا بر ايات الفرح أقطارا المغارب والمشارك .

وكوكب الصبح نجاب على يده مخاق تملأ الدنيا بشائره

ثم لما فرغ حضرة الوزير مأربه من حلق الواد وفعل في تلك الوهاد والمهاد والأوعاد والانجاد ما أراد توجه بعسكره المنصورة إلى تونس لتطمئن طلعتة الغراء من بها من المسلمين وتونس فوصل اليهم وهم محاصرون قلعة النصارى انخدولين مجاهدون مجتهدون في أخذ أولئك الملعونين ففرح بوصوله البكر بكية الذين يحامون لنصرة الدين واشتد أزرهم وقوى جاشهم على قتال المشركين كيف وقد نشأوا على الطعان والقراع كما نشأ الأطفال على الرضاع وضروا بدماء الكفار ضراوة الأسود والسباع بما تفرسه من الصيد وهن جياح وحمل باقدامه حضرة الوزير المعظم على من في القلعة حملة الأسد الغشمشم وتسابقت العساكر المنصورة إلى استئصال أعداء الدين سبق السيل العظيم وتعلقوا بأطراف الحصار وصبروا على حر السيف والنار واستشهد كثير من المسلمين الكرام وقتلوا في سبيل الله وهم أحياء لا أموات عند الله في دار السلام واستمر عساكر المسلمين على الأقدام على الموت الزام وحدث السيف والحسام إلى أن دخلوا القلعة ونصبوا الرايات السلطانية على القلعة فدخلوها

ووضعوا السيف في الكفار عبدة الصليب وقتلوا منهم ثلاثة آلاف دراع مغازل من فرقه إلى قدمه في سابقات الحديد ورمى نفسه الباقون من أعلا القلعة إلى أسفلها وهم زها خمسة آلاف نفس نزلوا على أقدامهم في الرمل وهربوا قدر رمية سهم أو سهمين وشرعوا في التترس بأثرية ورمال أرادوا أن يتحصنوا بها والمسلمون مشغولون بقتل من بقى في القلعة ونهب الأمتعة والاسلاب فوجدوا بها أخشابا وألواحاً أعدها الكفار لاتقان القلعة وأحكامها وبارودا كثيرا ومدافع ولبوسا وآلات الحرب وبكسهاطا كثير الأزواد هم وكانت القلعة بسبب العجلة غير محكمة البناء وعجلتهم العساكر المنصورة السلطانية الاسلامية عن إتمامها واتقان استحكامها فلو تأخر ورود العساكر السلطانية عنهم في ذلك العام لكانوا أتقنوا تلك القلعة اتقانا قويا لا يقوى عسكر الاسلام على فتحها بعد ذلك ولكن خذل الله تلك الطائفة أينما ثقفوا بوصول حضرة هذا الوزير المعظم بهذا الخميس المرمرم في هذا العام قبل استيفاء أحكام القلعة غاية الاحكام وكان ذلك يمين سعادة طالع السلطنة الشريفة العثمانية وحسن اهتمام هذا الوزير الأعظم ولطف تدبيراته العلية ورقة آرائه الثاقبة الجليلة .

ثم أمر حصرة الوزير أن يستعقب العساكر المنصورة الاسلامية أولئك الهاربين من الكفار فتبعوهم أو وحدهم قد شرعوا في عمل مكان يتحصنون فيه فتجمعوا عليهم هجمة واحدة فتيقن الكفار أن لا مفر لهم ولا محيص فقاتلوا أشدة تال وقاتلهم المسلمون بالنصال وصار الوجه في الوجه والنايب في الناب والسيوف المسلوقة من القراب تغوص في الرقاب والخناجر تدق في اللبات والخناجر حتى سالت الدماء كالسيل العباب إلى أن أنبت كافور تلك الرمال شقيقا وصير أحجار الفلا عقيقا وصرب النقع في السماء طريقا وجند الله على كل حال هم الظافرون والكافرون هم الصاغرون وصب من دماء أولئك الأرجاس ما تجس به الرمل على طهارته والبر على سعته وقتل الكفار عن آخرهم قتلا ذريعا وشكر المسلمون لله عز وجل صنيعا وانتصر على النصارى أهل ملة الاسلام الذي بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام إلى كافة الأنام وعاد حضرة الوزير المعظم ظفراً منصوراً وغانما مسروراً مثاباً ماجوراً

وغنمت العساكر المنصورة السلطانية والجيوش الموفرة الايمانية ما يكمل عن حصره  
 أنامل التحرير وتضيق عن ذكره أدراج الأساطير وجهزت البشائر إلى الأبواب  
 الشريفة السلطانية والأعتاب المنيفة العثمانية وتطايرت أخبار البشارة إلى سائر المسلمين  
 في الآفاق تخفق على الخائفين أجنحة السرور والبشر الخفاق ما بين حدود الغرب  
 والأشراق ولولا لطف الله تعالى بأهل الاسلام لسكان البلاء عاما على سائر بلاد  
 المسلمين فان السلطان الأعظم الأفخم السلطان سليم خان لو لم يهتم بدفع هذه الكفار  
 الملاعين لكانوا يتسلطون على أخذ تونس وأخذ الجزائر كلها وكانوا يحكمون قلاعها  
 وأسوارها وحصونها وحصارها غاية الأحكام وكانت ترتد عن الاسلام عربان  
 المغرب وتتقوى الكفار الفجار على أخذ مصر وغيرها من ديار الاسلام لا بلغهم  
 الله المرام وأنزل عليهم الخزي والخذلان والنكال إلى يوم القيام وقد أعان الله  
 سلطان الاسلام لدفع أولئك الكفرة الطغام ومزقهم كلي ممزق بالسيف والسنان  
 والحسام وشتت شملهم ومزق جمعهم فلا يقوم لهم رأس بعد ذلك فالله تعالى يشكر  
 لتأييد الاسلام صنيع هذا السلطان الأعظم والخاقان الأكرم الأفخم السلطان  
 سليم خان صاحب هذه المهمة العالية والقوة والأبادة الحسان ويمجازية عن الاسلام  
 والمسلمين خيرا دائم الفيضان ويشكر همة هذا الوزير الأعظم العالی الشأن على  
 نصر اهل الايمان أعظم جزاء على هذا الفتح العظيم بحمد السيف والسنان .

وكان هذا الفتح الاخير في يوم الخميس المبارك لخمس بقين من جمادى الاولى  
 سنة إحدى وثمانين وتسعمائة وقتل في القلاع الثلاث من الكفرة الخمسة عشرة  
 آلاف مقاتل ساقهم الله تعالى إلى النار وقد استشهد من الغزاة والمجاهدين ما يوازي  
 عشرة آلاف غازي فمن عين أمراء السناجق من أمراء الأكراد خضر بك وسنجق  
 ابنه حتى مصطفى بك وسنجق ملكة مسدلو برويز بك وسنجق برك مصطفى بك  
 وسنجق أولية أحمد بك وسنجق ترخانة بايزيد وسنجق اسكندرية صفر بك وكتخدا  
 الينكجيرية فرهاد ورأس زمرة الباب وكثيرا من الزعماء وأرباب التيمار وغيرهم  
 عدة عديدة وأعطى حضرة الوزير الأمان لطائفة من الكفار رأى في ذلك مصلحة  
 يوازي زها مائتي نفر بزوا في أمان حضرة الوزير وأخبروه بأمر مهممة كان

يريد الاطلاع عليها منها أن عندهم من العليين الاستاذين في عمل الطوب الكبار الذي يعجز جميع الكفار عن عمل مثلها مائتي نفر وخمسة أنفار بمن لا نظير لهم في هذه الصناعة فأمتهم وطلبهم وأخذ مخاطرهم وأعطاهم الامان على أنفسهم وشرط عليهم أن يسبكوا دائما النحاس ويحعلوه مدافع كبارا ويعمل لهم علوفة ويوضع في أرجلهم القيود ويكفل بعضهم بعضا فرضوا بذلك وطلبوا الامان على هذا الشرط فكساهم الوزير وكتب لهم علوفات على حسب مراتبهم وصاروا من خدام الترسخانة السلطانية موكلا عليهم من يحفظهم ويتيقظ لهم ويستخدمون في الخدم السلطانية ويسبكون النحاس للطوب الكبار والمدافع العظام وظفر حضرة الوزير المعظم في قلعة حاق الود وقلعتي تونس بمائتي مدفع وخمسة وثلاثين مدفعا لحفظ تونس من الكفار الفجار وأرسل مائة وثمانين مدفعا من أكبر المدافع العظيمة إلى الباب الشريف السلطاني ليستعان بها على قتال الكفار الملاحين إذا جهز عليه العتار في كل حين .

ثم لما فرغ حضره الوزير المعظم الكبير من هذا الفتح العظيم والغنم الكثير وأنعم على من في ركابه الشريف من الامراء والاكبراء والبكركبكية وسائر الزعماء وأرباب اليتامى وبلوكات العسكر المنصور وأرباب الجوامك والعلوفات بالترقيات العظيمة والمناصب الكبيرة كل أحد بمقدار سعيه واستحقاقه ومرتبته وعرض ذلك على سرير السلطنة الشريفة وكان مقدارا كبيرا من الخزائن العامرة السلطانية فقبل جميع ذلك بالقبول ووقعت موقع الاجابة في المأمول والمسئول وذلك في مقابلة ما بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وجاهدوا في الله حق جهاده ونصروا الاسلام والمسلمين وأنعمت السلطنة على حضرة الوزير بأنواع الانعامات السنية والترقيات الكثيرة العلية والخلع الفاخرة البهية والتشريفات الزاهرة السلطانية في مقابلة سعيه في نصرة الدين وبذل أمواله للغزاة والمجاهدين وأخذ ثار المسلمين من الكفرة والمشركين على وجه لم يقع في كثير من الزمان مثل هذا الفتح العظيم الشأن وذلك بمحض الاعانة الربانية والنصرة الالهية السبحانية والله الحمد على نصرة الاسلام وتأييد سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .



ثم عاد حضرة الوزير المعظم المنصور المكرم خلد الله عليه سوابغ النعم إلى  
 الابواب الشرفية السلطانية بمن معه من عسكر الباب الشريف السلطاني وأذن لغيرهم  
 من العسكر المنصور وسائر الأمراء والبكرا بكية بالعود إلى أوطانهم وأما كن حكومتهم  
 مجالين محترمين مجبورين منصورين سالمين غانمين واستمر حضرة الوزير المعظم إلى  
 أن ورد إلى الباب الشريف العالي السلطاني وقبل قوائم السرير الشريف العثماني  
 فقوبل بأنواع البشر والتهاني وشمله النظر الخاقاني ونظرت إليه السلطنة بعين القرب  
 والتداني وأفرغ على كاهله مرة بعد أخرى خلع التشريف الخسرواني وقبل كل  
 ما عرضه حضرة الوزير المعظم المشار إليه على الأعتاب الشريفة السلطانية من المطالب  
 وأنعمت عليه السلطنة الشريفة بكل ما سال فيه من المقاصد والمآرب وكان يوم  
 دخوله إلى اصطنبول يوماً عظيماً مشهوداً ووقت حلوله في منزله السعيد وقتاً مباركاً  
 مسعوداً وازدحت الخلق على مشاهدة طلعتة والتبرك بوجهه الكريم وميمون غرته  
 وصاروا يتبركون بالنظر إلى المجاهد في سبيل الله ويطلبون الدعاء منه ويمن معه من  
 المجاهدين الغزاة والأسارى من النصارى يقادون بين يديه بالسلاسل والاعلال  
 مقرنين في الأصفاة بشديد الذل والنكال ودخلت سفان العهارة وأغربتها إلى  
 الأسقال مزينة مزخرقة بالبيارق والسناجق يخفق عليها رايات الفرح بالنصر والظفر  
 والجلالة وأطلقت المدافع للفرح فزلزلت الأرض زلزالها وكادت تصمم الأذان  
 فلا تسمع الناس مقالها وعساكرها الباب السلطاني وزدت صفوفها بعد صفوف  
 وتعاطفت عائدة بالنصر والتأييد ألوفاً بعد ألوف ودخل أيضاً القابودان المعظم  
 المجاهد الأكرم الأفتح حضرة قلع على باشا المكرم لازال في حرب البحر مظفراً  
 منصوراً مسعوداً القدم فقوبل من الحضرة الشريفة السلطانية بغاية القبول والاقبال  
 وخوطب بلسان الشكر والتعظيم والاجلال وأنعم عليه بسائر مقاصده ومطالبه  
 وحصل له غاية ما يتمناه من سؤله ومآربه وحصل لسائر العساكر المنصورة الاحسان  
 الموفور وشكر لهم سعيهم المشكور وأعظم من ذلك ما حازوه من الأجر والتعظيم  
 والثواب الجزيل الجسم وناهيك بهذا العز والفخر وقد بقي لهم هذا الذكر الجميل  
 في صفحات الدهر والله تعالى يديم هذه الدولة الشريفة العثمانية على تداول الليالي

والايام ويحمى بحمايتهم كافة ويؤيد بتأييدهم ملة الاسلام ويبقى سلطنتهم على الدوام الى يوم القيام فكم لهم ولاسلافهم الغزاة والمجاهدين في نصرة الملة الحنيفة الغراء من يد بيضاء آية للناظرين وكم فتحوا دار الكفر وصيروها دار الاسلام على رغم المشركين الكافرين ويكاد يلتحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضى الله عنهم أجمعين . ولقد حكى علماء أمة الاسلام واتفق قول الأئمة الأعلام رضوان الله عليهم أجمعين وشمله برحله أنه أرحم الراحمين أن سيوف الحق أربعة وما عداها للنار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين وسيف أبى بكر رضى الله عنه في المرتدين وسيف القصاص بين المسلمين .

أقول وسيوف بنى عثمان رحمهم الله تعالى وأبقى الملك فيهم وفي عقبهم إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى إذا عبرتها وتأملتها لا تخرج عن هذه السيوف الأربعة فإنهم ما زالوا من أول أسلافهم رحمهم الله تعالى إلى الآن مجاهدون الكفار والمشركين ويقاثلون الملحدين والباغين ويقيمون شرائع شعائر الدين فالله تعالى يمد ظلال سلطنتهم عن المسلمين ويؤيد بهم أهل السنة ويقمع بهم كافة الملحدين وهذا دعاء يجب أن يدعو لهم به طوائف المؤمنين فإنهم عماد الاسلام وقوام هذا الدين المتين وسبب قيامه بين الأنام والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعاء لأهل الإسلام واعزاز لدين الله تعالى ونصرة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وتأمين البلاد وتطمين العباد وتوهمين أهل الفساد وقطع جادة الاحاد وقع جميع أرباب البغى والفساد .

### فصل

فيما جدد المرحوم السلطان الاعظم سليم خان من الخير والاحسان

زيادة على والده المرحوم السلطان سليمان خان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان

وذلك أول سلطنته الشريفة أمر لأهل الحرمين الشريفين أن يزداد لهم سبعة آلاف أردب حب من صدقته المقبولة المبرورة زيادة على ما كان يرسله والده المرحوم لهم في كل عام فكانت تحمل في كل سنة من الأنبار الخاصة السلطانية على

ظهور الجمال من مصر إلى السويس وتوضع في سفائن الدشايش الشريفة السلطانية من بندر السويس إلى بندر جدة وإلى ينبع وتوزع على الفقراء وكان بروز أمره الشريف العالی أن يضاف ثلاثة آلاف أردب إلى الدشيشة العامة السليمانية لفقراء المدينة الشريفة وتوزع عليهم وأن يوزع خمسمائة أردب على الفقراء المنقطعين بالينبع العاجزين فيها عن السفر إلى المدينة الشريفة فيستعينون بها على التوجه إلى حيث أرادوا وتوزع خمسمائة أردب على فقراء جدة المنقطعين بها العاجزين عن التوجه إلى مكة لأداء حج الفرض والنقل وذلك مقصد جميل للرحوم فكان الفقراء يتوسعون فيها ويرتفقون بها وكانت ترد إليهم في كل عام من أعوام سلطنته الشريفة وكان الدعاء مبذولاً له من سائر الفقراء المحتاجين المضطرين وكان يحوز بذلك ثواباً جزيلاً وأجراً وافياً جميلاً رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأثابه المثوبة العظمى في الدرجات الآخرة على مقاصده الجميلة وخيراته الوافرة الجزيلة. ومنها أيضاً ما كان يتصدق به على فقراء الحرمين الشريفين أيام كان شاه زاده قبل أن يلي السلطنة العظمى فإنه كان يرسل ألف دينار ذهباً توزع أيام موسم فقراء مكة يستعينون بها على الوصول من المدينة الشريفة المنورة إلى مكة المشرفة لأداء الحج الشريف في كل عام وكان يخص بعض العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من الأصواف الخاصة وبعض غير ذلك يرسلها إليهم يستمد منهم الدعاء بظهور الغيب منهم .

فلما ولي السلطنة الشريفة وجلس على التخت الشريف السلطاني كان يرسل لهم عوائدهم السابقة في كل عام وجعل ذلك مضافاً إلى دفتر صر الرومية فكانت ترد أيام سلطنته الشريفة واستمرت ترد إلى الآن بعد انتقاله إلى رحمة الله تعالى وذلك أيضاً من مقاصده الجميلة وخيراته الباقية العميمة وله أنواع من الخيرات أيضاً في القدس الشريف وفي الشام وفي حلب وفي مصر بجامع الأزهر وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية غير ما بني في بلاد الروم من المدارس والجوامع والتكايا وغير ذلك رحمه الله تعالى .

## فصل

فيما وقع من عمارة الحرم الشريف المكي في أيامه  
رحمه الله تعالى

اعلم أن عمارة المسجد الحرام زاده الله تعالى شرفاً وتعظيماً ومهابة وتكريماً من  
أعظم مزايا الملوك والخلفاء وأشراف أكابر السلاطين العظام وقد يسر الله تعالى  
ذلك لسلاطين آل عثمان أيد الله تعالى نصرهم وخلد سعادتهم مدا الزمان فوق  
الشروع فيها في أيام السلطان الأعظم الخاقان الأكرم الأفخم خليفة الله في أرضه  
القائم بإقامة سنته وفرضه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والترك والعرب  
والعجم والعراقين صاحب المشرقين والمغربين خادماً الحرمين الشريفين المحترمين  
عالم البلدين المكرمين المنيفين واسطة عقد ملوك بني عثمان السلطان سليم خان  
ابن السلطان سليمان خان امطر الله تربتهما سحاب الرحمة والرضوان وجعل  
قبرهما روضة من رياض الجنان وجعل السلطنة كلمة باقية في عقبهما إلى يوم  
الحشر والميزان .

إلى أن يعود العارضان كلاهما ويحشر في القتلى كليب لوائد  
( وسبب الأمر الشريف ) بتعمير المسجد الحرام أن الرواق الشرقي مال نحو  
الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤس خشب السقف الثالث منه عن محل تركيبها في  
جدر المسجد وذلك الجدر هو جدر مدرسة السلطان قايتباي وجدر مدرسة الأفضلية  
التي هي الآن من أوقاف المرحوم ابن عباد الله في شرقي المسجد الحرام وفارق خشب  
السقف عن موضع تركيبه في المذكور أكثر من ذراع ومال وجه الرواق إلى صحن  
المسجد ميلاً ظاهراً بينا وصار نظار الحرم الشريف يصلحون المحل الذي قد فارق  
خشب السقف أما بتبديل خشب بأطول منه أو بنحو ذلك من العلاج وأما الرواق  
الذي ظهر ميله إلى صحن المسجد فترسوا بأخشاب كبار حفروا لها في المسجد بمسكة  
عن السقوط واستمر الرواق الشرقي متماسكا على الأسلوب في أواخر دولة المرحوم

السلطان سليمان خان وصدر من دولة المرحوم السلطان سليم خان ثم لما أفحش ميلان الرواق المذكور عرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية السليمية سنة تسع وسبعين وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطاني بالمبادرة إلى بناء المسجد الحرام جميعه على وجه الاتقان والاحكام وأن يجعل عوض السقف الشريف قبا دائرة بأروقة المسجد الحرام ليأمن من التآكل فان خشب السقف كان متآكلا من جانب طرفه بطول العمود وكان يحتاج بعض السقف إلى تبديل خشبه بخشبة أخرى في كل قليل إذا لابقاء للخشب زمانا طويلا مع تكسر بعضه

وكان له سقفان بين كل سقف نحو ذراعين بذراع العمل وصار ما بين السقفين مأوى للحيات والطيور فكان من أحسن الرأي تبديلها بالقبب لتمكنها ودفع مواد الضرر عنها ووصلت أحكام شريفة سلطانية إلى بكر بكى مصر يومئذ الوزير المعظم والمشير المفخم حضرة سنان باشا أدام الله تعالى سعادته وإقباله وضاعف عظمته وإجلاله أن يعين لهذه الخدمة من أمراء السناجق المستحفظين بمصر من يخرج من عمدة هذه الخدمة الشريفة ويكون في غاية الديانة والأمانة والمعرفة والخير والصلاح فأمر البكر بكى يومئذ وهو سنان باشا أمراء مصر أن يقبلوا هذه الخدمة فما أقدم أحد على تلقيها بالقبول لكثرة مشقتها وأشغالهم بأمر دنياهم والتوغل فيما يعود عليهم نفعه عاجلا من غير مشقة .

وكان من جملة الأمره المحافظين بمصر كتنخداى المرحوم اسكندر باشا الجركسى بكر بكى مصر سابقا أفخر الأمراء العظام ذكر الكبراء ذوى الاحترام أحمد بك برك الله فيه وفي ذنوبه وأناله من خيرى الدنيا والآخرة ما يرتجيه وكان بمن اجتمع فيه هذه الخصال المحموده المطلوبة من حب الخير والتوجه إلى الله تعالى وقلة الميل إلى الدنيا وزخارفها والميل إلى الفقراء والضعفاء والعلماء والتواضع مع الناس وحب المعدلة والاستقامة مع صدق الخدمة وكمال الديانة والأمانة والإقدام وعلو الهمة ووفور الاهتمام فطلب منه حضرة الوزير المشار إليه هذه الخدمة الشريفة وأضيف إليه عمل بقية دبل عين عرفات من الأبطح إلى آخر المسفلة بمكة المشرفة فان السلطنة الشريفه أمرت أن يبنى لها دبل مستقل ولا تجرى في دبل عين حنين فعينت هذه

الخدمة أيضا للأمير أحمد المذكور وعرض له ذلك إلى الباب الشريف العالي فوردت الأحكام الشريفة السلطانية له بذلك حسب ما عرض له وأضيف إلى الخدمة سنجق جدة المعمورة تعظيما لشأنه وتوفيرا لقدره ومكانه وبعد ورود الأحكام الشريفة السلطانية إليه أخذ في أهبة السفر وتوجه من مصر من طريق البحر إلى بندر جدة ثم وصل إلى مكة شرفها الله تعالى في أواخر سنة تسع وسبعين وتسعمائة مهتما غاية الاهتمام سائلا من الله تعالى الإعانة والامداد التام وكانت الأوامر الشريفة السلطانية والمتكلم عليه من جانب السلطانية المنيفة الخاقانية سبدا ومولانا ناظر المسجد الحرام ومدرس مدرسة أعظم سلاطين الأنام بدر الملة والدين حسين الحسيني خلد الله سعاداته وفرح بهذه الخدمة الشريفة الفرج التام وشد مناطق حزمه على مناطق عزمه وقاله في ذلك أحسن قيام وحصل بين مولانا الناظري الأمير أحمد المشار إليه كمال الملائمة والانفاق وبذلك يحصل تمام النجاح والارتفاق وجرت عادة الله أن الخير كله في الوفاق والشر جميعه في الشقاق ولم يكن الرفق في شيء الا زانه ولم يكن العنف في أمر إلا شانه ومن أراد الرفق بعباد الله وفق الله تعالى به وأعانه ووصل له هذه العمارة الشريفة معمار دقيق الأنظار جليل الآثار تقدم له مباشرة الابنية العظيمة وحصلت له بالتجربة خيرة تامة ومعرفة مستقيمة أجمع المهندسون على تقدمه في هذه الصناعة ودقة نظره في لوازم هذه البضاعة اسمه المعمار محمد جاويز الديوان العالي وهو إنسان من أهل الخير عظيم الأمانة كثير الديانة مستقيم الرأي منور الباطن مشكور السيرة زاد الله توفيقه وأرشد طريقه فاتفق الناظر والأمير والمعمار على الشروع في هدم ما يجب هدمه إلى أن يوصل إلى الأساس فشرع أولا في اكمال الدبل المستقل لإجراء عين عرفات وبناء من جهة المدعا ثم مر به من عرض ثم من جهة سويقة ثم من عطف به إلى السوق الصغير وأكمله إلى منتهاه وبني قبة في الأبطح جعل فيها مقسم ماء عرفات وركب في جداره بزاييز من النحاس يشرب منها الماء ثم بني مسجدا وسبيلا وحوض ماء للدواب على يمين الصاعد إلى الأبطح في قبلي بستان ييرم خواجه الصابر إلى المرحومة الخاصكية أم سلاطين طاب ثراها وبني مسجدا آخر وسبيلا ومتوضا في انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد وكل ذلك من

أعمال الخير الجارية النافعة للمسلمين وعرض ذلك على أبواب السلطنة الشريفة فأنعمت على الأمير المشار إليه بسبعين ألف عثمانى ترقيا في علوفته في مقابلة هذه الخدمة .

ثم شرع في تجديد أروقة الحرم الشريف بدأ فيه بالهدم من جهة باب السلام في منتصف ربيع الأول سنة ثمانين وتسعمائة وأخذت المعاول تعمل في رأس شرفات المسجد وطبطاب مسقفة إلى أن ينكشف السقف فتزل أخشابه الأرض وتجمع في صحن المسجد الشريف وينظف الأرض من نقض البناء وأتربته ويحمل على الدواب ويرمى في أسفل مكة في ناحية جبل القلق ثم تمام الأساطين الرخام إلى أن تنزل بالرفق إلى الأرض واستمروا في هذا العمل إلى أن نظفوا وجه الأرض من ذلك من باب على إلى باب السلام وهو الجانب الشرقي من المسجد ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلا فأخرجوا الأساس جميعه وكان جدارا عريضا نازلا في الأرض على هيئة بيوت وقعة الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الأرض قاعدة تركيب الأسطوانة على تلك القاعدة فشرع أولا في موضع الأساس على وجه الأحكام والاتقان من جانب باب السلام است مضين من جمادى الأولى سنة ثمانين وتسعمائة واجتمعت الأشراف والكبراء والأمراء والفقراء والمشايخ والصلحاء تبركا وتيمنا بالحضور في هذا الخير العظيم وقبرئت الفواتح بالاخلاص من سويداء القلب الصميم وذبحت الأبقار والأنعام والأغنام وتصدق بها على الفقراء والخدم ووضع الأساس المبارك باعانة الله تعالى وتبارك وكان يوما مباركا مشهودا متيمنا ميمونا مسعودا والله الحمد على هذا الأكرام وله الشكر والثناء الحسن في المبدء والختام وكانت الأساطين المبنية سابقا على نسق واحد في جميع الأروقة فظهر لهم أن ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القيب عليها القلة استحكامها إذ القبة يجب أن يكون لها دعائم أربعة قوية تحملها من جوانبها الأربع فرأوا أن يدخلوا بين أساطين الرخام الأبيض دعائم أخرى تبنى من الحجر الشميسى يكون سمكها مقدار سمك أربع أسطوانات من الرخام ليكون مقيما لها من كل جانب فتقوى على تركيب القيب من فوقها ويكون كل صنف من أساطين الأروقة

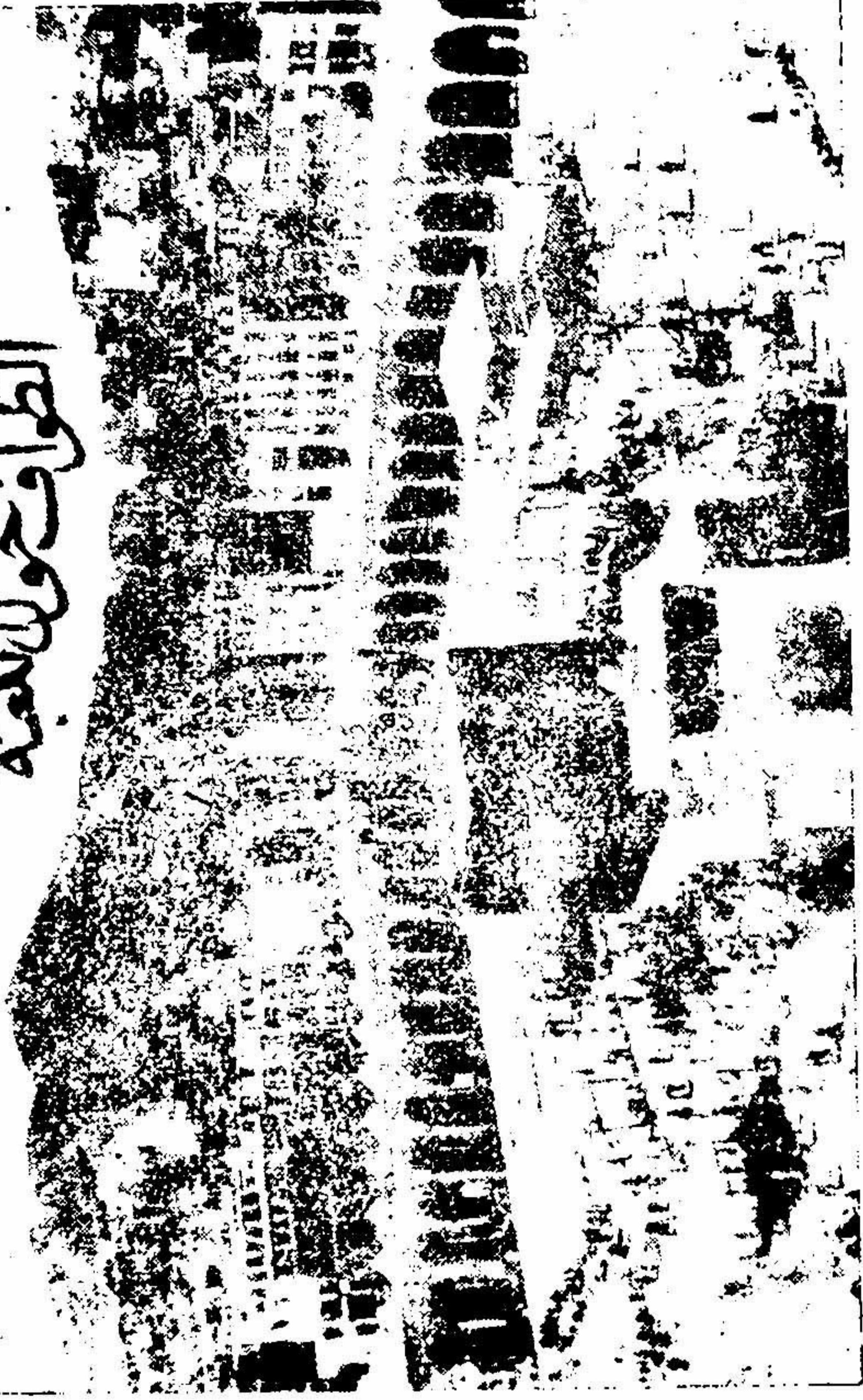
الثلاثة في غاية الزينة والقوة ففي أول ركن من الرواق الأول دعامة قوية مبنية من الحجر الشميسى ثم اسطوانة رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الأصفر الشميسى وعلى هذا المنوال إلى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثاني من الرواق الثاني كذلك على هذا المنوال إلى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثالث من الرواق الثالث على هذا المنوال وبنيت القبة على تلك الدعائم والأساطين في دور المسجد جميعه وشرعوا من ركن المسجد الشريف من جهة باب السلام كما تقدم وقاسوا تلك الصفوف بخط مستوي وأزالوا ما كان قبل ذلك من الأزوار والاعوجاج والحجر الشميسى نسبة إلى شميس تصغير شمس جبل بقرب بئر شمس وهي حد الحرم من جانب جدة به جيلاات صفر تكسر منها هذه الأحجار وتحمل إلى مكة مسافة مادون ليلة فكان في إدخال هذه الدعائم الصفر ما بين الأساطين البيض حكمة أخرى غير الاستحكام والزينة وهي أن أساطين الرخام الباقية في المسجد كانت تنفي بجوانبه الأربعة لأن الجانب الغربي احترقت أساطينه الرخام وسقفه أيام الجراكسة في دولة الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتين وثمانمائة وأرسل من أمرائه الأمير سيف الظاهري إلى مكة المشرفة فعمر الجانب الذي احترق من المسجد الحرام بالحجر الصوان المنحوت كما قدمنا ذكر ذلك في محله وصارت الجوانب الثلاث من المسجد الحرام بالحجر وهي الجانب الشرقي والجانب اليماني والجانب الشامي على نسبة واحدة أساطينها من الرخام الأبيض وأساطين الجانب الغربي جميعها من قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان غير مناسبة للجوانب الأخر الآن وبإدخال هذه الدعائم الصفر صارت الأساطين كلها على نسبة واحدة وهي أن كل ثلاث أساطين من الرخام الأبيض يكون رابعها دعامة واحدة من الحجر الأصفر الشميسى وذلك في غالب الأروقة من الجوانب الأربعة من المسجد الشريف كلها قائمة على أقدامها بغاية الأحكام كأنها صفوف واقعة بالأدب حول صحن مسجد بيت الله الحرام من جهاته الأربعة وهي أعلى من الارتفاع السابق وارفح كأنها تنشد بلسان حالها مفتخرة على أمثالها بل تفوق على ما سواها وتطول

ان الذي سمك السماء بنا لنا بيتا دعائمه أعز وأطول



واستمر أمير العمارة الشريفة حضرة الأمير أحمد المشار إليه شكر الله سبحانه  
وبارك له وعليه في غاية بذل الجهد والاجتهاد مقرون الحركة بالتوفيق والسداد  
يتلطف بالخدم والعمال ويتفضل عليهم بأنواع الافضال ويوصلهم أجورهم كاملة  
لا يقتطع منها مقتطعا من أحد ولا يضرب بحاله بل يزيدهم من عنده ويساعدهم بما له  
مع كمال الدقة في الأموال السلطانية الحرص على حفظها وعدم التبذير فيها وأما  
مال نفسه فيوسع به على الفقراء ويبذل لهم وللخدام والعمال ما أراد ويحسن إلى أهل  
البلاد مع التواضع وحسن الخلق وابن الكلام ومواساة الناس في جميع المهام  
والمشي في تشييع الجنائز معهم وعبادة مرضاهم وسلام القديوم واستجلاب رضاهم  
بحيث ترك عظمة الامارة وصار من جملة فقراء الناس لكثرة تواضعه فأحبه الناس  
وحمده وشكروا وجميله واحسانه وذكروا كثرة تجمله ولطفه ولقد جاءني إلى منزلي  
متفضلا مرارا وأنا من آحاد الفقهاء بل من أدنى الفقراء وما فعل ذلك إلا محبة  
في الله أحبه الله لا لأمر يناله مني فإنه أجل قدرا وأعظم خطرا من ذلك وما ذكرته  
إلا ليعلم حسن تواضعه وتخلفه وتلبسه بالأوصاف الجميلة وتحققه فلا جرم أن الله  
تعالى وفقه لهذه الخدمة الكسبية الفاخرة وأتم عمل هذا الخير العظيم على يده فيكفيه  
ذلك سعادة في الدنيا والآخرة فكم من وزير كبير نبيل بل ملك عظيم جليل يتمنى  
الوقوف في هذه الخدمة مع جلالته وبعدها من أكبر سعادة دنياه وآخرته وما قدرها  
الله تعالى إلا لمن ظهرت العناية الأزلية في حقه فاختره الله تعالى لذلك من بين  
عباده واصطفاه من خلقه وهو هذا الأمير الكريم الصفات فأنه تعالى يعينه على  
فعل الخيرات ويسدده في أفعاله وأقواله ويوفقه للباقيات الصالحات فلما كل جانبين  
من المسجد وهما الجانب الشرقي والجانب الشمالي وحصل خبر انتقال حضرة السلطان  
سليم إلى دار النعيم رحمه الله وطيب ثراه وأحسن إليه في الدار الآخرة واستمر  
الأمير أحمد المشار إليه أحسن الله تعالى إليه في عمله المبرور وفعله المعمور بالمعمور  
مستعينا بالله ولي الأمور .

# الطواف حول البعثة



( صورة المسجد الحرام في عصرنا الحاضر وقد ظهرت فيها الأساطين الرخامية الجميلة ، والمعقود اللقنة البديعة ،  
والقباب العالية المماثلة للنبنة ، وترى الكعبة العظيمة الشريفة والناس يطوفون حولها ليل نهار )

## فصل

في وفاة المرحوم المقدس السلطان سليم الثاني

وانتقاله إلى عالم القدس من ملك هذا الفاني

لما كان لكل أجل كتاب ولكل نفس أنفاس معدودة قدرها الله تعالى في أم الكتاب لا يسلم منه والد ولا مولود ولا سلطان ولا جنود ولا سيد ولا مسود ولا ينجو منه شيء خرج من كتم العدم إلى فضاء الوجود .

هو الموت سلطان البرايا لعاجز لديه وغلاب كمن لم يغالب ودرع الفتا في حكمه درع غارة وايوان كسرى من بيوت العناكب قدر الله تعالى له بالانابة عن كل ما يخالف أمره ورضاه غلب عليه قرب توجهه إلى الله صلاحه وتقواه وطهره الله تعالى بمقاساة المرض وكفاه وصيره نوراً روحانياً جوهرًا علويًا سنيًا وهيكلًا شريفًا مليكًا يصلح لجنات قدسه الكريم ودعاه قلبه بقلب سليم ومضى إلى رحمة ربه الرحيم فائزًا بالملك الآخروي في جنات النعيم مخاطبًا من الحضرات الألهية بلسان الألفاظ الرحمانية يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك واضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي .

وكان وقوع هذا الأمر المهور لسبع مضي من شهر رمضان فيضان الرحمة والاحسان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ودفن جسده الشريف وهيكله الطاهر المنيف بقرب أبا صوفية بترية طيبة غرا وروضة نضرة غنا تنوح بها ورق الأطيبار وتبكي فيها سحب الأمطار وتشقق أثوابها أكمام الأزهار وتلطم خدودها أوراق البهار أنزل الله تعالى عليه مطر الرحمة والرضوان وجعل قبره الشريف روضة من رياض الجنان .

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| سرى نعشة فوق الرقاب وطلما  | سرى جوده فوق الركاب ونائله  |
| أفاض عيون الناس حتى كأنما  | عيونهم ممسا تفيض أنامله     |
| فيا عين لا تشحبي بمائل     | على ملك لا يعرف النهر سائله |
| فان دفنوا تحت التراب جماله | فما دفنت أوصافه وشمائله     |
| سقى جدثا هالت عليه ترابه   | أناملهم مسح الغمام ووايله   |

## الباب العاشر

### في سلطنة سلطان العصر والزمان

#### خاقان خواقين العهد والدوران

ملك ملوك المشرفين والمغربين سلطان سلاطين الخاقين خادم الحرمين الشريفين عامر البلدين المحترمين المنيفين أعظم سلطان خفقت عليه البنود وتشرفت بمدحه رؤس المنابر وأكبر ملك جند الجنود وكتب الكتائب وحشد العساكر وأعدل خليفة انتظم به نظام الوجود وعقدت على عظمته عقود الخناصر .

ملك إذا ضاق الزمان بأهله . بخلا توسع في المكارم وانفسح  
تكبوا السحاب إذ تجارى كفه . فالغيث من راحاته عرق رشح  
ومكلف الأسد المصور يعدله . في القفر أن يرعى الغزال إذا منح

المنصوب له على أعلا أوج سرير السلطنة سرادق الخلافة العظمى المرفوع  
في أرجا بساط البسيطة لواء الملك الأسنى العظيم الأسماء .

حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأكرم السلطان مراد خان ابن السلطان  
سليم خان ابن السلطان سليمان خان .

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

لا زالت أعلام خلافته مرفوعة على هام الثريا ولا برحت ألوية سلطنته منصوبة  
فوق الكواكب مكانا عليا مادام الجديدان وطلع النيران ولمع الفرقدان .

مولده الشريف في منة ثلاث وخمسين وتسعمائة ورجس على تخت الملك الشريف  
في عاشر رمضان المبارك سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وسنه الشريف حين ولي الملك  
المنيف ثلاثون سنة وهو ملك همام وأسد ضرغام وهزبر مقدم ونيب صمصام  
وبحر طمطمم وملك بقائم سيفه ملوك الأملاك وأدار على حسب مراده الأفلاك

وملا بصيت عظمته ما بين السماك والأسماك وخاطبه الصبح والليل أسعد الله صباحك  
ومسك خداوندكار العالم وسلطانه وأمام المسلمين الذي إذا جلس على كرسية فما قدر  
كسرى وإيوانه وهو منذ هجر المهدي والرضاع مجبول على كرم الخصال وشرف  
الطباع مشغول اللسان بالذكر والقرآن مشغول الجنان بالسيف والجنان بمدود  
الهمة إلى معالي الشأن معقود الأمنية بعلو القدر وسمو المكان لم يزل قائما بنصرة  
الدين وحماته بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين وإني أنشر في هذه الرسالة سيرة  
معدته في الرعايا وأتحدث بما طبعه الله عليه من كرم السجايا وحبب إلى خلقه  
الشريف من الرأفة بالبرايا والمحبة لعلماء الدين وأكرامهم بالمواهب والعطايا وحسن  
نظره إلى الحرمين الشريفين وإحسانه إلى الفقهاء والفقراء والصلحاء بالبلدين المنيفين  
وأمره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام عمارة فائقة حسنة رائقة باقية في  
صفحات الأيام فاق بها من الخلفاء الكرام وسائر سلاطين الأنام وكافة ملوك  
الاسلام فلقد آتاه الله ما لم يوت أحدا من العالمين وجمع له بين أعظم سعادة الدنيا  
والدين وجعله ملكا كريما وسلطانا رؤفا رحيا ومنحه ملكا جليلا عظيما واقفا  
عند مراد ربه سبحانه فلا يتعداه عاملا في أمره بتوفيق الله مراعي للعدل والاحسان  
فيما استرعاه .

معاني بني عثمان خير خفية وكل إلى شأ والمفاخر سابق  
وقد تحمد الشمس النجوم بضوءها تفاوتت الانوار والكل رائق  
باسم مراد ينجلي كل مشكل غويص وتنقاد الجبال الشواهد  
ويوهنا في أن آدم لم يمت حنو على أولاده منه صاق  
ولطف تساوى الخلق فيه فضمهم كما ضمت الخصر الرقيق المناطق  
بقاؤك في الاسلام عز مؤبد قدم وابق للاسلام مادر شارق

طال ما عمرني وغمرني باحسانه وهو شزاده قبل جلوسه الشريف على تخت  
السلطنة والسعادة وشملني لحظة الشريف السلطاني بالحسنى وزيادة واستمر ذلك  
اللحظ الشريف السلطاني يشملني بلطفه وإكرامه ويكرمني بحسن التفاته الشريف  
وإنعامه فوق ما يبدي من المدرسة الشريفة السلطانية السليمانية مدرسة جده

المرحوم المحفوف بالرحمة الرحمانية وأنعم على أولادى بالتدريس وأولادهم بكل  
إكرام وإحسان لطيف نفيس .

قلو أن لى فى كل منبت شعرة لسانا يبت الشكر كنت مقصرا  
وما بيدى إلا الدعاء لنصره ليملك قسرا ملك كسرى وقصرا  
وانى لأخدمه أنا وأولادى وأجنادى فى بلد الله المنيف بالدعاء بطول عمره  
الشريف وخلود ظل عدله الورىف وبقاء سلطنته القاهرة ودوام خلافته الزاهرة  
الباهرة وأخلد ذكره الشريف فى صدور الدفاتر والكتب وانشر طيب عرف شكره  
على مرور الاعصار والحقب وانى وان أعطيت فى القول بسطة وطاوعنى هذا  
الكلام المحير .

لأعلم أنى فى الثناء مقصر وان الذى أولاه أوفى وأوفر  
فأى جميل من عطاياها ينتهى وفى كل حين فضله يتكرر  
ولكنى مادمت حيا لشاكر ويشكره بعدى كتابى المسطر

## فصل ء

ومن سعادة هذا السلطان الأعظم الأسعد ثبت الله سلطنته وشيد وأدام ملكه  
السعيد وخلد مقارنته هذا الوزير المعظم الأكرم الأفخم ظهير السلطنة الشريفة  
العثمانية وعضد الدولة المرادية الخاقانية مدير الأمور برأيه المصيب الثاقب وعمهد  
مصالح الجمهور بفكره الدقيق الصائب أعظم وزراء السلاطين العظام وأكبر الصدور  
الكبراء الفخام فى دواوين أعظم ملوك الأنام .

( حضرة محمد باشا ) المشار إلى حضرته العلية سابقا فى وزارة والد هذا السلطان  
الأعظم وجده قرن الله صدارته بسعادته وحده وأدام صدارته فى ظل إقبال هذا  
السلطان الأكرم وشمله بسعده فأول خدمة هذا الوزير حسن التدبير حتى أجلس  
حضرة هذا السلطان الأعظم روح هذا العالم على السرير وقام بأعباء هذا الأمر  
الخطير ودبر ذلك برأيه السيد أحسن تدبير وأعانه على ذلك تقدير اللطيف الخبير

وتيسير العلي الكبير والله على كل شيء قدير وأقبلت السلطنة الشريفه عليه إلى أن صار ملهج لسابها وعظم في عين الدولة الشريفه فحل محل إنسانها وكبر شأنه وقد كان كبيراً عظيماً وعم إحسانه وكان كثيراً عمياً وعرف نعمة الله فقابلها بالشكر والتحميد واعترف بآلاء الله تعالى جابياً للزيد وربطاً للجديد وأشرقت شمس سعاده في الآفاق وأورقت رياض صدارته انضرا اوراق وقلد أجياد أركان السلطنة الشريفه بعقود منته السامية المنيفة فكانت كالأطواق في الأعناق والنور في الأحداق بحيث لم يبق من أمراء الديوان وزعماء الجيوش والأمراء والبكركية الأعيان من لم يضرب بسهم وافر من عطاء ولم يخدمه الأفاضل بانعامه وحباه وأحسن إلى السادى والمشايخ والعلماء والموالى وسائر العطاء والأهالى وإلى أهل الحرمين الشريفين وجيران البلدين المطهرين المنيفين وأكثر فيهما الصدقات وأجرى فيهما الخيرات من اجراء العيون وحفر الآبار وبناء دار الشفاء والحمامات وغير ذلك من الأعمال الصالحات مستجلباً بذلك دعاء الفقراء والصلحاء وتوجه خاطر الأولياء والأصفياء بدوام دولة هذا السلطان الأعظم وقيام دولة سلطنته العظمى وخلافته الكبرى على هذا العالم فهم مواظبون على وظيفة الدعاء بدوام دولة سلطان الربع المسكون وبقاء صدارة هذا الوزير الأعظم بالسعد المقرون زين الله أعماله بحسن القبول وكسى ديباجه وجهه الشريف قبولاً يدوم بدوام الصبا والقبول في ظل مراحم هذا السلطان المحفوف بالعدل والإحسان خلد الله سلطنته العادلة مد الزمان وأبد خلافته الكاملة مادام الفرقدان وأضاء النيران .

ومن سعادة هذا السلطان الأعظم خلد الله سلطنته القاهرة على جميع هذا العالم مقارنته لحضرة الخواجا المعظم الأسعد الأكرم الأفاضل الأكمل الأعم الفائق في كل علم على من كان في علم العلوم فائقاً والتميز في كل فن على من كان في فن من الفنون ماهاً سابقاً أن نظم أتى بعقود الجواهر من نحور الحور وان نثر نثر الزهر المنشور من الروض المطور بعبارة فائقة البراعة في الألسن الثلاثة وفصاحة بارعة فيها حازها كسبا ووراثه طال ماهر الناقد البصير بحسن التقرير ولطف التحرير وأتى في البديهة بما يقصر بحثه بعد الروية كل ماهر تحرير ولا شك أنه يعترف من

بحر الفيض القدسي ويفيض بالقوة القدسية ما استفاضه من عالم القدس على عالم  
الإنس وإنه كتب الخط الحسن وما يقل خط عذاره الأنضر وتميز في الكمالات  
على مشايخه فضلا عن أقرانه في عصر شبابه الأزهر باحث العلماء في دقائق العلوم  
ورجح عليهم في تحقيق فهم المنطوق والمفهوم ونفت السحر الحلال كلامه ورقم على  
وجنات الطروس نفثات أقلامه فبهر العقول والألباب وأتى بالتصانيف الفائقة في  
كل باب وأتاه العلم والسعادة وفصل الخطاب ثالث السعدين وثاني سعد الدين مكنه  
الله من العز المكين ومنحه أعلى رتب السعادة والفضل والتمكين ولقد أسعده الله  
وأكرمه غاية التكريم فساقه إلى تعليم هذا السلطان الأعظم ذي الطبع السليم والخلق  
الكريم وهو شهر زاده فأقبل عليه بكمال قابليته الشريفة غاية الإقبال فانطبع في  
مرآة قوته الدراكة نفوس صور العلم والكمال وانتقش في صحيفة ذهنه الصقيل  
مزايا الفواضل والفضائل والافضال فلما ولي السلطنة العظمى عرف له خدمته السابقة  
ورفع مرتبته السنية الفائقة وأعلى مكانته ومكانه وأعز قدره وأعظم شأنه فانتالت  
العظام والموالي العظام إلى بابه وكذلك الآكابر والأعيان صمدوا إلى جنبه فأحسن  
إليهم كما أحسن الله إليه وعطف عليهم بمزيد الخنو والأحسان كما عطفت السعادة  
والإقبال عليه فهو بالخير الجميل مذكور وبمفقور التلطف والتكريم معروف مشهور  
طال ما شملني بإحسانه الكثير الوافر وعضدني بإطفه وجميله المتواتر وأخذ يدي  
أخذ الله بيده وأدام عليه فضله الباهر وأحسن غاية الاحسان إلى وتفضل بأنواع  
التفضل على وشمل بفضله أولادي وذوي نظر الله بعين عنايته والطفه إليه وأجرى  
مواد الكرم والاحسان على يديه وأسعده في ظل هذا السلطان الأسعد وخلد  
سلطنته العظمى وأيد خلافته الكبرى .

وهذا دعاء للبرية نافع وحسن رجاء للسعادة جامع  
وقد حقه حسن القبول لأنه عليه سجع الصدق والله سامع



## فصل

ومن سعاده هذا السلطان الأعظم عمر الله بشمول سعاده وبرحمته علماء العالم  
كثرة العلماء العظام الأعالى والفضلاء الفخام الموالى والمشايخ الأولياء الكرام  
والأهالى فى بابہ الكريم العالى وتحت ظله الظليل المتعالى فمنهم من اجتمعت به  
وعرفت كمال فضله واعترفت بعد مشاهدته برفعته فى العلم ومحلّه واعترفت من بحر  
فوائده وتقلدت بدرر فرائده ومنهم من كاتبني بفضله وكاتبته لفضله وتحققت ثقوب  
فهمه ووفور علمه وعقله ومنهم من أحطت علما بكماله بعد التفحص عن مرتبة فضله  
وأفضاله فوجدتهم فى الرتبة العليا فى الفضل والسكّال فائقين علماء الدنيا فى هذا العصر  
على كل حال فاني أتبع علماء كل إقليم وأسأل عن مراتبهم فى العلم وكالاتهم فى التعلم  
والتعليم وأكثر الفحص عن أحوالهم وتصانيفهم وفضائلهم وفوائدهم وتآليفهم  
واستجلب ما يمكن جلبه وأطلب منهم ذلك إذا أمكننى طلبه وأنشر ذلك بين العلماء  
فى كل بلاد وأبذلها لطلبة العلم الشريف من أهل القابلية والاستعداد وهذا دأبى منذ  
أمطيت عنى التأمم وأنيطت بمفارقي عقود العائم مع كثرة الواردين إلى بلد الله الحرام  
والوافدين من الأقطار الشاسعة لأداء حجة الاسلام وشده شغفى بملاقاتهم والتمن  
ببركاتهم والسؤال عن فضائل فضلائهم وكالاتهم فكنت أكثر الناس خبرة بأحوال  
العلماء ودرجاتهم فوجدت الموالى العظام من علماء الروم هم الفائقين فى هذا العصر  
فى هذه العلوم ونظرهم فيها أدق نظر فى المنطوق والمفهوم زادهم الله جمالا وكالا  
وفضلا باهرا وأفضالا وكل ذلك بشريف التفات هذا السلطان العالم سلطان العالم  
خليفة الله الأعظم على كافة الأمم جعل الله بوجوده الأنام وأكرم بعظيم إكرامه  
العلماء الكرام وأكابر فضلاء الموالى العظام فرفلوا فى أيام سعاده فى حلال المناصب  
العالية الفخام وأحرزوا قصب السبق فى ميادين المراتب فى ظلّه الظليل المستدام  
أدام الله تعالى لهم ذلك إلى قيام الساعة وساعة القيام .

وأما زمرة المشايخ والأولياء والصلحاء والأصفياء نفعنا الله ببركاتهم وأدخلنا  
ببركة محبتهم فى عداد خدام عتباتهم فمن شأنهم عدم الظهور لأعين الناس إلا نادرا .

وأما أرباب الظهور منهم لإرشاد عباد الله تعالى كأهل الزوايا وأصحاب النفع  
والتكايا فكثير ظاهرون كثرهم الله تعالى ونفع بهم ويجب على كل أحد أن يعتقد  
فيهم ولا ينكر على أحد منهم وأن شاهد منهم ما ينكره حمل نفسه على قصور الفهم  
فكم فيهم من ملامتي يقصد أن ينكر عليه ويخفي حاله على الصلاح أسلم وأجمل  
وقد ذكر الشيخ الأكبر مولانا محي الدين بن عربي رضي الله عنه في أول  
فتوحاته المكية من أعظم سعادة الانسان أن يعتقد في كل من اتسب إلى الله تعالى  
ولو كان كاذبا فنسأل الله تعالى أن يسعدنا بالاعتقاد في أوليائه حيث كانوا وكيف  
كانوا ويدخلنا في زميرتهم ويبعدنا عن المنكرين عليهم .

### فصل

ومن أعظم مآثره الجميلة الكرام وأكرم آثاره الجليلة العظام إتمام عمارة المسجد  
الحرام زاده الله شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما وقد تقدم أن والده السلطان الأعظم  
المندرج إلى رحمة ربه الكريم الأكرم شرع في تعميره على الوجه الذي تقدم وأنتم  
منه الجانب الشرقي والجانب الشمالي إلى أن انتهت العمارة الشريفة إلى باب العمرة  
فإعمر إلى أن تم العمارة وسلم ملكه المشيد إلى نجله السعيد السلطان الأعظم الفريد  
السلطان المشار إليه الأفخم الأكرم خلد الله ملكه الأعظم وأفاض على العالمين  
عده الأقوم .

فبرز أمره الشريف العالي إلى أمير العمارة الشريفة المشار إليه سابقا افتخارا  
لامراء الكرام أحمد بك أن يبذل جده وجهده في بناء المسجد الحرام ويسرع في  
انجار عمارته بكمال السعي والاهتمام فبادر الأمير المشار إليه إلى بذل الجهد والاجتهاد  
وتوجه بكلية إلى إتمام العمارة في خير البلاد فأعانه الله على إتمامها ومد بذلك سائر  
خدامها إلى أن تم بناء الجانبين الغربي والجنوبي من المسجد الحرام بجميع شرافاته  
وأبوابه ودرجاته من داخل المسجد الحرام وخارجه في أيام هذا السلطان الأعظم  
الأكرم خلد الله ملكه الأقوم وأيد سلطانه الأفخم وأفاض عليه موابغ الفضل

والنعم فتم والله الحمد بسعد طالعه السعيد وكل على هذا الوجه الحميد بحسن توجهه الشريف وقوة عزمه المشيد وكان ذلك في آخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة وصار المسجد الحرام نزهة للناظر وبغية للخاطر وجلاء للنواظر وصفوا للقلوب والخواطر بحيث ما عمره الخلفاء العباسيين قبل ذلك لا يحسن' عنده أن يذكر ويوصف لأن هذا البناء الشريف أمكن وأزين وأعلى وأشرف فكان الآن أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد بعقود عالية كأطواق الذهب في الأجياد وقبب سامية كقباب الأقال الشداد وشراقات شريفة مشرفة على المهاد والوهاد بل أعلا وأشرف وأجل والطف وأرفع وأنحف فبنى ذلك بالرخام الأبيض المرمر والحجر الشمسي المنحوت الأصفر كأنه سبك الذهب أو سبك العسجد والجوهر مكتوب على الأبواب وصدور الأروقة آيات الكتاب والاسم السامي السلطان المستطاب بحلى الذهب بخط كسلاسل الذهب على كل موضع ما يناسب من الآيات الشريفة القرآنية بالكتابة المنسوبة الفائقة الجميلة واخترع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان واخترت أخصرها لأنه خير مساجد الله ثم رأيت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخاً في بيت مفرد فأعجبني نظمه لحسن سبكه واستيفاء المعنى فيه فذكرته وهو هذا البيت .

جدد المسجد الحرام مراد دام سلطانه وطال أوانه  
ثم رأيت تاريخاً جعله سيدنا ومولانا شيخ الاسلام وناظر المسجد الحرام  
ومدرس أعظم مدارس أعظم سلاطين الأنام سيد السادات العظام بدر الملة والدين  
مولانا السيد القاضي حسن الحسني قاضي المدينة المنورة سابقاً أدام الله إجلاله  
وضاعف فضله واقباله فائتته هنا بحسن إنشائه ولطف مبناه وسلامة لفظه وبلاغة  
معناه وهو هذا باسمه سبحانه إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر  
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتمدين .

شرع في عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من اختاره الله من خلفائه وعبيده  
المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور له الشهيد سلطان الاسلام والمسلمين خاقان  
خواقين العالمين المستضى بفضل الله ظلال دار النعيم حضرة الملك الأعظم السلطان

سليم نور الله تعالى ضريحه وروح بروائح الجنان روحه بناه وأكمله وأتقنه وحسنه  
وجمله وارث الملك الأعظم الامام الأفخم والخليفة الأكبر العظيم والملك القاهر  
العمرم من ملكه الله شرق البلاد وغربها وجعل طوع يده بلاد عجم الرعايا وعربها  
وأطلعه سراجا منيرا في المشارق والمغارب وملكها مرفوعا على هام الكواكب  
وصيره للإسلام حصنا محيطا وجعل ظله المديد على كافة الناس بسيطا وعدله الفريد  
في جميع الوجود مبسوطا وفتح بسلطنته الشريفة طوائف الكفر والعناد وجمع له بين  
الملك في الدنيا والفوز في المعاد خليفة الله على كافة العباد ورحمة الله الشاملة لجميع  
البلاد سلطان سلاطين الزمان خلاصة آل عثمان السلطان ابن السلطان ابن السلطان  
الحنكار الأعظم مراد لازال الوجود بدوام خلافته عامرا ولا يرح الإيمان في أيام  
سلطنته قويا ظاهرا زاده الله قوة ونصرا وشد بملائكته الكرام أزرا فتاريخ تمامه  
قد جاء (أطال الله لمن أتمه عمرا) .

ثم ورد من الباب الشريف العالي تاريخ منظوم در النحور وغرب البحور  
وثره كالدر المنشور والزهر المنشور بخطبه وتعريفات السلطان الأعظم في آخره ثلاثة  
آيات بالعربي لا أعلم من أبدعه واخترعه وأنشاه ونظمه ووصعه وورد معه حكم  
شريف سلطاني يتضمن الأمر بكتابه على بعض أبواب المسجد الحرام فامثل  
الأمر الشريف وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف على باب سيدنا العباس إلى باب  
على رضى الله عنهما في الجانب الشرقي من المسجد ونقر له في الحجر الشمسي وطل  
محل الذهب في ذلك المقام ليقرأه الخاص والعام ويبقى ذلك النقر في الحجر على  
صفحات الليالي والأيام وهو هذا :

الحمد لله الذي أسس بنيان هذا الدين المتين بنبي الرحمة والارشاد وخصه بمزيد  
الفضل والكرامة والاسعاد وحمل حرم مكة مطافا لطوائف الطائفين الحاجين من  
أقاصى البلاد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأجلة الأجداد ووفق عبده المعتاد  
بأحكام الأحكام الشريفة وتشيد أركانها على وجه المراد المذخر في ذخر الآخرة  
المزيد من زاد المعاد أدام الله ظله الممدود على مفارق العباد السلطان ابن السلطان  
ابن السلطان ابن السلطان مراد جعل الله الخلافة فيه وفي أعقابها إلى يوم التناد لتجديد

معالم المسجد الحرام الذي يهواه العا كف فيه والباد فتم في افتتاح سلطنته العظمى لازال للحرمين المحترمين خادما ولأساس الجور والاعتساف هادما بتجديد حرم بيت الله عز وجل بأمره المميز المبجل وعمر عامر جوده ما تضعضع من أركانه بعد ما كان ينقض عوالي جدرانها فجدد جدران البيت العتيق وسوره بأكل زينة وصورة بعد ما أبلاه الجديدان وأكل عيذان أرضها الأرضة والديدان فرفع القباب موضع السطوح المبنية بالأخشاب وابتهج بهذه الحسنة الكبرى كل شيخ وشاب فأذعنوا له بالشرف الباهر والمجد الفاخر تالين قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وداعين له من الله الجميل والزخر الزاخر قائلين اللهم أدمه في سرير الخلافة محروما بحفظك من آفة وظافرا على من يريد خلافة مشيدا للمساجد والمدارس مجددا لكل خير منهدم ودارس واجعل بابه للرايين حرما آمنا وجنابه للمحتاجين كفيلا ضامتا يأتون اليه من كل فج عميق لحرمة البيت العتيق تقبل الله معطى السؤال بجاه الرسول هذا الدعاء الخرى بالقبول فلما أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان جاء مشيد الأركان حاكيا روضات الجنان وصار عنوان خلافته وبراعة استهلاله لمنشور سعادته في أوائل سنة أربع وثمانين وتسعمائة الهجرية وكان الابداء بذلك التجديد بأمر والده الدارج إلى مدارج الملك المجيد السلطان السعيد يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم السلطان سليم بن السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان مكنهم الله على سرور في دار الجنان وأثل اخلافهم في مسند الخلافة إلى انقراض الزمان وكان المشروع في الرابع عشر من ربيع الأول من شهر سنة ثمانين وتسعمائة فلما سلم السلطان سليم وديعته بأحسن تسليم وارتحل من دار القصور إلى ما هيا الله له في الجنة من القصور قبل تمام ما رام من تجديد المسجد الحرام وأجلس الله على سرير الخلافة نجله النجيب أحسن اجلاس وجعل حرمة مثابة للناس يسر الله له الاتمام بطلعة أقباله وجوده اللبالي والأيام وأنام الانام في مهد عدله إلى قيام الساعة وساعة القيام ونظم راقم هذه الأرقام تاريخا يليق أن يكتب في هذا المقام وهو هذا :

جده السلطان مراد بن سليم مسجد البيت العتيق المحترم  
 سر منه المسلمون كلهم دار منشور اللواء والعلم  
 قال ووح القدس في تاريخه عمر سلطان مراد الحرم اه  
 ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبي  
 الذي هو مجرى السيل الآن فان الأرض علت وامتلا السيل كله إلى أسفل مكة  
 بالتراب إلى ان لم يبق للدخول إلى المسجد من الأبواب التي في تلك الجهة إلا في  
 ثلاث درجات بعد أن كانت نحو خمس عشرة درجة يصعد منها إلى أن يدخل من  
 الباب إلى المسجد وكان هذا السيل يقطع ويحمل ترابه إلى خارج البلد من جهة  
 المسفلة في كل عشرة أعوام مرة ففعل عنه نحو ثلاثين عاما فعلت الأرض فجاءت  
 سيول طالحة ليلة الأربعاء عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فدخلت  
 من أبواب المسجد وامتلا المطاف الشريف ووصل الماء إلى حول الكعبة الشريفة  
 وعلا إلى أن غطى الحجر الأسود وجدار الحجر الشريف ووصل الماء والطين إلى  
 عتبة الكعبة الشريفة وعلا إلى أن قرب من قفل الباب الشريف ووقف الماء  
 في الحرم الشريف يوما وليلة وما أمكن أداء الصلوات الخمس فتعطلت الجماعة سبعة  
 أوقات وبادر مولانا شيخ الاسلام ناظر الحرم الشريف والامير المعظم المكرم  
 أحمد بك أمير العمارة الشريفة بخدامهم وعبيدهم وسائر المشدين وخدام الحرم الشريف  
 والفقهاء والأعيان والتجار إلى فتح طريق الماء من أسفل مكة .

ثم نظفت وغسل داخل البيت الشريف ثم نظف وغسل المطاف الشريف  
 ومقام الخنق ثم أخرجت الأوساخ من الحرم الشريف وكوم الطين أكواما  
 في المسجد ثم أخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصباء الجديدة وتعب في ذلك  
 حضرة الأمير أحمد بك وصرف من ماله مبلغا كبيرا ثم شرع في قطع المسيل وتهييط  
 أرضه إلى أسفل عشر درجات أو نحوها من الجانب الجنوبي من المسجد الحرام  
 إلى آخر المسفلة وهو يمر سيل أعالي مكة فصار السيل إذا سال درج بسرعة ولم يصل  
 إلى أن يمكنه الدخول إلى المسجد الحرام وفعل ذلك أيضا من جهة باب الزيادة  
 في الجانب الشمالي وهو يمر سيل قيقعان وحواليه وجرى إلى باب الزيادة ولم يصعد

الى باب المسجد بل يدخل سردابا واسعا يسمى العنبة ويجرى فيه إلى أن يخرج من قرب باب ابراهيم فيسيل إلى أسفل مكة مع السيل الكبير وصان الله المسجد الحرام بذلك وصارت السيول بعد ذلك تسيل ولم تصل إلى باب المسجد ولم تقرب منه وهذا رأى شديد وعمل مهم نافع فيصان به المسجد الحرام عن دخول السيول إليه غير أنه يحتاج إلى أن تتعقد في كل عامين أو ثلاثة أعوام فيقطع ما علا من الأرض قبل أن يعلو كثيرا فيحتاج إلى قطع كثير ومصرف زائد فاللزام على ولي الأمر سلطان الاسلام والمسلمين نصره الله تعالى وشيد به قواعد الدين أن يقن لذلك قانونا فيقطع هذا السيل في كل عامين مرة ليستمر المسيل منهبطا دائما لجريان السيل فيه صونا للمسجد الحرام عن دخول ماء السيل إليه في كل سيل يأتي ويكون ذلك قانونا مستمرا للسلطين ويسطر ثواب ذلك في صحائف هذا السلطان الأعظم نصره الله تعالى .

وكانت اليد البيضاء في هذه المرة في هذه الخدمة الشريفة للأمير المعظم أحمد بك المشار إليه أنعم الله عليه وأكرم منزلته لديه وأجرى كل خير بيديه ويكفيه عند الله هذه المرتبة العظمى والثوبات العظمى الكبرى .

وأخبرني الأمير المشار إليه أعظم الله شأنه وأحسن إليه أن الذي صرفه في عمارة المسجد الحرام هدمًا وبناءً وقطعا لأرض المسيل من جهة الجنوبي إلى آخر المسفلة ومن جهة باب الزيادة إلى آخر مجرى سرداب العنبة من خاصة أموال السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى مائة ألف دينار ذهب جديد سلطاني وذلك غير ثمن الأخشاب المحمولة من مصر إلى مكة المشرفة وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحي والمجارف والمسامير والحديد المحدد رأسه بطول الراوقين وبين الاسطواناتين تحت كل عقد كيلا يجلس طير الحمام عليه وغيره فيلوث المسجد بذرة وهذا الحديد لتحديد رأسه وتواصله يمنع من جلوس الطير عليه وغير أهلة القصب التي عملت بمصر من النحاس وطلبت بالذهب وجمزت إلى الحرم الشريف فركبت على أعلا القصب فصار لها منظر حسن وزينة عظيمة كأنها صفوف بالأسا كف من الذهب بغاية السكون والأدب حول بيت الله تعالى زاده الله تعالى رفعة وعظمة ومهابة واجلالا

وأثمان ذلك خارج عن القدر المصروف في العمارة الشريفة وكان عمل أهلة قبب المسجد الحرام بمصر بأمر بكر بكى مصر الآن نائب السلطنة الشريفة بها في هذا الزمان أمير الأمراء العظام كبير الكبر الفخام محي البلاد والعباد بعدله الأني سمي روح الله المسيح والأسماء تنزل من السماء زاد الله شأنه عظما وأنعم بأحيائه العلماء العظام والسادات الأجلاء الكرام وأفاض على أهل الحرمين الشريفين من فيض نيل كرمه الفياض ما يزيد على القياس ويزرع بسحاب معدته ومرحة بدر محبته ومودته في قلوب الناس وأعانه على البر والتقوى وصانه وحماه عن جميع الأسوا وأفاض عليه جلائل نعمه الباطنة والظاهرة وجمع له بين سعادتي الدنيا والآخرة . ولما كان هذا المسيح أحياء موات مصر وعمر ما فيها من الخيرات أبرأ جميع ما بها وبأهلها من الأوصاب وأنعمش أهل الحرمين الشريفين كما أحيى الموتى روح الله المسيح وجهد إليهم الصدقات المبرورة السلطانية المرادية وسرحها إليهم أحسن تسريح فهم داعون بدوام معدته وخلود ملك السلطان الأعظم المحسن الجزيل الاحسان حيث ولي رعاياه من يرأف بهم وينعم عليهم بالخيرات الحسان أدام الله سعادته وإقباله ورقاه وحفظه ورعاه وحماه من الأسواء ووقاه .

## فصل

### في ذكر أساطين المسجد الحرام

قبل هدمها وتجديدها على ما صارت عليه الآن

اعلم ان عدد جملة أساطين المسجد الحرام في جوانبه الأربعة غير الزياتين أربعائة أسطوانة وتسعة وستون واسطوانة وما على أبوابه سبع وعشرون أسطوانة فتكون جملة أساطين أبوابه الشريفة أربعائة أسطوانة وستا وتسعين أسطوانة بتقديم التاء على السين غير ما كانت من أساطين للزيادتين فكان في الجانب الشرقى ثمان وثمانون أسطوانة كلها رخام مخروط ما عدا أسطوانة واحدة في الصف الأوسط عند باب على فانها من الأجر مبنية بالنورة مبيضة بالجص .



وكان في الجانب الشمالي ويقال له الشامي مائة أسطوانة وأربع أساطين كلها رخام ما عدا أربعة عشر أسطوانة من آخر الصف الأوسط بما يلي باب العجلة وباب السدة فانها حجارة منحوتة .

وكان في الجانب الجنوبي ويقال له اليماني مائة وأربعون أسطوانة كلها رخام ما عدا خمسا وعشرين أسطوانة في مؤخر هذا الرواق عند أبواب أم هانئ فانها كلها حجارة منحوتة .

وكان في الجانب الغربي سبعة وثمانون أسطوانة كلها حجارة منحوتة قطع دون الذراع منحوتة في نصف الدائرة مركبة على كل اثنين منها اثنين إلى أن يطول في شكل أسطوانة الرخام مسبوك بينهما من الرصاص في داخل وسطها حديد بطول الاسطوانة منحوت مكانه في وسط الحجر مسبوك عليه بالرصاص عمل ذلك في أيام الناصر فرج برقوق لما احترق هذا الجانب الغربي من المسجد الحرام في آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة كما تقدم شرحه في محله فيكون جميع ما أدركناه من الأساطين غير الرخام مائة وتسعة وعشرون أسطوانة .

وأما أساطين دار الندوة فأدركنا ستا وستين أسطوانة من جانبيها الأربع كانت من الحجر الغشيم غير منحوت مطلية بالجص من ظاهرها وقد ينكشف عنه الجص فيظهر الحجر الغشيم فيها في الجانب الشرقي اثنتا عشرة أسطوانة وفي الجانب الشمالي عشرون .

ثم في أيام دولة المرحوم المغفور له السعيد الشهيد السلطان سليمان خان سقى الله عمده صوب الرحمة والرضوان أمر أميراً من أمرائه بجدة هو الأمير حوش كادي في سنة سبع وأربعين وتسعمائة وما بعدها أن يهدم مقام الخنق الذي كان بناه الأمير مصلح الدين في ابتداء الفتح العثماني لمالك العرب وأن يبني مكانه مربعا على وضعه الباقي إلى أننا هذا فجاء في فكره الشريف أن يجعل في المسجد الشريف حاصلا واسعا لحفظ مؤن المسجد وأخشابه وآلاته وأن يجعل إلى جانبه حاصلا آخر يوضع فيه زيت قناديل الحرم الشريف وشمعه وقناديله وظروف زيته ومسارجه فعمد إلى هذه الزيادة وجعل الجانب الشرقي منها حاصلين حجرة وبني

عليه وجعل له بابين لهذه المصلحة واستمر كذلك إلى أيام دولة هذا السلطان الأعظم عمر الله به الوجود وأفاض على أهل العلم بظل سلطنته العادلة سبحانه العدل والاحسان والجلود فأعد ذلك المحل المحجور من المسجد الحرام كما كان .

وأما زيادة باب إبراهيم فقد كان منها في الرواق سبعة عشرة اسطوانة من الحجر المنحوت صفيين متصلين في الرواق القبلي الذي يلي المسجد الحرام اثنتان منها لاصقتان برباط رامشت على يمين المستقبل واثنتان لاصقتان برباط الحوزى على سائر المستقبل . وفي الجانب الشمالى ستة أساطين إحداها لاصقة بالمنارة التى كانت بهذه الزيادة ولم يكن بالجانب الغربى من هذه الزيادة أساطين .

ثم فى أيام السلطان الغورى أرسل أميراً من أمراءه يقال له خير بك المعمار لتعمير زياده باب إبراهيم فى حدود سنة سبع عشرة وتسعمائة فبنى على باب إبراهيم قصراً مرتفعاً مع مرافقه وجعل حول القصر من خارج المسجد معازل ومساكن وبنى خارج ذلك ميضأة يشتمل على مراحض وبركة ماء وقف ذلك جميعه على جهات خير وبنى من داخل باب إبراهيم على يمين الداخل حاصلاً فى أرض المسجد وفى علوه سكناً وعلى يسار الداخل مثله وقرر فيها بعض المستحقين وجعل فى الجانب اليمانى من هذه الزيادة حاصلاً يشتمل على سبيل ماء وصهريج كبير يمتلىء من ماء المطر من سطح المسجد وأبقى الجانب القبلى والجانب الشمالى على حالهما وفرغ الأمير خير بك المعمار من ذلك فى حدود سنة عشرين وتسعمائة .

وأما عدد شرافات المسجد الحرام من داخله فكانت أربعاً شرافة وسبعة أنصاف شرافة .

وأما الشرافات التى كانت على جدر المسجد من خارجه فهى اثنان وخمسون شرافة متفرقة أعلى أبواب المسجد الحرام ليس فيها شرافات وكانت فى زيادة دار الندوة من جوانبها الأربع التى تلى بطنها اثنان وسبعون شرافة ولا شرافة للجهة الخارجة لإحاطة الدور بها وكانت فى زيادة دار إبراهيم مما يلي بطنها فى ثلاث جهات منها وهى القبلى واليمانى والشامى بضع وأربعون شرافة .

وأما أبواب المسجد الحرام فهي تسعة عشر بابا كانت تفتح على ثمانية وثلاثين طاقا وهي باقية على حالها ما عدا باب واحد في زيادة دار الندوة وكان يفتح على طاقين فزادها الأمير قاسم أمين بناء المدارس الشريفة السلطانية السلجمانية طاقا واحدا وصار على ثلاث طاقات فصارت طاقات أبواب المسجد الحرام الآن تسعا وثلاثين طاقا في كل طاق درفتان وسيأتي تفصيلها بعد ذكر الاسطوانات المتجددة في عصرنا .  
والذي اشتمل عليه المسجد الحرام الآن من الاساطين الرخام والاساطين الصفر الشمسي والقنب والطواحين والمصليات وشراريف المسجد الحرام فهي ما نذكره .  
وأما الاسطوانات الرخام فعددها ثلثمائة وإحدى عشرة اسطوانة في جهة شرقي المسجد الحرام وهي ما يقابل باب البيت الشريف اثنتان وستون اسطوانة رخام وفي جهة شامية ويقال له الجانب الشمالي وهو ما يقابل الحجر الشريف إحدى وثمانون اسطوانة رخاما وفي جهة غربية أربع وستون اسطوانة من ذلك وهو ما يقابل المستجار العظيم ست اسطوانات من الحجر الصوان والباقي من الرخام .

وفي زيادة دار الندوة خمس عشرة اسطوانة من ذلك واحدة من الحجر الصوان وفي زيادة باب إبراهيم ست اسطوانات .

وأما الاسطوانات الصفر الشمسي فجملتها مائتان وأربع وأربعون اسطوانة وهي عبارة عن شكل مثنى أو مسدس أو مربع على حسب ما اقتضاه المكان وهي في طوال الاسطوانة العليا مقدار الثلث من الحجر الصوان المنحوت وثلثاها من الحجر الشمسي المنحوت .

فمن ذلك في شرقي المسجد الحرام ثلاثون اسطوانة .

وفي جهة غربية ست وثلاثون اسطوانة .

وفي جهة جنوب ست وسبعون اسطوانة وأربع أركان المسجد .

وفي زيادة باب إبراهيم ثمانى عشرة .

وأما القنب فعددها مائة واثنان وخمسون قبة .

فمن ذلك في شرقي المسجد الحرام أربع وعشرون قبة وفي الجانب الشامي ست وثلاثون قبة واحدة في ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة وفي زيادة دار الندوة ست عشرة قبة وفي زيادة باب ابراهيم خمس عشرة قبة .

وأما الطواجن فجملتها مائتان واثنان وثلاثون طاجنا إو في الجانب الشمالي تسعة وخمسون طاجنا وفي الجانب الغربي ثلاثة وأربعون طاجنا وفي الجانب الجنوبي أربعة وستون طاجنا واثنان في مأذنة باب السلام واحد في ركن المسجد من جهة باب العمرة وفي زيادة دار الندوة أربعة وعشرون طاجنا .

وأما المصليات فجملتها ستة وخمسون مصلى في جهة شرقي المسجد الحرام مقابل باب السلام ثلاثة وفي جهة شامية اثنان وعشرون وفي جهة غربية به ستة عشر وفي جهة جنوبية خمسة عشر وأما الشرفات فجملتها ألف وثلثمائة وثمانون شرافة فمن ذلك في شرقي المسجد الحرام مائة واثنان وستون شرافة .

فمن الرخام سبع وعشرون في وسطهن واحدة طويلة ومن الحجر الشميسي مائة وخمس وثلاثون .

ومن جهة شامية ثلثمائة وإحدى وأربعون .

فمن الرخام ثمانية وسبعون منها ثلاث طوال والباقي من الحجر الشميسي .  
ومن جهة غربية مائتان وأربع .

فمن الرخام اثنان وعشرون في وسطهن واحدة طويلة والباقي من الحجر الشميسي وفي زيادة دار الندوة مائة واحدة وتسعون من الحجر الشميسي . وفي زيادة باب ابراهيم مائة وست وأربعون من الحجر الشميسي لا غير .

وأما أبواب المسجد الحرام الآن فعدتها تسعة عشر بابا تفتح على تسعة وثلاثين طاقا في كل طاق درفتان فيها خوخة تفتح فمنها بالجانب الشرقي أربعة أبواب وفي الدرفة اليمنى من الطاق الأوسط خوخة أيضاً تغلق الدرفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يدخل المسجد أو يخرج منه فترد الخوخة كما كانت وكذلك جميع الخوخت .

الأول باب السلام ويعرف بباب بني شيبه وهو ثلاث طاقات وهذا الباب لم يحدد فيه شيء لسكونه عامراً محكم البناء وفي الدرفة اليمنى من الطاق الأوسط خوخة تغلق الدرفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يفتح المسجد ويخرج منه .

- الثاني طاقان ويعرف بباب الجنائز وبياب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحدد في هذا الباب غير الشرافات التي عليها وعدتها أربع وعشرون شرافة .
- الثالث ثلاث طاقات ويعرف ببياب العباس لمقابلته لدار العباس رضى الله عنه ويعرف أيضا ببياب الجنائز .
- الرابع ثلاث طاقات ويعرف ببياب علي وبياب بني هاشم وقد جدد هذا الباب والذي قبله على أحسن وضع .
- وعدد ما عليهما من الشرافات مائة وخمسة عشر شرافة وبالجانب الجنوبي سبعة أبواب .
- الأول طاقان ويقال له باب بازان لأن عين بازان قريب منه وقد جدد هذا بأسلوب حسن وعدد ما عليه من الشرافات ستة عشر شرافة
- الثاني طاقان ويعرف ببياب البغلة بياض موحدة وغين معجمة وقد جدد هذا الباب ولم يعمل عليه من الشرافات .
- الثالث باب الصفا لأنه يليه ويعرف أيضا ببياب بني مخزوم وهو خمس طاقات وقد جدد هذا الباب تجديدا حسنا وعدد شرافاته تسع وعشرون شرافة .
- الرابع طاقان ويعرف ببياب أجياد الصغير وقد جدد وعدد شرافاته تسع عشر شرافة
- الخامس طاقان ويعرف ببياب المجاهدية ويقال له باب الرحمة وقد جدد هذا الباب وعدد شرافاته عشرون .
- السادس طاقان ويعرف ببياب مدرسة الشريف عجلان لاتصاله بها وقد جدد الباب أيضا وعدد شرافاته عشرون .
- السابع طاقان ويعرف ببياب أم هاني وقد جدد هذا الباب ببناء حسن لطيف وأسلوب ظريف وعدد شرافاته ثلاث عشرة شرافة .
- وبالجانب الغربي ثلاثة أبواب .
- الأول طاقان ويعرف ببياب الحزورة ولم يحدد في هذا الباب شيء أصلا لعمارته .
- الثاني طاق واحد كبير يقال له باب ابراهيم ولم يحدد هذا الباب أيضا لعمارته قصره لأن قصر الغوري مبني عليه .

الثالث طاق واحد ويعرف بباب العمرة لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون منه ويدخلون في الغالب وكان قديماً يسمى باب بني سهم وقد جدد هذا الباب وعدد شرافاته ثلاث شرافات .

وبالجانب الشمالي خمسة أبواب

الأول طاق واحد ويعرف بباب السدة وكان يقال له باب عمرو بن العاص رضى الله عنه وقد جدد هذا الباب أيضاً وعدد شرافاته ست شرافات .  
الثاني طاق واحد ويعرف بباب العجلة ويعرف بباب الباسطية لاتصاله بمدرسة عبد الباسط المتقدم أيضاً وقد جدد هذا الباب أيضاً وعدد شرافاته سبع .

الثالث طاق واحد بزيادة دار الندوة في ركنها الغربي ولم يحدد هذا الباب أيضاً . وطبقانه ثلاث طاقات بالزيادة المذكورة بجانبها الشامي وقد كان هذا الباب قديماً طاقين إلى أن أمر المرحوم الأمير قاسم بك ببناء المدارس السلطانية ففتح طاقاً ثالثاً ثم هدمت الطاقات الثلاث عند بناء المسجد الحرام وأعيدت كما كانت وعدد شرافاته اثنتان وعشرون شرافة .

الخامس طاق واحد ويعرف بباب الدرية بالقرب من منارة باب السلام وقد جدد هذا الباب الأمير قاسم بك المذكور سابقاً عند بنائه للمدارس السلطانية .  
( وأما منائر المسجد الحرام ) فهي الآن ست منائر يؤذنون عليها في الأوقات الخمس .  
أولها منارة باب العمرة عمرها أبو حفص المنصور ثاني ملوك بني العباس وعمرها بعده وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وكان رئيس المؤذنين يؤذن بها في زمن الفاكهي ويتبعه سائر المؤذنين ثم صار في زمن التسقي القاسمي يؤذن رئيس المؤذنين بباب السلام ويتبعه سائر المؤذنين وهو الآن يؤذن الأوقات الخمس على قبة زمزم ويتبعه المؤذنون إلالياً رمضان في التسحير فإن رئيس المؤذنين يسحر فيها على منارة باب السلام ويتبعه المؤذنون في التسحير واحداً بعد واحد وكذلك في التمجيد والتذكير والتوديع ونحو ذلك وقد أدركنا هذه المأذنة وهي عتيقة البناء فأمر بتجديدها المرحوم المقدس المغفور له الأقدس السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان فهدمت إلى الأرض وبُنيت بالأجر وأعيدت كما كانت بدور واحد إلا أنهم غيروا رأسها على أسلوب

منائر بلاد الروم وكانت أسلوب منائر مصر يعلق عليها في رأسها ثلاث قناديل في ثلاثة أعواد مغروزة في قبة صغيرة على رأس المأذنة وكان ذلك في إحدى وثلاثين وتسعمائة وثانيها منارة باب السلام عمرها المهدي بن المنصور العباسي الذي وسع المسجد الحرام في سنة ثمان وستين ومائة وهي بدورين ثم تهدمت في زمن الناصر فرج بن برقوق في ستة عشر وثمانمائة وهي باقية إلى الآن وثالثها منارة على وأول من عمرها المهدي العباسي لما عمر منارة باب السلام واستمرت إلى أن أدركناها وقد آلت إلى الخراب وكانت بدور واحد في أعلاها فأمر المرحوم المغفور له المقدس المبرور السلطان سليمان خان عليه التحية والروح والريحان فهدمت وأعيدت من الحجر الأصفر الشمسي وجعل لها دوران أعلا وأسفل وغير رأسها على أسلوب منائر الروم. ورابعها منارة الخزورة وهي بدورين أول من بناها المهدي العباسي ثم عمرت في زمن الأشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت سقطت في سنة إحدى وسبعين وسبعمائة وسلم الناس منها فوصل المعمرون لعمارتها وفرغوا منها في مفتاح محرم الحرام سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بتقديم السين فيهما وهي باقية إلى الآن. وخامسها منارة باب الزيادة وهي قديمة بدورين بناها المعتضد العباسي لما بنى زيادة دار الندوة ثم سقطت وأنشأها الأشرف برسبأي في عام ثمان وثلاثين وثمانمائة كما هو في حجر بجانب المأذنة والله أعلم.

وسادسها منارة مدرسة السلطان قايتباي رحمه الله تعالى بناها على عقد باب مدرسته الذي إلى جهة المسمى في غاية الصناعة بثلاثة أدوار افتخر بصنعتها مهندس عصره على مهندس زمانه وبني نظيرها منارة أخرى على عقد باب مسجد الحفيف بمى في حدود سنة .

والسابعة منارة السلطان الأعظم المغفور له الأقدس السلطان سليمان تغمدده الله بالرحمة والرضوان أمر ببنائها في أحد مدارسه الشريفة فيما بين باب السلام وباب الزيادة وهي منارة في غاية العلو والارتفاع مشرفة على البقاع مبنية بالحجر الشمسي الأصفر مسبوكة سبك الذهب الأحمر لها ثلاث دوائر مرفوعة وأساسات محكمة

موضوعة رأسها على أطراف بلاد الروم تكاد تلازم معارج النجوم وتغوص في الأرض إلى مدارج التخوم بناها المرحوم قاسم أمين العمارة السلطانية السليمانية وسنجد جده المعمورة فرغ من بنائها في أثناء سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة رحمه الله وهذه وهي المنائر السبعة التي هي حول المسجد الحرام الآن عليها عمل المؤذنين في الأوقاف الخمس وفي رمضان وغيره وكانت على المسجد منائر أخرى ذكرها أصحاب التاريخ .

منها على باب إبراهيم منارة شبه صومعة هدمها بعد أمراء مكة المشرفة لإشرافها على داره ذكرها التقي الفاسي رحمه الله تعالى .

ومنها منارة ذكرها ابن جبير على باب الصفا قال وهي أصغرها وهي علم لباب الصفا ولا يصعد إليها الضيقها انتهى .

ومنها منارة على الميل الذي يهرول عنده من يسعى بين الصفا والمروة ذكرها الفاكهي وهذه المنائر الثلاثة كانت على المسجد الحرام وهدمت ولا يعلم من بناها ولا متى هدمت وبعلم مكة منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة بقرب بئر عدي بن مطعم ابن نوفل (١) يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم فتح مكة فيه وهي منارة عيقة ذهب رأسها وكان لها دوران لا أعلم من بناها يؤذنون فيها بعض أهل الخير في مغرب شهر رمضان ويسحر عليها آخر الليل ويطنق قنديلها بعد السحور أعلاما بدخول أول الفجر ليمتنع الصائمون من الأكل والشرب وهو باق إلى الآن .

وذكر التقي الفاسي رحمه الله تعالى أن المنائر بمكة على غير المسجد الحرام كانت كثيرا في الشعائر والمحلات وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات وكانت لهم أرزاق تجرى عليهم وأول من جدد تلك المنائر على رؤس الجبال وفجاج مكة وشعابها

(١) في هذه العبارة غلط والصحيح كما تقدم بقرب بئر جبير بن عدي بن نوفل - وقد

مر ذكر هذه البئر ومسجد الراية في أوائل الكتاب بصحيفة ٧



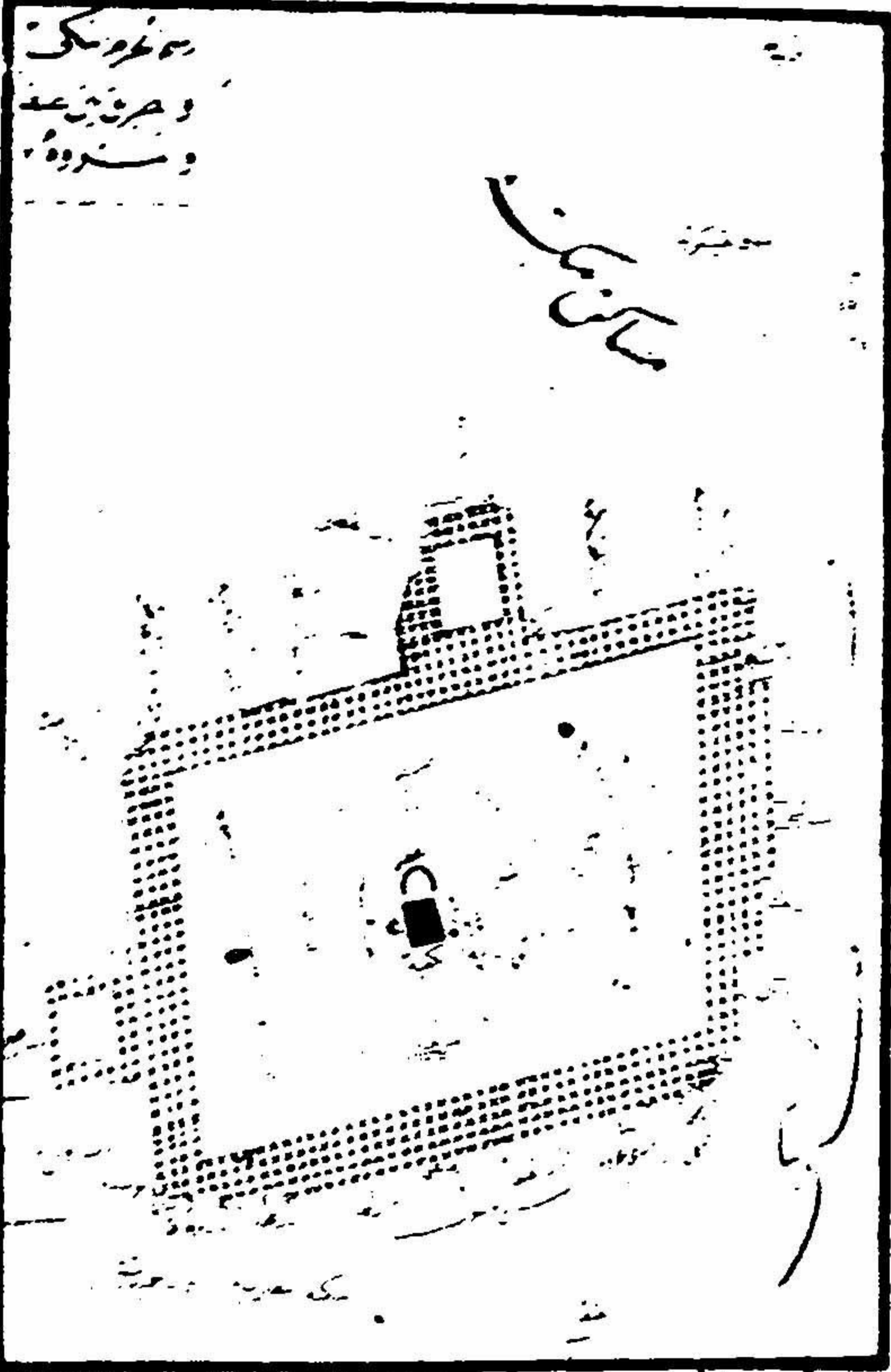
هرون الرشيد وأجرى على المؤذنين بها أرزاقا ، وكان لعبد الله بن مالك الخزاعي على جبل أبي قبيس منارة على القلة منارة ومنارة مشرفة على أجياد ومنارة إلى جنبها ولعبد الله بن مالك منارة تشرف على المحزرة ومنارة في شعب عامر وعلى جبل تفاعحة وجبل الاعرج وعلى الجبل الأحمر ومنائر كثيرة عددها ورأيت في تعليقه أنها كانت خمسين منارة في شعاب مكة ثم قال التقى وقد ترك الأذان على جميع هذه المنائر وما بقي شيء منها والله أعلم .

### خاتمة

#### في ذكر المواضع المباركة والأماكن الماثورة بمكة المشرفة

فمنها المواضع التي نص العلماء رحمهم الله تعالى إلى أن الدعاء فيها مستجاب .  
وذكر الحسن البصري رضي الله عنه خمسة عشر موضعا يستجاب الدعاء فيها وعددها وزاد غيره مواضع أخرى فبلغت ثلاثة وخمسين موضعا وذكر منها مواضع غير معروفة الآن فانتصرنا على المعروف منها .  
وهي مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وقد جربته مرارا وتحت ميزاب الرحمة وداخل الكعبة وعند زمزم خلف المقام وعلى الصفا وعلى المروة وفي المسعى وفي عرفات وفي المزدلفة وفي منى وعند الجمرات وعدتها ثلاث مواضع غير أن علماءنا ذكروا أن الحاج يقف للدعاء بعد الرمي عند الجمرة الأولى وعند الجمرة الثانية ولا يقف بعد الرمي عند الجمرة الثالثة وهي جمره العقبة ويظهر من كلامهم أن الوقوف للدعاء بعد جمره العقبة غير ماثور لأنه لا يدعى هناك فقد ذكر الحسن البصري أن الدعاء عندها مستجاب كالجمرتين الأوليين .

وعد أبو مهمل النيسابوري من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء باب النبي صلى الله عليه وسلم ويقال له باب الحرير وباب القفص عد منها باب الصفا وباب السلام وعد القاضي مجد الدين الفيروزا بادي في كتابه الوصل والمنا في فضل منى مواضع أخرى يستجاب الدعاء فيها فمنها نقلا عن النقاش المفسر في نسكه فقل



رسم المسجد الحرام في زماننا نقلناه من كتاب المحمل والحج

انظر صورة المسجد الحرام في عصرنا الحاضر  
 وقد ظهر فيها ابوابه بوضوح تام

يستجاب الدعاء في ثبير وفي مسجد الكبش وزاد غيره فقال وفي مسجد الخيف وزاد آخر وفي مسجد النحر وهو موجود الآن بمي غير أنه دار عمر الله من عمره نحر فيه النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ثلاثاً وثلاثين بدنة وأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يكمل نحر تمة مائة بدنة عنه وهو موضع مأثور مشهور زاد المحافظ بن الجوزي وفي مسجد الخيف على يمين الذهاب إلى عرفات في هذا الغار تجويف في سقفه تزعم الجامعة أنه لأن لرأس النبي صلى الله عليه وسلم فأثر فيه تجويفاً فيضع الرائر رأسه فيها يتمنا وتبركا بموضع رأس النبي صلى الله عليه وسلم ولم أقف على خبر اعتده في ذلك إلا أن الأثر وارد بنزول سورة والمرسلات .

قال النقاش ويستجاب الدعاء في دار خديجة رضي الله عنها أم المؤمنين وهي معروفة بمكة وتعرف بمولد السيدة فاطمة رضي الله عنها لأنها ولدت فيها وهي وجميع أولاد خديجة رضي الله عنها من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ما كنا فيها إلى أن هاجر إلى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان فجعلها مسجداً يصلى فيه كذا ذكره الأزرق وعمر هذا المحل الشريف في زمان الناصر العباسي وفي زمان الأشرف شعبان صاحب مصر وعمره أيضاً الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وكان المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان أمر بتعمير هذا الجانب الشريف فعمر قبة ومسجداً يصلى فيه ويزار يجتمع فيه الفقراء للذكر كل جمعة بعد الصلاة إلى العصر وكل ليلة ثلاثاء من العشاء إلى الصبح يذكرون الله تعالى وكان عمارتها في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة .

قال ويستجاب الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضع مشهور يزار إلى الآن ومن لحفه مسجد يصلى فيه ويكون في كل ليلة اثنين فيه جمعية يذكرون الله تعالى ويزار في الليلة الثانية عشر من شهر ربيع الأول في كل عام فيجتمع الفقهاء والأعيان على نظام المسجد الحرام والقضاة الأربعة بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشموع الكثيرة والمفرقات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم بالأعلام الكثيرة ويخرجون من المسجد إلى سوق الليل ويمشون فيه إلى محل المولد

الشریف بازدهام وینخطب فیہ شخص ویدعو للسلطنة الشریفة ثم یعودون إلى المسجد الحرام ویجلسون صفوفا فی وسط المسجد من جهة الباب الشریف خلف مقام اشافعیة ویقف رئیس زمزم بین یدی ناظر الحرم الشریف والقضاة ویدعو للسلطان ویلبسه الناظر خلعة ویلبس شیخ الفراشین خلعة ثم یؤذن للعشاء ویصلی الناس علی عادتہم ثم یمشی الفقہاء مع ناظر الحرم إلى الباب الذی ینخرج منه من المسجد ثم یتفرقون وهذه من أعظم مواکب ناظر الحرم الشریف بمكة المشرفة ویأتی الناس من البدو والحضر وأهل جدة وسكان الأودية فی تلك اللیلة ویفرحون بها وکیف لا یفرح المؤمنون بلیلة ظهر فیها أشرف الأنبیاء والمرسلین صلى الله علیه وسلم وکیف لا یجعلونه عبدا من أكبر أعبادهم غیر أن بعض المتقشفین أنکر خصوص هذه الجمعية علی هذا الوجه لزعم أنه یجتمع فیہ من الملامی والغوغاء واجتماع الرجال والنساء وافضاء ذلك إلى مالا یصح شرعا فیکون بدعة ولم یحک عن السلف شیء من ذلك .

والصواب أن هذه الجمعية ان حفظت علی ما ینکر فیها من الجمع بین الرجال والنساء ویقع فیها ما یتوهم من وقوع الملامی فی بدعة حسنة تتضمن تعظیم النبی صلى الله علیه وسلم بالذکر والدعاء والعبادة وقرامة القرآن وقد أشار النبی صلى الله علیه وسلم إلى فضیلة هذا الشهر العظیم بقوله صلى الله علیه وسلم للذی سأله عن صوم الاثنین ذاك یوم ولدت فیہ فتشرف هذا الیوم متضمن لتشرف هذا الشهر الذی هو فیہ فینبغی أن یحترم غاية الاحترام لیشغله بالعبادة والصیام والقیام ویظهر السرور فیہ بظهور سید الانام علیه أفضل الصلاة والسلام .

وأما المبتدعات السیئة والمنكرات فیہی محرمة فی كل مقام والله ولی الاعتصام وقال بعض العلماء قید اجابة الدعاء فی مولد النبی صلى الله علیه وسلم عند الزوال .  
وفی دار السیدة أم المؤمنین خدیجة بنت خویلد رضی الله عنها أفضل المواضع بمكة بعد المسجد وذلك لسكنی رسول الله صلى الله علیه وسلم فیها ولکثرة نزول الوحی علیه بها وفیها مولد فاطمة الزهراء رضی الله عنها .

ومنها دار الخيزران وهو من قرب الصفا كانت تسمى دار الأرقم المخزومي ثم عرفت بدار الخيزران .

والمختبي هو أفضل المواضع بمكة بعد دار أم المؤمنين رضى الله عنها الكثرة مكث النبي صلى الله عليه وسلم فيه يدعو الناس للإسلام مستخفياً عن أشرار قريش الكفار ذكره التقى القاسمى فى شفاء الغرام .

وقد وقت بعض العلماء الدعاء فيها بما بين العشاءين والمختبي قبة تزار وهو الموضع الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يختبيء فيه من الكفار ويجمع فيه آمن به ويصلى بهم الأوقات الخمسة سرا إلى أن أسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فجهر بالإسلام وبالصلاة وأعز الله الإسلام به .

ودار الخيزران هى دور حول المختبي ملكتها الخيزران أم الرشيدشراء لما حجت وتناقلت فى يد الملاك إلى أن صارت الآن من جملة أملاك سلطان سلاطين العالم خليفة الله على خليفته من بنى آدم سلطان الروم والعرب والعجم الملك المظفر المنصور الأعظم .

مراد خان الأكرم الأفخم عمر الله بمعدلاته الربع المسكون وأسعده فى كل ما يظهر منه من الحركة والسكون ومنها فى جبل ثور عند الظهر وجبل ثير وحرأ مطلقاً ومنها مسجد البيعة وهو مسجد على يسار الذهاب إلى منى بينه وبين العقبة التى هى حد منى مقدار غلوة منهم أو أكثر وهو مسجد منهدم فيه حجران مكتوب فيهما ما يدل على ذلك فى أحدهما أمر عبدالله أمير المؤمنين أكرمه الله تعالى ببناء هذا المسجد مسجد البيعة التى كانت أول بيعة بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد له العباس بن عبد المطلب وانه فى سنة أربع وأربعين ومائة والمشار إليه أبو جعفر المنصور العباسى وعمره أيضا المستنصر العباسى كما فى حجر آخر بناء فى سنة تسع وعشرين وستمائة وتلك الأحجار ملقاة بذلك المسجد الخراب يخشى عليها الضباع فيندثر أثر هذا المسجد

وكان المرحوم ابراهيم دفتر دار مصر سابقا أمين عرفات رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنته شرع فى تجديد هذا المسجد وأسس به وبنى طاقاته وجدرانها وتوفى إلى رحمة الله تعالى قبل أن يتمه وما وفق أحد بعده إلى الآن لإتمامه وهو من المساجد الماثورة النبوية

وهو الذي بايع فيه النبي صلى الله عليه وسلم سبعون من الأنصار بحضرة عمه عبد المطلب رضى الله عنه فنادى ازب العقبة وهو شيطان ذلك المكان معاشر قريش أن الأوس والخزرج بايعوا محمدا على أن ينصروه فأمسكت الأنصار بقوائم سيوفها وقالوا لنقاتلن الأسود والأحمر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفاهم الله تعالى ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم شر ذلك الشيطان ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه إلى المدينة لما أذن لها في الهجرة وهذا مسجد شريف يستجاب الدعاء فيه رحم الله من يكون سبباً في تجديده وعمارتة .

ومنها مسجد المتبكي يستجاب فيه الدعاء يوم (١) . وأنكر الأزرقى وجوده وقال القاضى أبو البقاء الضياء الحنفى فى البحر العميق ان بأجباد الصغير موضع يقال له المتكى وهو دكة مرتفعة عن الأرض ملاصقة لدار بعض بنى شيبه .

قلت وهذه الدار دثرت الآن وما بقى منها إلا بعض أحجارها وطال ما سألت كثيراً من الأعيان أن يعمروها ويعيدوها كما كانت فما وفق أحد لذلك ليسكون ذلك الثواب نصيباً لمن وفقه الله لذلك .

وذكر النقاش فى مناسكه المواضع التى يستجاب فيها الدعاء بمكة ووقت لكل بقعة أوقاتاً معينة .

قال أما خلف المقام وتحت الميزاب فى السحر وعند الركن اليمانى وقت الفجر وعند الحجر الأسود نصف النهار وعند الملتزم نصف الليل وداخل زمزم عند غيبوبة الشمس وداخل البيت عند الزوال وعلى الصفا والمروة عند العصر وبمنى ليلة البدر شطر الليل وبالمزدلفة عند طلوع الشمس وبعرفة وقت الزوار تحت السدرة وهى غير معروفة الآن وبالموقف عند غيبوبة الشمس كذا ذكره النقاش ومنها جبل أبى قبيس وإنما سمي به لأن رجلاً من اياديكنى أباً قبيس سعد فيه وبني فيه بناء فعرف به .

(١) جاء فى الجامع اللطيف وفى المتكأ غداة الأحد

قال الفاكهي أن الدعاء فيه يستجاب وان وفد عاد قدموا إلى مكة للاستقاء لقومهم فأمروا بالطلوع إلى أبي قبيس للدعاء وقيل لهم لم يعلم خاطيء يعرف الله منه الأناثة إلا إجابة إلى ما دعاه إليه وفيه على إحدى الروايات قبر آدم وحواء وشيث عليهم السلام .

قال الذهبي في جرثه في تاريخ آدم وبنيه مانصه وخلفه بعده شيث ابنه ونزلت عليه ثلاثون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس .

وقال وهب بن منبه حفر لآدم في موضع من أبي قبيس يقال له غار الكنز فاستخرجه نوح عليه السلام وجعله في تابوت معه في السفينة فلما نضب الماء رده إلى مكة انتهى وقيل غير ذلك وفي أعلى الجبل صهريج يزوره الناس وليس ذلك بقبر آدم عليه السلام وإنما هو صهريج كان يعد للماء لما كان على رأسه قلعة قديما وزعم الناس أن من أكل يوم السبت في جبل أبي قبيس رأسا مطبوخا يسلم من وجع الرأس طول عمره والناس يتهافتون على ذلك في كل صبح يوم سبت وفيه موضع يزعم الناس أن القمر انشق فيه النبي صلى الله عليه وسلم وليس لذلك صحة كذا ذكره السيد التقي الفاسي رحمه الله تعالى .

قال وهو أول جبل وضعه الله في الأرض وذكر بعض العلماء أنه أفضل جبال مكة وفضله على جبل حراء ونوقش في ذلك ومنها رباط قديم بمكة يسكنه فقراء المغاربة تسمى رباط الموقف وقفه القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الاسكندري في سنة أربع وستمائة يحكى عن الشيخ خليل أنه كان يكثر إتيانه ويقول ان الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه ويروى عن الولي المشهور الشيخ عبد الله ابن مطرف أنه قال ما وضعت يدي في حلقة هذا الرباط إلا تذكرت ووقع في نفسي كم لله ولي وضع يده في هذه الحلقة وفي مقبرة المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعاء منها قبر أم المؤمنين سيدتنا خديجة الكبرى رضي الله عنها وهو محل في شعب بني هاشم كان فيه تابوت من خشب يزار فبنى عليه قبة من الحجر الشميسي الأمير الكبير السعيد الشهيد محمد بن سليمان جرکز دفتر مصر في أيام المرحوم داود باشا نائب الديار المصرية في أيام السلطان الأقدس المرحوم المقدس السلطان سليم خان عليهم

لرحمة واتحة والرضوان في سنة خمس وتسعمائة وكفى الشاؤون الشريف  
 كسوة فاخرة وعينه خذما وزعمه عوفة من خريز لصدقت شريفة السلطنة  
 الغمانية جارية عنه في الآن وكان من أهل الخير والنجيز والمعروف كرمًا جرادا  
 بنولاً له حسان كبير وجدير وافر أحسن الله إليه كما أحسن إلى وضاعف حسنه  
 ومحيي بيته حج إلى بيت الله تعالى وهو أمير لتركب تشامي وأحسن إلى الناس  
 كثيراً وعم حسبه وكان يحب العلماء والأصحاء ويكرمه ويحسن إليهم ويقضى  
 حوائجهم حيث كانوا يسعون أيامه تفتت القهر ثم قتل مظلوماً وعند الله تجتمع  
 الخصوم وإله غفور رحيم ومنها عند قبر سيدنا فضيل بن عياض رضي الله عنه  
 ومما في محوطه فيها جماعة أولياء أجداد كبراء منهم الشيخ تقي الدين ثبكي والشيخ  
 عبد الله بن عمر المعروف بالظواشي وكثير من مشاهير الأصحاء آخرهم مولانا الشيخ  
 عبد الحفيظ النقشبندی الرومي رحمه الله تعالى ومنها عند قبر الشيخ أبي الحسن علي  
 الشولي رضي الله عنه ذكر الشيخ خيل المالكى أن الدعاء عنده مستجاب وكفلك  
 عند قبر حمزة الخير بالمعلاة ويقال له إننا أراد أن يدعو عند حمزة الخير يستقبل  
 القبلة بحيث يكون تربة الملك المسعود بحذاته عن يساره وقد امتدت تربة الملك  
 المسعود الآن محلها فوق البئر المعروف بئر أم سليمان الموجودة الآن مرتفعا عن  
 طريق السيل ومنها عند قبر الدالاصى بالقرب من الجبل قال المرجاني في بهجة  
 النفوس الدعاء عند قبره يستجاب ومن المواضع التي جربتها أنا لقبول الدعاء تربة  
 شيخنا المرحوم مولانا علاء الدين الكرمانى النقشبندی طيب الله تعالى ثراه ونفع  
 بركاته أحياه توفي سنة تسع وعشرين وتسعمائة وله كتب جليلة في الطريق أجدلها  
 كتاب منظوم في مقابلة المشوى رحمه الله وفي مكة مواضع مباركة ومواليد متبينة  
 ومساجد ماثورة غير هذه فمنها مولده سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي  
 الله عنه وهو بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقرب جبل أبي قبيس من قفاه  
 في شعب يقال له شعب علي به مسجد يصلى فيه ومولد يزار إلا أنه منهدم الآن  
 عمر الله من عمره ومنها موضع يقال له مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه في أسفل  
 مكة لاصق بموضع يسمى بازان وهو مجرى عين حنين إلى بركة ماجن قال السيد



التقى الفاسي رحمه الله لم أر شيئا يدل على أن صحة هذا المكان مولد السيد حمزة  
رضي الله عنه لأن هذا المحل ليس محلا لبني هاشم وطول هذا المحل خمسة عشر ذراعا  
وثلاث وعرضه سبعة أذرع وربيع في صدره محراب وبابه في الجدار الذي إلى جهته  
بركة ما جن انتهى . وقد خرب الان وامتلا بالتراب فلا يظهر له محراب ولا باب  
ولا جدر وهو قد سمي بمولد سيدنا حمزة فرحم الله من أحياء وعمره ومنها موضع  
في أعلا جبل يقال له جبل النوبي يقال انه مولد سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه يطلع الناس إليه للسير والفرجة لإشرافه على مكة ومن الناس من  
يقصد للزيارة قال التقى الفاسي رحمه الله لا أعلم في ذلك شيئا يستأنس به غير أن  
جدي أبا الفضل النويري كان يزور هذا الموضع في جمع من أصحابه في الليلة الرابعة  
عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة انتهى .

قلت وهذا باق إلى الان يجتمع بعض الفقراء في الليلة الرابعة عشر من كل  
سهر يذكرون الله تعالى فيه أحياء الله لتلك الليلة ومنها موضع بقرب العجلة يقال  
انه مولد سيدنا جعفر الصادق بن أبي طالب يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم دخله  
والله أعلم بحقيقة ذلك ومنها في زقاق المرفق محل فيه مسجد يقال انه دكان سيدنا  
أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويقال انها داره وبناه نور الدين بن عمر بن علي  
ابن رسول الغالي صاحب اليمن قبل أن يؤل الملك إليه في سنة ثلاث وعشرين وستمائة  
ويقابل هذه الدار حجر يتبرك الناس بلمسه يقال انه كان يسلم على النبي صلى الله  
عليه وسلم متى اجتاز قال التقى الفاسي رحمه الله تعالى هذا الحجر ان صح كلامه للنبي  
صلى الله عليه وسلم هو الحجر الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اني لا أعرف  
حجرا بمكة كان يسلم على ايمالي بعثت انتهى .

قلت وبقرب هذا الحجر قبل أن يوصل إليه في مقابلته على يسار صفحة حجر  
مبنى في الجدر في وسطه حفرة مثل محل المرفق يزوره العوام ويزعمون أن النبي  
صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه فخاص مرفقه الشريف في ذلك الحجر وهو يكلم  
الحجر الذي أمامه على شماله قال القاضي أبو البقاء بن الضياء في البحر العميق ذكره  
سعد الدين الاسفرايني في كتابه زبدة الأعمال ان أهل مكة يمشون إذا رأوا

المواليد من دار خديجة رضى الله عنها إلى مسجد يقولون انه دكان أبى بكر الصديق كان يبيع فيه الخبز وأسلم فيه على يده عثمان بن عفان رضى الله عنه وطلحة والزبير رضى الله عنهم قال وفى جدار هذا الدكان أثر مرفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء دار أبى بكر رضى الله عنه ذات يوم ونادى يا أبا بكر انتهى .

قلت الجدار الذى فيه المرفق بعيد عن دكان أبى بكر رضى الله عنه إلى ناحية القبلة بينهما درر وما رأيت فى كلام أحد من المؤرخين من حقق شيئاً من ذلك والله أعلم بحقيقته .

ومن الدور المباركة بمكة دار سيدنا العباس رضى الله عنه بالمسعى عند أحد الميلين الأخضرين وهى الآن رباط يسكنه الفقراء ومنها موضع بلحف جبل قيقعان ياصق دار سيدنا ومولانا قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام القاصى حسين ابن أبى بكر الحسينى أطال الله بقاءه وأدام علاه يقال له معبد الجنيد أحيا المشار إليه . ما أثره قال سعد الدين الاسفراينى انه معبد الجنيد ومعبد ابراهيم بن آدم رضى الله عنهما . ومن الجبال الماثورة بمكة جبل حراء بكسر الحاء المهملة وفتح الراء الممدودة ممنوعا وكانت الجاهلية تعظمه أيضا وتذكره فى أشعارها فمن ذلك قول أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم

وثورا ومن أمسى ثيرا مكانه وراق ليرقى فى حراء ونازل

ويقال له جبل نور بالنون أيضا لظهور أنوار النبوة ولكثر إقامة النبي صلى الله عليه وسلم فيه وتعبده ونزول الوحي عليه فيه وذلك فى غار أعلاه صهريج ماء يجتمع فيه فى أيام ماء عذب سائغ قال السهيلي فى الروض الانف ان قريشا لما طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهموا بقتله كان على جبل ثبير فناداه وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فانى أخاف أن تقتل وأنت على ظهري فيعذبني الله فناداه حراء إلى يا رسول الله قال القاضى أبو البقاء بن الضياء فى البحر العميق ان النبي صلى الله عليه وسلم اختبأ من المشركين فى غار ثور فيحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم اختبأ عن المشركين فى حراء فى واقعة ثم اختفى منهم فى غار ثور وقت الهجرة .

قلت لم ينقل وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم مرتين وليس في حديث السهيلي ان حراء لما نادى النبي صلى الله عليه وسلم إلى اختبيء من المشركين خصوصا وقد قال السهيلي لما نقل هذا الحديث في الهجرة قال وأحسب في الحديث ان نورا ناداه لما قال له ثيرا هبط عنى (ومن الجبال المباركة المأثورة جبل ثور) وهو جبل أكبر من حراء وأبعد منه بالنسبة إلى مكة سمي بشور بن مناة لسكنائه به وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق دخلا واختبيا فيه عن المشركين لما قصدوه بالقتل فنجاه الله تعالى منهم .

قال صاحب البحر العميق يروى أن أبا بكر رضى الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها إلى الغار جعل طورا يمشى أمامه وطورا يمشى خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى أذكر الرصد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك واحفظ الطريق يميننا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر ان الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مخصر القدم بل كان يطاء الأرض بجميع قدمه وكان حافيا فخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمله أبو بكر رضى الله عنه على كاهله حتى انتهى به إلى الغار فلما وضعه أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار فقال أبو بكر والذي بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخل فاستبره قبلك فدخل أبو بكر رضى الله عنه فجعل يلمس بيده الغار في ظلمات الليل مخافة أن يكون فيه شيء يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم ير شيئا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار وباتا فيه فلما أسفر بعض الأسفار رأى أبو بكر رضى الله عنه خرقا في الغار فألقمه قدمه حتى الصباح مخافة أن يخرج منه شيء فيؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار والراء فنبتت وحماتين وحشيتين فعشتتا عليه وباضتا وأقبل فيتيان قريش من كل بطن رجل بعضهم وسيوفهم ومعهم كورين علقمة القصاص فقص الأثر حتى انتهى إلى الغار فقال لهم إلى هنا انتهى أثره فما أدري بعد ذلك أصدعد السماء أم غاص في الأرض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال لهم أمية بن خلف ما أريكم في الغار وان عليه

لعنكوبتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله في الغار بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضى الله عنه فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن العنكبوت وقال انها الجنود من جنود الله تعالى والراء شجرة لها زهر دقاق يعض يحشى به المخاد (١) وحمام الحرم من نسل تلك الحمامتين ذكره السبيلي .

وفي الصحيحين والترمذى عن أبي بكر رضى الله عنه قال نظرت إلى أقدام المشركين وهي على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدمه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما انتهى . وكان خوف الصديق رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعلى نفسه فانه قال يا رسول الله ان قتلت فأنا رجل واحد من أمتك وان أصبت أنت هلكت الأمة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسكن روعه ويقوى جاشه ويقول له لا تحزن ان الله معنا فرجع المشركون خزايا وعصم الله تعالى نبيه وصاحبه منهم .

وقد ثبت في صحيح البخارى أنهما مكثا في الغار ثلاثا . وعن طلحة البصرى قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه مكثت أنا وأبو بكر رضى الله عنه بصعة عشر يوما ومالنا طعام إلا تمر البرير قال أبو داود البرير الاراك . وفي حديث الهجرة أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه أمر ابنه عبد الله أن يتسمع لها ما يقوله المشركون فيهما نهاره ثم يأتيهما ليلا بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وأمر مولاه عامر بن فهيرة ألا يرعى غنمه نهاره ثم يريجهما عليهما في الغار إذا أمسى وكانت اسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما تأتيهما ليلا بما تصلحه لها من الطعام . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون نهاره في قريش يتسمع ما يقولون في شأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتيهما إذا أمسى ويخبرهما الخبر وكان عامر

(١) الظاهر من هنا أن هذا الزهور هو للسمى عندنا بالحجاز بالطرف بكسر الطاء واسكان الراء ، والحكمة في ظهور هذا النبات على قم الغار دون غيره أن هذا النبات خفيف تكسر سريعا بأقل لمس فبقاؤه سليما دليل على أنه لم يدخل الغار أحد كما دل على ذلك نسج العنكبوت ووجود الحمامتين واقه تعالى اعلم ، وقد تكلمنا على حمام الحرم في كتابنا في مقام إبراهيم عليه السلام « فراجعه هناك ان شئت

ابن فهيرة يرعى غنمه في رعيان مكة فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبهما  
لها فاذا راح عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم  
لقفاه حتى يعمى أثره على الكفار حتى إذا مضت الثلاثة وسكت عنهما الناس أتاهما  
صاحبهما الذي استأجراه ليريهما الطريق وأتتهما أسماء رضى الله تعالى عنهما  
بسفرتها وارتحلا . وبقية أخبار هجرتهما في السير فليراجعهما من أرادها . ورحم الله  
تعالى الأبوصيرى حيث قال في برده .

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عمى  
فالصدق في الغار والصديق لم ير ما وهم يقولون ما بالغار من أرم  
ظنوا الخمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم  
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

قال المسرجاني في بهجة النفوس ذكر لي أن رجلا كان له أموال وبنون وأنه  
أصيب بذلك قلم يحزن ولم يجزع على مصائبه لقوة صبره وتحمله فقال روى أنه من  
دخل غار ثور الذي آوى إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبه أبو بكر  
رضى الله عنه وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شيء من مصائب  
الدنيا وقد فعلت ذلك فما أجد حزناً . وقال المسرجاني رحمه الله تعالى هذه الخاصية  
من تأثير قوله تعالى ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا  
انتهى . وهذا الغار مشهور معروف يتلقاه الخلف عن السلف ويزوره الناس  
ويدخلون إليه من بابه الكبير الذي يروى أن جبريل عليه السلام ضربه بجناحه  
ففتحه وقل أن يدخل إليه أحد من بابه الضيق لأن الدخول فيه ويحتاج إلى فطنه  
والمشهور عند العوام أن من حبس فيه لا يكون ابن أبيه وذلك كلام باطل لا أصل  
له وقد تعوق فيه قديماً وحديثاً كثير من الناس وأخذ لهم حجارون من مكة وقطعوا  
عنه وتكرر ذلك كثيراً في كل عصر ومع ذلك لم يتسمع كثيراً بل يتعوله الناس  
فيه للجهل بكيفية الدخول خصوصاً إذا كان شخصاً بطيئاً . وطريق الدخول فيه  
أن الداخلى إليه ينبطح على وجهه ويدخل رأسه وكتفيه ثم يميل إلى جانب يساره  
فلا يجد ما يعوقه ويسلك مائلاً إلى اليسار .

وأما من لا يعرف طريق الدخول فيدخل رأسه وكتفيه يستمر داخلا يباقي جسده فتصادمه صخرة أمامه وتعوقه فيرفع رأسه إلى فوق ويشخن بوسطه فلا يمكنه الولوج لسمنه وكلما شدد في الدخول تعوق وانحبس فيحتاج إلى حجار يقطع قليلا تخلصه ولا يتفطن لليل إلى جهة ليخلص بسهولة ولكن الخرق قد اتسع كثيرا الآن.

### ومن الجبال المباركة في الحرم ثبير

وهو على يسار الذهاب إلى عرفات في منى وهو الذي أهبط عليه السكبش الذي فدى به سيدنا اسماعيل عليه السلام قال مجد الدين الفيروز آبادي في كتابه الوصل والمنى في فضل منى أن بابكر النقاش المفسر قال في مناسكه : أن الدعاء يستجاب في ثبير الأثبير الذي يلحقه مغارة الفتح لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوه وأيام ظهور الدعوة وذكر أن بقرب المغارة التي أنشأها بلحف ثبير تعتكف عائشة رضي الله عنها :

قال التقي الفاسي ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة انتهى قلت هذه الصخرة غير معروفة الآن : قال رحمه الله تعالى حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز ابن عمران عن معاوية الأزدي عن معاوية بن قره عن الجلد بن أيوب عن أنس ابن مالك رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى فطارت من قطعة ثلاثة أجبل فوقعت بمكة وثلاثة أجبل بالمدينة فوقع بمكة حراء وثبير وثور ووقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى .

ومنها الجبل المقابل لثبير الذي بلحفه مسجد الخيف لأن فيه غاراً يقال له غار المرسلات فيه أثر رأس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . قال ابن جبير بعد أن ذكر مسجد الخيف وبقره على يمين المار في الطريق حجر مستدير إلى سفح الجبل مرتفع عن الأرض يظل ما تحته ذكر أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدم تحته مستظلاً ومس رأسه الكريم فلان الحجر حتى أثر فيه تأثيراً بقدر دورة الرأس فيضع الناس رؤسهم في هذا الموضع تبركا بموضع رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيلا تمس رؤسهم النار برحمة الله عز وجل .

وقال ابن خليل يستحب أن يزور مسجد المرسلات زلت فيه المرسلات وهو  
يمين مسجد الخيف . وذكر المحب الطبري في كتابه الغزي عن عبد الله بن مسعود  
رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غار بمي  
إذ وثب علينا حية فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت  
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيت شركم كما وقيت شركها أخرجه البخاري .  
قال السيد التقي الفاسي رحمه الله تعالى بلغني عن شيخنا المجد الفيروز آبادي أنه  
قرأ في هذا الغار سورة المرسلات في جماعة فخرجت عليهم حية فابتدروها ليقتلوها  
فهربت وهذا من غريب الاتفاق لموافقته للقصة التي اتفقت للنبي صلى الله تعالى  
عليه وسلم :

ومنها جبل الخندمة : وهو جبل كبير خلف أبي قبيس . قال الفاكهي حدثني  
أبو بكر أحمد بن محمد المليكي حدثنا عبد الله بن عمر بن أسامة قال حدثنا أبو صفوان  
المرواني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ما مطرت  
مكة قط إلا وكان الخندمة غرة (١) وذلك أن فيها قبر سبعين نبياً انتهى وهي مشرفة  
على أجياد الصغير وشعب عامر ومر معروفة الآن عند الناس بمكة .

### وأما المساجد الماثورة المباركة

فإنها ما قد انمحي أثره ولا يعرف مكانه فلا نطول كتابنا بذكره . وأما الموجود  
المعروف منها فعدة مساجد .

(١) وفي نسخة « كان للخندمة عزة » كما ذكره الشيخ عبد الله الغازلي رحمه الله تعالى  
في تاريخه ولقائل أن يقول لا يوجد أي اثر لقبر من تلك القبور في هذا الجبل - فنجيبه  
أن إذا صحت هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما فتكون هذه القبور في أسفل  
الجبل تحت الأرض فإن جبال مكة لم تبقى على حالتها الطبيعية فقد طمر من الجبا نصفها وذلك  
من أثر مرور آلاف السنين عليها فنزول الأمطار وجريان السيول مما يسبب تدحرج الصخور  
والاحجار من فوق الجبال إلى أسفلها وبتراكم الأتربة وتعمير الناس للمنازل والبيوت ترتفع  
الأرض ، وهذه الكعبة المشرفة فقد بناها سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام على  
أكمة مرتفعة عن الأرض ، وهذا المسمى لم يكن أرضه مستوية كما هو اليوم

منها مسجد الإجابة على يسار الذهاب إلى منى في شعب بقرب ثنية إذاً يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه وهو متهدم وفيه حجر مكتوب فيه أنه مسجد الإجابة وأنه عمر في سنة عشرين وسبعمئة وعمر قريباً ثم انهدم وبني حول العريبان بيوتاً وهم يصلون فيه ويصونونه إلا أنه يحتاج إلى أعظم من هذا .

ومنها مسجد بأعلى مكة يقال أنه مسجد الجن قال الأزرقى في تسمية أهل مكة مسجد الحرس في مقابل الحجون وأنت مصعد على يمينك وإنما سمي مسجد الحرس لأن العسس يجتمعون عنده ليلاً قال وهو فيما يقال الموضع الذي خطه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن وأن الجن بايعوا رسول الله تعالى عليه وسلم فيه اهـ . قلت وهذا المسجد الذي تحت الموضع الذي يسمى الآل الفرهادية بينهما طريق ضيق والله أعلم .

ومنها مسجد الراية فيه مأذنة ذات دورين تهدم رأسها الآن يقال لها منارة أبي شامة وأمامه إلى جانب اليسار بئر معطلة الآن يقال أنها بئر حبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ويقال أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ركز رايته يوم الفتح في هذا المسجد (١) .

ومنها مسجد بالدعاء عند الميل الأيمن للمستقبل في مقابلة زقاق المجزرة . قال السيد الفاسي رحمه الله تعالى يقال أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى فيه المغرب على ما هو مكتوب في حجرين بهذا المسجد أحدهما بخط عبد الرحمن ابن أبي حري وفيه أنه عمر في رجب سنة ثمان وثمانين وخمسائة . وفي الآخر أنه عمر في سنة سبع وأربعين وستمئة وذكره الأزرقى أيضاً في المواضع التي يستحب الصلاة فيها بمكة . قلت هو مسجد لطيف جداً الآن ومعروف أحاطت به الدور إلا الجهة الجنوبية منها التي هي الطريق وهو بين دكاكين السوق يتعين على أهل الخير بناؤه وصونه وتعظيمه وفقهم الله تعالى لذلك .

ومنها مسجد بأسفل مكة ينسب إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(١) تقدم الكلام في أوائل الكتاب بصحيفة ٧ على هذا المسجد والبئر المذكورين



يسمى الآن دار الهجرة ويقال أنه ركب منها مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، يزوره الناس وفيه يذكرون الله تعالى.

ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل يقال له مساجد عائشة رضي الله تعالى عنها وهو بعيد عن أميال حد الحرم وكان يسمى مسجد الهليباجة لشجرة كانت هناك قديماً وقد تهدم هذا المسجد وما بقي منه إلا آثار جدارات قائمة وكان المكان الذي أرسل إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أم المؤمنين عائشة مع أخيها رضي الله عنهما ليعتمرا منه ولا يصل إليه المعتمرون الآن بل يقتصرون على أميال الحرم فيبرزون منها قليلاً ويحرمون بالعمرة ويعودون ومسجد عائشة رضي الله تعالى عنها مما يتعين تجديده وتعميره لأنه من الآثار المباركة القديمة وقد تركه الناس لتهدمه واقتصروا على مساجد مرضومة بالأحجار بمحاريب مرضومة من الأحجار الصغار تهدم ويرضم غيرها وكأنها من وراء الأميال يمر أي منها وهناك صهريج عظيم قديم يمتلئ من السيول أيام المطر يتوضأ المعتمرون منه فلما حج الوزير المعظم المجاهد في سبيل الله حضرة سنان باشا يسر الله له ماشاً في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة اعتمر من التنعيم وكان هذا الصهريج خالياً لأنه لم يكن أيام المطر حينئذ ورأى المعتمرين يحملون ماء الوضوء معهم من مواضع بعيدة يتعبون في ذلك وكانت هناك بئر بعيدة مهدمة مملوءة بالتراب فأمر سيدنا ومولانا شيخ الإسلام ناظر المسجد الحرام السيد القاضي حسين الحسيني أن يحصل له من يحفر ذلك البئر ويبنى له مجرى يجري فيه الماء من البئر إلى الموضع الذي يعتمر الناس فيه بقرب الأميال وعين جاذبا يجتنب الماء من البئر في كل وقت ويسلكه في ذلك المجرى فيسيل الماء إلى موضع يتوضأ فيه المعتمرون على الاتصال والدوام ويشرب منه الناس والدواب والمعتمرون وأهل القوافل المارون منه هناك وأبناء السبيل وينتفعون بذلك ارتفاعاً عاماً ويدعون لصاحب هذا الخير وهذا أثر عظيم لهذا الوزير المعظم من جملة خيراته الجارية دائماً إن شاء الله تعالى أجرى الله تعالى على يديه الخيرات وأثابه عليها أعظم الأجر وأثنى المثروبات وبلغه من الطافه وعنايته ما يتمنى وختم لناوله أجمعين بالحسنى.

هذا آخر ما أردنا جمعه في هذه الأوراق من كل خبر لطيف وأثر مبارك

شريف رق معناه وراق ولطف مؤداه في الاسماع والأذواق كله نخب درر ونصائح  
وجميهه تحف غرر ومنايح ينسى بها الراكب العجلات حاجته ويصبح الحاسد الغضبان  
يطير بها كأنها نجوم في سماء اللطافة زاهرة أو زهور في رياض الأناقة زاهرة تحت  
كل ذرة منها درة فاخرة وضمن كل لفظه نكتة خفية أو حكمة ظاهرة جليلة  
أصبحت للقلوب قوتا واضحت قرط أذن وللواحد قررة ولعمري يحق لو كتبها  
بسواد العيون فوق الحجر فدونك أيها الفاضل اللوذعي الكامل الفطن الأملح  
الناظر في هذا الكتاب المتصفح لو جنات هذه الفداوى الكعاب ما أودعته من  
لطائف الآداب وأدرجته من زيد الحنك واللباب ولا يملك الحسد الذي جلبت  
عليه الاقرار على إنكار ما يجد لغيره من المزايا الحسان ولا يستملك استصغار  
مؤلفه إلى نبذ فرائده والاستسهال بعظيم فوائده فان لك غنمها وعلى غيرك غرمها .  
وما عبر الانسان عن فضل نفسه بمثل اعتراف الفضل في كل فاضل

ومع ذلك فلا ادعى رتبة الكمال فوق كل ذي علم عليم ولا ازعم النزاهة عن  
النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الله الملك القدوس العزيز الحكيم . ولقد  
قيل لا يعرى ذو كمال من نقص ولا يخلو ذو نقص من كمال فلا يمنعك نقص الكامل  
من استفادة كماله ولا يرغبك كمال الناقص في الميل إلى نقصه .

ولقد كتب أستاذ بلغاء القاضي عبد الرحيم الفاضل البياني إلى العماد الاصفهاني  
الكاتب معتذرا عن كلام استدركه عليه وقد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا  
وما أنا أخبرك به وذلك إنى رأيت أن لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في  
غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان  
أفضل ولو ترك هذا المكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء  
النقص على جملة البشر انتهى . فالأليق بالفاضل إذا عثر بشيء مما كبا فيه المؤلف  
وعثر أن يستر الزلل ويقبل العثار وليسد الخلل والعوار والكريم غفار والحليم  
ستار . ولقد رأيت أن أجعل ختام هذا الكتاب مسكا وأنظم له الجواهر المفاخر  
مسكا فاختمه كما بدأته بالدعاء لدوام سلطاننا الأعظم خليفة الله الأكبر الأفخم  
صاحب السيف والعلم مولى ملوك الترك والروم والعرب والعجم سلطان سلاطين

هذا الزمان الخافض لكلمة الكفر والرافع لكلمة الايمان عالم السلاطين وسلاطين العلماء الاعاظم الاعيان الذي تنصغر في ابواب سلطنته تيجان كسرى وقبصر وتسمى إلى لثم أعتابه ملوك الشرق والغرب وأمثال دارا والاسكندر قبل اقبال قلوب العالمين المحسن إلى أهل الحرمين الشريفين المتكرم على جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم في هذين البلدين العظيمين المنيفين الباذل عدله وإحسانه على كافة الرعايا والآمن في ظل أمته ولطفه ورأفته جميع البرايا الذي هو بحر كرم تحدث السن مكارمه بالعجائب ولا حرج ويلوذ بأعتابه الشريفة من نائه شدة الافتقار تدخل إليه السعادة من باب الفرج له دولة أسمى لها الله في العلى مقاما وأعلاما جنابا وأسماءها لقد أعربت عن سيرة عمرية تبوأها عثمان بالعدل مبناهما .

( السلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك المؤيد مرادخان بن سليم خان )

نصر الله تعالى عزائمه وأمضى في رؤس الأعداء صوارمه وشيد به بنيان الإسلام ودعائمه وجعل مغارمه في سبيل الله مغانمه ولا زالت أولوية نصره منشورة الذوائب مشهورة القواضب مشرقة كالشمس يفضى ضوءها المشارق والمغرب صاعدة في أفق السماء حتى تزاحم مناكب مواكب الكواكب ولا برحت أسباب سعاده تقوى وأحاديث المكارم إليه تسند وعنه تروى والقلوب تتمسك من عبوديته وصدق رأيه بالسبب الأقوى في عز مديد ونصر مشيد وعمر يزيد وسلطنة ثابتة لا تهز ولا تبيد وسعادة دائمة تتضاعف وتزيد وإقبال يلازم ركابه السعيد .

ملاح نجم على أفق السماء وماهيب النسيم على العشاق بالطيب

والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسائر الأنبياء والمرسلين وآل كل والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وقد فرغ مؤلفه من تحريره ووقفت أنامل أقلامه من تحبيره في ليلة يسفر صباحها عن سبع مضين من شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وتسعمائة .



الأستاذ المعلق يذكر هنا القصيدة التي نظمها في أشهر بنايات الكعبة وهي بناء إبراهيم خليل الله وبناء قريش وبناء عبد الله بن الزبير وبناء الحجاج ابن يوسف الثقفي وبناء السلطان مراد الرابع وهي القصيدة كونا طبعناها في رسالة صغيرة بالهند سنة ١٣٦٧ وسميناها « منظومة في صفة بناء الكعبة المعظمة » ثم في عام ألف وثلاثمائة وسبعين هجرية زدنا على هذه المنظومة بعض أبيات رأينا ذكرها في هذا الكتاب المهم مع الزيادات تيمنا للفائدة العامة .

ولقد وفقنا الله تعالى الى ابتكار صور الكعبة المشرفة في هذه البنايات استتجناها من كتب التاريخ المعتمدة فجاءت هذه مطابقة للحقيقة والواقع والله الحمد ولم يسبق لأحد قبلنا أن اهتدى إلى وضع هذه الرسوم مع سهولة المأخذ والاستنباط فنحمد الله على توفيقاته المتوالية علينا ونعمه التي لا تحصى لدينا - ولنبدأ بذكر المنظومة المذكورة ثم نضع في آخرها صور الكعبة المشرفة .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا  
نشكركه شكر الذليل المفتقر  
سبحانه جلّ تعالي الله  
ثم صلواته مع السلام  
(وبعد) هدى نبذة لطيفة  
في صفة البناء لبيت الله  
كنا طبعنا هذه المنظومة  
من بعد أن زدنا عليها نظماً  
وقد جعلنا حجمها صغيراً  
وما رأينا في بناء الكعبة  
فنحمد الله على التوفيق  
إيماننا أقوى من الصخر الأصم  
فالقلب عامر بذكر الله  
تهدانا بنعمة الله لنا  
ونستعيز بالله من شر الحسد  
نسأله زيادة التوفيق  
وأن نكون في نشاط مستمر  
وقوة خارقة للمادة  
عساه أن يقبلنا بفضل  
فانه رب عظيم الشأن

هداً يوافي نعماً أولاناً  
إلى العزيز والنفسي المقتدر  
من التجسس إليه لا ينسأه  
على النبي وآله الكرام  
وطرفة بديمة ظريفه  
تعظيمه فرض بلا تناهي  
ثم أعدنا طبعها منظومة  
ببعض آيات تزيد الفهما  
لكن حوت من أمرها كثيراً  
منظومة تكون كالقلادة  
قد أرانا مسلك الطريق  
يعجز عن تعبيره جرى القلم  
والفكر ساجح بأى الله  
لقد ذكرنا ما تراه علناً  
وغمنا قد وناقت المقد  
حتى يجوز كامل الطريق  
لطاعة الله العزيز المقتدر  
حتى تؤدى واجب العبادة  
وأن يعاملنا بمجود بذله  
كثير عفو واسع الإحسان

فكيف لا تحسن طنتنا به والله عند حسن ظن عبده

### صفة بناء

إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة

قد بوأ الله لإبراهيم  
فجاء إلى مكة بالبراق  
فقام بيني بيته الحراماً  
ساعده في ذلك إسماعيل  
حتى إذا طال به الجدران  
قام على المقام وهو ارتفعا  
ورسخت قدمه على الحجر  
وكل ذا معجزة الخليل  
وفي البخاري جاء بالتفصيل  
تراه في كتاب بدء الخلق  
بناء حسب ما بناه آدم  
بناه بالرضم بغير طين  
حفر في باطنه خزانة  
وجعل الحجر إلى جانبه  
وجعل الباب بلصق الأرض  
وماله سقف ولا ميزاب  
وأن ربنا تعالى شأنه  
من سالف الاحقاب والأزمان  
أحاطه بأروع الأسرار

مكان بيته فكن فويماً  
دعا لها بكثرة الأرزاق  
ثم دعا لحجة الأناما  
وهو النبي الصادق النبيل  
وما أتم حده البنيان  
به فأكمل البناء وأبدعا  
ليومنا هذا يرى فيه الأثر  
مكرمة ربنا الخليل  
بناء بيت ربنا الخليل  
فانظره واتبع طريق الحق  
فكم به طافت قديما أمم  
وقد أنى تعظيمه في الدين  
لكل ما يهدى له صيانه  
مدوراً كما هو الآن به  
وقامه بالطول ثم العرض  
ولا له باب ولا بواب  
أكرم بيته وأعلا شأنه  
حتى تقوم ساعة الزمان  
وحفه بالعز والإكبار

وخصه بهبة وعظيمة وجاء في الحديث ما معناه  
 لبيته المحفوف بالكرامة  
 عشرين رحمة مضافاً لمائة  
 منقسم لاطناتين نصفها  
 والناظرون البيت يأخذونها  
 ما للملوك مثله من عظمة  
 ينزل الله تعالى الله  
 في كل يوم بل وكل ليلة  
 ينالها قوم هو خير فئة  
 والمصلين يخص ثلثها  
 عشرين وهو سدسها يقنا

### صفة بناء

قريش الكعبة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

وقبل بعثة النبي قد بنت  
 فجمعوا من أطيب الأموال  
 ونقصوا من الاساس الاول  
 فانسع الحجر بذاك النقص  
 وجعلوا ارتفاعها إلى السما  
 وعملوا أيضا لها ركنين  
 وقد أداروا حائطاً بالحجر  
 وسقفوها خشباً ملائماً  
 وركبوا الميزاب فوق السطح  
 ثم كسوها كسوة جميلة  
 وحضر البناء سيد البشر  
 فوضع الركن إلى محله  
 صلى عليه ربنا وسدا  
 قريش الكعبة حين وهنت  
 حتى يقيموها من الحلال  
 حدارها الشامي بغير جدول  
 وكان قبل ضيقاً كالخرص  
 ورفعوه ضعف ما تقدم  
 كسابق العهد بغير مين  
 مدوراً مكللاً بالطهر  
 وجعلوا داخلها دعائم  
 مصبه في الحجر خوف النضح  
 لائقة فازوا بذي الفضيلة  
 مستسهلاً في كتفه حمل الحجر  
 بيده وقد رضوا بحله  
 مادامت الأرض وما دام السما



## صفة بناء

## عبد الله بن الزبير الكعبة

وابن الزبير بدم بناها حين وهت وضعت قواها  
على أساس ما بنى الخليل حيث له قد ثبت الدليل  
في عام أربع وستين بنى وشكر الله على هذا البناء  
فزادها طولا إلى السماء جعل الأركان فيها أربعة  
ووضع الميزاب فوق سطحها ووضع الميزاب فوق سطحها بالدرجة  
وجعل البابين مصراعين فبابها الشرق للدخول  
عطرها بعنبر ومسك ثم كساها كسوة معتبرة  
وهللو وكبروا تكبيرا وأعتقوا ونحروا كثيرا  
وخرجوا المسجد التنعيم لعمرة تكملة النعيم

## صفة بناء

## الحجاج بن يوسف الثقفي الكعبة

ثم بناها الثقفي الحجاج بأمير عبد الملك مروان  
فهدم الجدار صوب الحجر فأنعم الحجر كما قد كانا  
بينهما قد وقع اللجاج فقام بينهما بلا توان  
ثم بناها ككقريش فاذر ووسع الناس به مكانا

وسد بابها الذي في ظهرها  
أبقى لها الأركان لم يُغيرا  
وقد بنى في بطنها ذاك الدرج  
بنيانه كان لعام أربع  
ثم ابن مروان لهدمها ندم  
بعد دليل ابن الزبير أن عة

### صفة بناء

#### السلطان مراد الرابع الكعبة

وأخِرُ البناءِ جا بالوصفِ  
بسبب السيل الذي قد دخلا  
أقفل باب الكعبة المشرفة  
فقام بالتعمير سلطانُ الوري  
من آل عثمان الكرام النجبا  
فكان ما بناه وفق ما بنى  
من غير ما زيادة أو نقص  
ومنذ ذلك العصر حتى يومنا  
أحاطه الله بثوب العظمة  
فهذه خلاصة مختصرة  
تنبيك عن بناء بيت الله  
ومن أراد أن يرى التفصيلا  
فليقرأ التاريخ حتى ينظرا  
وإنما البيتُ جليلُ القدرِ  
قد وضع الله من الإسرار

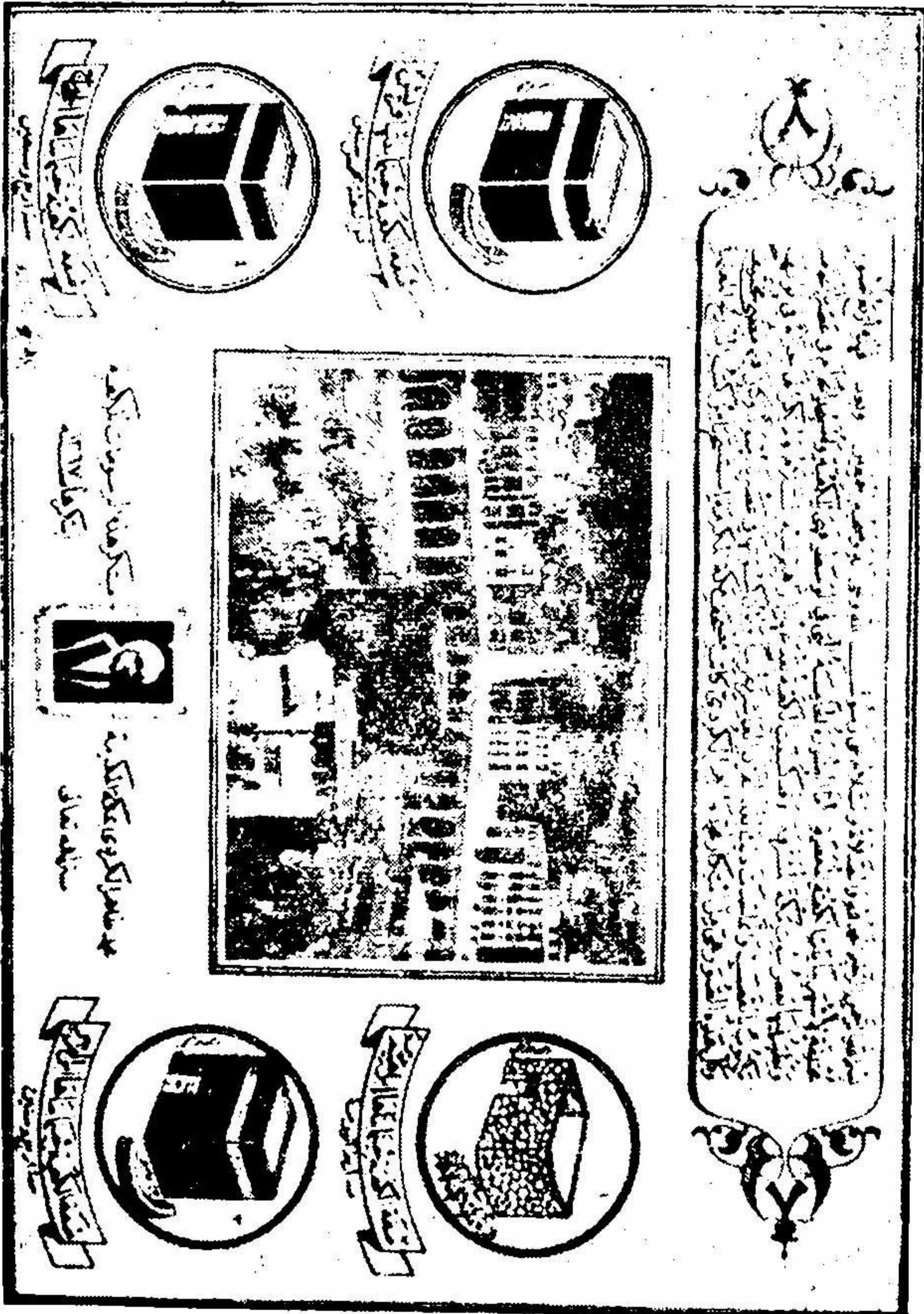
في عام أربعين بعد الألف  
للمسجد الحرام حتى وصلا  
فوقعت منها الجدار المتلفه  
مراد بن أحمد فخرًا  
فقد روى التاريخ عنهم عجا  
التقى الحجاج فازا بالمنى  
روى لنا التاريخ ذا بالنص  
ما قد جرى شيء لبيت ربنا  
وقد حى حدوده وحرمة  
جاءتك في منظومة مسطرة  
قرة عين المؤمن الأواه  
بعينه ويحفظ المنقولا  
بنفسه على الذي قد عبأ  
ونوره سار كضوء البدر  
فيه فلا تخفى على الإبرار

أحاطه بالبر والإجلال  
سبحانه من خالقٍ عظيمٍ  
وكيف وهو بيت ذى الجلال  
من سلم الإمر إليه سألماً  
جلت تعالى الله من حلیم  
ومن دعاه مخلصاً مانداً

### ناظم هذه القصيدة وتاريخ نظمها

نظمها طاهر الكردى  
كتبها بخطه الجميل  
لقبه الخطاط والمكي  
في غرة من الربيع الأول  
حفظ من حاسده الثقيل  
ثم ثلاثمائة ألف  
في عام ستين وسبع عول  
بعض زيادات قتم ما بها  
أعماله من الهوى مجردة  
يرجو من الله الكريم مدده  
والعفو والراحة عند الموت  
ونعماً وابلة ووافيه  
والفرز بالجنة يوم الحشر  
والستر والصحة ثم العافية  
واليسر في أموره بالمهين  
يسأله الثبات خوف القبر  
كلمته وأن يدوم أنه  
ووالديه وعفا ذنوبه  
وَجَعَلَ الْبَاقِيَ مِنْ حَيَاتِهِ  
أحسن ما مر إلى مماته  
نعمده في البدء والختام  
نشكره شكراً على الدوام  
فكم له من نعم لا تحصى  
تزداد بالشكر كما جازت  
فهو الكريم المحسن العظيم  
خالقنا الرحمن الرحيم  
الملك القدوس والسلام  
المؤمن المهين السلام  
وأشرف الصلاة والسلام  
على النبي وآله الكرام

محمد من لانی بعدہ  
قد تمّت الرسالة الطیفة  
أیدہ اللہ تعالیٰ وحده  
منظومة فی الکعبة الشریفہ



## فهرس

تاريخ القطبي المسمى كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام

صفحة

- ٣ تقديم
- ١١ خطبة شارح الكتاب
- ١٢ مقدمة المؤلف
- ٣٠ الباب الأول : ذكر وضع مكة المشرقة شرفها الله تعالى
- ٧٤-٣١ / الباب الثاني : في بناء الكعبة المشرقة زادها الله تعالى شرفا  
بناء العالقة للكعبة المعظمة - بناء قصي للكعبة - فصل  
في تحلية الكعبة الشريفة ذكر تعاليق الكعبة المعظمة وكسوتها  
ذكر كسوة الكعبة الشريفة
- ٨٦- ٧٥ الباب الثالث : في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام
- ١٢٣- ٨٧ الباب الرابع : في ذكر ما زاده العباسيون في المسجد الحرام - تقسيم  
الرشيد الملك بين ولديه الأمين والمأمون
- ١٦٦-١٢٤ الباب الخامس : في ذكر الزيادتين - شعر ابن المعتز رد الصفي الحلبي  
عليه - من أخبار العباسيين - زعيم القرامطة واستباحة دماء المسلمين  
والحجاج - أبو طاهر زعيم القرامطة من أخبار الخلفاء والسلاطين
- ٢١٤-١٦٧ الباب السادس : في ذكر ملوك الجراكسة - من أعمال الخير والاصلاح  
بالحرم الشريف - الملك المؤيد شهاب الدين أبو الفتح أحمد بن أنبال  
الملك الناصر سيف الدين - حج السلطان قايتباي
- ٢٤٦-٢١٥ الباب السابع : في ظهور آل عثمان

صحيفة

- الباب الثامن : في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان سليمان خان ٢٤٧-٢٩٧  
الباب التاسع : في دولة السلطان الاعظم الخاقان الملك الاكرم السلطان ٢٩٨-٣٣٢  
سليم خان - فتح بلاد اليمن - من اخبار اليمن  
الباب العاشر : في سلطنة سلطان العصر والزمان السلطان مراد خان ٤٣٣-٣٥٣  
خاتمة في ذكر المواضع المباركة - والاماكن الماثورة بمكة المشرفة -  
الجبال المباركة - المساجد الماثورة المباركة .



تاريخ قطبي

استمى

كتاب الأعلام من أعلام بيت النبوة

في تاريخ مكة المشرفة

تأليف الإمام العلامة قطب الدين  
الحنفى رحمه الله المتوفى سنة ٩١٨هـ

المقدمة بقلم

فضيلة الأستاذ السيد محمد أمين كتي

شرح هذا الكتاب وعاق عليه ووضع مسوره الأستاذ محمد طاهر بن

عبد القادر الكردي الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة

غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين

منتزم الطبع ونشر

المكتبة الحسينية

لأصحابها: عبد القناح فدا وأولاده

يباب السلام